

مجموعة من الباحثين
بإشراف: ج. م. دانتزر

سورية الجنوبية (حوران)

بحوث أثرية في المهددين المملوكي والروماني

تعريب
أحمد عبد الكريم
د. ميشيل عيسى
سالم العيسى



سورية الجنوبية

(حوران)

يتضمن هذا الكتاب بحوثاً
أثرية، قام بها علماء من المعهد
الفرنسي لعلم الآثار في الشرق
الأدنى، حول المنطقة الجنوبية من
سورية (حوران)، التي تمتد من
جنوب دمشق إلى شمال عمان، ومن
شرق جبل العرب إلى تخوم
فلسطين.

اعتمد الباحثون في
استنتاجاتهم على اللقى الأثرية،
من عمارة ونسحت جدران وبرك،
وخزانات مياه، وشبكات طرق،
وقرى مهجورة، وخزفيات ونقود،
وعلى حدود الملكيات الزراعية
القديمة، وتناولوا في دراساتهم
العصور النبطية والهللينية والرومانية
التي مرت على هذه المنطقة.

يسردار «الأهالي» أن تصدر
هذا الكتاب بالعربية، بعد أن نُشر
بإشراف الباحث ج. م. دانتزر
بالفرنسية في باريس، مساهمة منها في
اطلاع القاريء على التاريخ
القديم لهذه المنطقة، ومساعدة
الباحثين والدارسين العرب على
فهم حقبة هامة من هذا التاريخ.

الناشر

سورية الجنوبية
حوران

جميع الحقوق محفوظة للناشر
١٩٨٨/١٠/٣٠٠٠

الأهالي

للطباعة والنشر والتوزيع

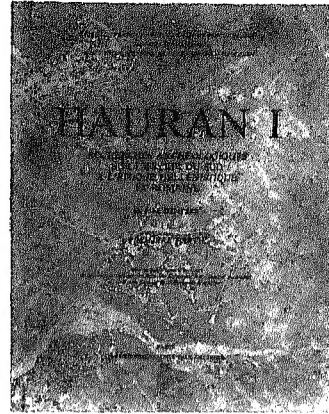
دمشق هاتف: ٤٢-٢٩٩ ص.ب. ٩٥٠٣ تلکس ٤١٢٤١٦

مجموعة من الباحثين
بإشراف: ج. م. دانتزر

سورية الجنوبية (حوران)

بحوث أثرية في المهددين الهلنستي والروماني

تصريب
أحمد عبد الكريم
د. ميشيل عيسى
سالم العيسى



غلاف الطبعة الفرنسية
مكتبة الاستشراق لبول غوتتر
باريس ١٩٨٥

الإهداء

إلى ذكرى الأستاذ سليمان المقداد (أبو
رياض)، الذي كرس حياته، للكشف عن
آثار المنطقة، ومعرفة تاريخها الغني وإحياء
تراثها.

المحتويات

أحمد عبد الكريم	تمهيد	٧
أرنست ويل	المقدمة	١٣
جان ماري دانتزر	المدخل	١٧
فرانسيس هوغيه	لمحة عن شكل وتطور الأرض في أقاليم حوران البركانية	٢٣
بيير جانتيل	عناصر جديدة لكتابة تاريخ مناطق وشعوب جبل حوران الجنوبي	٤٥
فرانسوا فيلنوف	الاقتصاد الريفي والحياة الريفية في حوران القديمة (من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن السابع بعد الميلاد)	١٠١
توماس بوزو	طرق المواصلات في حوران في العهد الروماني	٢٠٧
جان ستاركي	الكتابات والنقوش النبطية وتاريخ سورية الجنوبية وشمال الاردن	٢٥١
جوزيف. ت. ميليك	النقوش والكتابات الصغائية	٢٧٩
موريس سارتر	السكان والتطور في حوران القديمة، على ضوء	٢٨٩
كريستيان أوجيه	العملات المكتشفة في «سيع» والتداول النقدي القديم في حوران	٣١١

تصنيف

«حوران» هي الهضبة الواقعة، في الطرف الجنوبي من الجمهورية العربية السورية بين الحوض الدمشقي في الشمال، ومنخفض وادي اليرموك وجبال عجلون ومنخفض الأزرق ووادي السرحان في الجنوب والجنوب الشرقي، وتمتد بين سفوح جبل الشيخ الشرقية ومرتفعات الجولان المشرفة على وادي الأردن في الغرب والجنوب الغربي، من جهة، ومنطقة الحماة والصفاء من بادية الشرق مروراً بجبل حوران (حالياً جبل العرب) في الشرق. وقد هياها هذا الموقع الهام لتكون البوابة الرئيسية لبلاد الشام للقادمين من الجزيرة العربية، وهمزة الوصل الاستراتيجية بين سورية الشمالية وسورية الجنوبية.

عرفها الآراميون والأنباط باسم «بثان» أو «باشان» واطلق عليها الآشوريون اسم «حورانو» وعرفت في أيام الإغريق والرومان باسم «أورانتس»، وأطلق عليها الشعراء العرب في الجاهلية والإسلام اسم جبلها «الأشم» «حوران» الذي أسماه أبناء بنو معروف بحق «جبل العرب» ورووه منذ أن قطنوه في القرن الثامن عشر بدمانهم وعرق جبينهم وحولوه الى جنة بسواعدهم.

كانت حوران منذ أقدم العصور ولا تزال إحدى البوابات الرئيسية المفتحة على شبه الجزيرة العربية ، تستقبل الهجرات والقوافل التجارية ، فتحضن بعضها وينطلق بعضها الآخر شمالاً إلى بلاد الهلال الخصيب . وقد استوطنتها أجداد العرب من الآراميين والأنباط والصفويين ، واختارها الفساسنة بعد هجرتهم من اليمن إثر انهيار سد مأرب فاستوطنوها ، وجعلوا من دمشق عاصمة لمملكتهم ، وفتحوا أذرعهم لأبناء عمومتهم العدنانيين في «معركة اليرموك» التاريخية الحاسمة التي جرت على بطاح حوران . فكانت مقدمة لتحرير بلاد الشام وآسيا من الاستعمار البيزنطي وقاعدة انطلاق لفتح فلسطين ومصر .

لقد أدرك الرومان أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية فجعلوها منها «أهراء» لتموين روما بالحبوب وإنارة كنائسها بزيت زيتونها ، وحولوها إلى «قاعدة استراتيجية» متقدمة لينطلقوا منها تارة باتجاه البطالمة في مصر ، وتارة أخرى لمواجهة الفرس في الشرق ، ولمحاولة التصدي للغزوات العربية القادمة من شبه الجزيرة .

ولم يغفل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أهمية هذا الموقع الاستراتيجي ، عندما زج أفضل قادته في معركة اليرموك التاريخية الحاسمة ، فانطلقت من قرى حوران في تل الجابية وضياف اليرموك ، جيوش الفتح إلى مصر وشمال أفريقيا وإلى بلاد الشام وآسيا الصغرى لتبني الإمبراطورية العربية .

أقام الأنباط مملكتهم في القرون الأولى قبل الميلاد ، واستتب لهم السلطة في المنطقة الممتدة من قناة السويس الحالية ، وخليج العقبة إلى سهول دمشق . وجعلوا من «بصرى» عاصمة ثانية للمملكة بعد البتراء ، وأقام آخر ملوكهم في «دمشق» . حتى الاحتلال الروماني في أواخر القرن الأول الميلادي .

وقد أنشأوا الطرق الرئيسية التي تربط شبه الجزيرة العربية ومصر والبحر الأحمر بدمشق وتدمر وبابل ، وأنقنوا أساليب الري التي أخذها عنهم الرومان . وأصبحت القوافل التجارية التي تحمل البضائع والسلع المختلفة من جميع بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وغربي آسيا تتقاطر إلى دمشق وبصرى وتدمر ذهاباً وإياباً . لتتجزع أعظم مبادلات اقتصادية وثقافية وحضارية في التاريخ .

وما أن استتب الأمر للرومان في سورية الشمالية حتى سارعوا إلى ضم حوران إلى «المقاطعة العربية» وجعلوا منها «دعاً» يقي جناح الإمبراطورية الجنوب الشرقي من غزوات عرب الجزيرة ، وبطالمة مصر والقوات الفارسية ، وحولوا مدينة «بصرى» إلى قاعدة «لقواتهم السريعة الحركة» المكونة من «الفيلق البرقاوي الروماني» الذي كان في ذلك العصر بمثابة «قوات التدخل السريع» المعروفة في هذه الأيام .

وقد أصلح الرومان شبكة الطرق التي أنشأها الأنباط في سورية الجنوبية ووسعوها، وأنشأوا بعض الطرق الاستراتيجية، وأقاموا على جوانبها المخافر الدائمة للأمن وسرعة الحركة والاتصال السريع وبنوا في بصرى أحد أعظم المسارح التي لا زالت تشهد حتى الآن على ازدهار المنطقة وتقدم حضارتها.

وحاول أحد أباطرتهم أن يجعل من «مدينة شهيا» التاريخية عاصمة إقليمية وجهازها بجميع المرافق والخدمات التي تحتاجها أهم المدن الرومانية، مما لفت انتباه بعض معارضيه وحسداهم.

شهدت حوران ازدهاراً عظيماً في العصر الروماني واستمر هذا الازدهار بعد الفتح الإسلامي طوال العصر الأموي والمرحلة الزاهرة من العصر العباسي، ولكنها مالبت أن أخذت بالتدهور مع بداية العصر المملوكي والعثماني، بسبب عدم الاستقرار والمعاملة السيئة التي كان يلاقها السكان المستقرون في القرى والمدن، على جيدي المرتزقة، الذين يحاولون الاستيلاء على محاصيلهم الزراعية بأبشع الوسائل واعتفها، مما أضطر بعض سكان هذه المنطقة إلى الهجرة من قراهم والتحول إلى البدو للمحافظة على كرامتهم وحريتهم.

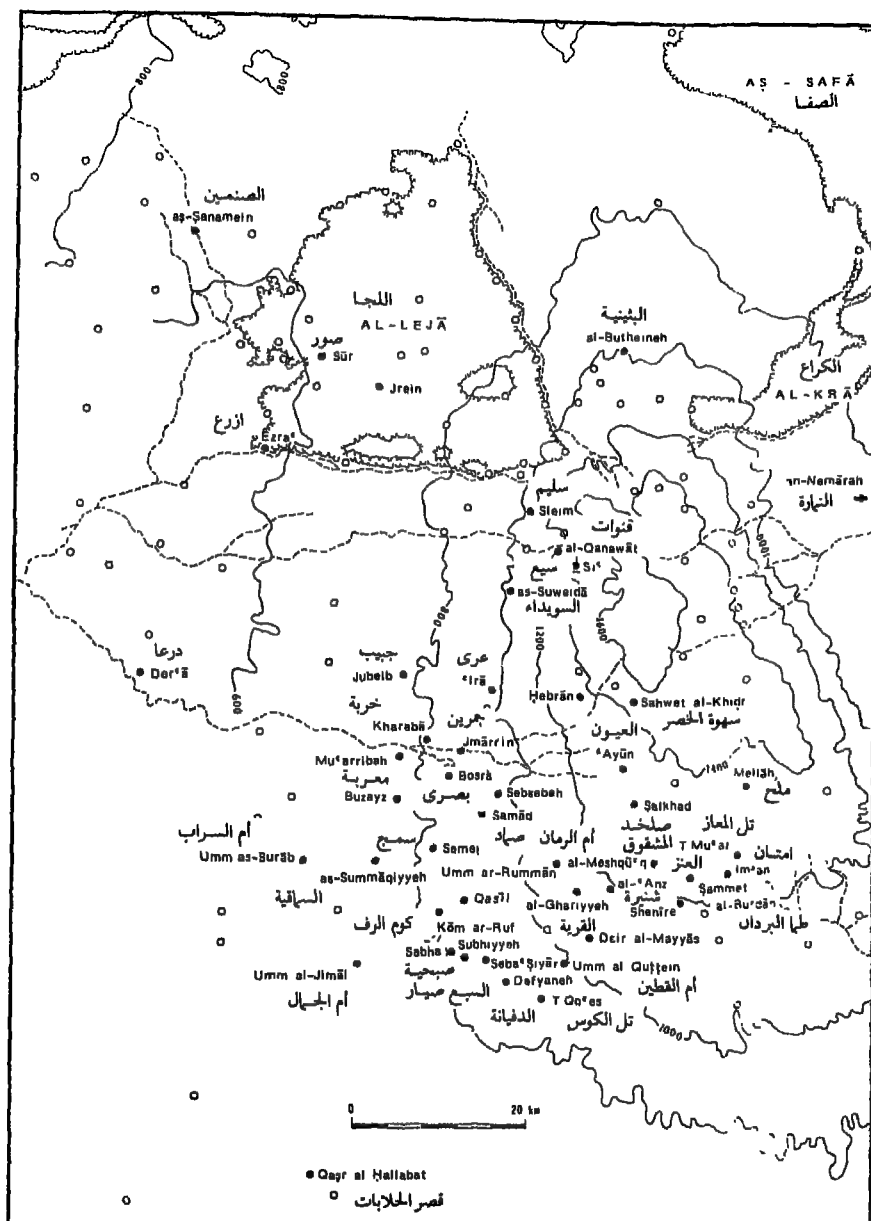
لم تتبدل هذه الأساليب الفاشية بعد زوال الحكم العثماني وقيام الانتداب الفرنسي، بل ازدادت حدة وصلفاً في حوران وبقية المناطق السورية، مما أدى إلى تصدي أبناء المنطقة للمستعمرين الجدد في معظم قرى حوران وحاولوا الوقوف إلى جانب الملك فيصل ضد مخططات سايكس - بيكو، وقتلوا في (خربة غزالة) معظم أعضاء الحكومة التي فرضها الفرنسيون على سورية، ولم يرضخوا للبطش والغرامات والارهاب.

وفي عام ١٩٢٥ انطلقت الثورة السورية الكبرى، بقيادة البطل سلطان الأطرش، من فوق جبل حوران الأشم، وبدأ أبناء المنطقة رحلة نضالهم الطويلة، التي لم تهدأ إلا بزوال الاستعمار الفرنسي، وتحقيق استقلال سورية.

ومع زوال الانتداب الفرنسي، شهدت حوران مرحلة جديدة من التطور شأنها في ذلك شأن بقية المناطق والمدن السورية، ولكنها مالبت أن تأثرت أكثر من غيرها، بسبب الصراع العربي الصهيوني، وقيام (إسرائيل).

وقد أدرك سكان المنطقة خطر المطامع الصهيونية، على مياهم وأراضيهم الخصبة، فصمموا على مواجهة التحدي مع أبناء الشعب العربي السوري وقياداته الوطنية.

وتشهد حوران اليوم نهضة اقتصادية وثقافية واجتماعية أخذت تعطي ثمارها، فتحوّلت مناطق واسعة منها إلى مزارع نموذجية للأشجار المثمرة والخضار، وأصبح لها شهرة خاصة تضاهي شهرة حنطتها الصلبة المعروفة، مما يبشر بمستقبل مشرق يليق بموقعها وطبيعتها.



الشكل رقم ١ - خريطة النقوش (الكتابات) النبطية

هذا ونخص بالشكر السيد محافظ درعا والمسؤولين في المحافظة ، على جهودهم في
نشر هذا الكتاب .

أحمد عبد الكريم

المقدمة

يقدم لنا الجنوب الأقصى من سورية ذو المناطق المتعددة والأقاليم المتنوعة، صوراً معقدة بذاتها، ومتباينة. وكلمة «حوران» أصلاً تنطبق دون شك على هذه الخصائص: أول ما يبدو لنا في تلك الصورة، طريق مرور القوافل الذي كان يربط منذ زمن سحيق أطراف الجزيرة العربية النائية بقلب البلاد، وبالبحر، ثم يظهر الجبل المحاط من كل صوب بصحراء جرداء خاوية، كانت وفق العهود المتتالية، إما ملجأ ومأوى أو أرضاً مباركة للآلهة. ناهيك عن العديد من المقاطعات الصغيرة ذات الطابع الخاص. بيد أن هذا الجنوب يبقى أرضاً أضفى عليها البازلت الأسود طابع القساوة، وهذا لا ينفي بأنها كانت يوماً أحد امراء القمح في سورية، كما كانت. من جهة ثانية، منطقة بساتين وكروم وخير دليل على ذلك ظهور عناقيد العنب «شعار لا يمحي». على آثار أوابد «حوران» في كثير من الأحيان.

إن الانطلاقة الحازمة لسورية الحديثة، لم تأل جهداً في سبيل أن تخرج من السبات، منطقة كانت حتى أول هذا القرن، لا تزال هامشية ومحرومة. فمن خلال تاريخ لا يزال غارقاً في غياهب الجهل والظلام، ظهرت حقبة واحدة أخرى غنية، أيام كان فيها السلام

الروماني يفرض الأمن ويحقق الازدهار، وعلى كل حال فالآثار العديدة والمتنوعة الضخمة في معظمها التي تنتشر في الأرياف وتبقى مدعاة فخر وعظمة للمدن تعود كلها الى تلك الحقبة.

لم تأل البعثات العلمية في القرنين التاسع عشر والعشرين جهداً في العمل على كشف تلك الآثار والتنويه عن مضمونها. لقد ساهم الألمان والامريكيون والفرنسيون في هذا العمل الهام، وذلك الانتاج المفيد دوماً حتى جاء حصادهم الأثري من كتابات ونقوش غزيراً وفيراً، معداً للتخزين كما ظهر حديثاً تنقيب أكثر منهجية وأعمق جذوراً للكشف عن خفايا الأزمنة الغابرة. فالسلطات السورية خططت لمشروع كبير لانقاذ وترميم بصرى القديمة. وأيضاً لبرنامج كبير هو الآن قيد التنفيذ لشهداء (فيليبوليس)، وقد أكملت تلك العمليات من خلال بناء المتحف الاقليمي في السويداء. ضمن هذا الاطار، برز برنامج الابحاث الذي يديره منذ بضع سنين «ج. م. دانتزر» يساعده في ذلك فريقه في المركز الوطني للأبحاث العلمية وهو وحدة البحث الأثري رقم (٢٠)، وهذا هو الوقت المناسب للقيام ببحث شامل عن منطقة حوران الفريدة من نوعها، بالاستناد الى قواعد راسخة وأسس متينة، مبنية على علم آثار لا يهمل أية طريقة ولا يتخلى عن أي خط من خطوط البحث.

يبقى المشروع حساساً: فهذه المنطقة التي عرفت أول ازدهار لها في العصر البرونزي، لم تعد إلى الانتعاش ثانية إلا في العهد الروماني^(١٠)، وبالرغم من ذلك، فقد بقيت متطورة بحدٍ رسّخه ظهور منطقة الجزيرة العربية، التي كان يعيش فيها شعب خليط، كما تعايش بها أو توالى على أراضيها الأراميون والعرب بمختلف تسمياتهم «الايطيوريون، الأنباط - الصفوريون»^(١١). وهي منطقة تعتبر نقطة تلاق بين الحضرة والبدو الرحل، يرافق ظروفها البيئية عدم استقرار طويل الأمد. كما هي منطقة تمسكت تمسكاً شديداً ببنياتها الاجتماعية التقليدية التي بها وازت القرية مجتمع المدينة. منطقة مهدت في مجالات الفن والعمارة أو النحت لظهور علامات تحمل في مضمونها سمة ريفية تنم عن السعادة ورغد العيش.

يعتبر هذا الكتاب بمثابة نقطة انطلاق مرحلة أولى في البحث، كما يكشف فهرس المواد عن امتداد المشروع. فانطلاقاً من الأسس الجيولوجية والجغرافية، يمكن الوصول الى الدراسة الاقتصادية الريفية والى نمط الحياة الفردية والى دراسة طرق المواصلات فقد تعزز علم النقوش وعلم المسكوكات مثلما ازدهرت صناعة الخزفيات.

واخيراً احتلت الآثار العظيمة الضخمة مكانها اللائق ضمن الفصول المخصصة للعمارة والنحت كما أعطى هذا المجلد الأول وضمن اطار اختارته اهتماماً أكبر بالمرحلة التي

دعاهما مؤلفوه مرحلة «ما قبل ظهور الولاية». أهني المرحلة التي سبقت نشوء ولاية الجزيرة العربية، والتي تظهر عليها بصمات حضور روما: من بومبيوس الى السلالة الفلافية؛ وهي مرحلة انتقال من شرق قديم تلاشت ملامحه وسماته الى أفق امبراطوري توطدت أسسه وعلا بنيانه.

يجدد هذا الكتاب بحثاً يعتبر بمثابة اللبنة الأولى في صرح أكثر اتساعاً ولا يسعنا إلا أن نبث تمنياتنا الطيبة لمؤلفيه.

أرنست ويل

هوامش المترجم

- * ١ - هذا الرأي يناقض بعض البحوث التي وردت في الكتاب، فقد كانت المنطقة مزدهرة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً في عهد الأنباط في القرن الأول ق.م والأول الميلادي، قبل وصول الرومان.
- * ٢ - الصفويون : نسبة الى منطقة الصفاة الواقعة في البادية شرقي جبل حوران وهم ابناء عم الأنباط.

المدخل

عرفت المنطقة البازلتية في سورية الجنوبية التي يرتبط بها هذب ضيق في شمال الاردن منذ نشر المؤلفات الكبيرة للسادة :

«H. C. Butler, Domaszewski - Brumnov - M. de Bojne»

نظراً لغنى آثارها الهندسية المعمارية، التي تعود في أغلبها الى العصر الروماني، هؤلاء المؤلفون تميزوا بمشاهدة العديد من الأبنية في وضعها السليم الكامل، مما ادخلنا الأدلة الثبوتية الثمينة، ولكن لم يتسن لهم الوقت الكافي ولا الوسائل الضرورية التي تحقق دراسات معمقة حولها، حيث لم يتمكنوا من الوصول الى الشمولية والى ترجمة مجمل المشاهدات المتوضعة في الأراضي. ومنذ صدور مؤلفاتهم لم يتم أي نشر جديد عن الأبنية والعمارات في حوران بخلاف ماتم بالنسبة لدراسة علم النقوش ولتاريخ المنطقة، غير أنه في السنوات الاخيرة، ومن خلال التطور السريع للبحوث الديمغرافية والاقتصادية، فإن تسارع الأعمال الكبرى وتطور العمران الخاص، أوشك أن يطمس نهائياً بعض الآثار، خصوصاً المتواضعة منها، التي لم تكن تجلب أنظار مؤلفي القرن التاسع عشر^(١). لذا توطدت الآن فكرة العودة الى التنقيب في هذه الأراضي ولكن ضمن قواعد ثابتة ومنظور جديد.

والحقيقة لقد توفرت شروط خاصة ومناسبة، أبقت في المنطقة ليس فقط على اثار العمارة أو النحت، بل أيضاً على بقايا حسية تشكل مجموعات قيمة ولكن بمعيار آخر مثل؛ البنى الزراعية (من جدران وحدود لتقسيم أراضي زراعية ومساحات زراعية - برك وخزانات مياه) شبكة طرق للمواصلات - قرى مهجورة مع أراضيها المحجرة. فعدد تلك الآثار وتوزعها الواحد أو المتماثل على امتداد كامل المنطقة يُتيحان ضمن هذا الاطار طرح مسألة تطوير مجموعة جغرافية تتلاءم ووسطاً طبيعياً شديد التماسك. ولكن وحدة المنطقة وجدتها تُفسّران وفق آخر تحليل بتشكيلها البركاني. أما الفوارق المتنوعة في المناظر والثروات التي تقدمها لنا، فلإنها تعود الى الطبيعة، وبخاصة الى عصر التدفقات الحممية التي تحكمت في شكل التضاريس وفي تحلل البازلت - في زمن متقدم نوعاً ما - إلى تربة فخارية هي بالحقيقة أساساً لكل حياة نباتية، كما تحكمت مع المناخ في الأشكال الخاصة للشبكة الهيدروليكية ذات الينابيع النادرة وعديمة المجاري المائية الدائمة. ان دراسة ابراز المنطقة هي اذن تفحص ردود الأسئلة النوعية، التي يطرحها هذا المحيط أو تلك البيئة، في كل مرحلة من الزمن، ليس فقط على مزارع تربية المواشي وإنما أيضاً على مهندس الطرق والقرى والمدن.

وهذا ما يدعونا لتخصيص وقت طويل من منهاج عملنا لدراسة هذا المحيط من وجهة نظر علم شكل الأرض والتربة والمستحاثات والجغرافية التاريخية.

وصل ازدهار المنطقة الى أعلى مستوى خلال العهد الروماني، يبين ذلك هذا الاتساع الكبير للأراضي المزروعة، وأيضاً نمو وتضاعف عمران القرى والمدن. بينما كانت بعض الأدلة تدعو للتصور بوجود سابق للفقر في البلاد، حيث مرت عليها فترة عدم استقرار في بعض المناطق في نهاية القرن الأول قبل الميلاد. (٣٠) إلا أن المنطقة عرفت وبصورة لا تدعو للشك، مرحلة من التطور البارز في العهد الروماني، ولو أنها لم تكن الأولى من نوعها (٣١) لأن بعض المكتشفات الحديثة على النقوش المعدنية تدعو الى التخمين بحدوث مراحل تطور أكثر قدماً. وخلال هذه الفترة التي تم البحث والتنقيب فيها، تبين بأن سورية الجنوبية قد انتظمت بنجاح ضمن وحدة سياسية. بينما تأكدت القطيعة التي كانت تشطر المنطقة الطبيعية بين مملكة الأنباط من جهة وبين الايطوريين والسلالة الهيرودية أو ولاية سورية الرومانية من جهة ثانية، خلال نشأة الولاية العربية. وقد عدّل هذا التقسيم بعدئذٍ مرات عديدة. فنحو عام ١٩٨ توسعت الولاية العربية من الجهة الشمالية لحوارن ومن الجهة الجنوبية لـ Batané. ثم نحو عام ٢٩٥ ب. م توسعت بالتأكيد من الجهة الشمالية لـ «Batané» و«Trachonitide». غير أنه خلال نفس المدة، انحسرت الولاية العربية عن النقب - آيلاً «alla» - وبترا المرتبطة بالولاية الفلسطينية، والفضل في هذا التطور أنه وحّد تدريجياً وتحت سلطة ادارية واحدة، كافة المنطقة تقريباً واضعاً حداً للانقسام بين تخوم عدة

ممالك، حيث أصبحت الولاية مركزاً لمجموعة جديدة. كما حقق هذا التطور، بدون أدنى شك، ازدهاراً لتطور اقتصادي في المنطقة ستوضح معالمه ابتداء من القرن الأول للميلاد (كما سنلاحظ لاحقاً).

حاولنا دراسة هذا التطور من خلال مختلف المظاهر السائدة في جميع أنواع الآثار المتعاقبة من الحائط إلى المدينة، من العمارة إلى النحت إلى الخزفيات دون إهمال الكتابات والنقوش السامية واليونانية واللاتينية النادرة، تلك النقوش التي هي بصورة خاصة عديدة في المنطقة وقد تحاكت بشهرتها مع الآثار المادية التي احتوتها، كما وفرت قواعد ثمينة في سبيل تفسيرها، إن البحث في تلك الآثار لتحديد ضمن ثلاث مستويات مختلفة:

على مستوى كامل المنطقة: ابتدأت عام ١٩٧٤ سلسلة من البحوث والتنقيب، هدفها تنظيم وثائق مصورة عن الهندسة المعمارية والطبوغرافيا والمشاركين هم ج. م، وجاكولين دانتزر، وج. ب. سوديني والمهندسون المعماريون ج. ل. بيسكوب وبايرو، وفر لارشيه، وبرفقتهم الرسام ك. فيبير غيمغ. ومنذ عام ١٩٧٧ أتاحت زيادة عدد فريق العمل، إعادة دراسة المنطقة، على أسس جغرافية وعلى أسس علم شكل الأرض وتطوره، والبدء بإحصاء القرى والبنى الزراعية وطرق المواصلات القديمة على الواقع، وعلى صور جوية قديمة. وفي الوقت نفسه تم البحث عن عناصر العمارة والتركيب في المواقع وفي مستويات الأثرية وفي المتاحف، والمشاركين في البحث كانوا «فر. فيلنوف - فر. هوغيه - ت. بوزو - ج. بولي - س. قدسي» أما الجغرافي ب. جانتيل فقد أمدنا بمساعدة فعالة من خلال توجهاته الجديدة.

كانت منطقة القنوات - «سيع» - المحدودة والملامسة للجبل والهضبة موضوع دراسة أعمق وأبعد لأنها موجهة لرسم خريطة آثار. وقد أنيط بالسيد ب. جانتيل بصورة خاصة دراسة المنطقة الريفية القديمة. أما السيد ر. دوسيل فقد التزم بدراسة موقع قنوات الحضري.

أخيراً أجريت بعض التحريات والتنقيبات المحدودة. كان لا غنى عنها، لاستيضاح دور ومهام المبنى ولتثبيت نقاط علام زمنية تستخدم أساساً لتاريخ الآثار التي أحصيت، كما فرضت علينا تلك الحفريات، كي نستطيع أن نكون مراجع خزفية يمكن الاستفادة منها في أعمال التنقيب. أما المبرر لانتقائنا الموقع الأثري فقد كان للأهمية الإقليمية لمعبده الذي حافظ أيضاً على عدد من الكتابات والنقوش التي تحمل تواريخ نستشير بها.

وقد انضم إلى أعضاء الفرقة المار ذكرها خلال هذه التنقيبات كل من السادة: F. Braemer إحصائي آثار M. Barret, D. Orssaud مختصان بالآثار الخزفية J. P. Fourdim. مهندس معماري و L. Coutois الذي أخذ على عاتقه الفحص الصخري للخزف. وقد انضم إلينا أيضاً مساعدون آخرون، لدراسة العملات النقدية Chr. Aug

والنقوش الكتابية اليونانية واللاتينية، M. Sartre، للنقوش السامية J. Milik, J. Starcky للآثار الجنائزية A. Sartre، أما P. M. Blanc فقد نسخ وأعاد قسماً من الرسوم والصور.

لابد من التنويه بأن عملنا هذا تحقق بمساعدة قيمة جداً، من مصلحة الآثار في الجمهورية العربية السورية ولا بد من ان نعبر عن عرفاننا للسيد الدكتور بهنسي المدير العام لمصلحة الآثار وللدكتور أ. البني المدير العام لمصلحة التنقيب، وللمرحوم سليمان مقداد مدير التنقيبات الأثرية لمدينة بصرى، وإلى السيد عامر مدير التنقيبات لمنطقة السويداء، لقد غمرونا ليس فقط بكرم ضيافتهم الحارة، ومساعدتهم لنا طيلة هذه الأيام إنما أيضاً لحسن خبرتهم في الآثار وفي نمط الحياة الحالية في حوران، والمناقشات الودية معهم هي التي مكنتنا من فهم وتوجيه برنامجنا، كما أن المسؤولين في محافظتي درعا والسويداء وفي المدن والقرى مدوا لنا يد العون والمساعدة في كافة الظروف. لذا يتوجب علينا شكرهم جميعاً، لحسن ضيافتهم وللمودة التي أبدوها جميع أهالي حوران^(٢) وجبل العرب.

كما أن فعالية عملنا مدينة كثيراً إلى دعم المعهد الفرنسي للآثار في الشرق الأوسط (IFAPO) ومناصرة المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق. كما نعبر عن امتناننا لـ J.P. Pascual- G. Bohas- th. Bianquis- G. tate- E. will

يؤلف فريقنا وحدة البحث رقم (٢٠) في معهد البحوث الأثرية الذي قدم لنا مساعدة فعالة. وخاصة في التصوير المساحي الضوئي (زكارير، غيوميه. وفي رسم الخرائط السيدة سانتيس أوتوز. لقد منحنا المعهد الوطني للأبحاث العلمية (C.N.R.S) معونة مالية لتحقيق إخراج هذا الكتاب. كما كنا نستفيد من الدعم القوي الذي أيدتنا به وزارة العلاقات الخارجية (D. G. R. C. T) خلال جميع مراحل المنهج حتى طباعة هذا الكتاب الذي أخذت على عاتقها إنجاز القسم الأكبر منه، وأيضاً يتوجب علينا تقديم الشكر لـ Ph. Gullemin للفائدة والدعم الذي ما انفك يرفد عملنا هذا بهما.

إننا لانقدم هنا نفس البحوث التي أصبحت موضوع نشرات خاصة سواء أكانت مؤقتة أو نهائية. بل النتائج التي هي ثمرة دراسة مجملة للمنطقة، قام بها مختلف أعضاء الفريق.

فأول سلسلة من المقالات تضع القواعد الجغرافية لتطور المنطقة وتقرح القيام بدراسة العلامات القديمة التي تبرز الاهتمامات والتحسينات التي لا تزال مسجلة في المواقع الريفية والبنى الزراعية والطرق على وجه الخصوص وتأريخ تلك العلامات أو الآثار بشكل الصعوبة الكبرى في هذه الدراسة. وتهتم السلسلة الثانية من المقالات بما تقدمه لنا المسكوكات والنقوش السامية واليونانية واللاتينية والخزفيات والزينات المعمارية لتكوين التسلسل التاريخي لتطور المنطقة ومن خلال الأنواع المختلفة للوثائق وظهرت في الوقت ذاته خصائص ثقافة محلية أصيلة قام بها النحت ليُعبرَ عنها تعبيراً جلياً بالطريقة المستديرة - المحدبة - ومجموعة

كوى التماثيل الشعائرية . أما الخلاصة فسنحاول إعادة تعريف تلك الثقافة في مرحلتها الأكثر تميزاً قبل الانعطاف الذي نجم عن ظهور الولاية العربية الرومانية عام ١٠٦م ، وقد أعدت جميع تلك البحوث المجمعمة بالتعاون الوثيق والودي بين أعضاء الفرقه ، ولكن ذلك لا يمنع من أنه في وسع المؤلفين عند الحاجة اقتراح نتائج وتفسيرات قد تكون مختلفة . ان جميع الصور التي تعذر إيجاد أصلها قد وردت من لدن خزانة الوثائق الفوتوغرافية لوحدة البحث الأثري رقم (٢٠) .

جان ماري دانتزر

هوامش

- ١ - الاستعمال الحديث جواً للوسائل الميكانيكية القوية لرفع الأحجار في بعض القطاعات، بإزالة الجدران التي تفصل بين الحقول القديمة.
- ٢ - Batanée كانت تشمل قديماً محافظة السويداء وحوران (المترجم).
- Trachonitide اسم اللّجا قديماً (المترجم).
- ٣ - نحن مدينون بالمعروف إلى الجميع وبصورة خاصة إلى السيد هايل عامر (متوفي) لقيامهم بمساعدتنا باستمرار كادلاء في تنقيباتنا.

هوامش المترجم

- *٣ - ينطبق هذا التاريخ على الفترة التي حاول فيها الرومان السيطرة على جنوب سورية واخضاع الانباط، وكانت اللجا وجبل حوران أكثر من مرة مقراً للثورات التي تقاوم الاحتلال الروماني.

(لمحة عن شكل وتطور الأرض في أقاليم حوران البركانية)

«سورية الجنوبية»

١ - مجمل المظاهر البركانية في سورية الجنوبية :

تكتسب مناطق حوران القائمة والحجرية خصائصها ومزاياها الأساسية، من وجود الصخور والأشكال البركانية فيها. لقد اغرقت التدفقات البازلتية التي تشكلت من تجمع طبقات حمم رقيقة تتجاوز كثافتها المتراكمة ١٠٠٠م في وسط الجبل طبوغرافيا المواقع السابقة وامتدت تلك المصطببات البازلتية البركانية من أسفل جبل حرمون حتى «نجد» في العربية السعودية بطول ٥٠٠ كم تقريباً، ومن الجولان الى منطقة التلول بطول ١٨٠ كم في أقصى عرض لها. وهذا يعني أنها تتجاوز من حيث العرض نطاق منطقة حوران والجزء الأكبر منها هو بركاني أساسه تشققي مرتبط بتكسرات القشرة التي نتج عنها صعود الصحارة القاعدية. عرف الشرق الأدنى عهوداً عديدة من النشاطات البركانية، توافقت مع أزمنة مهمة جداً من تاريخه البنيوي، وقد انتاب الجانب الشرقي للبحر المتوسط ثلاثة وقائع رئيسية، (حسب المؤلف دوبرير تريه ١٩٣٣ - ١٩٤٠)

آ - البازلت المنضد بشكل طبقات ضمن الرواسب البحرية ، وشملت لبنان بسلسلة جباله في العصر الجوراسي الأعلى وحتى الكريتاسي الأدنى .
 ب - الصخور الخضراء في الشمال الشرقي من سورية وهي من العصر لما يستريكتي .
 ج - أخيراً . انتشر العديد من الحفائر البركانية الواسعة على أرض سورية منذ العصر الميوسيني وحتى التاريخ القريب .

والعصر الأخير هذا المقسم بدوره الى عدة أدوار، هو الذي يعرض ويحلل الأحجام الجبلية والخصائص الأساسية لمنطقة حوران ولبعض مظاهر وصف المياه فيها، يُعزى بدء تلك الانفعالات البركانية الى العهد الميوسيني، والفضل بمعرفة ذلك، يعود للكنتل القارية المتوضعة في الطرف الشرقي من جبل لبنان الأوسط الذي تدفقت من أسفله أول موجات الحمم البركانية، كما توضع على روابص العصر (النصف الثالث) «باليجين» . هضبة بازلتية مشككة بمجموعها منطقة حوران، امتدت ايضاً الى مابعد حدودها الجنوبية خلال العصر الميوسيني والعصر البليوسيني، والمنظر الطبيعي البركاني هذا بلغ ذروته في العصر البليزانسيني - «دور قديم من البليوسين» - (دويرتريه في المرجع ذاته) وكانت الحمم تسلك تشققات العصر المتجه nno-ssw (حسب الصفدي ١٩٥٦) وقد وصلت كثافة سائل الحمم في عصر الميوسين الى ٥٠٠م في منطقة دمشق، بينما وصل سائل الحمم في عصر البليوسين الى كثافة ٨٠٠م في أعلى الدرجات.

عرفت حوران في أول الدور الرابع (بونيكاروف ١٩٦٧، ص ١٦٨) تظاهرات بركانية أكثر تفجراً، كما تشهد بذلك القمم الحلزونية العديدة، وهكذا نكون ضمن اطار تظاهرات دقيقة ولدت تدفقات من الحمم .

حدثت بعض الأطوار المحلية خلال العصر الجليدي (بليستوسين^(١)) وكانت آخر الاندفاعات هولوسينية وهي التي كونت شكل هضاب اللجأ الركامية المشعثة ومن ثم هضاب الصفا والكراع، وقد اتاح الركام الحاوي للعظام في خربة الامباشي تعيناً غير مباشر لتاريخ نهائي (دويرتريه، دونان، ١٩٥٤).

ان هذه الطبقة المتوضعة موجودة في «الصفا» على مسافة ٧٥ كم من الجنوب الشرقي لدمشق وهي تجمع في مساحة ١٠ أروالي ٧٠٠م^٢ من العظام المكلسة التي التقطت من الحمم أو ملئت بها، ومثل هذا التجمع العظيم من العظام لا يمكن أن يفسر بتكديس ٤٠ ألفاً على الأقل من المياكل العظمية لابقار وماعز وأغنام كما تتطلب مختلف درجات التكلس التي وصلت إليها درجات حرارة تتراوح بين ٦٠٠ و ١٦٠٠ درجة مئوية . وتاريخ C41 الذي قامت بتعيينه جامعة غرونانغ، يعيد وجودها الى ٤٠٧٥ ± ١٦٠ سنة، مما يدحض الفرضية القائلة بأن تلك الحيوانات فوجئت وهي حية باندفاع الحمم البركانية، كما لا يمكن الاعتقاد ايضاً بأن

شيها أوصيها هو ثمرة عمل انساني في منطقة جدياء محرومة من كل مادة قابلة للاشتعال، ويمكن ان نستنتج بأن آخر ظاهرة بركانية قد أمكن تحديد تاريخها. اذ يحتمل أن تكون المنطقة قد تشكلت فوق الانسكابات الحممية التي كانت لاتزال متوهجة (من المعلوم أن الحمم البركانية تستغرق سنين عديدة كي تتبرد أعماقها، وتبدو هذه البركانية وكأنها نوع من الانتقال بين بركانية تشقية وبين بركانية نموذج هاواي، وقد تميزت بقممها المنخفضة الوسط. تقع حوران مباشرة بالقرب من التصدعات الكبيرة لشبه الجزيرة العربية، فمن خليج العقبة الى فرجة (يمونة) في لبنان مروراً بغور الاردن يظهر رسم أولي كبير ليكون امتداداً لتصدعات الشرق الافريقي الكبير، التي يمكن أن تفسر وفق علم بنوية الأديم الاجمالي، وكأنها دلائل لفتحة شق، ورغم وجود مناطق من المصاطب البازلتية، مثل ديكان أو الأرض السيبيرية الحائنة، لم تعرف مثل هذه الامتدادات، وبالرغم من أن التصدعات الافريقية لم ترافق اينها كان بتظاهرات أو دلائل بركانية، عكس ماورد تبقى البركانية مرتبطة بصورة عامة بساحات الصدوع.

وقد اعتبر في بادئ الأمر، ان انخساف غور الاردن حديث العهد نوعاً ما من العصر البليوسيني (حسب بلانكنهورن - ١٩١٤)، لذلك وضمن تلك الفرضية، سيكون الجانب الرئيسي في المظاهر الطبيعية البركانية سابقاً لعلم بنية الأرض، ومنذ ذلك التاريخ فهم بأن تلك الأحداث بدأت تشيخ وريداً وريداً (حسب دوير تريه ١٩٦٧ - ص ١٣).

في لبنان حقنت صدوع عديدة بكميات من بازلت الجوراسي الأعلى ومن جهة أخرى، تبين الجغرافية الجيولوجية في نصّها السنوماني أنه في العهد الطباشيري كانت فلسطين من جهة وشرقي الاردن من جهة أخرى متميزين جلياً وبأن هناك بين هاتين المنطقتين تباين في التضاريس شبيه بالذي تفحصناه اليوم (المرجع ذاته)، وأخيراً فإن جيولوجية الأرض المحيطة مباشرة بالعقبة، وكتل السدود البركانية القاعدية والحمضية التي تقطع فيها غرانيث الهضبة، تدل على وقوع أحداث رئيسية تكاملت في حدود عصر ما قبل / الكمبري / والعصر الكمبري. وقد تكوّن بالتدقيق ظهور التصدعات الكبرى لأخدود البحر الميت (المرجع ذاته).

وإذا ما تمسكنا بهذا التفسير علينا بالأحرى التسليم بأن مختلف المراحل البركانية في المنطقة كانت اندفاعاتها تخضع لتلك الأحداث الكبيرة، فالفرج التي كانت قيد التمدد والانتساع المستمر، فتحت ثغرات في القشرة على السطح مما ساعد على ارتفاع الصحارة القاعدية السفلى.

ما عدا أثر الصخور المصدائية التي ظهرت في منطقة الكفر (الصفدي ١٩٥٦) فإن الحمم البركانية في حوران هي من نوع البازلت الميلانيني خاصة وتركيبها في غالب الاحيان

ميكروليتي (صفة الصخور النارية المؤلفة من بلورات مجهرية متوازية يجمعها ملاط زجاجي)، وأحياناً أوفيتي نسيج في بعض الصخور البركانية، يتميز ببلورات من البلاجيوكلاز في وسط ذي بلورات دقيقة من البير وكسين) أودوليتي (نسبة إلى صخور بركانية تشبه البازلت، وبها بلورات كبيرة من البلاجيوكلاز تحيط به حبيبات من البير وكسين). أما المعادن الرئيسية فهي البلاجيوكلاز (معادن مؤلفة من سليكات الصوديوم والكالسيوم والالمنيوم) والأوليفين (معدن مركب من سليكات المغنيزيوم والحديد. لونه زيتوني ويكثر وجوده في الصخور النارية فوق القاعدية، والأوجيت (معدن من مجموعة البير وكسين يتركب من سليكات الالمنيوم والحديد والمغنيزيوم) والمغنيتيت (أكسيد الحديد المغناطيسي) والالمنيت (أكسيد الحديد والتيتانيوم الطبيعي) ويشكل البلاجيوكلاز نسبة من الانورتيت (سليكات الكالسيوم والالمنيوم) تتراوح بين ٦٠ - ٧٠٪، كما يظهر في غالب الأحيان تحت شكل عصيات. أما الأوليفين فيظهر تحت شكل بلورات ظاهرة، بيد أن عيار الزجاج فيها يتغير كثيراً وقد يكون معدوماً، والجدول التالي الذي رتبته السيد صفدي (١٩٥٦) و.أ. ف. رازفالييف (١٩٦٥) يوجز علم صخور الحمم:

الجدول رقم (١)

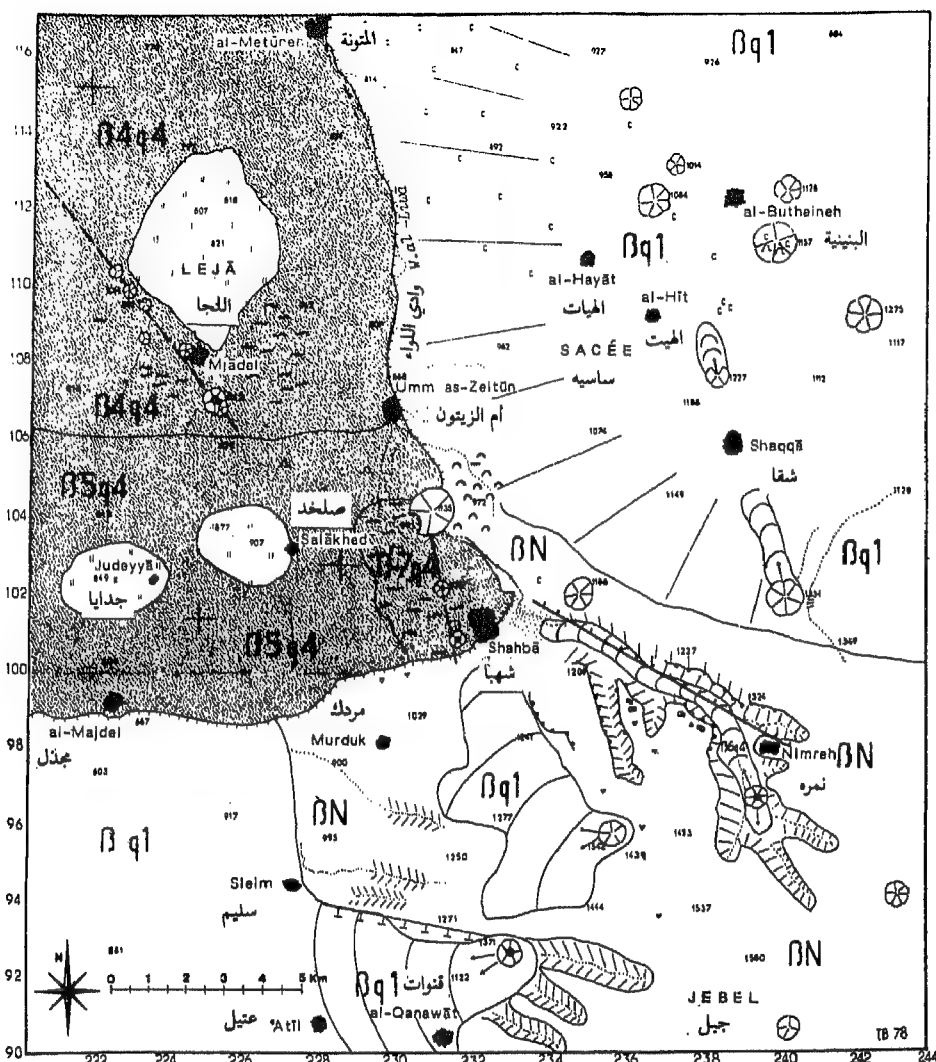
العمر	المنطقة	البير وكسين	الفينوكريستان	النسيج	التحديد
الهولوسيني	اللجا	أوجيت يحتوي على تيتان	بلا جيوكلاز أوليفين أوجيت	ميكروليتي	بازلت b.q.4
فيلا فرنشيان	حوران	أوجيت يحتوي على تيتان	بلا جيوكلاز أوليفين	أوفيتي	دوليريت b.q.1
فيلا فرنشيان	ساسيه	أوجيت يحتوي على تيتان	أوليفين	b.q.1	-
بليوسيني	حوران	أوجيت يحتوي على تيتان	أوليفين	ميكروليتيك	بازلت دوليريت b.n.2
	جيل	أوجيت يحتوي على تيتان	أوليفين	أوفيتي	b.n.2

إن الاندفاعات البازلتية ليست سوى انصهارات تحت بلورية متصاعدة من الحمم على وجه الأرض، لكي تصل تلك الصهارات الى سطح الأرض، وتكوّن بتبردها السريع تركيبها الميكروليتي المتدرج من البازلت الى الاوليفين، لا بد لها من أن تخترق شقوقاً وتصدّعات كي تعبر القشرة الأرضية. أما سبب وجود تلك التشققات، فيعود للتيارات المحدّبة داخل الأرض التي تسير بفعل انقطاع «موهوروفيسي» (حسب ريتان ١٩٦٣). عندما يحدث تشقق في قاعدة القشرة فإن الصهارة تدخل فيه وتأخذ بتوسيعه بفضل الضغط الهيدروستاتي والصهارة بالأساس هي لزجة جداً إلا أن «الفراغ الكامن» الذي نشأ عن التشقق يعمل على خفض درجة اللزوجة بصورة مبالغتة (المراجع ذاته ص ٢٦١). ولكونها أصبحت سائلاً مائعاً فإنها تغزو الفتحات والشقوق وتصل الى السطح بفضل توفر المركبات المتبخرة، لأن الكثافة المتوسطة للبازلت السائل الى الأوليفين دون الغازات هي أعلى بقليل من الكثافة الوسطية لقشرة الأرض، وعند امتلاء الشقوق بالصهارة الحممية فإنها تتوسع وتحدث غرفاً حممية بأشكال زاوية ينطلق منها مداخن اسطوانية تغذي منافذ انتشار الحرارة.

إن حوران مجردة كلياً من الأراضي الرسوبية، التي لم تظهر على السطح إلا في ثلاث قطاعات محيطية: في «جباب» (جنوب غرب المسمية) وفي وادي اليرموك، وفي ضواحي درعا، لذلك فإن تشكل الأرض في حوران تابع كلياً للأشكال التي حددتها الطبيعة البركانية، ولا سيما الحمم السائلة أو المخروطية ولتطورها تحت تأثير العوامل الجوية. وإذا ظهرت بعض الفروقات في طبيعة أراضي حوران، فهذا لا يعود الى تبدل في تركيب الصهارة، بل لأن الأشكال والمواد البركانية هشة قابلة للتفتت، تتطور بسرعة ضمن بيئة مناخية تتميز جافة، ولكنها ليست صحراوية. وسوف ندرس بالتتالي ثلاثة أجيال من المواقع، آخذين نماذج لها من منطقة شهباء، التي كانت موضع دراسة أرضية ومستمرين على اتصال بمواقع طبيعية ثلاثة متباعدة نوعاً ما.

٢ - الأشكال السابقة للزمن المعاصر (الشكل رقم ١)

إن الصفا - الكراع - اللجا - هي تدفقات (حبات) من العصر الهولوسيني قريبة جداً من تركيبها الأساسي فإن السيدة Elysée Reclus في مؤلفها (الجغرافية العالمية) كتبت بصدد «الصفا» بأنها مجموعة من الفتحات اندفعت تدفقاتها على شكل موجات سوداء، وكل اندفاعه تشبه طبقة من الصهارة انتهت بانتفاضات جسيمة متقنفة بسبب فرقة الغاز، كما ينطبق هذا الوصف على «اللجا» التي تتيح لنا طبيعة أرضها المشوشة التأكد من طريقة سيلان الحمم فيها. فاللجا التي كانت تدعى قديماً (trachôn) وهي هضبة واسعة بشكل



- | | | | | | | | |
|-----|--------------------------------------|----------------------|----|---------------------------------------|-------------------|------|-------------------------------|
| BN | basalte néogène | بازلت نيوجين | — | origine de la coulée | مصدر الصهارة | ممنم | كورنة - مدخل |
| Bq1 | basalte villafranchien | بازلت فيلافرنشيان | aa | pyroclastites | بروكلاستيت | TITI | منحدر مستقيم |
| Bq4 | basalte holocène | بازلت هولوسيني | ~ | tunnels apus-basaltiques | جسر حجر بازولتي | ▽ | كتلة في الأتربة |
| B | basalte | بازلت | ~ | trapp holocène (Leja) : formes | قشرة كلسية | ~ | boules rocheuses dégagées |
| C | croûte calcaire | صخر عظمى | ~ | fralches, pahohohô, laves cordées | صخر محدد | ~ | wadi |
| --- | faille à regard déterminé | صدع محدد | ~ | front de coulée | هيلوسينية - اللجا | ~ | chaussée de gémets |
| --- | faille probable à regard indéterminé | صدع غير محدد | ~ | vallée encaissée | جبهة الصهارة | ~ | altérte développée sur coulée |
| ⊙ | volcan strombolien | بركان سترومبولي | ~ | ravin | وادي محصور | ~ | d'âge indéterminé |
| ⊙ | volcan à cratère | بركان دوفونه | ~ | coulée retouchée en versant (altérte) | صهارة | ~ | صهارة بمتر غير محدد |
| ~ | coulée limitée (altérte) | صهارة بركانية محدودة | ~ | ruisselée, forme sub-structurale | صهارة | ~ | |

Fig. 1. — Carte géomorphologique schématique de la région de Shabbā.

الشكل رقم ١ : خريطة بيانية لشكل الأرض لمنطقة شهاب

مثلث رأس زواياه هي : (براق - ازرع - شهباء) وعلى الخريطة ذات القياس ١/٥٠٠٠٠ تبدو اللجا وكأنها هضبة شبه أفقية بارتفاع ٨٠٠م تقريباً عن سطح البحر. والواقع فإن تضاريسها ذات المقياس المتري قد أوجدت فيها طبيعة أرضية متعرجة. هناك ظاهرة تتكرر باستمرار تساهم في رتبة المجموعة التي تؤلف هذه المنطقة الوعرة، تحذبات تتراوح أطوالها بين بعض الأمتار وعشرات الأمتار. وهي مؤلفة من بلاطات كبيرة ذات تقطيعات مضلعة بسماكة ٥٠ الى ٨٠م. وترتفع من ٣ الى ٤م وسطياً فوق المستوى الطبوغرافي وكأنها تبليط رفع من الأسفل بقوة وعنف. تكون الانتفاخات المجزعة أحياناً منخفضة وأحياناً منتصبة جداً وبارتفاع عنيف يكون منها قُباً حقيقية منهاراً أحياناً. يعرف علماء البراكين هذه الأشكال التي تحمل اسم (هامات الضغط) وتحدث نتيجة لتبدل الضغط الهيدروستاتيكي للحمم خلال أوج اندفاعها. وتحت هامات الضغط تلك يُلاحظ أحياناً حفرة صغيرة مملوءة بالفخار التالف وأحياناً بالحُمم الجافة اللامعة Pahoe-hoe أو الحمم المفتولة التي يرتبط تشكيلها بتباطؤ مفاجيء في السرعة التي تنتهي الى تشكيل الثنايا (الطيات) ضمن القشرة الأرضية التي هي قيد التصلب، وتدل أقواس الدوائر في الحمم المفتولة على اتجاه التطور، إذ أن التحذب متجه الى الأسفل. تمكن السيد هـ. تازيف من تصوير مراحل تشكيل الحمم المفتولة في زائير (ريشان ١٩٦٣) وفي بعض قطاعات اللجا تكثر هامات الضغط الى حد تشكيل سيل حقيقي. فالنقبات تأوي في غالب الاحيان تجويفات ومغارات أيضاً لا يتجاوز علو أصغرهما ١م الى ١,٥م بعرض ٢ - ٣م وطول ١٠م. أما المغر الأخرى فهي بمثابة أنفاق تحت بازلتية تصل أحياناً الى مئات الأمتار طولاً. ولا بد لتفسير تشكيلها من تذكر ظاهرة عبور المراكب في هويس القناة: تتجمد الدفقة بدءاً من الاطراف، كما يمكن للحمم التي لا تزال سائلة من أن تتوقف بتأثير غشاء رقيق متصلب على شكل تحديبي ويكفي لدفقة من الحمم أن تهبط من الاعلى ثاقبة القشرة العليا لتُعيد سيلان الحمم، أما اذا توصلت الدفقة الى القرب من الاسفل فإنها ستفرغ النفق بكامله وتكشر هذه الانفاق تحت البازلتية في اللجا، ونعرف ما يشبهها ففي جزر الكناري وفي اسلندا وفي نيوزلندا، هناك نفق في «شعارة» (جنوب غرب المسمية) وواحدة على مسافة ١,٥ كم (جنوب غرب أم الزيتون). وآخرين في «وقم وداما» المذكورتان على خريطة أزرع، كانت هذه الانفاق غالباً مسكونة خلال بعض العصور مستخدمة كملاجئ للهاربين أو للصيود. هذه الانفاق تحت البازلتية تتوفر فقط في الاندفاعات الحممية الحديثة، ويقع في اللجا أعظم نفق في حوران، الذي يبلغ عرضه ٨ - ١٠م وارتفاعه في بعض الأماكن ٦ - ٨م ويصل طوله الى بضعة كيلومترات، أن الأعظم منه هي مغارة أم الرمان، التي تقع على بعد عشر أمتار غرب وجنوب غرب صلخد والتي وصفها. دوبرتريه (١٩٢٩).

وهناك بعض التجويفات الصغيرة التي يعود مردها على ما يبدو الى انهيار قبة حمية قد استخدمت مع الزمن كبرك أو خزانات مائية، وهي تشكل مقاطع هامة في قرية حميد (أو حماد) وقبل تكملة بناء البركة فيها امكن ملاحظة تنالي توضع الطبقات الصخرية التالية (دوبرتريه ١٩٢٩)

- حم بركانية على السطح.
- بازلت فقاعي وبازلت متماسك بسماكة ٤ م.
- طبقة من الحمم البركانية بسماكة ١٠ - ٣٠ سم.
- بازلت فقاعي بسماكة ٦٠ سم.
- بازلت متماسك بسماكة ٤ - ٥ م.

وعلى العموم فإن السطح الأعلى للاندفاع الواحدة هوفقاعي بينما يكون المستوى الأدنى مركباً من البازلت المتناسك، غير أن مرد وجود هذين المستويين، يعود الى انبعاث غازات صهارية في زمن التبرد. أما كثافة الاندفاعات فإنها تتراوح ما بين ٤ - ١٢ م.

٢ - ١ - البراكين والانخفاضات المغلقة :

تمثل اللجا بالقياسين الكيلومري والهيكتومتري نوعين من الأشكال : ألا وهما الطراز البركاني وطراز الانخفاضات النادرة المغلقة (الشكل رقم ١) وفي الجزء الخاص باللجا الذي يظهر على خريطة شهبا مقياس ١/٥٠٠٠٠ يلاحظ مجموعة براكين واضحة المعالم، مترافقة على امتداد ٥ كم قرب قرية «المجلد» يذكر (دوبرتريه ١٩٢٩) بأن بروزها قليل الظهور، ولا يحجب مشهد الحمم الرمادي الذي يحاذيها.

فهذه البراكين المنخفضة نسبياً، تشبه التهاذج الاسلندية التي بدورها تشبه البراكين التي لا تزال نشيطة، ولا يتمثل فيها أشكال وطراوة براكين (شهبا) وتلؤل (الصفاء) التي تشير الى كسر قديم في القشرة الارضية التصقت به الحمم. اعلاها (تل المهاجر) وله ثلاث فتحات الواحدة منها بأقصى الجنوب تبدو مهشمة من جهتها الجنوبية الشرقية وعلى الشمال الغربي منها نجد الفوهة الرئيسية بقطر ١٥٠ م وعمق ٦٠ م وأطرافها مؤلفة من مستويات متناوبة من البازلت الفقاعي والبازلت المتناسك أما في الشمال الغربي من (تل المهاجر) فما يشاهد من البراكين المختلفة هو من الأحجام المتواضعة وهي مشكلة خاصة من حمم بركانية.

إذا أخذنا امتداد اللجا بعين الاعتبار، لابد من الإشارة الى التفاوت بين كتلة الحمم المتوضعة وبين الحجم الصغير للصخور الفتاتية البركانية المتواجدة على ساحة اللجا. ان مقذوفات الحمم كانت تحدث بسهولة بفصل دروب الفوهات الممهدة. وبفضل الحمم

السائلة . أما الانفجارات التي احدثت الكتل المخروطية فهي نادرة . والفتحات المهشمة يمكن تمييزها بواسطة القذفة الأولى للحمم في اتجاه ما ، بينما كان الحصى البركاني يتكدس بالاتجاه الآخر .

ان الانخفاضات المغلقة في اللجا هي من النوع الغريب والمعنى (المُلقن) نظراً لتبدل كتلتها من بعض مئات الامتار الى بعض الكيلومترات ولكنها بصورة خاصة عديدة ضمن نطاق دائرة اللجا الجنوبية ، الانخفاض الكبير منها يقع على بعد ١٦ كم غرب شهباء وعلى مقربة من «بصر الحريه» ولا يقل عن مسافة ٨ كم طولاً و٢ كم عرضاً . انها انخفاضات غارت وتدنّت بضعة أمتار عن الارتفاع الوسطي للحمم المغطاة بطبقة أرضية فخارية حمراء بسماكة تزيد محلياً عن ٣ أمتار وترسمها الخريطة الطبوغرافية ذات المقياس ١/٢٠٠٠٠٠ على شكل حم فيلا فرانش ، مما يحدو بنا الى الاعتراف بأن سيل الحمم الحديثة قد تجنب تلك القطاعات أو ميزها باظهارها . ولا يعرف لماذا دارت تلك الحمم السائلة حول تلك القطاعات سيما وأن لا عائق طبوغرافي يحول دون اجتياحها . فتلك الأراضي القابلة للزراعة وحدها في منطقة اللجا كلها ليست ملساء تماماً ولا منبسطة كما توحي به الخريطة الطبوغرافية مقياس ١/٢٠٠٠٠٠ واتصالها بالحمم المجاورة ليس واضحاً كوضوح اتصاله بأطراف اللجا . كما نلاحظ بعض الحمم البارزة في الانخفاض الواقع في أراضي «صلخد» مثلاً .

في فرضية أولى يمكن تصوّر وجود بحيرات - هي بقايا الخوض الدمشقي محبوس المياه - لدى قذف الحمم ، مما أدى الى انفجارات وتبخير للمياه . وشرذمة في الحمم ولا بد من عدم قبول هذه الفرضية ، لأن مثل هذه الميكانيكية في الحركة لا تولد إلا منخفضات صغيرة ، بل تشكل بالأحرى تضاريس على صورة مخروطات يمكن أن يطلق عليها اسم «النتار المخروطية» .

أما الفرضية الثانية ، فقد تشير الانتباه ، لأن بين مرحلة فيلا فرانش وبين المرحلة الهولوسينية هناك مرحلة تكون بحيرات أثرت على سورية الجنوبية وكانت مطابقة لتوضعات الخريطة الجيولوجية q3 ومثل تلك البحيرة التي يعود تاريخها الى العصر الرباعي الحديث (راز فاليف ١٩٦٥ - ص ٣٣) ربما تكون مرتبطة بسدّ بركاني كبير يعتبر مانعاً لتصريف مياه سهل دمشق نحو شبكة الاردن . ومهما كان الوضع فإن الرسوبات البحرية ولندن طبقة رقيقة من الصلصال الكلي بسماكة ٨ م (حسب مؤلف الصقدي لعام ١٩٦٥) . والخرائط الجيولوجية لا تساعد على تبيان مدى الحدود الجنوبية لهذه الطبقة التي تمر تحت اللجا والتي هي مغطاة في شمال اللجا بتشكلات قارية أكثر حداثة (راز فاليف q4 - ١٩٦٥) لذلك يمكن الاعتقاد بأن هناك تطوراً كارسياً خفيفاً تحت الشقوق البازلتية الموشورية التي تسمح بترشيح المياه ، كما أن هناك تحللاً عميقاً من الكربونات أدى الى انهيار القشرة العليا المتصلبة من الحمم ، ثم الى

تجزئتها وأخيراً إلى اتلافها وتحولها المتسارع، هذه الفرضية احدثت في بادئ الأمر صعوبتين من الوجهة النظرية، ان تلك التطورات المختلفة تمت منذ تشكيل اللجا، أي منذ العصر الهولوسيني (Ponikarov ١٩٦٧ - ص ١٧٠) وقد استغرق ذلك على ما يبدو فترة زمنية قصيرة، كما أن سماكة تلك الطبقة (٨ أمتار) تبدو غير كافية. على كل حال تتيح دراسة الأرض استبعاد هذه الفرضية فإذا تتبعنا على طول طريق دمشق - السويداء التماس بين حمم اللجا وحُم فيلا فرانش فإن الصخور الوحيدة المكربنة التي تصادف هناك هي من القشرات الأرضية الكلسية التي لا تصل إلى حدود المنخفض في وادي اللواء، وهذا يدعو إلى ملاحظة بالتماس الواقع بين الاندفاعين الحميين، من جهة أخرى يلاحظ في «حيران» شمال المنخفض المغلق «لبصر الحرير» أن بئراً بعمق ٢٠ مترًا لم يلامس أسفله أي مستوى كلسي اذن يلزم أن نستنتج بأن الطبقات الطينية الكلسية لا تتجاوز شمال اللجا ولا يمكنها بالتالي أن تكون باعثاً لتطور كراستي خفي في الجنوب.

ولعدم توفر الحلول الأكثر اقناعاً، يجب التسليم مؤقتاً بأن الميوعة الزائدة للحمم مع تبدلات الضغط الهيدروستاتيكي حرّضت على خلق فراغات داخل قبة الحمم وعلى الجوانب الأكثر رقة وقد استطالت تلك الفراغات باتجاه تطور الحمم، وتوضعت بحيرات في الفجوات التي تكيفت وعملت على الاسراع في تغير المادة المصهورة التحتية، ولكن تقليص الارتفاع الكائن بين الهضبة والانخفاضات يبدو غير كاف، عكس ما هو مطلوب بين المناطق الهادئة والمناطق المشوشة، كما لا يكفي أيضاً التماس رفع الحجارة من الحقول لتسوية الفوارق.

٢ - ٢ الاندفاعات السائلة في شهبأ:

ان المحيط المباشر لشهبأ يمثل اشكالاً بركانية طرية تختلف عن الأشكال البركانية في اللجا (الشكل رقم ١) يتخلل هذا المحيط أربع غاريط حلزونية فنية تمتد على بعد أقل من كيلومتر غرب طريق شهبأ الحالي، وهي مصطفة حسب الاتجاه رقم ١٥ الوارد بالشكل رقم (١)، وقد قذفت تلك البراكين وخاصة «تل شبحان» كتلة من البير وكلاسييت التي هي أكثر أهمية من مثيلاتها في اللجا، وهذا يؤكد ظهور اندفاعات أشد انفجاراً من النوع السترومبيلي (الحلازيتيني). ان تل شبحان في أقصى الشمال وعلى ارتفاع (١١٣٥ م) هو بركان غير متساوٍ لأن اندفاعه امتد على شكل قطع أهليلجية نحو الجنوب الغربي والشمال الشرقي على محور كبير مقداره ١,٥ كم. وان فتحته التي قطرها ٣٠٠ م تهشمت من الناحية الجنوبية الغربية.

أما جوانبه التي يزيد ميلها على ٣٠ درجة، فهي قريبة جداً من منحدر موازٍ لقلعة

من الركام تميز بركاناً نشيطاً (حوالي ٣٥ درجة)، كما ان الحصى البركانية المستثمرة كمقلع تمتد الى مسافة ٢ كم الى الشمال الشرقي .

أما تل شهباء فهو مخروطي معتدل الشكل بقطر وسطي ٥٠٠ م تقريباً وهو لا يسيطر الا على دائرة ٥ م من الحمم حوله وخصارته الشرقية أقل ارتفاعاً من الغربية مما يستدل بأن دفقة رئيسية من الحمم اتجهت نحو الشرق بخلاف تل شبحان، والفوهة في شهباء صغيرة ضعيفة الملامح .

يرتفع «تل الجمال» ٤٠ متراً بقطر ٢٠٠ م وله خواصر صلبة وفوهة مزدوجة تبدو أكثر تآكلاً من جارائها وأن القمة العليا فيه تعطي منظراً اطلاقاً مرده وجود نتؤات حممية مندفعة .

في أقصى الجنوب يوجد «تل قلعات» الذي يرتفع الى ٤٥ م - وهو دائري بقطر ٢٠٠ م وله فوهة صغيرة قمعية .

ان هذه البراكين هي أكثر حدائث من براكين اللجا، والحمم التي اندفعت منها، مرت بالحقبة فوق حمم اللجا، وعلى تلك الاندفاعية الحممية الأحداث في تلك المنطقة بُني موقع شهباء، بالتماس مع ثلاث مناطق ريفية طبيعية متباينة حددت هذه الصحارة من الجنوب بقلعة موازية لطريق «شهباء - مردك» . وهي تغطي مساحة بطول ١٤ كم تقريباً وبامتداد ٢ كم غرب خط البراكين، أما في الشرق، فهي تتجاوز طريق شهباء - أم الزيتون بمئات من الأمتار، وخلافاً لمنطقة اللجا المشكلة بصورة رئيسية من Pahoehoe أي من الحمم الملساء، فهنا الأمر يتعلق بـ (a-a) التي هي منطقة سديمية مشوشة شبيهة بـ (chêires d'Auvergne) المملوءة بكتل حممية هشة، محدثة أحياناً رؤوساً أو نتؤات تعيق التقدم . وما يفسر طبوغرافية هذه المنطقة، هو التسارع الكامن في سرعة السيل المندفع (المرتبط بتصدع المنحدر) الذي هشم الحمم، ومن الممكن أن خروج الغاز وحده اذا كان بمقدار عظيم، يكفي لاقرار وجود a-a حسب «Derruau» ١٩٧٤ ص ٣٠٣ .

أدى التكوين الحديث للأشكال المتصلة ببراكين شهباء الى خلل في الهيدرولوجرافيا (علم وصف المياه) فوادي اللواء الذي عبرته الاندفاع الجديدة، شكل بحيرة شرق شهباء، تعرف بنعومة واسبها قبل اجتيازه المانع بواسطة فتحات، هي قائمة بين البازلت القديم والاندفاعات الاخيرة حسب دوبرتره (١٩٢٩ - ص ٢٨٢) وقد استخدم هذا الموقع لانشاء سد مهجور حالياً . وخلال المراحل الأخيرة لتشكيل «تل شبحان» تغير مجرى الوادي، حيث توضع مستوى جديد من الغرين (الطمي) الوادي، فوق المجرى القديم، الذي يمر شرق البركان بين البير وكلاسييتيت المتحركة والمقذوفة خلال الفورانات الأولى . فالمجرى الحالي يطوق البركان من جهة الغرب وقد أحدث نوعاً من التغير في طبيعة الأرض (التمعدن) ضمن الحمم الحديثة حتى أم الزيتون .

٣ - الهضبات في منطقة «ساسية» أول الدور الرابع الـ La Sacée: Villa frnchiens في شرق طريق «شهباء - دمشق» يمكن اعتبار أراضي الربع الشمالي - الشرقي لخريطة شهباء، منطقة تاريخية محورها قرية «شقا» وهي منطقة «ساسية» الخصبة ومستودع القمح في حوران مكون من مساحة منبسطة جداً، يرتفع بشكل مائل نحو الشرق والجنوب الشرقي فيها حقول مترامية الأطراف ومحاطة بجدران صغيرة تستثمر كل امكانيات التربة الغنية بتحولات الحمم رغم ضعف كمية الهطولات المطرية. وترتفع فوق أرض الهضبة براكين كثيرة، غير منتظمة الامتداد وأكثر تآكلاً من براكين شهباء. أما أهمها فيقع حول «بثينة» شمال شقا وهي كناية عن مخروطات حمية منتظمة معدومة على العموم من الفوهات. تتخللها بعض المغر الصغيرة.

فمرحلة الفيلا فرانش هذه كما يبدو كانت متفجرة إذ أن تعدد البراكين يبدو وكأنه برهان على أن اندفاع الصهارة الحمية كان يتم بصعوبة أكبر من حدوثها في العصر البليوسيني. كما ظهر تطور (ذوانفجارية متنامية) يتفق والخصائص الفيزيائية الكيميائية للصهارات (Rittmann ١٩٦٣). ولكن ندرة المخروطات العائدة للحقب الثالث(*) تعرف أيضاً بسهولة قابليتها للكسر بالنسبة للتحات. لذا فإن بركانية منطقة ساسية ترتقي الى أول الحقب الرابع، وهي متباعدة كثيراً عن اللجا. فلا تبرز الصخور إلا نادراً. والسائد في تلك الأراضي هو كثافة التحول ومجموعة التواء والاستطالات التي لها أثر في طبيعة الأراضي الحالية، وكل شكل لأي حبة سواء من الحمم المقتولة أو من الشقوق الموشورية أو القمم الضاغطة فهو معدوم بصورة طبيعية.

إذ قدر بأن المخطط الطبوغرافي شرق شقا، القريب من تقاطع الأراضي المتبدلة يتفق مع مخطط الهضبة الأساسية فليس هذا يمكن بالنسبة للمنحدر الغربي لمنطقة ساسية لأن غياب التواءات الصخرية رغم كونه محدوداً، يتفق مع الجزء الأعلى القممي للاندفاع ومع كثافة التحول وأثار مجرى المياه، ولأن وجود القمم الكلسية، تشير الى شكل من التآكل.

فقد بدت شريحة المواد المتحولة المنقولة مع طول المنحدر والمنصبية في وادي اللواء، وكأنها خفيفة بسبب بعض التبدل في الأرض وعدم وجود أعالي صالحة كمستودع مطري حول دون الانحدار المتآكل، وفيما بعد وعلى هامش انسكاب أهم الاندفاعات الحمية في منطقة «ساسية» فقد قذفت بعض القمم المخروطية صهارات قصيرة فبركان «شقا» الموجود على مسافة ٤ كم جنوب وجنوب شرق القرية نفسها، قذف نحو الشمال والشمال الغربي صهارة بطول ٣ كم، تشاهد بسهولة على الخريطة الطبوغرافية بفضل استمرار وجود الأشجار التي رسمت حداً ترايياً.

في جنوب اللجا، أي غرب طريق السويداء، شهباء تظهر «النقرة» وهي هضبة منخفضة

تحت الافق مكونة من اندفاعات معاصرة لاندفاعات Sacée ومتشابهة معها من حيث تشكل طبيعة الأرض، رغم قلة عدد البراكين فيها. ليست هذه هي الظواهر الوحيدة من بركانية أول الدور الرابع (فيلا فرانش) في منطقة شها، بل هناك صهارات أخرى معاصرة، وهي متداخلة في طبوغرافية الجبل عامة، أي في اندفاعات العصر البليوسيني وهذا ما يحملنا على دراسة المناطق المشكلة من البازلت القديم.

٤ - الجبل : الاندفاعات البليوسينية وأشكال التحات :

يبين الربع الجنوبي - الشرقي لخريطة شها مقياس ١/٥٠٠٠٠ بين طريق السويداء - شها - وادي اللواء الميول والمنحدرات الشمالية - الغربية للكتلة الجبلية المذكورة سابقا (انظر الشكل رقم ١). ترتفع هذه الكتلة حتى (١٨٠٣م) عن سطح البحر في «تل غينة» في الجنوب الشرقي من السويداء، أما على خريطة شها فلا يعلو الجزء منها إلا حتى ارتفاع ١٦٨٩ متراً فقط، ويتميز هذا الجزء بوجود وادي اللواء الذي يتجه من «نمرة» الى «شها» ضمن مجرى مستقيم الاتجاه من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي، والوادي ضيق في مجراه الأعلى، وسفوحه قاسية وعرة، أما انحصاره ضمن ضفتيه فلا يتجاوز ١٥٠م في أعلى «نمرة» ويحدود ١٠٠م عند سفح «تل عزرائيل» والمنحدرات الصخرية تسطح السفوح بأفاريز، كما تلاحظ على جانبي ذلك المجرى الأعلى طبوغرافية هضبة محدبة تحتها روافد الوادي، وعلى مسافة (١كم) جنوب «نمرة» في وسط قاع الوادي العريض المنبسط يرتفع «تل أم جدوح» المسيطر على بعد ١٤٠م من المنخفض وهو بركان شبيه ببراكين جزيرة ستر ومبولي، له فوهة صغيرة ويصل قطره الى ٤٠م، تعتبر هذه الهضبة الجافة الوعرة بمجموعها كشاهد على تكون بازلت الهضبات في العصر البليوسيني. وفي أعلى سفوح وادي اللواء وروافده يمكن التعرف على الموشور الطبيعي للجزء الأعلى القممي للاندفاعات الحممية، أما في «طفرة» فيلاحظ وجود آثار أولية «لطريق العمالة» إذا سلكناه صعوداً باتجاه الجنوب الشرقي ونحو روافد وادي اللواء، التي تُجزئ هذه الهضبة الى ما يشبه رسوم القُدَد المنحدرة، نجد بأن ميل مجموعة هذه الكتلة يتوافق مع الاتجاه الاساسي لتلك الاندفاعات. فالمنطقة اذن محدة بهيكلها البنيوي بكل دقة. ومن «مردك» الى «سليم» يرتبط السفح المنحدر باتجاه «النقرة» بالكثف الرئيسي لهذه الاندفاعات ولا تطاله منطقة التآكل فالتحات والتبدلات التي تغطي تلك الاندفاعات الحممية القديمة، هي أكثر كثافة في الجنوب مما هي عليه في الشمال حيث تصبح متقطعة.

تختلف طبيعة تلك الأراضي عن أراضي اللجا، ولكن إذا استبعدنا التحولات وحالة

الاشجار الصغيرة. وهناك اندفاعات متزامنة مع اندفاعات «قنوات» (رازاليف ١٩٦٥) منحدر من «تل الشيخ» (١٥٤٢م) قد اندفعت باتجاه الشمال والشمال الشرقي حتى المنعطف الكائن على طريق «مردك - شها» وتوقفت نحو الجنوب على بعد مئات الأمتار من وادي القنوات القديم، تلك الاندفاعات التي هي بعرض وسطي ٥, ٢ كم ليست بالحقيقة صهارة واد، ولكنها بموجب هذا المنحدر الكبير سايرت بمسارها انخفاضاً غير واضح في طبوغرافيا البازلت القديم.

٥ - معالم التبدلات المناخية :

إن موضوع التبدلات المناخية، خلال الحقب الرابع، يمثل فائدة كبرى في المناطق التي تعرف حالياً «بالبيئة الجافة»، سيما عندما تحمل الشواهد الأثرية عن توضعات قديمة. كون «حوران» بركانية ومن واقع وضعها الحجري غير المميز فلها لا تتلاءم والتكوينات الأحاثية، أي المتعلقة بعلم الحياة القديمة. وإذا تركنا جانباً تفسير تلك التبدلات الذي لم يكن موضوع دراسات منهجية في غياب ما قدمته الباليولوجية فإن حوران لا تقدم إلا اتجاهين من الأبحاث :

أولها: السطوح اللحيقية.

ثانيها: القشرة الكلسية.

٥ - ١ السطوح :

بخلاف شمال سورية، حيث يظهر لنا «العاصي» فيها اندماجاً نادراً للأشكال San la (١٩٧٩ ville) يلاحظ فقر حوران في التكدسات الغرينية والسبب الرئيسي في ذلك يعود الى الخلل الذي بعثته البركانية في الهيدروغرافيا. يظهر وادي الزيدي بدرعا. الغائر في طبقات المارن التي ترجع الى عصر الباليوسيني والذي يخترق طبقة صلبة رقيقة من بازلت الهضاب سطحين مندمجين سويةً (انظر الشكل رقم ٢) السطح الأعلى وارتفاعه ٩ أمتار كُون من تعاقب الحصى الأملس، ومن مستويات الطمي المرتكزة على الأساس. أما على الضفة الجنوبية، فالسطح مطبق على السفح. وعلى ارتفاع أربعة أمتار من السطح، يوجد المارن الايوسيني، أما الافريز البازلتي فهو فوق سرير الوادي وعلى ارتفاع ٣٠ متراً. والغريب أن حصى البازلت نادر الوجود، أما السطح السفلي الذي يبلغ ارتفاعه ٥, ١ م فهو أكثر تقطيعاً، ومؤلف في معظمه من الطمي أو الفخار، ويلاحظ على مسافة ٤ كم شمال وشمال شرق «شها» سطح منخفض متحجر على مستوى الصخور الفتاتية. وبواسطة انهيوارزم الحصى، يلاحظ وجود حصى بازلية ملساء، مفتتة مغطاة بتراب الجزء الأعلى من السطح،

سفوح الاندفاعات، يلاحظ بأن الشق الخطي للدوران والدور البنيوي للآديم وما استجر من مراحل في الاندفاعات البركانية الجديدة، جعلت من الجبل منطقة كثيرة التعقيد. فوادي اللواء بوجه الاجمال يعتبر واد شكله خط التصدع: فشق الوادي يعود الى التصدع المتجه (جنوب - شرق) (شمال - غرب) أي على محور «تل شيحان» و«براكين المجدل». وربما وصلت قمة الازاحة في شها الى أكثر من ١٠٠م. ثم أخذت تتقلص باتجاه الجنوب الشرقي.

اما قاع الوادي فهو مغطى بقشرة رقيقة من الصهارة الحممية حديثة العهد ومعاصرة لاندفاعات اللجا. (دويرتريه ١٩٢٩) منحدره من «تل أم جدوح» واندفاعه هذا الوادي (بخلاف ما توحي به الخريطة الطبوغرافية) لا تتصل باندفاعات شها، ولكنها توقفت على مستوى «تل عزرائيل» كما يظهر ذلك في الخريطة الطبوغرافية. وطبيعة الوادي تتفق مع المنطقة الهشة للقشرة الأرضية هنا، حيث حدث في العصر الهولوسيني تيار صهارة حممية على شكل مدخنة على مقربة من التصدعات الخارجية لبازلت الهضبات.

يسدو أن هذا التطور الممثل بشكل أجوف مغطى خارجياً بالحمم. قد ظهر أيضاً في الكتلة الجبلية وتكشف منطقتا «القنوات ومفعلة» عن تربة قليلة السماكة مغطاة ببقايا صخرية ذات نتؤات. وعوضاً عن الحقول المزروعة. تنتشر أشجار السنديان الخضراء وأشجار التين وكروم العنب وكأنها تشير الى تربة قليلة التطور والخصوبة. إن هذا التحديد في نوعية التربة الذي يبدو واضحاً في الأرض، يتوافق مع الاندفاع الحممي في مطلع الحقب الرابع (رازاليف ١٩٦٥) المنحدرة من «تل المفعلة» بطول ٦ كم. وهذا التل مخروطي الشكل، واسع، يتكون من الحمم البركانية بقطر ٧٥٠م وارتفاع ١٤٠م، ولفوهته جوانب وعرة خشنة وقاع منبسط. شمال ذلك البركان وعلى مقربة من قرية «سليم» يقع منحدر مستقيم طوله ٥ كم بامتداد ١٥٠م، وهو على الأرجح سفح قديم لواد غمر بكامله بصهارة تل المفعلة الحممية. ويلاحظ أن المجرى الأعلى لذلك الوادي، ما زال مشغولاً بتفرعات «وادي قنوات»، كما نلاحظ في الجنوب الشرقي لطريق «مفعلة - قنوات» الأودية الصغيرة التي قطعها روافد الوادي القديم. أما في الجنوب وضمن خريطة السويداء قياس ١/٥٠٠٠٠، فلا يشاهد السفح الآخر. لأن الاندفاع على ما يظهر فاضت عن الوادي، وإذا اعتبر بأن «تل المفعلة» يعود أساساً لاندفاع العصر الفيلافرانشي فمن الواضح أن البركان الذي نلاحظه اليوم بجوانبه الوعة الخشنة وفوهته العميقة، هو أكثر حداثة.

في الجنوب، والجنوب الشرقي من شها وغرب البروز المحفور في البازلت السينوزي (حقب الحياة الحديثة) يلاحظ بأن الوجيبة، أي الأرض الواقعة بين الوادين لها نفس الخصائص الترابية الموجودة في منطقة «مفعلة». تربة قليلة السماكة تزرع فيها الجنبات أي

ويستمر هذا السطح المنخفض الذي يصل علوه الى متر واحد حتى مسافة تزيد عن ٣٠٠ متراً، وفي بعض المواقع نرى بأن السطح نفسه يتوضع على مستوى من الصخور الفتاتية وقد يعطي التأريخ النهائي للحصى البركانية العمر الحقيقي للطمي .
ويلاحظ أيضاً في «قنوات» مستوى من الطمي خفيف على ارتفاع ١,٥ م من سرير الوادي، مغطى بتربة أثرية غنية بالقطع الخزفية المكسرة، وتسود فيه تشكيلات الميول والمنحدرات .

في البلاد نصف الجافة، يعود تفسير ظهور السطوح الغرينية بنوع خاص، الى التعاقب المتكرر للأطوار الجافة والأطوار الرطبة (تستثنى من ذلك السطوح القريبة من الساحل) معروفة منذ زمن بعيد في افريقيا الشمالية . ولكن تسلسل الوقائع والدور الخاص بالأطوار الجافة والرطبة في تكون الطمي والتشققات كانا موضوع خلافات شديدة . وفيما



Fig. 2. — Les terrasses du Wādī az-Zeidi (Der'ā).
الشكل رقم ٢ : سطح وادي الزيدي (سرير)

يخص افريقيا الشمالية ، فإن الارتباط المشترك بين الجليدية ، والمطرية يبقى وحدهُ فرضيةً وجيهة الاحتمال ، رغم الصعوبات في التفاصيل التي يعود القسم الأكبر منها للخلل في توالي مختلف الظواهر الطبيعية الناتجة عن التقلبات المناخية . (Coque ١٩٦٢ - ص ٤١٧) .

يظهر بأن ذلك المخطط في الشرق الأوسط لا يزال محتفظاً بقيمته الكاملة (Ponikarov ١٩٦٧ - جدول رقم ٥ ص ١٥٠ - بزانسون ١٩٧٤ - ص ٣٣٧ - Sanlaville ١٩٧٩) ، أما حول الوضع الحالي للتقنيات الجارية عن البلاد الجافة لحوض البحر الأبيض المتوسط ، يظهر أن توضع الرواسب في مرحلة تكوّن سطح مائي منطقة غير حراجية يتم خلال الدور المطري ، أما التشقق فيتم في بداية الجفاف . وبالفعل تزداد قوة المجاري المائية خلال الأزمنة الرطبة ، ولكن تطورات تغير الصخور بتأثير المناخ وتحركها على السفوح ، تزداد نشاطاً بصورة موازية ، كما تزداد الحمولة بأسرع من ازدياد القدرة الخالصة . وفي نهاية عصر ماطر تنقلص القدرة الجاهزة إلا أن نتاج الردميات على السفوح يبقى مشلولاً ، فتناقص الحمولة أسرع من تناقص القدرة الخالصة . وهذا ما يؤدي الى الانحسار الخطي .

يبقى علينا أن نقترح التفسير الذي يترجم تشكل سطوح حوران . فإن السطح الأعلى لدعرا ، في حدود ارتفاعه يتوافق مع السطح الثاني للفرات المنسوبة الى Würm (Ponikarov ١٩٦٧) ومع ذلك ، اذا سلمنا جديلاً بأن هذا السطح يعود الى عصر ماطر (اورميا) (Wurmien) فيكون بلا شك معاصر للصخور الرسوبية البحرية لسهل دمشق (رازفالييف ١٩٦٥ - ص ٣٣ - سلسلة upper) ، ولكن في لبنان يُعرفُ طوران فقط للطمي الفريني يتصلان بعصر الـ Wurm (Besançon ١٩٧٤ - ص ٥٧٠) .

تقدم الصناعة الحجرية عنصر تاريخي يثير القلق أكثر مما يدعوللايضاح ، سيما وأن منطقة درعا قد كانت مأهولة منذ العهد الأشولي (Acheuléen) حتى العصر البرونزي الثالث (Nasrallah - ١٩٤٨) . في علم شكل الأرض وتطوره تتيح الأحداث المحلية المصطنعة القريبة في تشكل ما ، توضيح الحد الذي يبين التاريخ الفعلي ، أما العوارض الأخرى فيمكن أن تظهر نتيجة لتغيرات أو تعديلات ما .

وقد اختبر الأب (Hours) خمسة أصناف التقطت من السطح الأعلى .

- ١ - حجر نيكولي من السيلكس كثير الاستدارة من العصر الباليوثيكي المتوسط (الحجر القديم) أو أقدم من ذلك .
- ٢ - شظية من السيلكس تالفة .
- ٣ - أداة من البازلت .
- ٤ - حجر صغير من السيلكس ، شاذ الشكل من العصر النيليتيكي أو الباليوثيكي الأعلى .

٥ - حجر صغير من السيلكس ذات وجهين يحمل آثار التقصيب والاعداد .
وطالما لم يعثر في السطح الأعلى على أحداث نيوليتية فعلية فلا شيء يحول دون التمسك بالعصر الوورمي (Wurmien) مع عدم امكانية اعادة التاريخ الى أبعد من ذلك .
أما السطوح الهولوسينية المنخفضة فإن شرحها والكشف عنها يطلان كثير ي الحساسية . ويمكن أن تتذرع بوجود تأرجح رطب في العصر النيوليتي ، وقد كان معروفاً في الصحراء (كوك / ١٩٦٢ ص ٤١٧) إلا أن الازمات المتكررة يمكن أن تكون من منشأ بشري ، اعتباراً من العصر النيوليتي سيما وأنها مرتبطة بأطوار من استصلاح الأراضي ، وفي العصر الروماني عرفت إحدى هذه الازمات في لبنان (بيزانسون ١٩٧٤ - ص ٣٣٣) .

٥ - ٢ القشور الكلسية :

منذ زمن بعيد لوحظ في حوران وجود قشور أرضية متفحمة وتغطي تلك القشورات الصلبة أحياناً ، والهشة أحياناً أخرى جزءاً من سفح «ساسيه» شرق «المتونة» يغطي «تل الخالدية» قوقعة كلسية بكثافة تزيد عن ٥٠ سم وجميع منطقة خلخلة تبدو مغطاة بها ويتيح أحد الخنادق بمشاهدة سكاكات تتجاوز المتر الواحد . وكلما اتجهنا نحو الشمال كلما كانت القشورات أكثر صلابةً وتماسكاً . ولكن التشويش الظاهر في التكوينات البحرية ، التي تبرز شمال «براق» ليست واضحة المعالم . فالأولى وضعت بصماتها على السطح طبوغرافياً بينما الأخرى تبدو بشكل طبقات . والسيد صفدي كشف عن خصائص نادرة لمنطقة ذات ثلاث مستويات :

- المستوى الأدنى وهو مشكل من العقد الصغيرة الكلسية .
 - المستوى المتوسط وهو قابل للتفتت على العموم .
 - ثم المستوى الأعلى . فهو قاس و Zonaire ومكاني .
- وهذا الأخير يشاهد باستمرار . وفي منطقة «قرية البينة» يلاحظ وجود قشرة متقطعة . وهي متوضعة بصورة رئيسية على منحدرات البراكين . أما حول «شقا» فالقشورات أكثر ندرة فهي تختفي باتجاه الجنوب على سوية «شهباء» . ولا يمكن عزو هذه القشورات الى الاندفاعات الحاصلة في بدء الحقب الرابع . في اللجا «قتل الاحمر» مغطى بقوقعة كلسية متماسكة بمساحة متر على الأقل . وفي أسفل هذه القوقعة ترى الحمم البركانية ممزوجة بمسحوق كلسي ناعم (دويرتريت ١٩٢٩ - ص ٢٨١) ويمكن مشاهدة هذه القشرة في معظم براكين «عريقة» وتلول «مجادل» وهي تتمثل في موضعها بغشاء كلسي أبيض (المرجع ذاته) . على العموم توجد هذه القشورات خاصة في منطقة (Sacée) على ارتفاع يتراوح بين ٧٠٠ - ١١٠٠ م ، وهي غير متوفرة في براكين «شهباء» . وعلى شبه التأكيد فإنها تكونت قبل

الثورانات الأخيرة . لا تتوفر امكانية الدليل للوجود الواضح لهذه القشرات على البراكين ، حتى يمكن تصور العلاقة الخاصة حول هذه البركانية مثلاً . وهذا يعود الى التصاعد الاندفاعي الكلسي لكتلة الأساس . ان العينات التي درسها (السيد الصفدي ١٩٥٦ - ص ١٦٨) لا تبين وجود مستحاثات بحرية . ولكن من أين وجدت الإيوانات (Ca²⁺)؟ إن تبدل الفلدسباتي (صَفَّاح الحقول) يبعث شيئاً من هذه الإيوانات . فالبازلت الوسطي يحوي (بحسب الثقل الاوكسيدي) حوالي ١٢٪ من الـ (Cao) . أما بازلت حوران فعياره ينخفض قليلاً ويصل مقداره الى ١٠٪ (رازا فاليف ١٩٦٧ - ص ٥١) . يمكن التساؤل فيما اذا كان هذا الطمي كافياً خاصة بالنسبة للقشرات الأرضية الاكثر حداثة . والمتكونة على براكين اللجا واذا اخذنا بعين الاعتبار وجود تضاريس كلية كبيرة فوق دمشق ، أي في جبل قاسيون وجبال لبنان الوسطى فإن الرياح الشمالية الغربية الناقلة للغبار الكلسي تمكنت من نقل مقادير ذات شأن .

تلك هي الفرضية المتعلقة بحركة الريح التي اقترحها السيد (R. Coque) لتفسير تكوّن القشرات الكلسية والجبصية في تونس (١٩٦٢) . ولا يمكن الاعتراض على تلك النظرية ، الا في المناطق المجردة من الكلس أو من المعادن الغنية بالكالسيوم ، عدا هذه النظرية ظهرت فرضيات مختلفة ساعية للمناقشة في تفسير مكونات القشرات (مؤتمر ستراسبورغ ١٩٧٥ - C. R. M. vaudon clauzon ١٩٧٦) . أما فرضية التربة التي هي أكثر مشايعة ، فإنها تعيد تشكل القشرات الى آفاق التراب B. واذا طفت وبرزت القشرة فمعنى ذلك أن الأفق الأدنى قد جرف . أما نظرية التمدد داخل التربة - الكلسيت يحل مكان الدوليت أو السيليس دون احداث خلل في التراكيب أو البنى - فإنها تأتي لتكمل الفرضية السابقة أكثر بما تعارض مضمونها أو مفهومها . كما يشكل تدخل طحالب البكتيريات أو الفطريات التي بإمكانها إفراز «الكلسيت» ، للعنصر الأساسي للنظرية البيولوجية وفق ما يظهره الاختيار . وقد ابرزنا أيضاً صلات القشرات المتكررة مع الجريان السطحي أو تحت السطحي ، وهي التي تسمى «بنظرية الجريان» . وأخيراً يرى البعض أن تشكل القشرات قد يكون مصدره الترسبات المرافقة للمواد الغرينية التي تتكون فوقها .

يُرجّح أن تكون مختلف هذه الفرضيات مكتملة لبعضها البعض ، أكثر من كونها متناقضة . يتطلب تكون القشرة الكلسية توفر نباتات لا غنى عنها . وبالحقيقة لا يمكن تصور تكدسات من هذا النوع دون فعالية بيولوجية نشطة (كوك ١٩٦٢ - الفصلان الثاني والثالث) . اذا تم التمسك بفرضية طمي الرياح فلا بد من جهة ثانية من تواجد نباتات كثيفة كي تستطيع ان تلتقط الغبار الكلسي وتتفاعل معه . هكذا ، ربما يكون الفارق المناخي الأكثر رطوبة من البيئة المناخية الحالية هو الذي اتاح تكون تلك القشور .

أظهر غياب القشرة فوق براكين «شهباء» بأن القشرات بمجموعها ليست متوافقة مع المناخ الحالي، بينما وجودها على براكين عريقة أيان بأن البعض منها تكون خلال العصر الهولوسيني والحد الأعلى لهذه القشرات (١٢٠٠م) يتفق مع الحد الذي عند تجاوزه يحدث الاغتسال.

على العموم تبدو دراسة القشرات الكلسية لخوران، بأنها تتفق مع فرضية المرحلة المناخية.. الاكثر رطوبة خلال العصر الهولوسيني وهذا بدون شك مواز للعصر النيوليتيكي الغزير الأمطار والمعروف في المناطق الأخرى.

ان طبقة الأراضي البركانية في خوران، رغم التباين السريري فهي متباينة نظراً لديمومة وتمركز الاندفاعات غير المتساوية. فمنطقة «شهباء» تجابه ثلاث مكونات في الشكل. - اللجا: وهي متحف لأشكال بركانية لما قبل العصر الحالي، ولكن انخفاضاتها المغلقة تبقى معممة (ملفزة) نوعاً ما.

- أما منطقة ساسيه: فهي متأثرة بصورة أساسية بعامل التحول (التبدل) وإن تكون التربة فيها تكاد أن تفقد كل خاصية بركانية، لولا وجود بعض المخروطات الستر ومثولية التي تذكر بأصلها وفي الجبل تظهر مواد الوادي المنصهرة تلاقى النحات الخطي مع مختلف الأطوار البركانية في بيئة أصبحت جبلية.

وتحول ندرة الجبال في التبدلات المناخية دون إعادة بنين دقيق محدد. وربما يفسر تكون سطح درعا الأعلى بمرور دور مطري «وورمي»، بينما اضطرت القشرات الكلية على التشكل ضمن بيئة اكثر رطوبة من بيئة أيامنا هذه، وبطرق لعبت فيها الرياح دوراً. وتم حدوث ذلك بين تكون اللجا والاندفاعات الأخيرة.

فرانسيس هوغيه

باريس - ١٩٨٥

هوامش

١ - دوت تواريخ جازمة في المناطق المجاورة ليزانسون ١٩٧٤ الجدول ٢٦ تاريخ بازلت الفور الفلسطيني الجنوبي

عناصر جديدة لكتابة تاريخ مناطق وشعوب جبل حوران الجنوبي





إن الدراسة الأثرية التي باشرت بها وحدة البحث الأثري رقم (٢٠) من المركز الوطني للأبحاث العلمية حول موقع «سبع» في سورية الجنوبية، أصبحت مرغوبة وضرورية للوقوف على الشروط والاسباب التي من أجلها أنشئت مؤسسات التنقيب، في الأزمنة الغابرة. كان من المفيد حصر الملاحظات المتعلقة بالمحيط وبالسكان التي تعود لجوار الموقع مباشرة، وهذا يلزم الاتاحة بوضع الفرضيات الأولية بعد مشاهدة العناصر الرئيسية لطبيعة الأرض، وبعد استقصاء مختلف نماذج الأشكال المعبرة التي خلفتها الأجيال البشرية التي سكنتها. هكذا فإن طبيعة التربة المؤلفة من الصبات البركانية المترakمة، والمناخ والنباتات الطبيعية وآثار الثقافات القديمة وطرق التموين بالمياه وبمركز القوى والقبور والطرق والعلاقات المتبادلة بين كل ذلك جميعاً، كانت مجالاً للتنقيب والبحث المفصل، والغرض من مثل هذا الإحصاء هو عدم ترك أي شيء مهم إن أمكن ذلك خارج حقل التقصي التاريخي ليصبح في الامكان فيما

بعد اقتراح تقسيم زمني نسبي للآثار التي خلفتها المجتمعات البشرية في الوسط الطبيعي وفي ذلك المكان المحدد.

كانت ستأتي تلك الملاحظات مقتضبة، لو أن التحريات لم تمتد فيما بعد، الى دائرة أوسع (الشكل رقم ١). في الواقع أن تبدل سلم المقاييس، في حال ايضاح الاشكال الواجب معرفتها يتيح ابراز الأنماط الاكثر تنوعاً واكتمالاً من المثال أحادي الموضوع. ولدى الانتقال في البحث من الأمكنة المحلية الى الاقليمية - ولو كان الاقليم جزءاً فقط من مجموعة اقاليم انطوت تحت شكل متصاعد - فقد بُذل الجهد للتمكن من الوقوف جيداً على خاصيات الموقع الأثري الذي يدرسه علماء الآثار. وتم السعي لربط جميع الأقاليم في مسألة واحدة وهي الاستيطان البشري في جبل حوران. تشكل المنطقة قيد الدرس مستطيلاً عرضه ٢٩ كم من الشمال الى الجنوب وطوله ٣٧ كم من الشرق الى الغرب وهي تغطي الجزء الشمالي من جبل حوران (حسب الشكل رقم ١) تتضمن النقاط المرتفعة منه الواقعة على ارتفاع (١٨٠٠ م) واطراف السهول العليا التي تحيط به (حتى ارتفاع ٧٥٠ متراً تقريباً)، ان فرق الارتفاع بين الجبل وجوانبه سهل الملاحظة، بسبب اندفاعات البازلت التي كانت أصل ظهوره، أما السطوح الجانبية (شرق - غرب) و(شمال - غرب) فتبين بأن هناك ارتباط واتصال في المنحدرات، ضمن الارتباط المباشر للانسكابات البركانية وقدمها.

أتاحت دراسة الجيولوجيين والجغرافيين وضع الخرائط الواضحة التي ترسم تتابع الاندفاعات الرئيسية. فإن التأثير التاريخي للاندفاعات على الآثار والرسوم الأساسية لطبيعة الأرض هي مميزة جداً. يمكن الاقتناع بها بسهولة كبيرة. اذا طابقت الخريطة الجيولوجية مع مختلف نماذج خصائصها. وهكذا تصبح المطابقة مع جيولوجيا مختلف البنى التي نشأت أبان ظهور البيئة الزراعية مستحقة التنويه في بادئ الأمر (الشكل رقم ٢).

مع ذلك فإن كامل المنطقة المدروسة هذه تحمل آثار الاستيطان البشري الكثيف، ويمكن القول أنه في كل مكان فيما عدا بعض الأمكنة التي كانت قليلة الاستيطان بصورة مميزة، نلمس آثار التنمية الزراعية التي سبق لها أن شغلت مساحة أوسع بكثير من التي يعيش فيها أناس اليوم. فالجدران الصغيرة التي تحيط بالحقول الزراعية والأبراج والآبار والخزانات والطرق الحجرية والمدافن والسطوح الزراعية جميعها تغطي ٩٠٪ من مساحة هذه المنطقة. تتواجد هذه الآثار غالباً على مسافات كبيرة من مواطن السكن الحالية. وهي أحياناً تشهد بأن العمل المنجز فيها غير متكافئ مع النتيجة المتوقعة. وهكذا نرى بأن بعض الحقول لا تشغل سوى عشر المساحة المحددة بجدران صغيرة، أما القسم الباقي فهو مكون من نتوءات صخرية، ومع ذلك فقد استخدم السكان اليوم ولغائدتهم، البعض من تلك

	منطقة مدرسة	013	بقايا	مواقع في قرى تم زيارتها
	تخطيط مكشوف خلال عام ١٩٧٨		vestiges repérés	
	prospection intensive de 1978		sites de villages visités	
	vases romaines			العثور رقم ١ - منطقة بحث وتخطيط

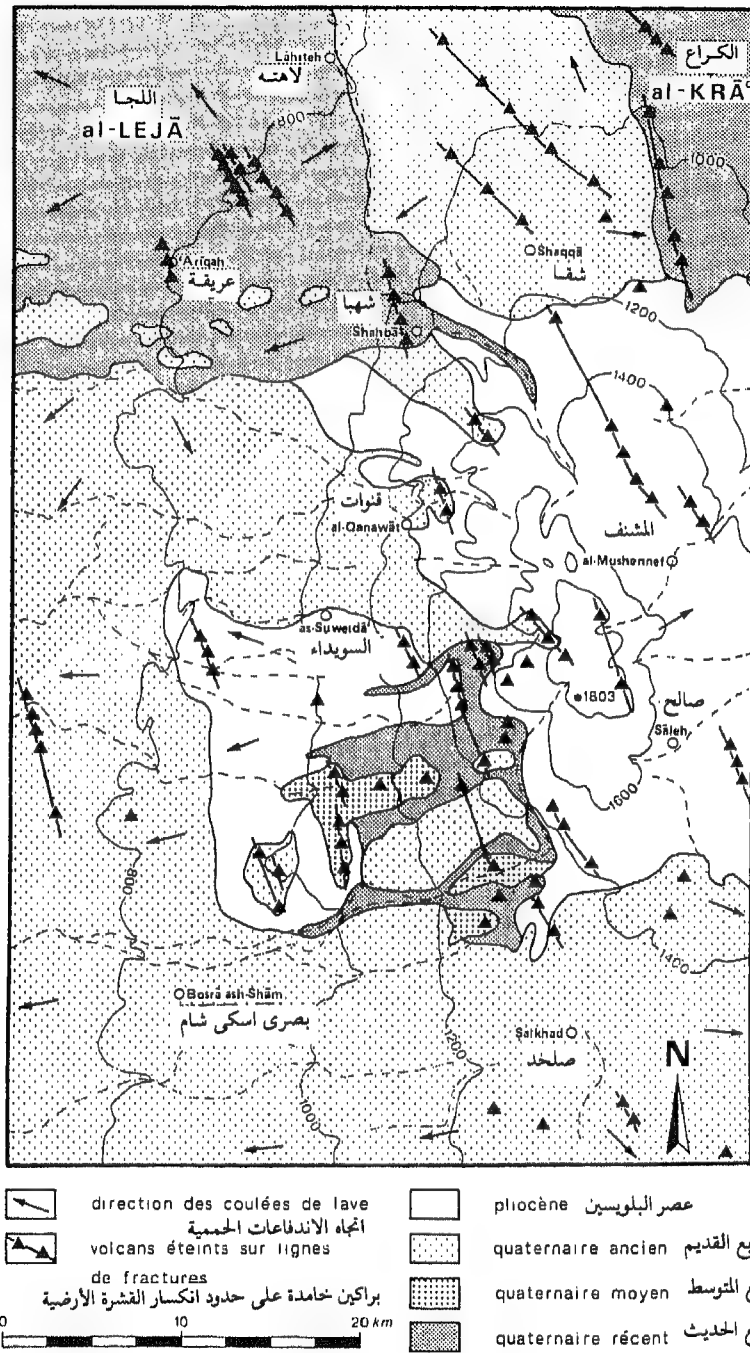


Fig. 2. — Carte géologique schématique de la zone.

الشكل رقم ٢ - الخريطة الجيولوجية البيانية للمنطقة

الهيئات التي يمكن ملاحظة أثرها، ولهذا السبب من الضروري اللجوء أولاً الى القيام بتقصير مختصر على كل ما هو متبق قبل السعي لمعرفة مايعنيه من وجهة النظر الجغرافية التاريخية.

١ - الدراسة التصنيفية لطبيعة البلاد:

ان جغرافية المنطقة الحالية هي مطبوعة بخاصية التنوع المحدود للأراضي، والسبب الأول يعود كما ذكرنا الى ترابط وتجانس الأساس، حيث يبرز البازلت في كل مكان، لا تتمكن فيه التربة المنحلة من حجب سطوح الاندفاعات الحممية القديمة. وهكذا حدثت الفروقات الكبيرة الأولى وفقاً لدرجة جفاف وتحول الصهارات البازلتية، ولتكوّن الفراغات لدى تنقل المواد المتحولة. وسوف تؤخذ بعين الاعتبار في نهاية المطاف طبيعة الصخور التي تشغل اندفاعاته المتدفقة أكثر من ١٠١٩ من المجموع. أما المتبقي من ذلك فهو مكوّن من الحصى - الرماد - أو التفل البركانية.

إن العناصر الاساسية التي يمتزج بعضها مع البعض الأخرى مرتبة في الجدول رقم (١) يجب أن تكون هذه العناصر مرتبة مع عناصر أخرى أيضاً، وخاصة المساكن والطرق.

فالمنطقة كانت حصراً مأهولة بالجماعات المتوطنة، فالضييع والبيوت المعزولة ليست، فيما عدا بعض الاستثناءات، الا نتيجة للتطور الحديث جداً للمنطقة (لأقل من ٣٠ سنة) وعلى العموم، ترى البيوت الحالية مكتنلة بشكل ضيق حول قلب القرية أو الحاضرة الأقدم بالوجود. ان وجود الخرائب في كل من هذه القرى، يثبت قدم سكنها وطريقة الانتقاء للمواضع المرغوب السكن فيها. ومع ذلك لا يزال حتى اليوم بعض الخرائب مهجوراً تماماً. والسبب بسيط أما لوجودها في مناطق يصعب الوصول إليها نسبياً، مما يتعذر العودة لسكانها مجدداً.

وهذا يثبت تواجداً سكانياً أكثر كثافة من اليوم، واما ان يكون اختيار موضع الابنية التي أصبحت خراباً اليوم قد ناسب نوع بناء تلاشت الحاجة اليه (الأديرة مثلاً). ان جميع مواطن السكن الحالية، قد أصبحت معروفة في النصوص القديمة. وقد ذكر أو وصف معظمها في مراجع ستورد لاحقاً حين تعالج مواضيع السكن والمياه.

ان محاور الاتصالات المهمة تحيك في هذه الأيام، شبكة متساقطة تعكس الأهمية النسبية المتعلقة بقرى العصر الحالي، ويمكن ربطها بما عرف من طرق المواصلات الكبيرة المستخدمة قديماً. خاصة خلال العصر الروماني وتظهر المقارنة في آن واحد وجود ثبات راسخ في مجمل شبكة طرق المواصلات، ووجود بعض الانحرافات في التفصيل يستحسن السعي لكشف أسبابها. وهذا سيتم ضمن فقرة خاصة لدى تحديد شروط اعدادها.

٢ - المناخ (الشكل رقم ٣)

قدمت محطة السويداء أهم الثوابت المناخية للمنطقة، وهي مذكورة في الشكل أدناه، ومع ذلك من المفيد الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات الواردة من المحطات المجاورة، وخاصة محطة «عين العرب» على ارتفاع /١٥١٠م/ القريبة من موقع «سبع». أما محطة «صلخد» فهي مثل محطة «شهباء» تثبت (كما هو معروف) أن الطرف الغربي لجبل حوران يتمتع بشروط مناخية مماثلة.

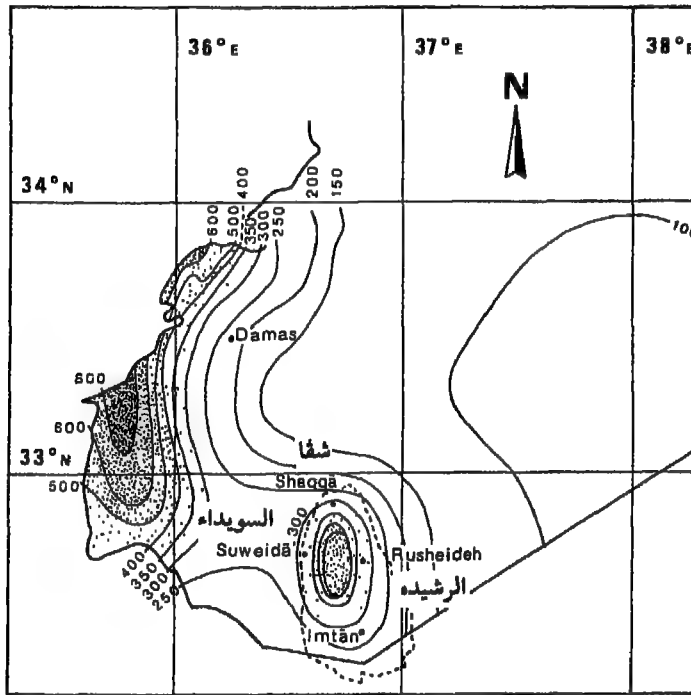


Fig. 3. — Carte schématique des précipitations
الشكل رقم ٣ - الخريطة البيانية لتوزيع الأمطار

بعض المعطيات الأولية المتعلقة بمناخ سورية الجنوبية

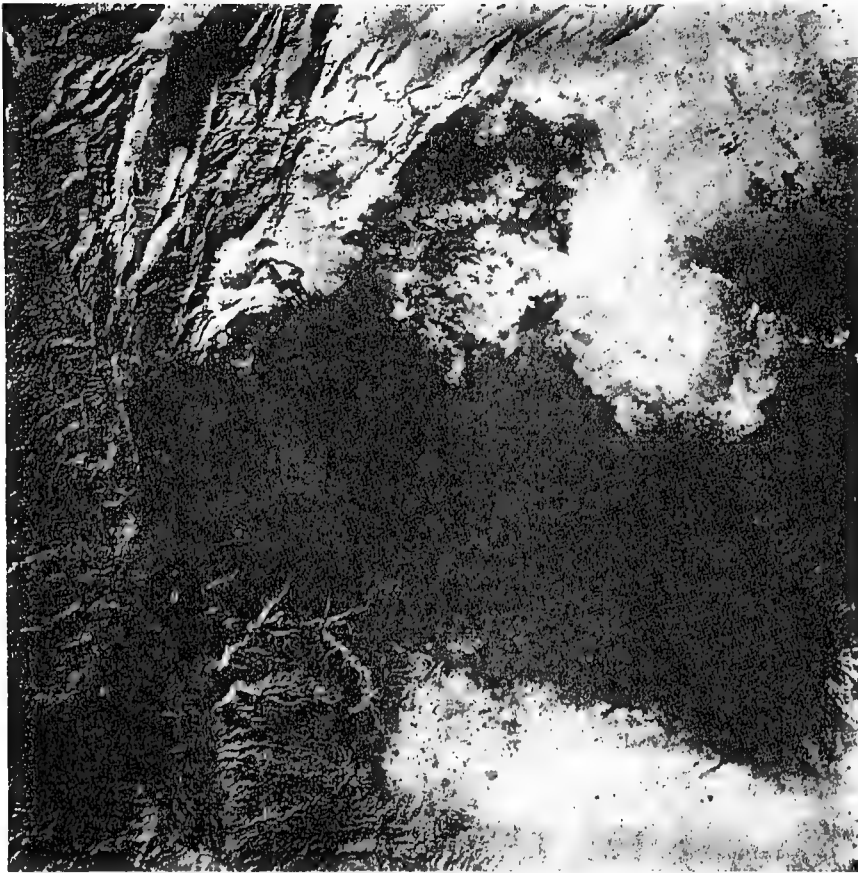
يظهر الأثر المناخي لسورية الجنوبية المستخرج بواسطة المعطيات الاحصائية للمحطات الارصادية بعد استعمال قاعدة:

$$Q2 = \frac{2000 P}{M^2 - m^2}$$

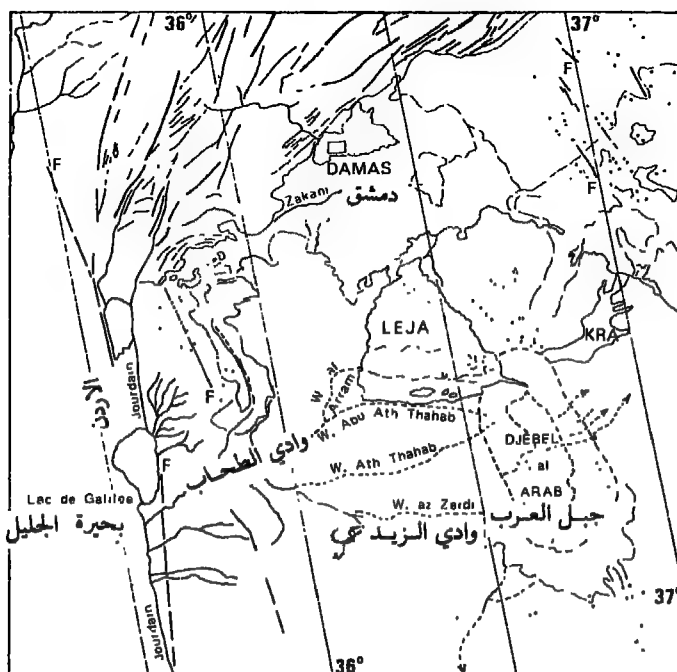
P = متوسط الهواطل المطرية سنوياً. M = درجة الحرارة الوسطية القصوى للشهر الأكثر حرارة في السنة m = درجة الحرارة الوسطى الدنيا للشهر الأكثر حرارة في السنة. ان مركز الجبل يدخل كجزء من المناطق النصف رطبة. وان هذه الدائرة التي هي استثنائية في المنطقة بالنسبة لخط الطول والارتفاع والتي تتوافق تقريباً مع الخط المطري ٤٠٠ مم بسبب ارتفاع الجبل. هي محاطة من جميع منحدرات الجبل بدائرة نصف جافة محصورة بين خطي التماطر ٣٠٠ مم و ٤٠٠ مم وان مدن «السويداء» في الغرب و«امتنان» في الجنوب و«شقا» في الشمال و«الرشيدة» في الشرق. تقع على حدود الدائرة الجافة القليلة المطر التي تغطي جميع ما تبقى من المنطقة. فيها المنحدرات في الجنوب التي تصل حتى ارتفاع ١٠٠٠ - ١٢٠٠ متر. أما الدائرة الجافة جداً فتبتدىء على بعد ٢ كم الى الشرق والشمال من الدائرة نصف جافة وتجعل من جبل العرب موقعاً متقدماً من الأراضي الخصبة باتجاه الشرق ونحو البادية السورية - العراقية.

ان درجات الحرارة الدنيا للشهر الأكثر برودة (كانون الثاني) هي وسطياً (صفر) على قمة الجبل أي على ارتفاع يتجاوز (١٤٠٠م) وهي (٢ درجة) على باقي الجبل ما عدا منطقة السويداء التي تتمتع بنظام درجات حرارة مماثل للسائد في سهول حوران. أي بين ٣° و ٤° وهذا مايفسر بصورة خاصة تطور نمو شجر الزيتون في هذا الجانب الغربي من الجبل. على ارتفاعات أقل من ٩٠٠ متر.

فيما يتعلق بدرجات الحرارة، فالمعدلات الشهرية لفصل الشتاء معتدلة (يومان من الصقيع خلال شهر كانون الأول و ١، ٤ أيام خلال شهر كانون الثاني. توفر منطقة السويداء الشروط الممتازة للاثبات الشبه استوائي، وتبقى موجات الصقيع التي تدل عليها أدنى درجات الحرارة (- ٦، ٨° في كانون الثاني و - ٦، ٧° في شباط) شاذة وقصيرة جداً. أما شجر الزيتون فيمكن غرسه دون خوف، حتى لو كان على ارتفاع ١٠٠٠ م ولكن عند بداية المنحدرات الدنيا لجبل حوران تختفي هذه الشجرة من الأرض. وفي محطة «عين العرب» وعلى ارتفاع ١٥٠٠ م كانت درجة الحرارة الدنيا ١٤° خلال شهر كانون الثاني. وهناك وسطياً ٢، ٢٣ يوم صقيع في الشهر. ومعدلات درجات الحرارة الشهرية في الصيف ليست كثيرة الارتفاع (٢٢ - ٢٣° من حزيران الى ايلول) وكذلك معدلات الدرجات القصوى (٢٩ - ٣١°). وقد قيس بشكل جيد تأثير البرودة في العلو وفي الرياح الغربية بمقارنة تلك الأرقام مع أرقام منطقة «الزلف» البعيدة نحو الشرق والأكثر انخفاضاً وعلى طرف الصحراء السورية - العراقية. فهي على التعاقب ٢٨ الى ٢٩° و ٣٥، ٧ الى ٣٧°).



PI کلیشه ثانیة للمنطقة (نازا) لاندسات
۹۷۳/۶ /۳۰ و ۷۸ /۱۲ /۱۹ تاریخ ۶-۷۳۱۳-۳۰۲۸۹ E



خطوط الفوالق والبراكين
خطوط الفوالق والبراكين
خطوط الفوالق والبراكين
خطوط الفوالق والبراكين

Pl. II. Croquis explicatif de la photo ci-contre.

مخطط توضيحي للصورة اعلاه

هذه الصورة اعلاه تعطي المعلومات عن جزء من سورية ولبنان المأخوذة بواسطة القمر الاصطناعي على موجة الطول من ٧٠٠ الى ٨٠٠ نانومتر (القياس ٦)، تظهر فيها التجمعات بصورة دقيقة، كما تظهر المساحات المغمورة بأنواع النباتات، وقد تحددت بصورة واضحة أخذت هذه الصورة في فصل الشتاء (١٦/١٢/١٩٧٨) حوت القليل من المعلومات عن الغطاء النباتي بالنسبة لما يمكن الحصول عليه لو التقطت في الربيع. ومع ذلك فإن التكوينات الجيولوجية كانت فيها ظاهرة أكثر من المعتاد.

وبعد المقارنة مع الخريطة الجغرافية، تبين بأن صورة القمر الاصطناعي استخرجت بعض النقاط المميزة بخلاف البعض الآخر، فإذا ظهرت اللجا (BQ4) متشابهة على الخريطة وفي الصورة فإن الاندفاعية الحممية التي هي من نفس العمر والأكثر حداثة

كما هي مطابقة للخريطة الجيولوجية حول «الكفر»، لا تظهر إلا بغموض على الصورة العائدة للقمر الاصطناعي، وفي اللجا ذاتها توجد في الجنوب كميات مختلفة من اللون الرمادي، وفي الشمال سلسلة من البقع الصغيرة البيضاء، توحى بضرورة وجود مناطق لها تحركات مختلفة متوضعة بحسب الأسس الجيولوجية، ودراسة الأرض فقط هي التي تمكن من اعطاء المعنى لتلك الاختلافات. ولا بد من الإشارة أيضاً بأن (Bq 4) أقل حداثة، تبدو باللون الرمادي - الأبيض، وهذا ما يقرها بصفة أكثر نغمية وانطباعاً من Q4 الفرينية الموجودة في شمال منطقة اللجا - الصفا - والشبيهة بيازلت حوران الرمادي الغامق. يتفق هذا التباين مع فحوى مادة ذات مقياس مرتفع سبق أن ذكرت من قبل الجيولوجيين، كما يوجد أيضاً دراسة مقارنة للأرض بواسطة صور جوية تمكن من اعطاء التفسير للتناقضات التي تتمتع بفعالية مضيئة.

ان كتلة جبل العرب معروفة، والجانب القاتم في الصورة هو اختلاف كثافة الضباب، ومع ذلك فهذا لا يوصل الى اسباب هذا الاختلاف. لذلك من الصعب رسم حدود الجبل إلا بصفة كيفية. كما تعرف جيداً المناطق الكلسية في الاردن التي تبدو بيضاء، وأيضاً الآثار المنطبعة بوضوح لاجتراف المنحدرات الشديدة الذي يحيط من كل جانب منخفضات الاردن.

في شمال الصورة ترى غوطة دمشق وهي تمتاز بقيمة عالية للبياض الداكن، الذي يعود للحقب الرابع (Q4) وهذه أيضاً حال البقع القائمة للحقب الرابع الفريني (Q4) الاحداث زمنياً، الموجودة جنوب وشرق الغوطة، والتي مرد لونها القاتم الى الوقائع الكثيرة التي تغمرها.

فالدائرة السهلة الملاحظة نسبياً، هي موجودة بين مجموعة «اللجا» منطقة درعا الكلسية وجبل العرب نفسه، وهنا يخص فقط زراعة سهول حوران، لأن صخورها وقراها تعطي شكلاً مرقشاً.

أما فيما يتعلق بهطول الأمطار فإن المعدل السنوي يصل الى ٣٥٠ - ٣٥٢ مم بالنسبة للسويداء، و٣٣٦ مم بالنسبة لشهبا في الشمال، و٣٣٨ مم بالنسبة لصلخد في الجنوب. وهذا ما يجعل المنطقة في الدائرة السهوية. ومع ذلك تجدر الإشارة بأن الجبل بكامله بعيد عن الجفاف الكبير الناتج عن السنوات قليلة الأمطار والتي تصل فيها الهطولات الى ٢٠٠ مم ومرد هذه الحصانة يعود الى ارتفاع الجبل. فالسويداء هي حقاً موجودة على الحد الذي فيه تجف المياه المنحدرة من القمم خلال السنين الجافة وهناك ثلاثة أشهر من السنة. (من كانون الثاني الى آذار) يستقبل الجبل خلالها من الأمطار أكثر من ٦٠ مم، وهذا يسمح بتكوين احتياطي مائي قبل ناء الربيع بالإضافة الى ٥٦,٢ مم التي يسبق هطولها خلال شهر كانون الأول، فهي بذلك تجمع خلال أربعة أشهر تقريباً الحقة الزمنية الوسطية لهطول الأمطار

مقيدة . وفي السنين الماطرة يضاف غالباً شهران (نيسان خاصة وغالباً تشرين الثاني) بحيث يمكن الوصول الى المجموع المارذكره ، عندما يتجاوز شهر كانون الثاني ١٠٠ مم ، وهذا التبدل (من ٢٠٠ الى ٥٠٠ مم تقريباً) . هو الذي يجعل النتائج الزراعية مشكوكاً فيها .

ولكنها تبقى مشيرة للاهتمام ، أما أشهر الصيف فهي تقريباً جافة من أيار الى ايلول : أي خمسة أشهر بأقل من ١٠ مم . ومن هذه الخمسة قد يكون أربعة بدرجة (صفر) مم . والتبخير اليومي الوسطي هو على درجة من القوة (٥ مم يومياً في أشهر ايار - تموز - آب) (٦ مم تقريباً في حزيران) . ولكن هذا لا يخل بنماء النباتات . ان جبل حوران موقع صالح جداً للزراعة المطرية النظامية كما هو مناسب أكثر لزراعة الاشجار المثمرة ، التي يناسبها السفع الغربي من الجبل اكثر من الشرقي لاسباب واضحة مردها ميزة المناخ والطبيعة ونسبة الرياح السائدة .

أما القمم في الغرب فيمكنها حمل أشجار الكرمة حتى ارتفاعها ١٨٠٠ م . ولكن السطوح المركزية العليا تبقى ملائمة لزراعة الاشجار المثمرة حتى ارتفاع اعلى من ١٥٠٠ م .

ان عدم التماثل الكائن بين السفع الشرقي والسفع الغربي للجبل يبدو أكثر وضوحاً مما هو بين شمال وجنوب الكتلة الجبلية . ولعدم توفر المعطيات المناخية الواضحة يتعذر تفسير ذلك بالأرقام ، ولكن المتنوعات في طبيعة وجه الأرض تعطي أفضل اثبات من أي سلسلة رقمية ، تتناول هذا الفرق العام في المناخ .

٣ - المياه :

ان معدل المطر هو أغزر على القمم مما هو على المحيط ، وليست لدينا نتائج لمراقبات «تل غينة أوتل قليب» الذي يصل الأول الى ارتفاع ١٨٠٠ م ، والثاني ١٧٠٠ م ، ومحطة «عين العرب» الواقعة جنوب خرائب «سيع» في وادي قنوات على ارتفاع ١٥٠٠ م . يستقبل ٥٥٤ مم من المطر أي بزيادة ٢٠ مم عن السويداء التي تنخفض ٥٠٠ متراً عنها . وتبعد مسافة ٦ كم نحو الغرب . فالمواصفات القديمة المرتبطة بدرجة الارتفاع ليست مفاجئة ، لان ميكانيكيتها قيست في مواقع اخرى . فالمواصفات القديمة تقدم غالباً معطيات نتفق كثيراً مع ما يمكن تقديره من غزارة في هطول الأمطار على الأراضي المرتفعة . وقرية «الشحف» الواقعة على السفع الشرقي للجبل ، وعلى ارتفاع (١٦٣٠ م) تبقى مغطاة بالثلج عدة شهور ، وهذا ما علمه السيد (Hascl) عنها . من العسكريين المقيمين هناك op cit ص ١٥ وأيضاً يجب الأخذ بعين الاعتبار الأيام غير الماطرة حيث يكون الجبل مغطى بالغيوم . بالوقت الذي تلمع فيه أشعة الشمس في المحيط . وبالوقت الذي يكون فيه الضباب غير كثيف وبارد الى درجة تجعله يتحول الى ندى غزير ، إن تقلص حرارة الشمس تلعب دوراً لا يمكن تجاهله بالنسبة للزراعة عن طريق الاحتفاظ بالمياه المتسربة .

إن جريان المياه، كما يُرتاب بذلك، غير مماثل. فالجهة الغربية، المواجهة للرياح القادمة من البحر هي الأكثر شيوعاً. وتعتبر الجهات الغربية للجبل خزاناً للمياه لما حولها أي أفضل مما هو بمقدور الجهات الشرقية (الشكل رقم ٧). فالعديد من الينابيع محبوسة ضمن الجبل، ومياهها تنساب حتى السهول بغزارة، بفعل الجاذبية ويُعتبر الجبل اليوم خزاناً للمياه للتلزود بمياه الشرب للقرى المحلية الموجودة في محيطه بشكل معاصر. ان مخطط شبكة الري المدفونة تحت الأرض والتي توصل المياه من الجبل الى قرى السهل، تبرز بوضوح هذا الواقع. وقد ظهرت أقنية قديمة كانت تلبى الحاجة ذاتها، وفي حوزتنا براهين عديدة على ذلك، وسوف نعود فيها بعد الى معالجة هذه المسألة الخاصة.

أما بخصوص التنمية الزراعية على سبيل الحصر، فإن وضع ينابيع المياه لا يتبين بوضوح من النظرة الأولى أنه طابع مميز، فالشروط المناخية هي الوازع لغرض الزراعات، وليس الطمي النهري. فهل يمكن سقاية ما هو متعذر أبداً بسبب نقص منسوب لم يكن كافياً خلال زمن الحر، سواء في الوديان أو في حوض الوادي نفسه.

مما لا شك فيه أنه أمكن في السابق ويمكن الآن توفير المياه لبعض الحقول المميزة، وفي مواقع ملائمة لنساء جميع الأنواع، ولكن هذا يمثل جزءاً طفيفاً من الأراضي المزروعة، وعلى كل حال، يجب أن تُخصَّص المنطقة المدروسة بشكل واضح، وكأنها منطقة نصف جافة ذات زراعة بعلية.

أما مياه الشرب في الحاضرة فهي طيلة العام مستخرجة من الآبار (الجبل) الصغيرة بعد توفر الشروط المناسبة (لا سيما في قعر الوادي)، ولكن المياه الأكثر شيوعاً وفي المتناول، فهي مخزنة خلال الفصل الماطر في خزانات بالهواء الطلق، وعلى مقربة من القرى المسكونة.

وطريقة التخزين للمياه هذه اعطت مجالاً لاشارات متميزة في البناء كل ذلك يقودنا الى تقصي الآثار القديمة للتوطن بالأرض، وسابقا كان لا بد من بعض الكلمات لشرح الأسباب التي دعت لبقاء تلك الآثار حتى اليوم.

٤ - ما يعرف عن استيطان جبل العرب بالسكان الدروز وعما سبق ذلك :

كان الجبل تقريباً مأهول بالسكان في نهاية القرن السابع عشر، وكان بعض الرحل يتوافدون إليه للرعي. غير أن بعض الحضريين كانوا يقطنون بلا شك خرائب مهجورة منذ العصور السابقة، وكانت واسعة جداً بالنسبة لهم، ولكن على العموم تعتبر المنطقة ضعيفة الكثافة بالسكان.

يمكن الاستفادة من بعض الملاحظات التي دونها Wetzstein لدى مروره في المنطقة في ربيع عام ١٨٥٨ (Wetzstein-Reisebericht صفحة ٤١ - ٤٢ - ٤٣). ان الجزء الشرقي والجنوبي كلّهُ لمنحدرات جبل حوران كان شبيهاً «بالحرة»، أعني أن سطحه مغطى بعباءة متكاملة من الحجارة. فسكان الاجيال السابقة جمعوا تلك الحجارة الى كومات أو الى صفوف (حدود) طويلة. ابتداء من قمة الجبل حتى البادية. وكانت الحجارة بالوقت نفسه تشكل حدوداً للحقول المحدثّة. وعلمت على الأرض حدود كل واحد من هذه المواقع المأهولة. وكلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي والجنوب، تصبح كومات الحجارة أصغر وأكوام الحصى أكبر. والمنطقة كتحصيل حاصل تصبح أكثر قابلية للسكن. فالأراضي الواقعة بين «امتان» و«عناق» (inak) هي بمثابة فردوس. والأمر نفسه، عن المسافة الممتدة بعد ساعة سير، من شمال شرق بصرى وحتى أم الجبال، هذه الأقسام من المنحدرات في الشرق والجنوب تحتوي على حوالي ٣٠٠ قرية ومدينة مهجورة. أما المأهول منها فعددها ١٤ موقعاً: نت استعمرت منذ زمن بعيد مثل: (شقا - الهيث - الهيات - الجنية في الشمال الغربي والقريا في الجنوب وبصرى في الجنوب الغربي)، وسبعة مواقع سكنها خلال الستين الأخيرتين أسرة القلعاني المغامر مثل: «الرضيمة - ثيبا - دوما - تربا - أم الرواق - المشنف - بوسان». ولابد من ادراك الأمر التالي: قطن في مدينة «بوسان» التي عدد سكانها ٨٠٠ نسمة تقريباً، ١٢ عائلة وفي «المشنف» ١٨ عائلة، وفي «ثيبا ودوما» ١٦ عائلة تقريباً، والتصحر العام في هذه البلاد يفرض التساؤل لمعرفة ما هي الجوانب السيئة التي وقعت في تلك البلاد؟.

يُعزي Wetzstein ذلك الى الجراد، وقد تمكن من مشاهدة الاعداد الكبيرة منه، فقد كانت تكرر زيارتها للبلاد كل ثلاث أو أربع سنوات. وأيضاً الى نقص الامطار الذي يفقد ثلاثة محاصيل من أصل اثنتي عشر. وأخيراً وبصورة خاصة، البدو الذين كانوا يغزون للسلب جميع المناطق القابلة للثلم في السهل. ومهما كانت القيمة التي تعطي اليوم هذه الاستنتاجات الموجزة فإن التصحر أمر واقع.

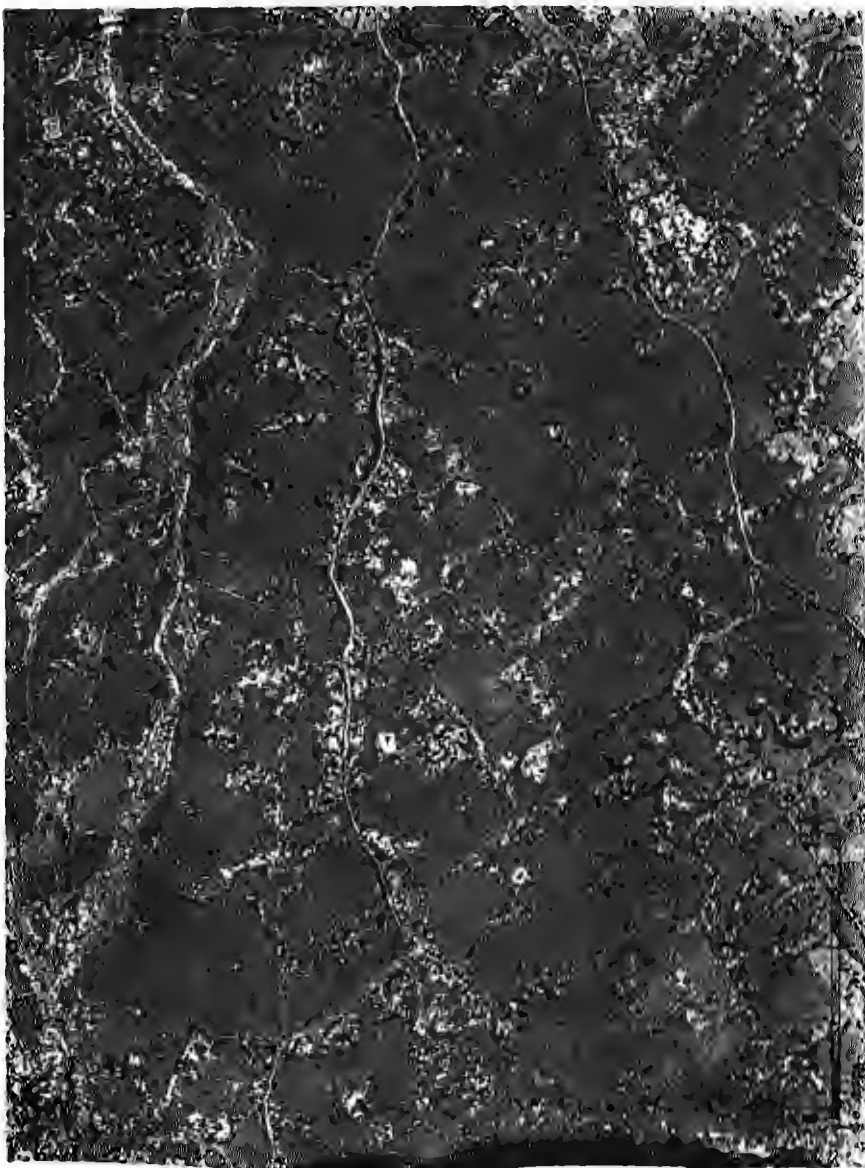
ربما توافد أجداد سكان الجبل الحاليين عام ١٦٨٥ ليقيموا على تلك الأراضي المرتفعة. (موسوعة الاسلام - مقالة الدروز) فقد كانت لبنان مثنان من الأسر الدرزية (ربما ١٥٠٠ فرد) بسبب اضطهاد الاتراك لهم. قال (ماسكل عام ١٩٤٤) وقد توطنوا بين الأهالي المسيحيين القدماء المبعثرين بصورة خاصة على الطرف الشمالي الغربي من الجبل. وفي عام (١٧١١) على أثر نزاع وقع بين الدروز أنفسهم في لبنان اضطّر الفخذ الذي كان يلعب باليمنيين الى الهجرة للجبل، وقد بسط الأمير الجديد «حمدان الحمدان» سيطرة الدروز على كامل الجبل، وخصص للوافدين الجدد الأراضي والبيوت المجانية، شريطة أن يكونوا من

الدروز^(١٩). وفيما بعد، قدم وافدون جدد من جميع أنحاء سورية، طامعين في الحرية التي كان يتمتع بها السكان، استمر هذا الوضع حتى عام (١٨٥٢)، وهو التاريخ الذي خضع فيه الجبل الى جباية الضريبة، بعد انتهاء القتال مع القوات التركية الذي بدأ عام (١٨٣٨). ومنذ ذلك التاريخ كان مرد ازدياد السكان الدروز يعود بالحصر تقريباً، الى النمو الطبيعي. وفي نهاية عام (١٨٨٠) أصبح تعداد الجبل (٢٧٤٥٠) نسمة حسب XIII, 2 DPY (Hartmann صفحة ٦٢) في هذه الفترة تبين بأن الجبل بدأ بالنمو السكاني ولكن بكثافة أقل في الأراضي المرتفعة، فقد تعممت على المنحدرات زراعة الحبوب بأنواعها، الكرم والأشجار المثمرة. وهذا غير مستغرب، إذا علم بأن الدروز نقلوا معهم تقنية زراعة الكرم والزيتون - الأشجار المثمرة التي كانوا يمارسونها في لبنان، وهكذا أعيد أولاً الاستيطان في القسم الغربي ثم في سفوح الجبل الشمالية.

أثبتت الرحالة تلك الموجات المتعاقبة من المهاجرين الذين استوطنوا القرى المهجورة. كما أظهر «وادي نفتون» في دراسته لتوضيح النقوش والكتابات أن الأحجار الأثرية المنقوشة كانت موجودة في الخرائب التي تعود لها قبل وصول الدروز للمنطقة. وفي الواقع فإن بعضاً من أجملها، أعيدت بأمر ليونيز ويزخرف بها بيوت شيوخ كل قرية شيدت حديثاً، (من ١٥٠٢٠ الى ٢٠٢١ حجراً في عرمان - ٢٢٠٣ في «تريا» - ٢٢٩٠ في حبران - ٢٣٨٢ في سليم). وكذلك في بيوت الفلاحين (٢٠٢٢ في الحريسة ٢٠٢٣ في ملخ - ٢٢٤٤ في بوسان - ٢٣٨٥ - ٢٣٨٩ في مفعلة) أو في الغالب جدران الجوامع.

لم يذكر Seetzen (١٨١، ١) شيئاً عن سكان قنوات، عند مروره بها عام ١٨٠٥ Burckhardt (ص ٨٨) لم يجد فيها سوى عائلتين درزيتين كانتا تقومان بزراعة واستثمار حقول التبغ عام ١٨١١ وأما Buckingham الذي تبعه عام ١٨١٦، فقد علم في حينه بعدم وجود سوى ٥ - ٦ عائلات قاطنة بين الخرائب (صفحة ٢٤٢) و Berggren (١١ - ٦٦) اشار الى وجود ٣٠٠ ساكناً عام ١٨٢١ أغلبهم من الدروز مع بعض العائلات المسيحية، بهذا نستنتج بأن استيطان «قنوات» تجدد في بدء القرن التاسع عشر والرحالة التالون يشهدون بنمو القرية وازدياد عدد قاطنيها. لم يعط بتلر عام ١٩٠٠ أرقاماً بل ذكر في الصفحة (٣٤٦) بأن القرية الدرزية الحالية ليست كبيرة، فبيوتها متفرقة نوعاً ما، وهي محاطة بحقول الكرم الجيدة وبالبساتين وشجيرات الزيتون التي تزرع في الأجزاء المتوسطة والمنخفضة للمساحة القديمة المغلقة، وكانت الاطلال كثيرة، لكن انقاضها ازيلت في الأجزاء المأهولة لتستخدم في بناء بلاطات السطوح والجدران الفاصلة بين منشآت مختلف الملاكين (وهذا ما أشرنا اليه في PL. 11)

يروى «بتلر» أيضاً (ص ٣٢٥ - بعثات من ١٩٠١ - ١٩٠٩) أن «الكفر» لا تحتفظ بأي بناء روماني ولكن اجزاء جميلة جداً من العصر الروماني ما تزال متوضعة في جدران البيوت



اللوحة ٣ - استيطان الدروز في المواقع العديدة من قنوات

صورة فوتوغرافية جوية من قبل الطيران الفرنسي للشرق (كلية رقم ٨٠٨ تاريخ ١٩٣٠ / ٩ / ٢) أخذت تماماً جنوب قنوات يشمل الأراضي الحقلية المزروعة بالكرمة والبيض منها لا يزال حديثاً. والتوطن لا يزال مستمراً من قبل العائلات الدرزية في قنوات - الوادي جاف - الطرقات بدائية فردية - حدود الحقول القديمة - جدران مهدامة وكومات من الاحجار محدة بأشجار السنديان القرمزي قطع الأرض القديمة المتداخلة قسمت الى حقول أصغر نتيجة القسمة التي اعتادتها العائلات الدرزية.

الدرزية، وفي الوضع يشاهد في قرية «سالة»، حيث يوجد أيضاً عين مياه من العصر الروماني. وفي «بوسان» التي هي قرية صغيرة وحديثة. تلتصق في أسفل الخراب. أما البيوت في الهضبة فكان قد أعيد بناؤها بصورة متقطعة في بدء الفتح الاسلامي ولكن القليل منها أهل بالسكان. أما عن «المشنف» التي كانت تدعى Nela فقد اورد بيتلر بأن تلك (الحاضرة القديمة) المقفرة بالكامل تقريباً، يتواجد فيها معبد صغير وجميل. وابنتها القديمة الأثرية تشكل مدينة ذات حجم مرموق - أما قرية «تريا»، فقد تجد سكانها بالكامل تقريباً من قبل الدروز، وهكذا أيضاً قرية «تيا» التي تدمر فيها جميع المباني في سبيل اشادة بيوت جديدة، أما «دوما» فقد اصابها نفس المصير، بما فيها البيت الأثري الجميل الذي درسة السيد Vogüe منذ أربعين سنة. ومقابل ذلك ما زالت «المالكية» - عام ١٩٠٩ - قفراء خالية.

وأصبحت «طفحة»، التي كتب عنها بيتلر، بكونها مهجورة خلال زيارته الأولى عام ١٩٠٠، صعبة الدراسة عام ١٩٠٩، خلال زيارته الثانية، لأن الدروز اعتمدوا دون تعديل يذكر نظام البناء لسابقيهم القدماء وكذلك بيوتهم المحدثه هي نفس طرازهاكل الابنية الانبارية القديمة جداً، تقريباً، من حيث مواد البناء الختام (ص ٣٤٤). ان خربة «الخصين» الواقعة جنوب «نمرة». و«طفحة» في الوادي المفتوح باتجاه قنوت، هي حاضرة واسعة استخدمت خرائبها بصفة رئيسية لإشادة بيوت للسكن. ولم يكن في مفعلة، سوى نصف دزينة من البيوت، ولكن حسب بيتلر، لا شيء يثبت ويرهن على وجود قرية قديمة في ذلك المكان، وحتى مدينة شهبا سابقاً (فيليبوليس) ما كانت تشتمل إلا على مجموعة صغيرة من العائلات الدرزية عام ١٩٠٠.

لا مندوحة إذن من الاعتراف بشمولية هجرة السكان وبالتالي هجرة الحقول قبل استيطان الدروز إن Welzstein Butler- De Vogüe الخ. . أشاروا الى ان الدروز اخذوا يسكنون في الأمكنة القديمة، التي كانت مأهولة، حيث وجدوا بوجه الاحتمال، بعض العائلات التي استمرت في التوطن بعد الهجرة الجماعية للمنطقة. كل شيء كان يحضهم على اتباع نفس خطى سابقيهم التي ليست ببعيدة (من الانتفاع بالمياه - واستخدام الطرق

المرسومة. والحقول المحددة بواسطة الحجارة المعزلة) وإذا كان الكثير من الأبنية قد استخدم لتسهيل حياة المستوطنين الجدد، ومن الحكمة الاستفادة من تقنياتها بالدرجة الأولى. ولم تستخدم الحقول ذات البنية القديمة، وحتى بخسائر قليلة، لذلك يجب التنقيب الآن عن الآثار القديمة التي لا تزال محفوظة ضمن الهياكل البنيانية الجديدة.

٥ - آثار الماضي في طبيعة الأراضي الحالية :

اتاحت مشاهدة طبيعة الأراضي الحالية تحديد معالم وحدات الأبنية ذات الخصائص المفيدة. ويمكن الآن الإشارة إلى آثار توطن الأراضي القديمة، واحدة، واحدة. في جميع القرى الدرزية، ونفس الوضع يشاهد في قرية «سالة»، حيث توجد أيضاً عين مياه من العصر الروماني، وفي «بوسان» التي هي قرية صغيرة وحديثة تلتصق في أسفل الخراب، أعيد بناء بيوت الهضبة جزئياً في بداية الفتح الإسلامي، ولكن القليل منها أهل بالسكان. أما عن «المشنف» التي كانت تدعى «Nela» فقد أورد بتلر بأن تلك (الحاضرة القديمة) مقصورة بالكامل تقريباً. يتواجد فيها معبد صغيرة وجميل. وأن ابنتها القديمة الأثرية تشكل مدينة ذات حجم مرموق. أما قرية «تربا» فقد تمحدد سكانها بالكامل تقريباً من قبل الدروز، وهكذا أيضاً قرية «تيم» التي تدمر فيها جميع المباني، في سبيل اشادة بيوت جديدة. أما «دوما» فقد أصابها نفس المصير، بما فيها البيت الأثاري الجميل الذي درسه السيد Vogue منذ أربعين سنة. ومقابل ذلك مازالت «المالكية» عام (١٩٠٩) خالية قفراء.

وأصبحت «طفحة»، التي ذكرها «بتلر» بأنها كانت خالية مهجورة قبل زيارته الأولى عام ١٩٠٠ بسنوات صعبة الدراسة عام ١٩٠٩ لأن الدروز اعتمدوا دون تعديل يذكر، طرق البناء التي آلفها أجدادهم السالفون فجاءت بيوتهم ماثلة تقريباً للمباني القديمة ذات الهياكل البدائية (صفحة ٣٤٤). ان خربة «الخصين» الواقعة جنوب «نمرة»، و«طفحة» في الوادي المفتوح باتجاه قنوات، هي حاضرة واسعة، إطلالها مؤلفة بشكل رئيسي من بيوت للسكن. ولم يكن في «مفعلة» سوى ستة بيوت ولكن (حسب Butler) لا شيء يثبت ويبرهن على وجود قرية قديمة في ذلك المكان. وحتى مدينة شها (سابقاً فيليببوليس) ما كانت تشتمل الا على مجموعة صغيرة من العائلات الدرزية عام ١٩٠٠.

بواسطة مراجع المؤلفات أن ترسم خريطة (راجع دوسو) عن المستوطنات وعن الآثار المكتشفة في المنطقة، وقد أمكن بالنسبة لبعض المواقع المدروسة، تحديد تاريخ الاستيطان

المنظور. ومع ذلك وبسبب انعدام التنقيبات والبحوث المنهجية لا يمكن التأكد من ان تعيين التاريخ المعطى يتفق تماماً مع المدة الحقيقية لاستيطان الموقع. لهذا تكون الخريطة غير دقيقة وغير مكتملة. إلا أنها تفيد في صورتها الراهنة، عن وجود فترات طويلة من الاستيطان، فآثار عصر الصخور الكلسية والعصر البرونزي والحقبه الاغريقية والحقبه النبطية ثم الرومانية والحقبه البيزنطية والحقبات الاسلاميه قد اكتشفت منذ أمد بعيد. أما ملاحظات الرحالة وعلماء الآثار المتراكمه، فقد أعطت سلسلة من النقاط بالنسبة للأرض وسلسلة من السمات بالنسبة للزمن.

ولكن ما ترك بدون جواب حتى الآن سؤالان مشتقان من ملاحظاتهم الدقيقه المنتظمة بأن واحد سواء من حيث الزمن أو من حيث الفراغ (أبنية ونقوش).

- السؤال الأول: ما هي الطريقة التي بموجبها تم المرور على كل من هذه المواقع من وقت لآخر؟ هل كانت المنطقة مأهولة باستمرار؟ ما هي مدة الانفصال والهجرة ان وجدت؟ ان الحقبات التي كانت كثيرة الاستيطان يمكن ملاحظتها بسهولة أكبر من ملاحظة حقبات الانحسار نظراً لوفرة الآثار التي تركتها.

- السؤال الثاني: ما هو مدى توسع الاستيطان البشري الذي ارتبط بالتوطن الدقيق المستنتج خلال كل حقبه من تلك الحقبات؟ هل يمكن العثور على عناصر تعود لطبيعة زمن العصور القديمة والآثار الأراضى القديمة وطرق استيطانها؟.

فالجواب على السؤال الأول يخرج عن اختصاص الجغرافي. أما الجواب الثاني بالمقابل فيجب ألا يفوته تماماً، ونحن سنسعى في الصفحات التالية، أن نجد ما يتيح الحصول على فكرة انماط المعيشة في الماضي.

تبقى دراسة الصور الجوية مع ايضاحاتها الطبوغرافية هي الأساس بالنسبة لأجزاء المنطقة التي غطتها تلك الدراسة، فكليشهات الصور التي التقطها الطيران الفرنسي في الشرق، يتيح الحصول على منظر جزئي ولكنه ثمين جداً لأراضى طبيعية مصورة خلال اعوام (١٩٢٩ - ١٩٣٠) اذا ما قورنت مع طبيعة الأراضى الحالية، يصبح بالامكان اظهار التطور الحديث والسريع الذي شوه كثيراً من الآثار التي كانت ما تزال مرئية لخمسين عاماً خلت، أوقضى عليها.

اذن بواسطة هذه الدلائل الأولية، يمكن السعي الى استكمال المعرفة العامة لهذه المنطقة. فالنجاحات المحققة في الوصف وفي التسلسل التاريخي للخزفيات التي عثر عليها

اثناء التنقيب بفضل (عمل وحدة البحث والدراسة رقم ٢٠)، أتاحت تحديد العقبات التي يجب أن يُنسب لها المساكن التي يثمها الزوار.

ان المعلومات الملتقطة من جراء التنقيب الجغرافي الذي تم في ربيع عام (١٩٧٩) في المنطقة، قد أمكن جمعها ضمن مجموعتين: المواقع المسكونة مهما كانت طبيعتها. وآثار التوطن الزراعي للأراضي الذي سبق العصر الحالي، مهما كان هذا الزمن، وضمن هذا الاطار سيتمكن العثور عليها فيما بعد، ومع ذلك من الضروري، التنويه بأنه في خريف عام (١٩٧٨) أجري تنقيب مفصل لمحيط منطقة سيع وقنوات، وقد أتاح الطابع المميز لهذا التنقيب لكونه محدود المساحة المدروسة، وضع قواعد العمل.

٥ - ١ التنقيب خلال عام ١٩٧٨ حول موقع «سيح وقنوات»:

تناولت التنقيبات موقعاً محصوراً مساحته ٤٠ كم^٢ منها ٧ - ٨ كم^٢ درست بكل دقة. وهي مساوية لما بين القرى من مساحة منبسطة نسبياً. وبارزة بروزاً جلياً. كان غرض هذا التنقيب مزدوجاً، من جهة، التحميل على الخريطة بقدر ما يمكن الآثار المنبثقة منها وخاصة مختلف أنواع ونماذج البناء، ومن جهة أخرى الاستفادة من الحقب الطويلة من هجرها والانكشاف عنها والتي عقت استيطانها القديم، لمحاولة العثور ضمن طبيعة الأراضي الحالية، على نوعية الاستيطان القديم وخاصة الزراعي منه. . رغم عودة تأهيلها الحالي القصير الذي ازدهر منذ أكثر من قرن.

ان روايات الرحالة الذين زاروا موقع «سيح» خلال القرن الأخير كانت تجيز حقاً الافتراض بثمره ذلك البحث، وبالفعل فقد كانوا يقولون بأن العديد من الخرائب القديمة، كانت من جهة منظورة للعيان وشهدت استيطاناً قديماً في هذا الحيز الكثيف نسبياً، ومن جهة أخرى فإن تلك الآثار وما يحيط بها كانت مقفرة ومتروكة لشأنها، لذا كان الوضع مناسباً جداً وبشكل مسبق للدراسة البنى الأثرية القديمة.

في الجنوب الشرقي من «قنوات» على طرف تلة ذات منحدرات وعرة، نشاهد موقع «سيح» القرية الخراب، بمشابة كومة من الصخور الكبيرة البازلتية. وبما أن الخرائب كانت قديمة جداً. فقد كانت موضوع نشر عام (١٨٦٢) (السيد Vogüe) وعام ١٩٠٩ السيد H. C. Butler لتلقت الى مارواه Mascle عنها بعد زيارته لها عام (١٩٤١) في مدخل المدينة اكتشف الطريق الرومانية الذي كان يقود الى المصايد: وعلى قمة التلة فتحة بركانية ربما أوجدتها اليد العامل، لاستخدامها كبركة عامة للمياه هذه البركة التي لم تشوه رغم طول الزمن. في داخل ما تبقى من الجدران يوجد مجموعة من البيوت التي تهدمت أقسامها العليا؛ وكأنها تهدمت من جراء هزات أرضية عنيفة. فالطوابق السفلية هي من الحجارة الكبيرة سيئة

التقصيب موضوعة على ربط حجري وثيق كانت الغرف ضيقة وقليلة الفائدة . أما السقوف فهي من الصفائح (الربض) البازلتية خشنة الصقل تركز على قناطر مشكلة السطح .

٥ - ١ - استمرار طبيعة الأراضي الزراعية في محيط سيع (من حدود للحقول والآبار الترسيبية)

السمة الأكثر إثارة في الطبيعة، هي شمولية الجدران المؤلفة من حجارة صلبة على قمم التلوي وعلى المنحدرات، وفي أسفل السفوح (اللوحة رقم III)، وهناك جدران متهدمة - جدران مبنية - أحجار بكومات ضخمة . أو صخور حجرية ذات مكاسر طرية . تلفت النظر، وتجعل السير عليها بطيئاً . وليس هناك حقل دون جدران تحيط به وبالتالي ليس من طريق للدخول الا وقد شق بين جدارين يصل ارتفاعهما أحياناً الى مترين أو ثلاثة والسبب بذلك يعود لطبيعة الأرض . ان الاندفاعات الحممية البازلتية من عهد النيوجيني (N2) تشكل أهم تضاريس المنطقة من البازلت القديم ويعود تاريخها الى منتصف العصر البليوسيني إذن الى ٥ , ٤ ملايين سنة تقريباً والتي بسبب التحات كونت تلوأ تتدرج ارتفاعها تنازلاً من الشرق (١٦٥٠م) الى الغرب (١٢٠٠م) في قنوات . (٨٠٠م) عند أسفل جبل الدروز . وقد نتج هذا البازلت بسبب الانتشار المتتابع للانديفاعات الحممية القليلة الكثافة، الى ميلان ضعيف (٣ درجات تقريباً) وكل صهارة منها تضيف نتوءاً على طول السفوح .

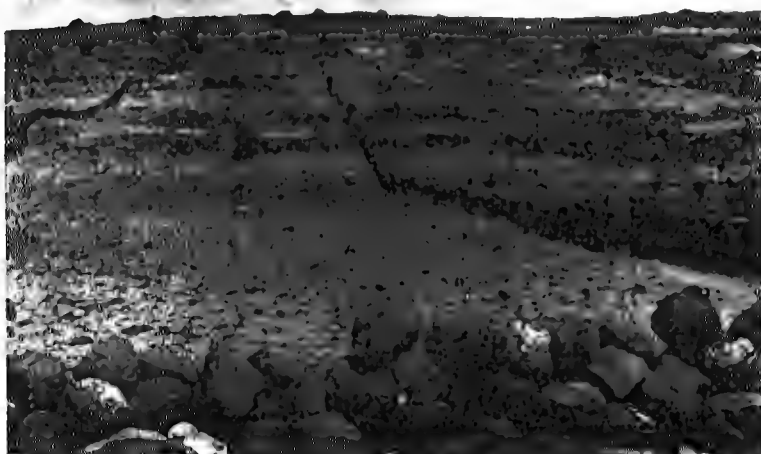
وهكذا يصبح المنحدر سلسلة من التتواءات المتتابة التي غالباً ما تكون مقنعة (محجوبة) بالصخور التي تبرز منها . ان كثير من الظواهر الطبيعية ساعدت على تغطية الأرض بالصخور من كافة الاحجام ، وكذلك بالحصى ، كما أن الكثافة الخفيفة للتحويلات في الهضبة في الشرق - الشروط الموضوعية المميزة التي توفرت لقطع الاندفاعات الحممية المكونة للصخور الموشورية ذات المظهر المائل في أسفل السفوح . إن النسبة الكبيرة في عناصر الطمي الناعم المشكلة أيضاً للتتواءات الناتجة يُسبب الانجرار السهل بفعل جريان المياه القوية خلال ستة أشهر من السنة (ان نصف الكسر الناعم، الذي يدخل ضمن تكون الأراضي هومن قياس نسبة الحبيبات المساوي لقياس الطمي الناعم أو لأدنى درجة) .

إن التنمية الزراعية تقتضي توفر العناصر الدقيقة للتحويلات الحممية . وهذه بدورها يتطلب انشاء مساحات قابلة للزراعة بعد رفع الحجارة لأول مرة، ومن الواضح أيضاً ان كل تحسين أو كل توسع لا يمكن اتمامه الا بمتابعة الجهد المباشر به .

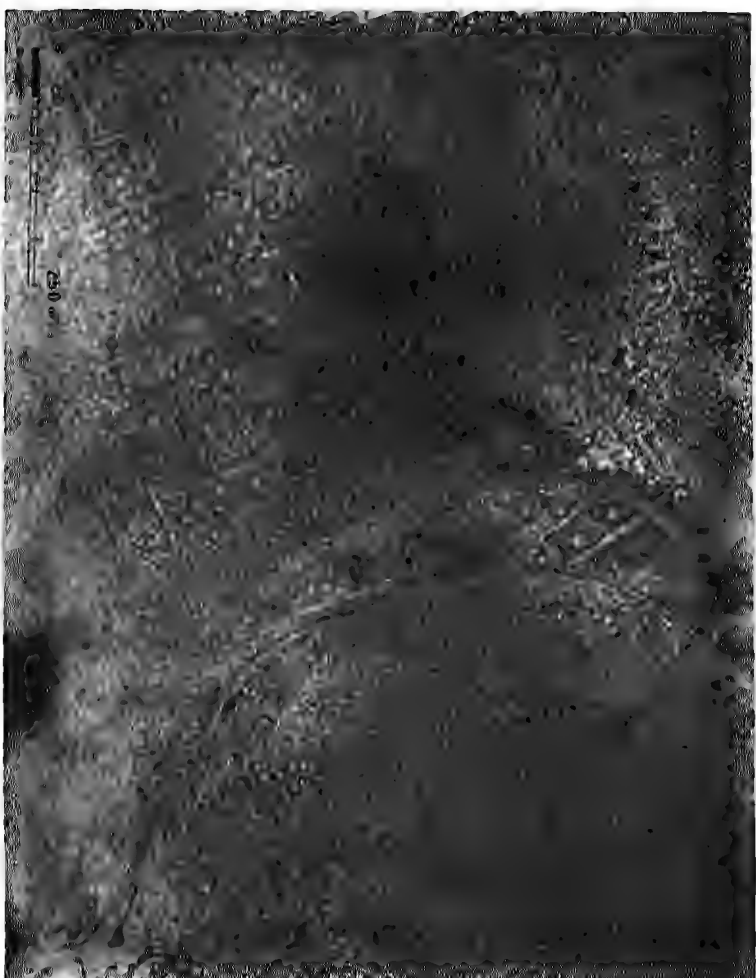
ينبثق عن هذا العمل نتيجتان مهمتان لتكوّن الأراضي الزراعية، من جهة تعزيل الصخور وتكديسها (أو تراصفها) في هذا المكان أو ذاك ليثبت بصورة مطلقة تقريباً ترسخ



أ) صورة لوادي «سبع» شرق النجم عند الاتجاه نحو «المشتف» كليشة ب. جانتيل



ب) وادي جنوب «سبع» شرق النجم عند الاتجاه نحو «صالح» - كليشة ب. جانتيل



لوحة ٤ - كومات احجار الاستصلاح جدران وطرق تعود الى قطاعات ارضية قديمة بين الرشيدة ويوسان،
 حسب الكليشة الحديثة ٥٦٥ المخوفة في ٢ حزيران ١٩٢٩ في الساعة الثامنة على ارتفاع ٢٦٦٠٠ م. (قاله
 الطائر سلفتر - المراقب يوزار مطاس ١/٥٠٠٠ تقريباً)

المناطق المفيدة، ومناطق تكديس الانقاض (اللوحة ٤)، والذي يفكر بنقل كومة من الحصى يعتبر أخرق بنظر الفلاحين (أين سيضعها ويكدسها إذن؟) وبمرور الزمن تتعاظم كومات الأحجار أو كومات الجدران - ومن جهة أخرى يتطلب تحضير واعداد مساحة قابلة للزراعة، تعزيل الصخور والأحجار الكبرى من الأرض في بادئ الأمر، وعلى الأقل ما يمكن نقله، مع الأخذ بعين الاعتبار القوة التي تقوم بذلك، وحصر المساحة الواجب زراعتها أو انبائها. ولذلك اذمحت الصخور الى اطراف الحقل المزمع انشاؤه أو جمعت أكواماً في وسطه، والعملية كانتا تتسم بالتتابع أوفي آن واحد (اللوحة ٤ وه أ-ب) لذلك يعتبر وجود الصخور الكبيرة في أسفل الحائط أو الكومة كأمر مسلم به، وبالمقابل، لا بد من الإشارة بأن استخدام البلدوزر وحده فقط كفيل بتغيير طريقة العمل الذي سبق أن كان يتم انجازه عادة باليد. ان حجم الصخرة أو الحجر الكبير المسمى هنا، هو تقريباً ثابت، وأعظم هذه الاحجام (٦٠ × ٦٠ × ٦٠ سم) أو ما يقارب هذا الوزن ويصل الى نفس الحجم (٢، ٢٠ م^٣) والوزن (٤٠٠ كغ تقريباً) اذا كانت كثافته تقارب ٢ (اللوحة ٥ - ب) كما توجد صخور اكبر ولكنها لا تنقل على ما يبدو، الا في ظروف خاصة، مثلاً (لإبعادها من ساحة الحقل، أو لنقلها لحاجات هندسية) (انظر اللوحة الثانية).

ترفع الاحجار الصغيرة بدورها، وقد يتم رفعها مع الأحجار الكبيرة وهو أمر سهل، إلا أن ملاحظة مختلف الاكوام الحجرية تبين بأن كلاً منها قد تم بناؤه، مع العلم أن تكديس الصخور ورصها يجري بطريقة منظمة^(١٠) أما تبين ذلك في انشاء الجدران فهو أمر سهل، لأنها تقع تحت الحواس. ومن العبث العمل على حفظ التوازن بوضع الصخور على الحجارة الصغيرة، أما ما يتعلق بأكوام الحجارة الواجب تكديسها، فلا يتم بشكل عشوائي طارئ، إذ لا بد من قرار لكيفية نقلها حيث تصادف في القاعدة السفلية للكومات احجار كبيرة أو صخور مسطرة، سواء بشكل دائري أو مربع أو بشكل مستطيلات كبيرة حتى ان الفراغ الواجب إملاؤه بالأحجار الكبيرة لا يحدد مسبقاً، بل تترك لتتوافق مع الكمية الواجب اخلاؤها (اللوحة ٥ - ج). ان صفوف الاحجار الكبيرة يمكن صفها فوق بعضها، وهي بمجموعها من الحجم المتقارب، وكذلك تظهر في كثير من الاحيان رجام حجرية على شكل ركمة مخروطية مسطحة - وفي مراحل لاحقة تتطلب عملية ثانية من رفع الاحجار بعد انقضاء زمناً من الوقت أوحين البدء باستثمار أراض كانت مهجورة يمكن لرجام الاحجار الأساسية أن تحاط بصخور جديدة أو بشحف من الحجارة أو بمختلف انواع الحصى التي تتكدس بدورها في الأسفل، وقد تكون ناجمة عن انهيار جزئي للكومة نفسها أو متأتية من تعزيل مكمل.

قد أطيل الشرح قليلاً حول الاحجار، لأنها تتوفر كثيراً في المنطقة التي هي قيد

الدرس، ولأنها قدمت أيضاً بُنى معمارية من نوع الرجام، فسرها البعض بالمدافن، ولكن الواقع يفرض التمييز بينها سيما وأنها متشابهة المظهر. كما اننا سنعود الى دراسة المدافن في الفقرة اللاحقة.

يتميز شكل الأرض الزراعية برفع الأحجار من وسط الحقول، وقد يسلم بأن هذا العمل يحدد المساحات الفارغة التي يمكن الاستفادة منها، اننا لانزال أمام كشف وإظهار الآثار علماً بأن رسمه أوحسنوا به ومن الصعب أن تبرهن على صحة هذه الفرضية. بغير العقل والتفكير. لأن الشبوتات المتوفرة هي فقط التي تملي شكل الحقول واحكامها التنظيمية. وعلى العموم فإن المنطقة التي تكثرت فيها أكوام الحجارة، تظهر مضلعات غير منتظمة، وتكون فيها علاقة المساحة الكلية مع المساحة المزروعة صغيرة نسبياً، وضعيفة. هذا النوع من الأراضي الزراعية الطبيعية تتفق بدقة مع الجريانات البركانية الأكثر حداثة وهذا ما يجعلها مرتبطة بطبيعة الأرض. أما في الصهارات القديمة حيث تندرد الصخور، يشاهد مباشرة الترتيب في تكوّن قطاعات أرضية صغيرة تصطف ضمنها صخور البازلت، يشكل هذا الاصطفاف أحد المظاهر الرئيسية الزراعية في المنطقة، ونوه عن ذلك الرحالة «ويتزستن» (راجع سوريا صفحة ٦٠). يشهد عن الجميع، ولا شيء يحسن ابراز عموميات وبني هذه المنطقة، إلا الصورة الجوية (اللوحة السادسة).

٥ - ١ - ٢ المدافن بجوار موقع سيع وقنوات

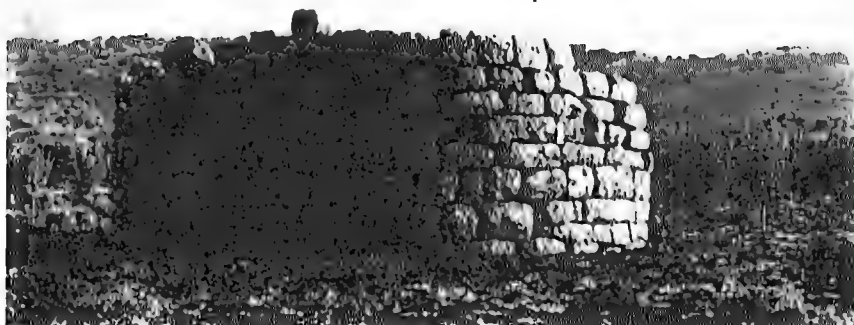
ان النموذج الذي كان سائداً في بناء القبور هي تلك الكومة المستديرة من الحجارة التي تعلوه، بقطر يتراوح بين ٤ - ١٦ متراً وارتفاع أعظمي يصل الى ٤ م. (اللوحة الخامسة آ واللوحة السادسة). وهو مبني من أحجار كبيرة (٦٠ × ٦٠ × ٦٠) ذات أشكال هندسية تقريبية، وذات زوايا وسطوح مستديرة. وهي كناية عن أحجار مقطعة من حصائر الاندفاع الحممية التي خضعت زمناً طويلاً لعامل النحات، واستخدمت في بناء القبر كما هي. كما أنها مرتبة غالباً بصفين، بشكل تبدو فيه كل واجهة جدار على نوع من الانتظام. أما الركائز (المداميك الأساسية في الجدار) فإنها ترتد قليلاً عن بعضها البعض، لتشكل رسماً منحنيًا. أما الداخل فهو فارغ سواء كان صف الجدار الداخلي كافياً أم وضع عليه كما في الرجام الكبيرة: ترتيب من الحجارة الجيدة التقصيب بشكل مستطيل ومتصل، ليتشكل منها مربعا أبعاده ٥٠، ٤٠ × ٤٠، ٤٠ م وعلى الغالب (وصف هذا النموذج من قبل (بتل) A-11-PPUAES صفحة ٤٠٠) وفي جميع الاحوال، يوجد عامود وسطي مستدير الشكل (بقطر ٦٠ سم) يحمل بلاطة الاغلاق المركزية التي ترتكز عليها بلاطات منحنية، محمولة بدورها على ركيزة



٥ - أ - برج ضمن غابة سنديان الكونس في الجنوب الغربي من «سيح»



٥ - ب - برج بقرب الطريق الروماني «سيح - السويداء» على مسافة ٤٠٠ م تقريبا غرب «سيح»



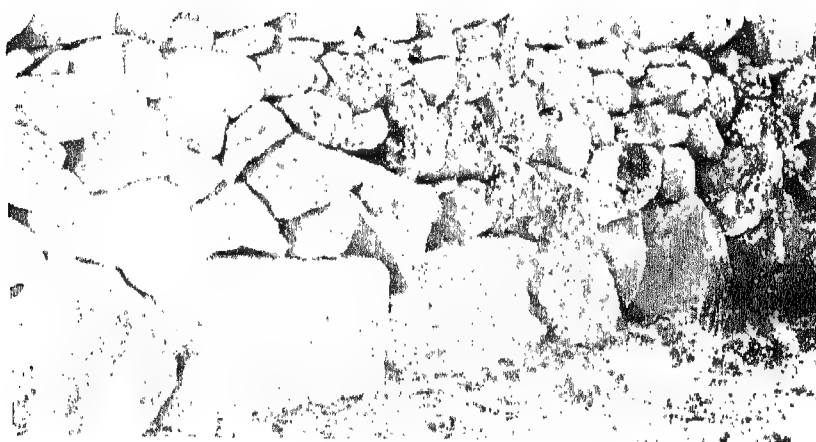
٥- ج برج مستدير بين «سبع وقنوات» كليشة ب. جانتيل.



٦- أ برج مُدمَّر في الجنوب الغربي من «سبع»



٦ - ب اكوام من الاحجار في وادي قرب خربة العنز



٦ - ج حائط قديم يحاذي الطريق (الطريق الروماني) الزاحف من «سبع الى المشنف» كليشة ب . جانتيل

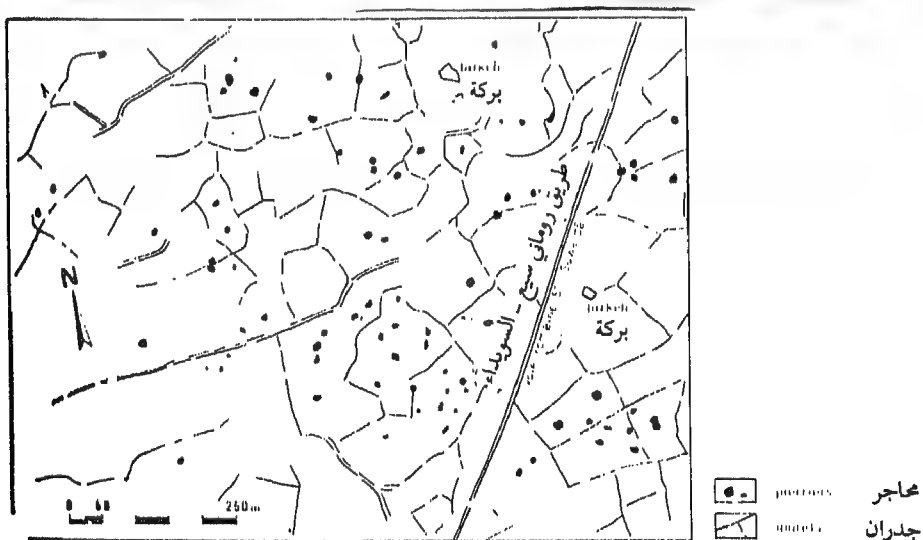
حجرية جيدة النحت بشكل خاص ، لتصبح بشكل «خرجة» (en Corbellement) وحول البناء المغلق على نفسه وبدون أي نافذة ، أضيف أحجار من قطع صغيرة ممزوجة بالطين لتغطي منذ الأساس كامل بناء القبر ، أما اليوم فالطينة لا تحمي سوى القسم السفلي من البناء ، وفي نموذج من قبر آخر مجاور له نفس الأوضاع الداخلية ، فإن الكسوة الخارجية المبنية من ركائز حجرية جيدة التقصيب ، لها منظر البرج . . وبناء على ذلك ، ومن خلال مرحلة التنقيب الحالية ، لا يمكن تمييز المخطط الداخلي للقبور الذي في أغلب الحالات ، هو مؤلف من غرفة مستديرة أو مربعة .

تمّ احصاء (٧١) قبراً مستديراً ولكن رغم الاهتمام بهذا الكشف ، لا يمكن التأكيد من أن عدد القبور من هذا الطراز هو كامل وموجود فعلاً .

يمكن لموقع تلك المدافن وبعدها من الجدران الصغيرة ، أن يفيدنا بمعلومة جديدة (الصورة ٥ - ٨) وهنا تظهر حالتان : فإما أن يكون القبر في مجمله وسط مساحة بارزة ومحاطة بجدران صغيرة ، وأما ان يكون بمحاذاة الجدار ، أو تحت الجدار ، أو على محور الجدار . على كل حال ، لا يمكن اعطاء جواب بسيط على السؤال التالي : هل المدافن والجدران الصغيرة في المواقع الزراعية معاصرة لبعضها البعض ؟ فمخططات مواقع القبور وحدود الحقول تبين صحة بعض الحالات منها . ولزيادة الايضاح يشمل تجمع تلك القبور ثلاث مناطق : قرب قرية «قنوات» ، مع طول محور «قنوات - سيع» ، وحول موقع «سيح» ولاحظ فيما بعد ، وجود بعض القبور النادرة التي اكتشفت جنوب موقع «سيح» . أو على بعد من المناطق المتميزة بالكثافة . وما يلفت النظر في ذلك . هو القبر الموجود في الوادي على بعد ٥ , ٣ كم شرق موقع «سيح» . قرب الخرائب التي يطلق عليها اسم «مام الجلود» والقبر الموجود على بعد ١٠ كم شرقاً على قمة التلة . وعلى مقربة من الطريق الروماني (السويداء - قنوات) .

يمكن التساؤل بصدد بُعد هذه القبور عن بعضها في المنطقة ، كما يمكن الافتراض أن بعض العائلات كانت ترغب بناء مدافنها فوق أراضيها عوضاً عن بنائها قرب قرى «قنوات وسيع» ومن جراء ذلك تبعثرت المقابر في الريف ، فكل مالك أرض كان يسعى لامتلاك قبره بصورة منطقية - شريطة ان يكون لدى كل مالك وسائل بنائه . تلك الملاحظة تقودنا الى التنظيم الاجتماعي للقرى في عصر نكاد لا نعرف عنه شيئاً . لذا على ضوء معلوماتنا الحالية يجب ألا نتبع الملاحظة بالتفسير الفوري .

إن التاريخ الذي عثر عليه في القبور ، يمكن استخدامه كتاريخ للظهور والتطور الزراعي لهذا القطاع ، وهو تاريخ كوّنت الجدران الصغيرة والرجام المكتشفة معاملة . ولكن هناك واقعة عملية ربطت سلسلتين من هذه الآثار ، وهي كون القبور متواجدة في الحقول المستصلحة برفع أحجارها ، أو كونها ضمن رجام . وما يمكن استخلاصه ، ان النتيجة



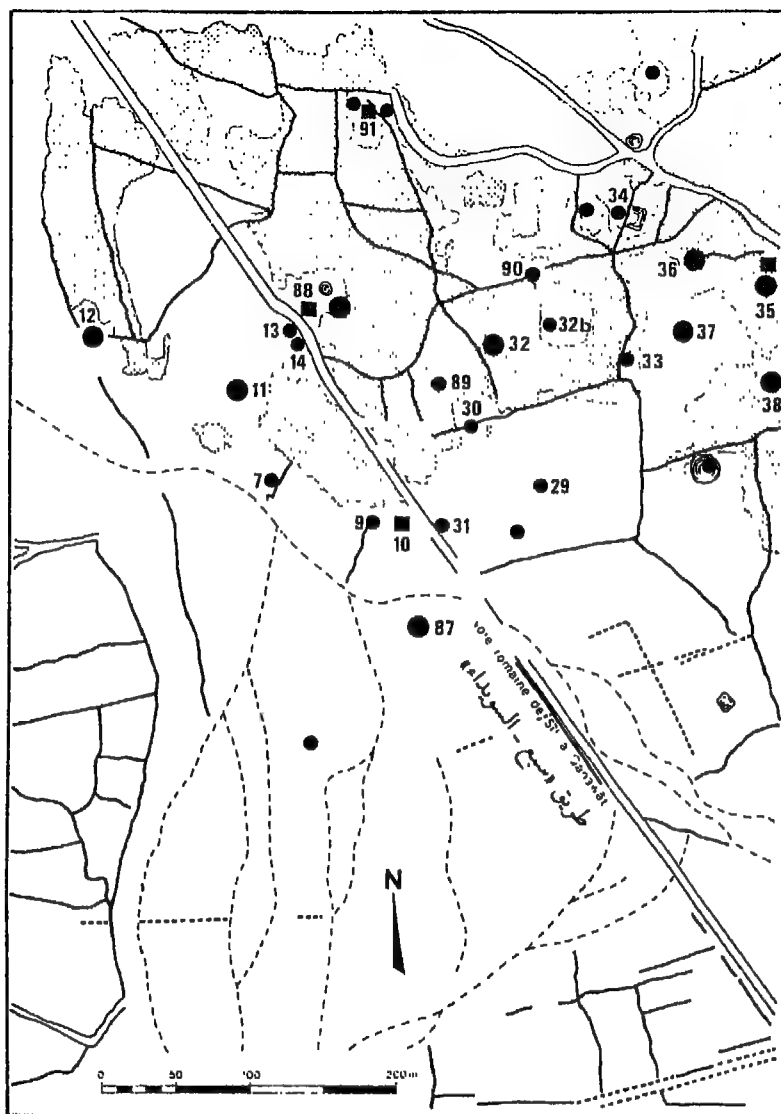
في الجنوب الغربي لموقع «سيج» يقطع الطريق الروماني «السويداء - سيج» أقسومة من الأراضي برزت قبله. واليوم أصبحت تلك الأراضي الزراعية القديمة مهجورة. وقد عثر على آثار محاجر - جدران - طرق محدّدة - أشجار السنديان الكرّمس.

الصورة بمقياس ١/٥٠٠٠ تقريباً كليشة رقم ٧٩٢ تاريخ ١٩٣٠/٩/٢ الساعة ١٠,٣٠

الزراعية كانت مترافقة بأشادة القبور، (وليس العكس)، وبأن نفس الجماعات هم الذين قاموا بالعمليتين (فإذا كانت القبور شيدت بعد الجدران الصغيرة والرجام من قبل جماعات اجتماعية مختلفة فيصبح من الواجب تفكيك الجدران الصغيرة لاسترجاع الحجارة الكبيرة من أساساتها. وهنا لا أحد يقرب مثل تلك العملية). ولهذا حاولنا إعطاء القبور الأولى صفة الأقدمية بشكل واسع تقريباً. تاركين على عاتق المؤرخين الاهتمام بالوصف والتحديد.

٥ - ٢ الموقع الذي تم فيه التنقيب خلال عام ١٩٧٩ في شبال جبل حوران
تحدث هنا عن (٢٧) مسكناً، طبيعة ومقياس كل منها مختلفان، وقد أفضينا طوعاً التنقيب في القرى الحالية، وهي قائمة كلها فوق آثار قديمة التاريخ. وكانت تلك الآثار موضع دراسة وتمحيص منذ القرن (١٩)، ولم يكن من الفائدة السعي لتعميق المعرفة حولها في بادئ الأمر، عن طريق التنقيب الذي قد يناله قليل من الحظ ليصبح أكثر إنتاجية من التنقيبات السابقة. ولكن إذا أضيف إلى السبعة وعشرين هيكلاً المكتشفة خلال عام (١٩٧٩)، المائة هيكل، والتي تم كشفها خلال عام (١٩٧٨) حول موقع «سيع وقنوات» وكذلك المساكن الضخمة البناء والتي تمت زيارتها فقط، يمكن حينئذ الوصول إلى تغطية المنطقة تغطية جيدة نوعاً ما.

٥ - ٣ الطرق الرومانية وطبيعة الريف الزراعي حول سيع
تتلاقى ثلاث طرق مستقيمة نحو «سيع» الطريق الذي يربط «سيع» بالسويداء فهي تحتاز ريفاً يكاد يكون مهجوراً في هذه الأيام. وقد أمكن مشاهدة الطريق المستقيم، الذي يقطع قطعة من الأرض ليحتويها (لوحة ٧) أن الطريق المستقيم الذي يتوجه من «سيع» إلى «المشف» عن طريق وادي الصايغ، والذي أمكن تتبعه بالصور الجوية ضمن الأربعة عشر كيلومتراً التي تفصل هذين الموقعين، يلاقي على بعد بعض الأمتار طريقاً قديماً كان متطابقاً باتجاهه مع أقسومة الأرض الأقدم منه. وأخيراً تحتاز الطريق الذي ينطلق من «سيع» إلى «قنوات» على مسافة (٢ كم) الأقسومة (كما هو ظاهر في الشكل رقم ٥) التي بعد ٩٠٠ متر على الأكثر يتكون فيها انعطافاً صغيراً لتجنب الاصطدام بهانع طبيعي، ولكن ضمن جزء الأرض المنخفضة المنبسطة حيث لا يوجد أي مانع طبيعي يعترض المرور المستقيم للطريق. ان الملاحظة تثبت بأن المخطط الروماني المرسوم حينذاك، كان يهدف الوصول مباشرة إلى المدفنين (١٣ - ١٤)، ولهذا السبب اضطر إلى الانعطاف، ان الاحجار الكبيرة التي يتكون منها المدفن رقم (١٣) السوارى في المخطط، لا تزال موجودة اليوم في الجدار الصغير الذي يحيط الطريق الرومانية، والموضوع نفسه ينطبق على المدفن رقم (٣١) الذي هو ثالث مدفن في المحيط المجاور كما هو



- | | | | | | |
|--------------------|--|---------------------------|--|----------------------------|------------------|
| مسلات وادي قنوات | | chenaux du wadi Qanawāt | | vestige de tour de tumulus | آثار برج أو مدفن |
| جدران وآبار بخدران | | murets et trace de murets | | structure annexe | مياكل بناء ملحقة |
| برك | | birkeh | | pierriers | محاجر أو رجام |

Fig. 5. — Tours, tombeaux et voie entre Qanawāt et Sī

الشكل رقم ٥ - أبراج ومدافن وطرق بين قنوات وسيع

شرق الطريق . لدينا بعض الأدلة التي تُتيح الافتراض بأن بعض هذه المدافن الواقعة في (وادي «سيع») قديمة، يدل على ذلك النقش النبطي حسب Res- 2033 Eliltman- PPUAES IV A- 106 وقد أثبت التنقيب ذلك بوجود تاريخ قديم على مدفين من تلك المجموعة، (ef- Cral. 1981- P. 98- 99, DAM, 2, 1984) P. 000 ان انعطاف الطريق يحمل في ذاته البرهان القيم حول الأحداث التاريخية لهذه المجموعة . لذا يمكن الجزم بأن التنمية الزراعية للريف كانت قد ابتدأت مبكرة منذ مرحلة ما قبل عهد القرى . ولكن هذا لا يستثني أن بعض البنى الريفية المشاهدة كانت أكثر حداثة . من جهة أخرى، تبين أن للمدافن معنى آخر بالنسبة للسكان المحليين عند انشاء الطريق، ولولا ذلك، لأمكن التفكير بأن منشئية لم يترددوا في اجتيازها . وهذا يفرض بأن الأمر كان يتعلق بإنشاء طريق واسع بدون توطن جديد في ريف لا يزال مزدهراً ومأهولاً بالسكان .

كانت الطرق الرومانية في المنطقة موضوع دراسات عديدة، آخرها التنقيبات التي قام بها . (the Banzout of infra) (ص ٥٥ , ٥٥) ويمكن ان يضاف الى تلك التنقيبات بعض الملاحظات فقط دون اضافة آثار جديدة .

ان فحص آثار الطرق المشادة، لن يكون كافياً لمعرفة شبكة المواصلات القديمة، غير أنه قد يعطينا فكرة (غير كاملة بصدد التدمير اللاحق) عن الأهداف التي كانت تبتغيها الهندسة الرومانية، لدى اشادتها لهذه الطرق . هل هي هندسة عسكرية أم مدنية أولاً؟ يصعب الجزم بذلك ومع ذلك فالقرارات ليست واحدة، سواء أكانت بموجب هذه أو تلك فإن ثبات التخطيط لديهم تبين أنه توخى، في بادىء الأمر، السرعة في الانطلاق من نقطة محددة الى نقطة أخرى محددة، وما لوحظ في المخطط، يبين أن «قنوات» هي على نقطة مسدودة (درب) شبه مستقل بالنسبة لمركز «السويداء» الذي يتمتع بأهمية أكبر (الشكل رقم ٦) من جهة أخرى تعتبر «سيع» محطة على مفرق طريق (السويداء - المشنف) (قنوات - المشنف) (قنوات - السويداء) . وهذا كله وكأن «سيع» هي من الأهمية الكافية لتكون صلة الوصل بين طريق السويداء - «قنوات»، بعد تفادي الربط المباشرين هاتين المدينتين . تعتبر قنوات حائدة بالنسبة لشبكة الطرق الأساسية المشادة على عقدة الاتصال (السويداء - شهباء، السويداء - المشنف) ذات أهمية ولهذا ربطت هذه الشبكة بواسطة محوّل، هل هذا يقود إلى التفكير بأن قنوات هي حاضرة على جانب الخط وليس لها صلات حقيقية؟ طبعاً لا، فالعلاقات كانت مزدوجة ولكنها لم تكن تدعو لضرورة اشادة خاصة ومتقنة لعدم ضرورة تحمل مثل هذه النفقات .

هناك محوران تم استخدامهما بكل تأكيد، (محور قنوات - عتيل) و(محور قنوات مفعلة) ولا يمكن في أيامنا هذه استساغة ما يمكن اضافته شيئاً آخر سوى طرقات فردية، فالربط

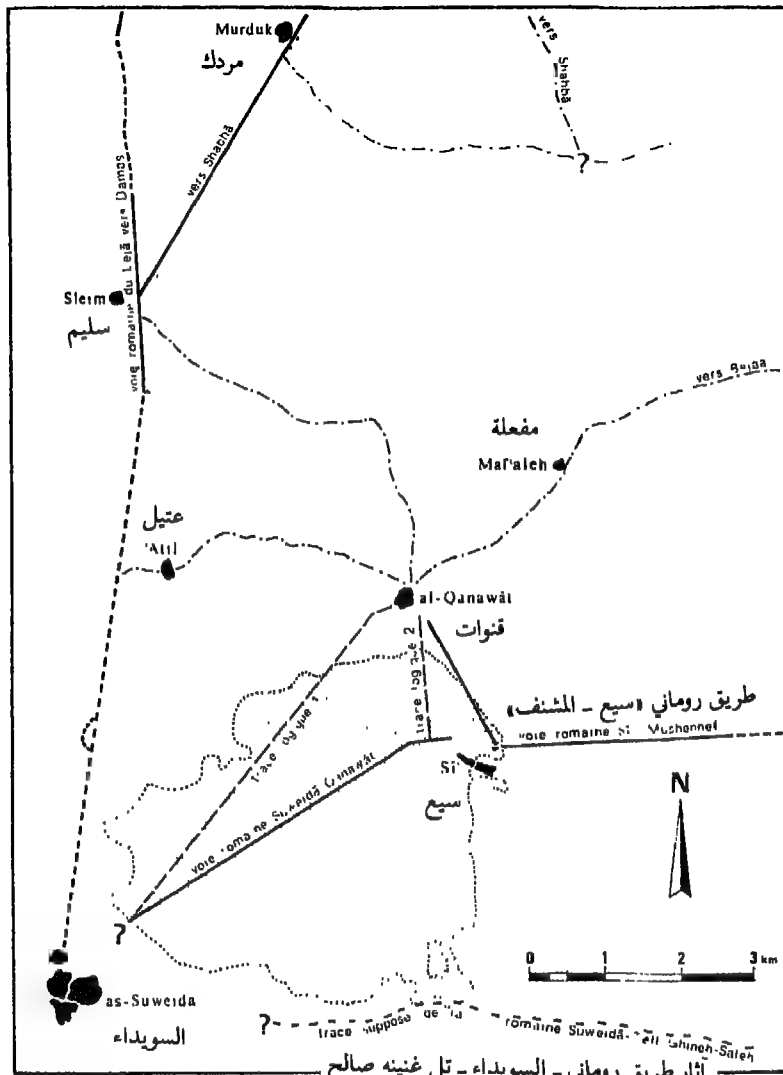


Fig. 6. — Réseau des voies du secteur Suweidā-Qanawāt-Sī.

الشكل رقم ٦ - شبكة الطرق في قطاع السويداء - قنات - سيع

تجمع سكاني	agglomeration	أثار طريق غير سالك	tracé "loquique" non construit
طريق روماني مرئي	voie romaine visible	حدود الحرجس	limite de la forêt
طريق روماني معاد استعماله الخ	voie romaine restituée, partiellement visible	طريق	chemin

مرئي في أجزاء منه

المباشر بين قنوات و«شها» لا يمكن أن يفرض نفسه عبر التلال بل لا بد من مروره بصورة مستقيمة باتجاه الغرب. لذلك يمكن رسم سلسلة الطرقات التي مركزها «قنوات»، كما يمكن عرض خريطة للسويداء والمراكز التي حولها باعتماد نفس المبادئ (انظر الشكل رقم ٦).

٥ - استمرار الطرق الفردية

خلال التنقيب جرى تتبع عدة طرق، وهي حتى الآن، لاتزال تؤمن الاتصال مع المراكز القديمة الثابتة والمعروفة منذ زمن طويل. وعلى العموم لا تزال الخرائب سهلة المنال بواسطة نفس الطرق التي كانت موصلة اليها حينما كانت مأهولة بالسكان. كما يمكن أيضاً أن يعاد بناء القسم الأكبر من تلك الشبكة القديمة، التي حفظ جوهرها سليماً، وبخاصة ضمن المناطق المطوقة والمحصورة، حيث لا يستوجب الأمر شق طريق جديد عبر أكوام الحجارة. يشاهد حول كل قرية، ملتقى لطرقات مختلفة تماماً، تقود الى مواقع محددة، (اللوحة ٨) تصلح هذه الطرقات لسلوك المشاة والدواب - الخيول - وقطعان المواشي. وهي تقود بشكل مستقيم ويمكن نحو الاتجاه المطلوب، ولا يلزمها إلا صيانات بسيطة^(٣٥). لا يزال معظم تلك الطرقات مطروقة حتى اليوم، ومن المؤكد أن الشبكة قُوِّضَتْ بكاملها خلال الأربعين سنة الأخيرة، بإدخال الطرق الحديثة التي زفت غالبيتها بالتتابع، ورغم هذه الحال لا يزال تلامس الآثار السابقة مرعياً، وهو يتفق تماماً مع الصورة الفوتوغرافية المقتبسة عنها، التي امكن الحصول عليها أثناء تدقيق كليشيهات الصور الجوية لعام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ (انظر الشكل رقم ٩).

ومن الواضح أنه يصعب تماماً تحديد تاريخ انشاء هذا الطريق، أو ذاك، تحديداً دقيقاً. والوسيلة الوحيدة غير المباشرة الممكن اتخاذها، هي المواقع الأثرية التي تصادف سواء في نهاية الطريق أو على طول خط الآثار القديم. أما المواقع المأهولة بالسكان من قرى وضيع وحصون، فهي على الغالب، كانت مسكونة منذ حقبة طويلة من الزمن، وتقريباً بدون انقطاع. ومن المسلم به ان الطرقات التي كانت تستخدم، لا تزال عاملة خلال تلك الحقبات نفسها.

ومع ذلك من الخطأ التصديق بأن سبب حفظ جميع الطرق القديمة، يعود لاستمرار المواصلات بين القرى «بسبب الجوار»، لأن عدة براهين واضحة بانته على الصور الجوية الفوتوغرافية، وعلى الأرض تشير الى العكس. هناك طرقات قديمة منعزلة عن الحقول بواسطة جدران منخفضة متينة، أصبحت اليوم أجزاءً متقطعة لعدم الاستفادة منها. رغم التملك الجديد والبناء الحديث.

٥ - ٥ الخزانات وجر المياه^(١٠)

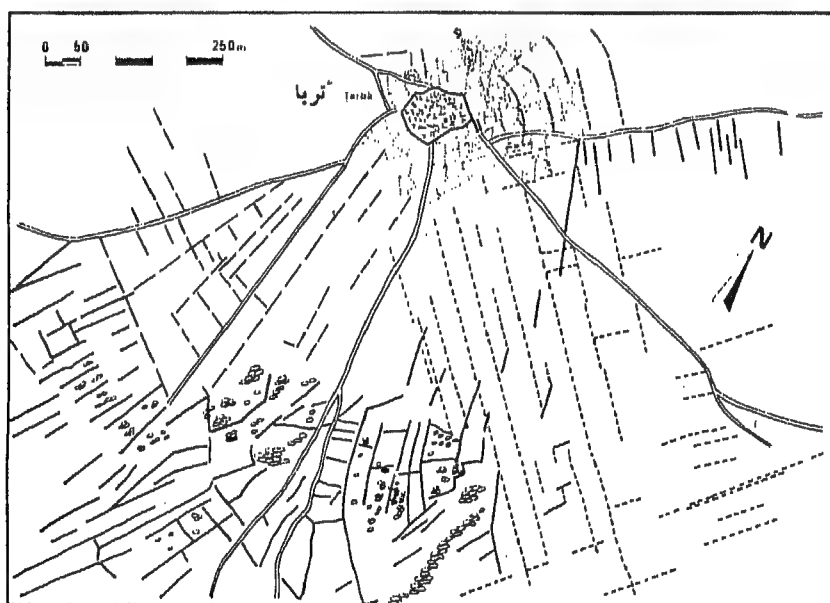
لم يعثر على أي آثار لمشاريع جر المياه (قناة - مياه) ورد ذكرها من قبل المؤلفين القدماء . فقد عثر على قسم من ساقية بازلتية لاتزال باقية حتى أيامنا هذه ، كانت تجر المياه من «سبع» الى الخزان الكبير في «قنوات» ص ١٣٥ - «Masclé Djebel» وقد اكتشفت خلال عام ١٩٧٨ (PL. IX) . أما الأقينية الأخرى فقد سبق تدوينها ، مثل قناة الجر من «الرحا» الى «السويداء» - قناة اللواء التي لم نشاهدها . أما البحث القيم الذي دونه Wetzsteelin عن قناة فيرون (Firon) أي قناة الجريين «العفنية - الكرك» فهي خارجة عن نطاق البحث الحالي . كما أن قناة الجر (الرُجبة) شرق جبل حوران فهي غير موجودة إذا صدق (Dussowd- Macler) .

وبالمقابل فإن جميع ينابيع جبل حوران تقريباً ، هي اليوم محبوسة ، وكالسابق . فالمياه تجر من الجبل إلى السهول المحيطة ، وإذا استوجب التعرف على أوجه التشابه بين العصر القديم والعصر الحالي فيما يخص مبدأ وطريقة استخدام المياه . قد يصبح الأمر مغامرة إذا اقتربنا بالمقابل وضع مخططات للحقبات القديمة ، لن نتكشف إلا عن وقائع محتملة . فمنذ ما يقارب الخمسين سنة أخذت التطورات الحديثة بالنظام القديم الذي لم يستمر منه السكان الجدد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر سوى جزءاً بسيطاً منه .

وقد تكون قريتا «سليم وولغا» مدينتين باستمرار تدفق حياة آبارهما إبان الاحقاب الأشد جفافاً من السنة وخلاف ما كانت عليه الحال سابقاً ، للأبحاث عن الأحواض التي قام بها الحاكم الفرنسي (كليمان غرانكور) (أ. ف. دزديري ١٩٣٣ - ص ١٥٩ - ١٦١) . كما أن عيون مياه «عثيل وقنوات» تمت بجهد الشخصي .

ولكن خطة استخدام مياه الجبل المنطقية ابتدأت منذ خلفه الجنرال Maisset اعتباراً من عام ١٩٣٢ ، حيث قامت كل قرية فيها بركة (خزان كبير مكشوف باستجرار المياه على أرض كتيمة ، لتموينها بالمياه) ، وقام بعزل برك المياه المخصصة لشرب الأهالي - توسيعها - وتزويدها بسلام حجريه أو بأحجار مستديرة على الفوهات ، تلك الأعمال كانت ضرورية بلا شك ، ولا يزال القسم الأكبر منها موجوداً حتى اليوم إلا أنها في معظم الحالات كانت تحرمنا من ادراك ومعرفة الحالة السابقة للتوسيع . ولكن طريقة استجرار وتدفق المياه وحفظها لفتت انظار الرحالة وقد وصف Wetzsteelin أربعة طرق رئيسية للعمل الطبيعي الذي أورثه الأقدمون الذين كانوا يستوطنون في منحدرات جبل حوران ، من سكن الكهوف والبيوت تحت الأرض ، والقرى المسورة والمحمية بأبراج . وقد تطرق أيضاً الى الخزانات (البرك) وعرف عنها أربعة نماذج .

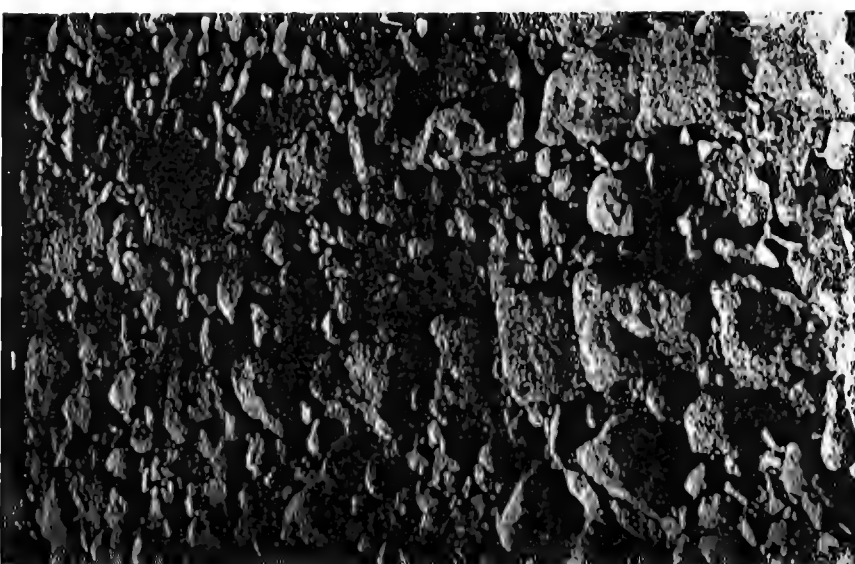
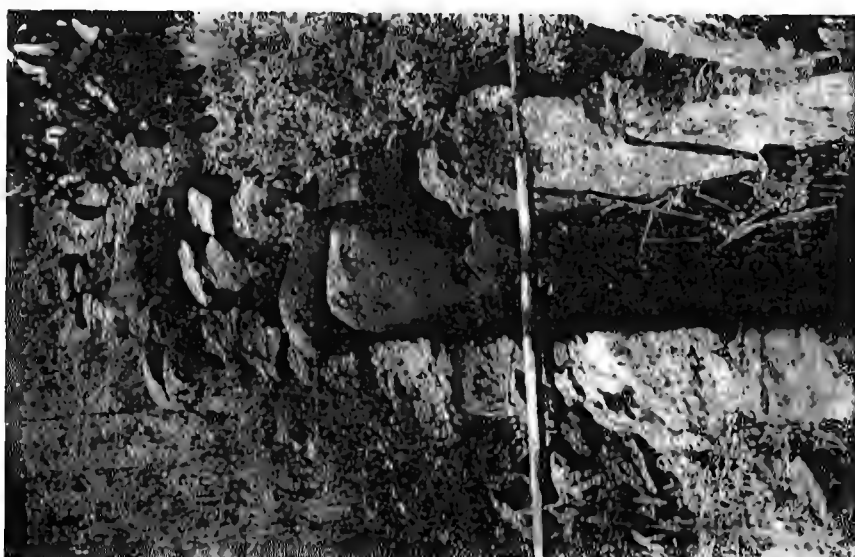
- المطبخ : وهو عبارة عن تجويف طبيعي ذو مقعر صخري .



	قرية		اقسومة الارض رقم ١
	بساتين عام ١٩٣٠		اقسومة الارض رقم ٢
	طرق زراعية		اقسومة الارض رقم ٣
	محاجر		

Pl. IX. Parcellaires et réseau vicinal de 'arbi d'après photogr. aérienne de l'Aviation française du Levant de 1930. (Cliché F.R.A. n° 20)

لوحة P قطع أرضية وشبكة طرق فردية في 'تربيا، حسب الصورة الفوتوغرافية الجوية لطيران الشرق الفرنسي خلال عام ١٩٣٠ (كليشة U.R.A رقم ٢٠)



اللوحة ١٠ قناة نجر المياه من وادي قنوات إلى البركة (الحزان الكبير) في المدينة (كلشة ب. جانتيل)

- البركة : وهي خزان اصطناعي مستديرة أو مستطيلة مبنية بعناية وقد تكون في بعض الاحيان واسعة .

- الضنح : وهو جب أو بركة صغيرة تحت سطح الأرض ، محفورة في الصخر وله فتحة في الأعلى ضيقة جداً وأخيراً .

- الخبره : ويبنى في المناطق حيث يكون فيها تراب الأرض كثيفاً . يحفر داخله تمجوف بعمق بعض الأمتار ويغطي ببلاطات (ربضان) طويلة من البازلت^(١٠) .

لا يزال العديد من هذه الخزانات والبرك مستعملاً حتى اليوم . والقديم جداً فيها يُرقى بناؤه الى العصر النبطي على الأقل . والبعض منها بحالة جيدة جداً ، يعود تاريخ بنائها الى العصر الروماني . وخاصة في (البجعة) الكائنة في قلب الجبل . ولكن من المفيد البحث عن تاريخ تحديد طريقة التموين بالمياه في كل حالة منها . وكيف توصلت من جبل الى جبل ، علماً بأنها عرفت منذ الثلاثينات من القرن الحالي تبدلات عميقة .

لم يتوفر لدينا الوقت لدراسة طريقة جر المياه الى السويداء ، التي لا تزال آثارها موجودة بسبب حجم المدينة الأثرية (والسيد Mascle صفحة ٢٦٣) تحدث عن البركة القديمة المستديرة الموجودة في اعلى المدينة وعلى مقربة من أسوار القلعة النبطية التي تعاصرها ، كما يظهر . ثم تحدث عن البركة الرومانية (بركة الحاج) ذات الشكل المستطيل والكائنة جنوب دار الحكومة . إن جر المياه (في الزمن اللاحق) من ينابيع «تل غينه حتى السويداء» بطول ١٩ كم والتي تحقق عام ١٩٢٤ (زمن الانتداب الفرنسي . ومظاهر التمدن الحديثة لم تبق منها أي أثر . إلا أن المدينة كانت تمون باستمرار بمياه منحدره من أعلى قمم جبل حوران . وقد شاهد (ج . رينو ١٨٨١ - ص ١٥٣) ، في الفترة الواقعة بين نيسان وحزيران ١٨٨١ .

طواحين منتشرة في الأمكنة المنخفضة من السويداء ، كما أشار في الوقت نفسه الى وجود بيوت عديدة تمتلك خزانات مياه في جوانبها المنخفضة كانت تملأ عن طريق تفرعات من السواقي . (ج . رينو ١٨٨١ ص ١٥٣) وهذا الجريان السطحي بالذات هو الذي استخدم للماء الخزائين العظيمين (قطر ١٥ م ارتفاع ٣٤ م) اللذين بناهما الجيش الفرنسي عام ١٩٣٢ - ١٩٣٤ (أ . ف . ديزيديري ١٩٥٣ ص ١٦٠) وقد كانت بادية للعيان في القرن الماضي ، بعض الانشاءات الكاملة التي مسحت اليوم من المنطقة ، بعد أن كانت منتشرة هنا وهناك .

وبين «شهباء» و«نمرة» لم تتمكن من العثور على آثار مبنی سبق أن شاهده رحالة كثيرون ، وكان يدعى (قناة اللواء) وواضح أنه تم بناء سد في الجوار ، عمل بالطمي الذي جرمه قبل انهدامه بفيضان عنيف على تعديل شروط الملاحظة .

مهما كان الأمر يبقى موضوع المياه في جبل حوران موضوعاً بارزاً بالنسبة للحياة البشرية ولقطعان المواشي . فمن أصل ١١٤ قرية أحصيت زمن الانتداب ، هناك ٥٥ قرية

لم تتوفر فيها ينابيع المياه (بل استبدلتها بآبار) و١٨ قرية لم يكن فيها ينابيع أو آبار و٣٤ قرية كانت تتوفر فيها المياه لقسط من السنة فقط (ص ٣٢٤ - ١٩٥٥ Dufourg) (الشكل رقم ٧).
والحقبات الزمنية التي لا تتوفر فيها مياه، هي بكل وضوح الأشهر الأشد حرارة. أما عودة توفر المياه فهي منوطة ببدء أمطار الخريف.

إن شبال الجبل هو الأكثر فقراً في المياه، وهو منطقة لا تتوفر فيها الينابيع. وترتبط ارتباطاً شديداً بجريان الأودية الثانوية، والواقع ذاته ينطبق على القسم الشرقي من «أم ديبب» إلى «الشحف»، ولكن مع توفر ينابيع خفيفة التدفق التي تنضب في شهر حزيران، ليستعاض عنها بالآبار التي تجف بدورها في ايلول، وعندها ينتظر سقوط المطر على القمم لإعادة تغذية الأحواض بالمياه بعد مرور عدة أيام. أما الجهة الغربية من الجبل فهي محظوظة المياه، ولكن المياه الجاهزة فيها لا تنفي لتأمين حياة عصرية. (J.P. Dufourg) روى أنه أجرى تحقيقاً خلال عام ١٩٣٤ أشار فيه إلى أن تقنين المياه يتم اعتباراً من شهر أيار، وكل فرد لا ينال سوى ستة لترات يومياً لحاجاته الشخصية. تبدو مثل هذه الحاجات أنها مناسبة لما يمكن توقع حدوثه من تطبيقات في العهود القديمة.

مع ذلك لا يمكن الجزم أن هذا الاستنتاج الذي سبق ذكره يطابق الواقع. فآثار العصر البيزنطي والروماني تبدي تشككاً حول صحة السيطرة على موضوع المياه، ويمكن إعطاء أمثلة مميّزة. نظراً لاحتمال تعاقب مواسم الجفاف في العهود القديمة. فإذا سلمنا جدلاً، بأن نقص المياه أو القحط في الأيام الحديثة سببها الضعف في تنمية غزارة الينابيع؟. بعد كل ذلك ورغم التدمير والخراب الشديد الذي نقلته الأجيال. تبقى الأبنية الباقية أو التي شوهدت في القرن (١٩) كثيرة جداً (قناة السويداء - قناة بين الطيبة وحمامات شهاب - وقناة بين قنوات وعفينة) ذكرها «تراجان» (وقناة بالجير الأحمر من سهوة الخضر حتى صلخد الخ. .) لا تخلوا القرى من الخزانات المبنية. ومن البرك المشادة باعتناء وعلى الطبيعة حتى إن البعض منها موجود قبل الاستيطان الحالي.

إلى جانب البرك الكبيرة ذات البناء الجيد، أو ذات الأحجار المنحوتة جيداً، والتي كانت بمثابة بركة للاستعمال العمومي، وإلى جانب خزانات المعابد والأبنية وبيوت النبلاء التي كانت مسقوفة (بخلاف غيرها)، ظهر عدد كبير من البرك الصغيرة صالحة لخدمة الأهالي والدواجن عند موقع البيوت أو في جوارها، والسبب في عدم فاعليتها الكبيرة يعود إلى كونها محفورة على أعماق بسيطة. وفي الصيف، كانت شريحة المياه المتبخرة منها تصل إلى ٧ أو ٩ مم يومياً، مما يفرغ مياه غالبيتها خلال شهر واحد على الأقل، وهذا الأمر يبدو أقل أهمية من الملاحظة التي يمكن أن نعطيها حول استخدامها الممكنة.

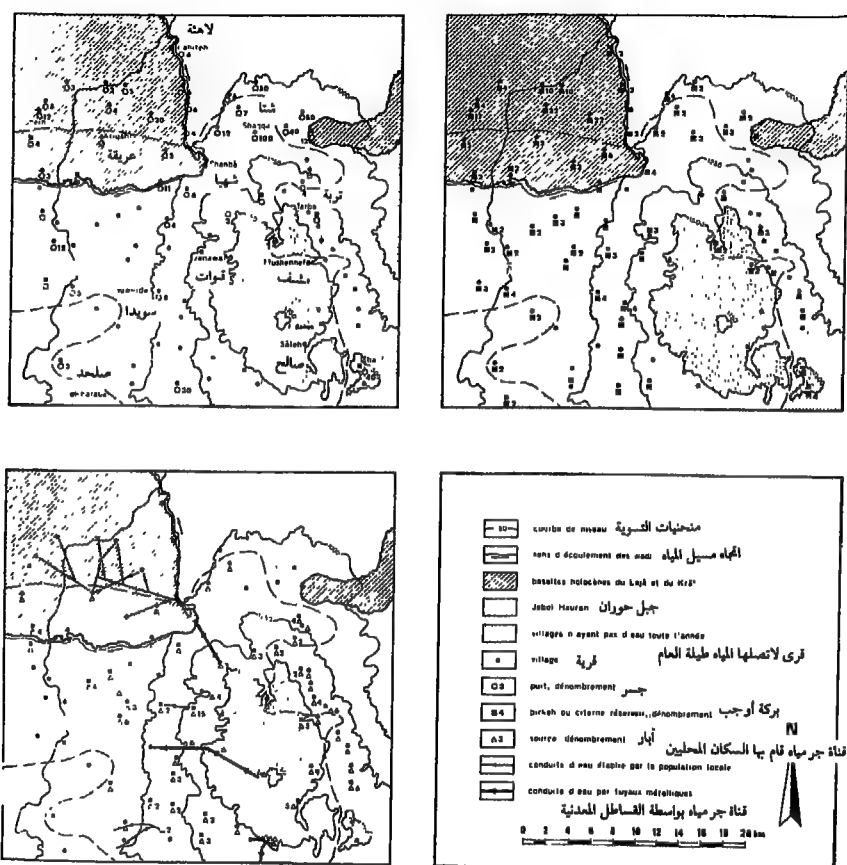


Fig 7 Alimentation en eau des villages du Djebel Druze d'après J. P. Dufour, 1956
الشكل رقم ٧ - تغطية قري الجبل والمياه (حسب ج. ب. دوفور عام ١٩٥٥)

- لذا يمكن تمييز ثلاثة أنواع، قد تكون مطابقة لثلاثة طرق تملك أو انتفاع:
- الخزانات الكبيرة للمعابد أو الحمامات التي انتقلت الى السلطات العامة.
 - الخزانات القروية وهي تحت تأثير السلطة الجماعية للقرية.
 - الخزانات الخاصة.

٥ - ٦ الأبراج والمعاصر (الشكل رقم ٥ - ٨)

لفتت الابراج النظر منذ القديم، وقد حمت حوران كلها في العصر الروماني بما فيها الطرق التي شيدت بمحاذاتها بفواصل منتظمة تقريباً، وقد جعل منها (راند فليش ١٨٩٨، ص ٢٥) أبراجاً للرصد مميزة، أبراجاً ضخمة، أبراجاً مستديرة أو مربعة الزوايا. وقد ذكر هذا الأخير قبل زيارته للمنطقة سبل الاستفادة منها: «فمنذ عهد قريب كانت تستخدم لحراسة النسابيع وكروم العنب» وقد وضع Butler خريطة لواحد منها (PPUAES. IIA.P ص ٣٥٤) موجود في أسفل «تل قليب» على المنحدر الشمالي، وعلى أطراف الطريق الذي يصل بين قنوات «الكفر». عثر على هذا البرج عام ١٩٧٩ ولا يعتقد أنه يمكن اضافة أي شيء على ما ورد في مذكرات «بتلر». فهذه الأبراج تشبه أبراج المدافن النبطية لموقع «سيع»، من حيث طراز البناء. ولكنها ليست بالحقيقة قبور، وقد يعزى انشاؤها للدفاع، إلا أن تجمعها بأعداد كبيرة في مكان واحد، وانعدام المدن أو القرى في الجوار يجعل التفسير صعباً، ولها طابع الطواحين الهوائية، ولكن تاريخ اختراع هذا النوع من الطواحين ليس معروفاً، وحتى اليوم يصعب تحديد سبب وجودها.

لوحظ بأن البعض من هذه الأبراج كانت قائمة بالقرب من المعاصر القديمة، التي سبق وجودها استيطان الدروز في الجبل. وطراز تلك المعاصر يشبه طراز المعاصر التي تمت دراستها في «سيع»، عند اجراء التنقيب في أبييتها. لذا من الضروري تحديد العلاقات الوظيفية والزمنية اللازمة والكاثنة بين هذه البنى والأبراج والمعاصر. وهناك أبراج أخرى، لا تنتمي الى هذا المحيط، بل نجدها منعزلة في غالب الأحيان.

٥ - ٦ - ١ الأبراج مخروطية الجذع والمتصلة بالمسكن

يذكر بتلر (PPUAES. IIA، ص ٣٥٤) في مؤلفه، مخطط وارتفاع أحد الابراج في الجنوبي الغربي من سيع (الرسم التوضيحي ٣١٨) الذي يتصل به بناء ممتد ومنخفض، ربما استخدم للمسكن، وخلال جولتنا في التنقيب لاحظنا أربعة أبراج (G16. G21. G22. G23) تعود أصلاً الى هذا الطراز. وهناك أبراج أخرى قد يكون لها صلة بها، لولا خرابها الحالي الذي لم يبرز معالها الأساسية قبل أي تنقيب: «البرج الواقع على قمة بركان مفعلة - أبراج المالكية في الشمال الشرقي لجبل حوران».

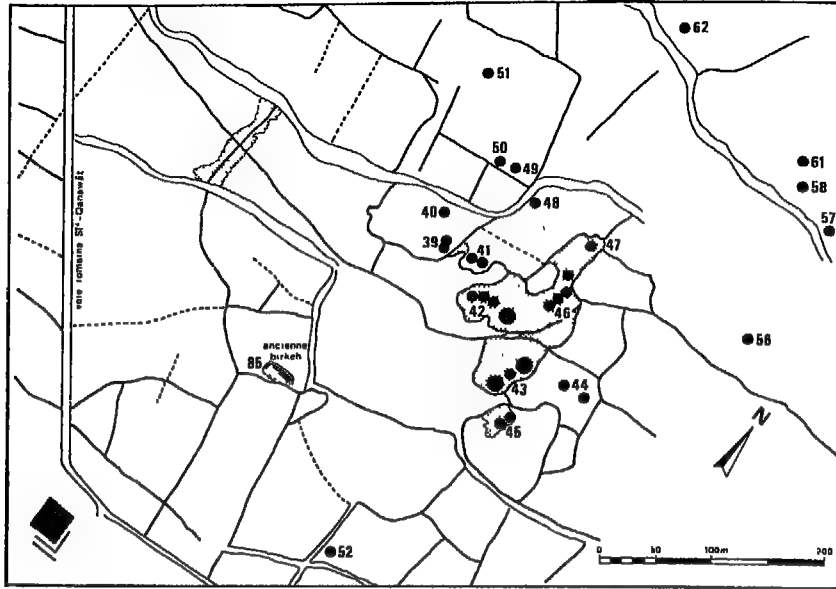


Fig. 8. — Tumuli, tombeaux et tours au nord de S7.
الشكل رقم ٨ - مدفن وقبور وإبراج في شمال «سبع»

٥ - ٦ - ٢ الأبراج ذات الجوانب العامودية

يبدو أن هذه الأبراج أو آثار الأبراج، لها مهام تختلف عما ذكر سابقاً، وكونها مستديرة فقد أمكن السكنى فيها (Structure 50. 51. 54. 78) وهي على العموم قائمة فوق الرجام، (قد يوجد من نوعها الكثير من الأبراج الأخرى، التي يصعب التعرف عليها بسبب جدرانها المهتمة، مكونة بمجموعها كومة من الأحجار. وربما قد تكون مرتبطة باستيطان زراعي تلا بناء الرجوم وهي متواجدة فوق كامل الأراضي المزروعة اليوم بالكرمة. كما يوجد منها أيضاً جنوب «سبع» وهي متصلة بالرجوم التي تغطي أرض غابات السنديان بقرب الطريق الروماني الواصل بين «السويداء وسبع» ومن السهل التمييز بين أساسات وهياكل تلك الأبنية ذات المظهر الجميل أحياناً وبين الحديث منها الذي يستخدمها الفلاحون كمرصد صغير يرتقونه بسهولة بواسطة درج حجري.

٥ - ٦ - ٣ المعاصر

تم التعرف على معصرة مع خوابٍ للمخزن المؤقت، وفقاً لخطة بغاية الدقة، ليس فقط على أرض التنقيب بل في أراضي الريف المجاور، (بنية التنقيب رقم ٩١ - الشكل رقم ٩) حيث عثر على نفس النوع من التصميم، الذي في صناعته خشونة أكثر، غير أنه واضح المعالم: بلاطه سليم بها فيه الحجر الأوسط الذي يتضمن جزءاً محفوراً. (لا نعرف الهدف منه) يتجه الميل العام في الأراضي المبلطة نحو فتحة جريان تقود إلى خزان حجري مستدير، الغرف الصغيرة موزعة على المحيط، والتي يمكن أن نتعرف في داخلها، وقبل التنقيب على بُنى وتراكيب مماثلة لتلك التي عثر عليها في الكشف على البناء الرئيسي. جميع تلك العناصر تشابه كثيراً المعصرة التي هي موضع شك في المطابقة والتحديد.

هناك أيضاً برج مجاور له علاقة وثيقة بالمعصرة، مبني من الحجارة المقصوبة^(١٥) بحجم صغير متوسط، وهو مزين وفقاً لتقنية بناء مشابهة للحجارة التي شوهدت في القرى الخراب، قد يكون هذا البرج مقراً لحارس أو برجاً للمراقبة، وهو يتزامن مع الأبراج الشبيهة له بطريقة الصنع، والمبعثرة على التل وخاصة البرج رقم ٢٩ والمجموعة رقم ٢٢، أما الهيكل رقم ٩٣ المهدم بصورة كاملة، يحتوي في وسط البلاطة الحجرية الطبيعية على ثقب مطابق للثقب الموجود في الهيكل رقم ٩١ يكاد أن يكون له بناء مماثل وللتعميم فإن الأشكال الطريفة في المخطط للهيكل رقم ٦٦ قد تكون جزءاً من مجموعات من نفس الطراز.

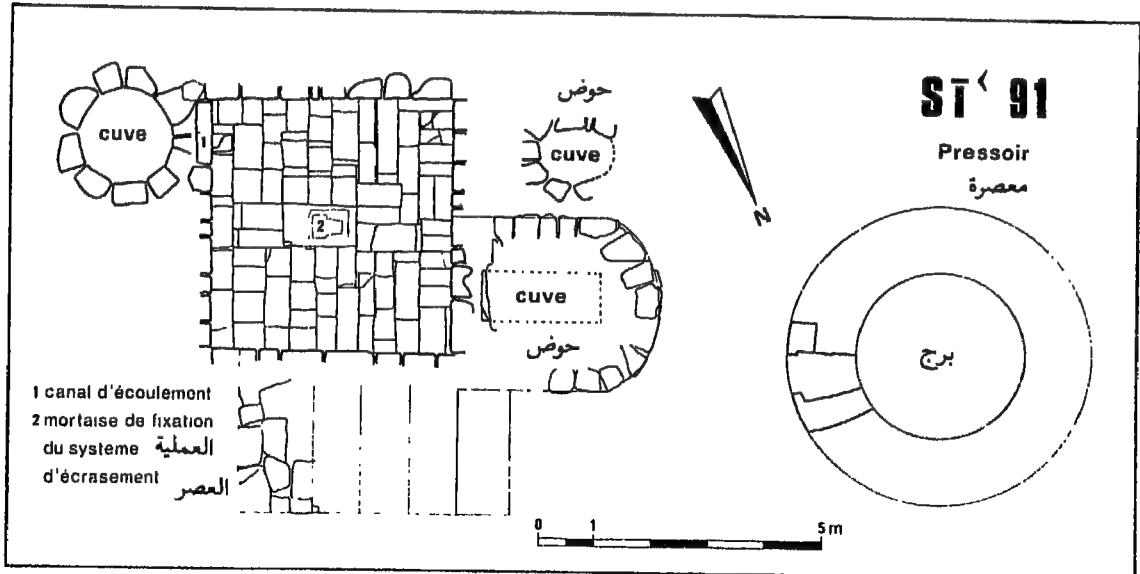


Fig. 9. — Pressoir n° 91 d'après un relevé de P. Larché, mis au net par P.M. Blanc.

الشكل رقم ٩ معصرة رقم ٩١ (حسب مخطط ف. لارشيه تم تبييضه من قبل ب. م. بلان)

أظهر التنقيب معصرتين (الهيكل رقم ٩١ و ٩٣) وربما (اثنتين أخريين) رقم (٢٢) - ٦٦) بالإضافة الى البناء المستكشف. كان وجود كروم العنب في الريف ثابتاً. لا جدال فيه في العصر القديم مثلما هو اليوم غير أنه يصعب تحديد تاريخ واضح لزمن بناء تلك المؤسسات.

عُثر جنوب شهباء (هيكل G1) على مجمل من المعاصر المماثلة، على محيطها المباشر تشاهد آثار لمعصرة حديثة يعود تاريخها التقريبي للقرن العشرين. . إذن يشير هذا الجوار الى استمرارية ما في تنظيم الأراضي الزراعية.

٥ - ٧ الآثار المعمارية

جميع الآثار المعمارية التي أمكن مشاهدتها على المنحدرات (وفي قعر الوديان أيضاً) كانت أبنية لعب فيها الحجر دوراً هاماً كاملاً. هو السقف وهو أداة الاغلاق، أما الخشب فقد كان معدوماً. وهذا ما يمكن ملاحظته في جميع الخرائب التي تمت زيارتها. وإذا ما جمعت صخور البازلت، بموجب تصانيف مختلفة. يتم الحصول للوهلة الأولى على السلسلة التالية:

- ١ - صخور كبيرة جداً خشنة الهيئة - مربعة الزوايا - مستديرة بصورة طبيعية في الواجهات وعلى الزوايا - يمكن أن تحمل على مجموع واجهاتها تقريباً - آثار طلاء أسود من التقشر. نتجت هذه الصخور على ما يبدو، من تفتت طبقات الصهارات البازلتية، أما الصخور التي تحمل الطلاء الأسود، فقد تعرضت الى جفاف مشترك مع الصخور التي خضعت لوطاة الشروط الحرارية والجفاف الشديد، (في نهاية الحقب الثالث وبداية الحقب الرابع) وقد بلغ حجم الصخرة الواحدة، أو تجاوز أبعادها (٣٠ × ٣٠ × ٣٠ سم).
- ٢ - صخور كبيرة ذات شكل متشابه، لا تحمل أية آثار للجنزار، يتراوح حجمها بين (٣٠ × ٣٠ × ٣٠ سم) و (٦٠ × ٦٠ × ٦٠ سم).

٣ - أحجار كبيرة من الفئة رقم (٢) تعرضت لتقشير خشن، خاصة على الجوانب التي لا ترى من الواجهة وهي على الحاجز، بشكل يسمح بالحصول على نوع من الهرم المجزوع.

٤ - أحجار متوسطة مقاييسها أدنى من السابقة، وهي على العموم، مربعة الشكل من كل الجوانب مع جدار مستقيم ومتوازي السطوح تقريباً بقياس (٥٠ × ٣٠ × ٣٠ سم)، على أعلى درجة، وغالباً بقياس (٣٠ × ٢٠ × ٢٠).

٥ - أحجار متوسطة من أطوال مختلفة (من ٥٠ الى ١٢٠ سم) ذات مقاطع مربعة تقريباً يتراوح طولها بين (٣٠ × ٥٠ م)، تستعمل كجسور للسقف وتقسيبها خشن.

٦ - أحجار متوسطة، مقصوبة باعتناء، لها زوايا حادة - واجهات منبسطة وأضلاع ظاهرة تعطي مظهراً جميلاً.

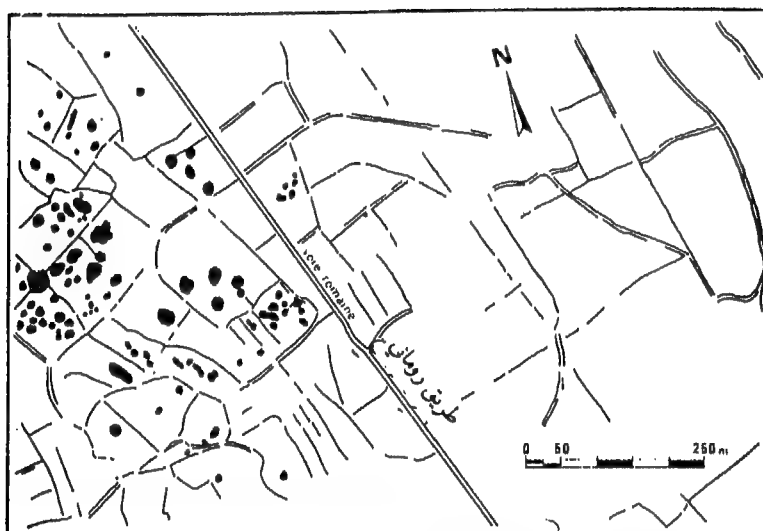
٧ - أحجار مختلفة تم تقصيصها خصيصاً لبناء أولمكان محدد، طنف، أو مفتاح عقد للقبّة اسطوانة عمود - ساكف - عتبة - ركيزة باب.

والجدير بالذكر أنه اثناء التنقيب، لم نتمكن من اكتشاف أي حجر يحمل نقشاً معيناً، ويظهر أن الاحجار المنقوشة أو التي تظهر عليها كتابة اذا وجدت، بقيت مدفونة تحت الردم، أو أنها نقلت من مكانها. من جهة أخرى، وحسب القاعدة العمودية، يوجد تماسك على درجة كافية بين المواد من أحجار غير مقصوبة استخدمت بشكل جماعي، وأحجار من نوعها قصبت بدرجة أولية، غير أنه لا بد من التنويه الى وجود الأعمدة والتيجان الكبيرة في المدفن الحجري من الفئة رقم (٢) والذي هو خليط من طراز معين من الأحجار المنتقاة بموجب الفئة رقم (٢)، ومن الأحجار المنحوتة التي يتطلبه، في بادئ الأمر الاسناد لبعض الأحجار القديمة منها - ويجب أن نذكر أيضاً بأن الأبنية التي بنيت جدرانها الخارجية من الأحجار رقم (١) ورقم (٢) يمكنها حمل حواجز داخلية أو بلاطات (ميازين) طويلة جيدة القصب وحسنة المظهر، مسقوفة بجسورة حجرية من الفئة رقم (٥). وبسبب الخراب الواقع لم يمكن الجزم فيما اذا كانت السقوف معاصرة ومتزامنة للجدران الصغيرة (قد يكون أعيد وضعها في زمن متأخر). يظهر المقطع العرضي لوادي الصايغ، شرق موقع «سيع» أن السفح بكامله قد برز باستخدام مساند بعض المواد المصهورة الظاهرة لارساء جدران التنقيب أو رفع الحجارة. أما أعلى السفح، فالعمل فيه متقن وتقسيماته بأكوام صغيرة من الحجارة كثيرة ومتعددة وكان كثافة العمل الذي انجز تتوافق وتوافر المنشآت السكنية الصغيرة التي يمكن مشاهدة البعض منها فوق طرق الهضبة البعيدة، فالمحاجر كثيرة، ومن الضروري استخلاص النتائج بمجال البحث المعماري، للذهاب بعيداً في مجال المراقبة.

٦ - محاولات إعادة تعمير جانب من حيز المنطقة خلال الأزمنة القديمة

فيما يخص استمرار زراعة الريف على السفوح والمرتفعات، يفترض هنا أيضاً بأن التبدلات تحدت منذ بدء الحياة العمرانية الأولى في المنطقة. واذاً، وعلى سبيل المجازفة، أعيد استيطان تلك المساحات وبقيت اليوم، أهلة، فقد تم ذلك باستخدام النمط القديم مع بعض التنظيمات في التفاصيل.

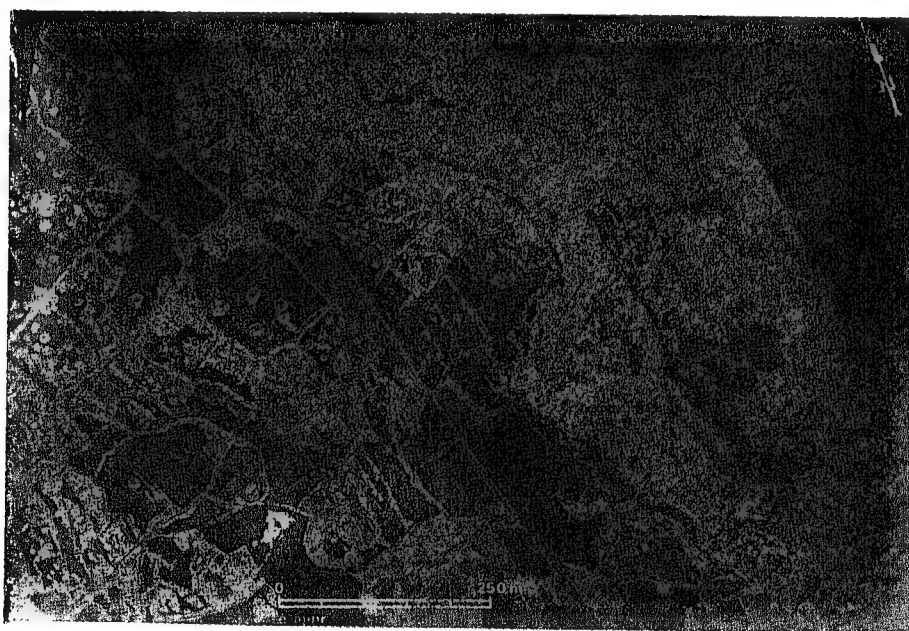
تبين اللوحة (عشرة) وضع الريف الزراعي بتاريخ (أيلول ١٩٣٠) بفعل طلعة جوية فوتوغرافية فقدت في ذلك التاريخ، وقدمت في حينها، الوسيلة التي مكنت الآن مقارنة الريف حالياً مع مظهره عام (١٩٣٠) كما أمكن تحديد ما تبقى من الريف القديم الأثاري



جدران murals



مخارج priories



عمارات شرق السويداء صورة فوتوغرافية جوية من قبل الطيران الفرنسي للشرق
رقم ٨١٧ تاريخ ١٩٣٠/٩/٢

بكل دقة ، وقد تحقق ذلك بفضل الكليشيات والزيارات للأراضي ، فهي توضح مدى اتساع المناطق الحجرية التي تشاهد على الصورة باللون الرمادي الفاتح . أما الجدران (بائعة الظل) والطرق القديمة (المؤشر بخط رمادي مزدوج) . والحقول المرفوعة احجارها (باللون القاتم) والقرى الخراب (التي هي عبارة عن أكوام باللون الرمادي الوسط والمؤشرة بدلالات صغيرة هندسية) وأحياناً المدافن حينما تكون كبيرة الحجم وواضحة بشكل مستدير مع ظل قائم أو رمادي وسط ، ولكن كان من الواجب في جميع الأحوال الذهاب الى الموقع للتحقق من طبيعة هذه الآثار.

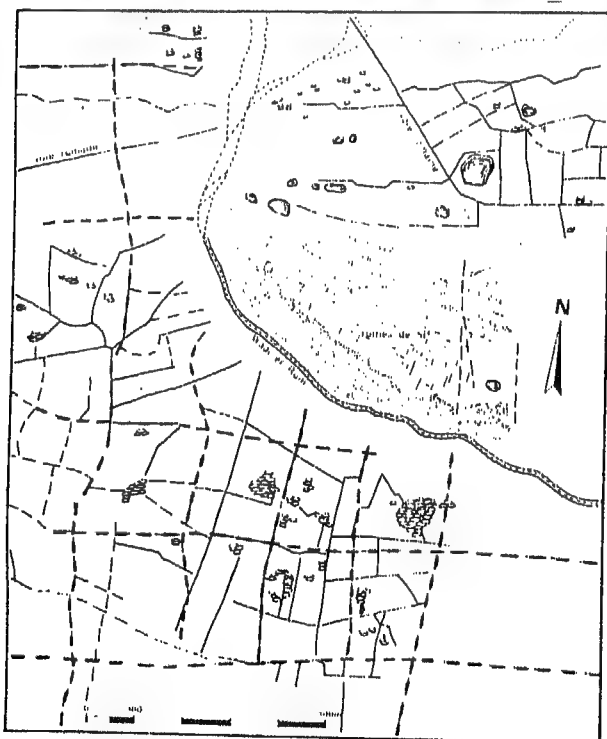
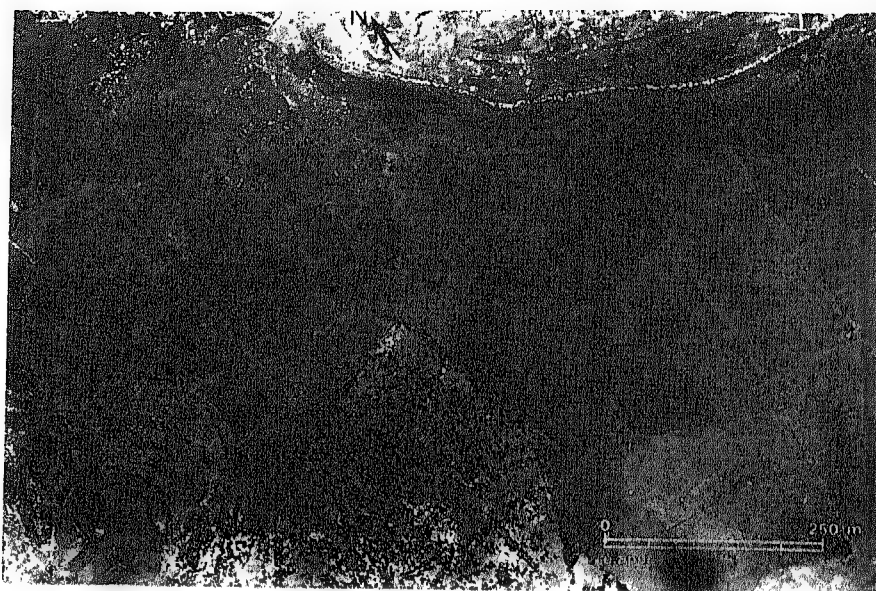
في القطاع المنخفض من سيع (الشكل رقم ٥ - ٨) نعرض بالنسبة لريفها الخصائص

التالية :

- تنظيم بناء من الأحجار، مربعة الزوايا بدون تقصيص هندسي واضح ، ظهور توجيه مفصل يرتبط بالمنحدر العام للوديان ، وهو يرافق تقريباً مع الأربع اتجاهات .
- نظام سير حول طريق رئيسي .

في جنوب «سيع» يلاحظ أن التنظيم أقل تعقيداً (اللوحة ١١) ويقترب بالاكتر الى ما يدعى بصورة عامة ، زيادة قيمة المنحدرات . ان السفح المقابل لتلة «سيع» والذي يتمتع بمنحدر جيد ، هو بصورة خاصة حسن النتيجة . فهو مخطط بنظام حقل مربع الزوايا - وذو طابع هندسي يفوق القسم الشمالي من هذا السفح . من جهة أخرى فالجهة الجنوبية الغربية للسفح مكسوة حالياً بغابة من شجرة البلوط الكرّمس . مثل السفح الجنوبي للهضبة التي تمتد حتى السويداء . ومع ذلك مرّ عصر كان خلاله حيز هذه السفوح مزروعاً . لناخذ فيما يلي :
بهاتين الملاحظتين بحيث نحاول استخلاص بعض الفرضيات المتعلقة بالاستيطان القديم لهذه الأراضي .

في الجنوب من موقع «سيع» حيث توجد خرائب قرية صغيرة (خربة العنز) فإن تقسيم المنحدر الى حقول منظمة تقريباً لا يزال قائماً . ويشار الى ذلك بوجود محور رئيسي قديم ، وهو طريق كان يصل موقع «سيع» بالسويداء . فالجدران القديمة لا تزال باقية بأعداد كبيرة . والحقول مُسيّجة من الأربع جهات . فاتحة المجال لدرب صغير بين كل اثنين منها ، وهو حالياً مُكتسب بحراج من شجيرات السنديان . أو استعمل كفاصل حجري من قبل الذين غادروا لاستثمار الأرض مؤخرأ . لا يوجد أي أثر لعمران جنتازي أو غيره ، قام في هذه الجزء من الأرض ، التي تم التنقيب فيها رغم التواجد على مقربة من «سيع» (أقل من ٥٠٠م) كان ذلك البحث في الوادي الذي يقود نحو الشرق الى منتصف التلة التي تحمل خرائب «سيع» والتي من خلالها أمكن العثور على آثار مشابهة لآثار المدافن الكائنة في الأراضي الزراعية في الشمال . ان تنمية هذا القطاع منتظمة ، ومع طول سفوح الوادي ، وشوهد نفس نمط التنمية الموجود في وديان الشمال .



مستخرج صورة غابة
كرمس، على أقسومة
أرض جنوب تل سيع
صورة جوية للطيران
الفرنسي للشرق رقم
٧٧٥ تاريخ
١٩٣٠/٩/٢ (صورة
U.R.A. رقم ٢٠).

- | | | | |
|--|------------|--|-------------|
| | وادي | | جدران قديمة |
| | خرائب بناء | | جدران قديمة |
| | حاجر | | جدران قديمة |
| | بركة | | جدران قديمة |

لوحة ١٢ آثار ري منظم
للحقول جنوب غرب
مجمع أبنية «سيع» .



سطح وحقول قديمة على المرتفعات البازلتية شمال (مدك) طريق ترايبى ضيق والسويداء - صالح، حسب
الصور الفوتوغرافية الجوية للقوات الفرنسية في الشرق رقم ٩٨٦ تاريخ ١٩٢٩/٨/٢١

أما خرائب القرية الأخرى الصغرى - التي لا تتعدى الخمسين غرفة (خربة المسكار) الباقية فوق أنف المرتفع الممتد باتجاه شرق تلة «سيع»، على بعد ١٢٠٠ م من مدخلها الشرقي.

في ذلك الحيز المتنامي، يوجد زاوية من غابة تتدخل جنوب خطم مرتفع سيع (اللوحة ١١) أما غابة أشجار الكرمنس دالاً كاسياً فتمتد نحو التلّين الصغيرتين المنعزلتين لتتابع باتجاه الغرب، خطم موقع سيع ثم تفصلان فيما بعد عند «سريروادي الريم» الذي يأخذ فيما بعد اسم «وادي قنوات». ان الشكل المثالي لهذه الزاوية، يُقوِّص باتجاه موقع «سيع» حتى يلامس في اثره الطرق والجدران القديمة وحتى يطل على الأرض الزراعية. بعد ذلك ويتجه الجنوب كان الفراغ والحيز الذي هو اليوم مكتظاً بالأشجار، مليئاً بالبناء بنفس الطراز، الذي كان مبنياً في حيز الأراضي الزراعية الحالية. كما أن هناك آثار للطرق وللرّجّام العديدة وللحقول القديمة، حيث لا تزال مرئية، وهذا يدلنا على أنه كان هناك استيطان أكثر كثافة خلال عصر تاريخي يحبب الاهتمام بإيضاحه ولا شك بنظرنا أن هذا الاتساع للقطاع الزراعي كان ممتداً حتى السويداء. أما اليوم فكل تلك الأراضي تغطت بالغابة (اللوحة ١٢).

ان جميع السفوح والمضبات المشكلة من الإندفاعات الحممية مغطاة تقريباً بالجدران وعلى المضبات بنيت العمارات المميزة. أما المنطقة التي أجرى فيها البحث والتنقيب فلا تشمل سوى مساحة صغيرة من المضبات فجميع المنحدرات المشاهدة هي معزولة، بواسطة جدران حسنة التنظيم والمظهر العام. ولكنها مفصولة عن بعضها بموجب صدر الملكية وحسب التواء خط منحدر السفح. أما مناطق المضبات فهي بكلّيتها محاطة بجدران صخرية تحصر غالباً حقولاً زراعية تتواجد في وسطها رجة كبيرة. وتظهر الخرائب هنا وهناك في تجمعات من البيوت المسقوفة بالربض المهدم أو من الأبراج نصف المدمرة، هذا النمط من تنظيم عمران الريف، يمتد الى أبعد من المنطقة التي جرى فيها التنقيب وحتى الجزء الأكبر من الجبل. وهو ليس بعيد الشبه عن نمط الآثار التي أمكن مشاهدتها على المضبات الكلسية الكائنة حول عمان في الأردن، وبلا شك فإننا نجد في مكان آخر ما يشبهها والمسألة التي أثارها أقسام سيع - قنوات العليا، تتجاوز بكثير نطاق تنقيبنا هذا (اللوحة ١٢).

وعلى ما يبدو يمكن وبدون تردد، عزو رفع الأحجار من الحقول. وعمارة الحقول في الأراضي المرتفعة الى انماط الزراعة القديمة، حول القرى والاثارات الموجودة في الجبل مثل (الطيبة - البجعة - المشنف) كما أن الاصلاح لمناطق الحقول الواسعة ذات الأثرية العميقة نسبياً. والممزوجة بالرماد البركاني المفروش على مقربة من الفوهات القديمة ترتبط بالاقسام الكثيرة الصخور بالرجام المهمة. ان عملية رفع الاحجار تعطي البرهان على ضرورة تحسين أو تنمية جميع الأراضي القابلة للاصلاح خلال زمن محدد.

ما هي الزراعة التي يمكن استثمارها في هذه المناطق؟ فإذا عدنا الى ما نشاهده اليوم، نجد أن أفضل تطبيق هو زراعة الحبوب (يلاحظ من قليل من السنين. التركيز حديثاً على زراعة الأشجار المثمرة التي ارتبطت بمرحلة تطور حديث). وعلى فرض ان جبل حوران مضطرت لتأمين الغذاء الكلي لجميع سكانه، وتأمين الرعي الصيفي الذي لا بد منه لجميع مواشيه. تكون الحبوب قد ناسبت جداً مثل هذا النظام الاستثنائي خلال الأزمنة القديمة، لأنه بعد حصاد حزيران يصبح حصيد الأرض صالحاً للرعي.

وهكذا استمر التكامل بين مختلف مساحات أراضي حوران وأراضي الجبل والحبوب في السهول وعلى القمم من الكرمة، من الأشجار المثمرة وأشجار الزيتون على المنحدرات الغربية والجنوبية وأخيراً تربية حيوانية في منتجات بادية «الحرة» المستصلحة.

الخلاصة

ليس من الصعب تجاوز مرحلة الفرضيات ، فيما يتعلق بتاريخ الاستيطان في أراضي جبل حوران ، فإن الأسلوب الكلاسيكي للعصور القديمة ، يبدو مشابها لما نعرفه اليوم . وإن النصوص التاريخية تعيدنا الى نباتات ، والى انماط حياة معروفة وقتنا الحاضر ، ومن المحتمل ان منطقة جبل حوران كانت معمورة بما يسبق العصور القديمة الكلاسيكية بكثير ، وفق زمن طويل . وقد دَوّن الرحالة في القرن (١٩) ، وعلماء الآثار في أوائل القرن العشرين ، بأن التقنية المعمارية خلال (العصر النبطي) كشفت عن ندرة^(٣٠) ، وخاصة في كل ما يتعلق بالسقوف وأسكفة الأبواب والشبابيك . وهذا الاستنتاج يفرض صحة وجود توطن كثيف للأرض من قبل مزارعين حضريين منذ القرن الرابع قبل الميلاد على الأقل .

منذ قرن عزى (Wetxsten) ومن بعده (Rindfleisch) فضل التنمية لأقليم حوران بمجمله (من جبال وسهول - هضاب - بادية شرقية) الى القبائل الصابئة القادمون من الجنوب العربي . والذين أحضروا معهم مجموعة التقنيات التي لديهم . وهكذا أصبحت في نظرهم مساحات جبل حوران التي كانت أقليم مرور للقطعان ومنطقة رعي صيفي واسعة ، موقعاً زراعياً شاملاً . زمن هجرات الصابئة المفترضة مانزال نشاهد آثاره اليوم ، ولا ثبات هذا الزعم استند (Rindfleisch) الى ثلاث خطوط رئيسية حسب رأيه كانت هي الخصائص للثقافة المادية للجنوب العربي :

١ - طريقة جر المياه (شبكات المياه - أقنية جرت تحت السطح من نموذج القناة (Kanat) خزانات مياه مبنية ومقصوبة ، ضمن الصخر .

٢ - تقنية عمران الحقول في المصطبات على كافة المنحدرات بعد رفع الحجارة.

٣ - تقنية عمارة البيوت مع الاستفادة من خصائص السقوف الحجرية المسطحة، ومن الاستخدام الثابت لأحجار مقصوبة حسب الطول ورفيعة جداً.

هناك في الحقيقة الكثير من التشابه بين التقنيات السائدة في العربية في الجنوب وفي حوران ولكن حري بنا أن ندقق حول هذا التشابه عن كثب، (مثال على ذلك) بالنسبة لجر المياه. فإذا كانت تقنية بناء الخزانات الصعبة المحفورة ضمن الصخر، هي ذات طابع قديم جداً في الجنوب العربي. يمكن التفكير اليوم، بأن هندسة الأبنية المحفورة تحت سطح الأرض مصدرها بلاد الرافدين. إذن كل مبدأ أو نظام يسود في بادية الأمر، في مكانه الأصلي قبل أن يعمل به خارجاً. إذن بأي زمن حدثت مثل تلك الهجرات؟ وما هي أسبابها؟ على كل حال لم يسبق ذلك، عصر تفتح الحضارة الصابئة، وفي هذه الحالة أيضاً، لماذا التسليم بأن حوران ومن ضمنه الجبل، لم يكن مأهولاً بالسكان الأصليين الحضريين المنحدرين من الجماعات الأولى النيوليتيكية التي أخرجهم عنها التي تعود إلى السكان الآراميين الحضريين الذين تواجدوا قبل غزوة الصابئة.

وإذا سلمت جداً، بأنه الخمسة آلاف سنة قبل الميلاد كانت حركة هجرة التقنيات قد انتقلت من الجنوب إلى الشمال، (وليس من الشمال إلى الجنوب وهو أمر محتمل^(٨٠)) لماذا إذن ظهور اقتراح الثقافات المادية بين بعضها البعض، عوضاً عن تبني المداخلات والتحويلات الثابتة المتبادلة.

إن الاختصاصات المحلية التي حققت أنشط الاستيطان في محيط الجبل خلال الألف الرابع (Beaullieu ١٩٤٤ - ١٩٤٥) لا يمكنها أن تكون عماد الإصلاحات الكبيرة التي تمت؟ لأن سورية الجنوبية لم تكن صحراء البتة في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد (Dussand ١٩٢٧).

حسب معرفتنا الحالية فإن موضوع «المنبت» لا يمكن إلا عرضه، ولا يبدو من المفيد أبداً للوهلة الأولى، استخدام هجرات استيطانية، وعلى كل حال، يبقى من الثابت بأن الآثار الحضارية الزراعية التي يمكن ملاحظتها، هي حديثة من وجهة نظر أهميتها، وهذا يعني بأنها لا تتعدى أبداً زمن الألف الأول قبل الميلاد، وهي بالنتيجة آثاراً لاستيطان مُفترض قدمته لنا طبيعة البلاد الريفية الحالية ولا تعدو دراستها، إلا لكونها خاضعة لأعمال المؤرخين العديدين في المنطقة.

الجدول رقم (١) تصنيف الأراضي الريفية

شكل التضاريس	حالة سطح الأرض	آثار نهاء الحقول	نباتات أوزراعة	مياه سهلة البلوغ والوسائل المستخدمة
ضروطي	صخور في المكان بأشكال مختلفة كويبات بركانية خبيث بركاني، ناعمة قابلة للتفتت أو التمدل	رفع الأحجار	كرمة أو أشجار مشمرة	مطر، حفر اصطناعية في المنخفض
هضبة من طمي ينحدر معدوم أو ٥٠٪	أحجار عديدة، صخري المكان على ٥٠٪ من السطح	رفع الأحجار وتكديسها بأكوام مستديرة للحبوب مهم جداً (٥٠٪ من المساحة - حد أدنى)	حبوب	مطر - بركة
منخفض عريض في الهضبة	أرض ذات كثافة، بروز الصخور	رفع الأحجار وبنائها جدراناً (٨٠٪، المساحة (أرض حرة)	حبوب	ينابيع - مطر
منحدرات قاسية في الوديان المنخرطة في الهضبة	بلاطات صخرية على ٥٠٪ من المساحة صخور	سطوح مبنية	حبوب أو كرم، قليلاً من الأشجار الزراعية	ينابيع أحياناً، مطر على الغالب.
قعر الوادي	وادي متداخل أرض كثيفة من ٥٠٪ إلى ١ متر	رفع أحجار وبنائها جدراناً مشرفة	حبوب، كرم، زراعة متنوعة	وادي، حوض، قناة جر، بئر، خزانات
سهول	أرض كثيفة + س ١ م	رفع أحجار نسبياً، قليلة الأهمية جدران صغيرة	حبوب، زراعة الحقول	حوض، قناة جر، آبار، خزانات
اندفاعية حممية في واد	صخري المكان، قليل من التراب	رفع أحجار وتوزيعها بشكل أكوام أو جدران صغيرة	كروم عنب	مطر

هوامش

١ - صور هذا الموضوع تحققت حسب المبادئ التي ذكرها السيد ب . جانتيل من قبل السيد ب . م . بلان .

هوامش المترجم

* ١ - وقد انتقلت الزعامة في جبل العرب الى عائلة الاطراش التي لا تزال تمارسها حتى الآن، وكان من أبرز اعضائها المغفور له سلطان باشا الاطراش، قائد الثورة السورية، واحد الاعلام البارزين في تاريخ سورية الحديثة

* ٢ - اما الحصص والحجارة الصغيرة فتوجد على شكل أكواخ مبعثرة لصعوبة بنائها منظمه .

* ٣ - تُستخدم هذه الطرق الترابية للوصول الى الحقول والمزارع أو القرى القريبة، ويطلق عليها السكان الأسماء التالية حسب أهميتها: درب أو دروب وشريك أو مسلك .

* ٤ - ان موضوع الري وجو المياه في محافظتي درعا والسويداء لا يزال من بين المواضيع التي تفتش عن الاختصاصيين الذين يستطيعون وضع الدراسات الدقيقة عنها، علماً بأنه ما من مجرى موسمي أو نبع ساكن أو ساقية أو نهر في هذه المنطقة إلا ونلاحظ بالعين المجردة بقايا السدود والأقنية حولها أو فوقها، مما يدل على وجود شبكة ري واسعة قديمة تعود للعصر الاغريقي والروماني، علماً بأن معظم المصادر التاريخية، ومن بينها بعض البحوث المنشورة في هذا الكتاب تؤكد إتقان الأنباط للهندسة المائية وبراعتهم باستثمار المصادر المائية على أحسن الوجوه

* ٥ - لا تزال العديد من الخبرات منتشرة في البادية السورية والأردنية ويستفيد منها الرعاة معظم أيام السنة لسقاية مواشيهم

* ٦ - يستخدم السكان في محافظتي درعا والسويداء اصطلاح الحجر المقصوب للدلالة على الاحجار المصقولة والمشدبة الجوانب، كما يستعملون كلمة «الحجر الغشيم» للدلالة على الاحجار الطبيعية أو «الدبش»

* ٧ - أننا نفضل استخدام كلمة «ندرة» بدلاً من كلمة (انعدام) الخشب، لأن ما بقي من غابات في جبل العرب، وفي اللجاء، حتى الآن يؤكد وجود أشجار البطم والسنديان بكثرة، وقد استخدمت ولا تزال لصنع أدوات متنوعة للزراعة والخدمات المنزلية الأخرى

* ٨ - وليس من وراء جبال زغروس، التي انتقلت اليها الحضارة من بلاد الهلال الخصيب في طول الخمسة آلاف سنة السابقة للألف الأخيرة ق . م

الاقتصاد الريفي والحياة الريفية في حوران القديمة «من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن السابع بعد الميلاد»

المقدمة

باتانيا (حوران والسويداء)، تراكونيتش (اللجاء)، أورانيتس (حوران اللفظ الاغريقي) بقيت بالدرجة الأولى اقليماً ريفياً حتى نهاية الامبراطورية الرومانية، أما بعض المحاضرات كانت بأغليبتها، قرى من الدرجة العليا^(١)، فالمؤرخ (A.H.M. Jones). الذي تأكد من ضعف ندرة المدن الكبيرة في حوران القديمة لاحظ الخصائص الحضارية والأساسية لهذه المنطقة، كما لاحظ الدور الأساسي للقرية في اقتصادها.

في الصفحات اللاحقة، سيلمس تطور هذا الاستنتاج السهل الذي يهز عيون الذين زاروا سورية الجنوبية ملاحظين آثار الإعمار القديم بصورة عفوية. ويلاحظ الآن مثلما كان في السابق. ان علماء الآثار من العقد السابق، ما عدا حملات التنقيب التي تمت بإدارة (H.C. Butler)^(٢) «وضعوا المحراث قبل الفدان» ولاستعادة العبارة التي قالها السيد (M. Le Glay)^(٣) بصدد البحوث في افريقيا الرومانية - فمن الأسهل والأسرع دراسة الأبنية الضخمة،

وجميع النقوش الموجودة فعلاً، عوضاً عن التساؤلات التاريخية حول القواعد الاجتماعية والاقتصادية للمدينة التي تمثلها، لأنها إحدى المنطقتين الأثريتين العظيمتين في سورية القديمة^(١). نظراً لكثافة أوابدها وأبنيتها الأثرية التي لم تحظى حتى الآن بدراسة محورية جوية، بمقدار ما حظيت منطقة سورية الشمالية بالعلماء والبعثات التنقيبية الذين تعاقبوا عليها لدراسة اقتصادها الريفي.

لذا لابد من تبني منهاج للبحوث يتناول حوران القديمة، متوخياً القيام بها منذ البدء، مع ضرورة استخدام الهندسة الأثرية كوسيلة للاحاطة بأسباب تطور وتختلف هذه المنطقة. وبذلك يمكن العثور على مجمل التصورات الهادفة لتوضيح جميع المسائل وعلى تحديد القواعد المدنية الريفية فيها - مع اقتراحنا بعرض المهمة في هذا البحث.

أما عرضنا للعمل الذي هو ثمرة ومحص في الكتب والوثائق العديدة الموجودة في العديد من الأراضي على الطبيعة، فهو كما يلي: عُرفت حوران خلال الفترة الواقعة بين القرن الأول للميلاد وبين العهد الأسوي، تطوراً استند بصورة رئيسية، على شبكة القرى المستقلة نسبياً، وكانت تتمتع بحياة اجتماعية لها طابعها الخاص. فالخاضرات التي هي قليلة العدد ويتطور مقبول، كانت تلعب الدور الإداري - العسكري - التجاري، كما هو الحال في جميع المدن القديمة لحوض البحر الأبيض المتوسط، ولكن المظهر الرئيسي للحياة الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة لم تكن مدنية بل قروية.

من المناسب عدم إهمال دور العرب الرحل المتواجدين دون انقطاع على الاطار الصحراوي لحوران، وكانوا على ما يبدو، أكثر تواجداً في الجولان، وفي أول وآخر عصرنا الحالي، كانوا يتناس مع الحضريين بسبب الدور الذي كانوا يقومون به في تجارة القوافل، تربية المواشي، الدفاع عن الحدود مع بعض محاولات التحضر في القرى أيضاً. من جهة أخرى يكون من الخطأ إعطاء الحضريين والرحل أهمية متساوية في تلك الحقبة المميزة، سيشاهد الفرق في التوسع المذهل للعمران الحضري والنتيجة الزراعية حتى شملت قليلاً بعد قليل جميع الأراضي الحورانية.

ونحن لانعير أهمية جازمة للحدود المرسومة لهذا البحث الى وقت ما. لأن المستندات الكتابية من نصوص وآثار بدأت بتكوين بعض الوقائع، اعتباراً من منتصف القرن الأول لعصرنا هذا، أما سبق ذلك، لقد كان مظلماً قائماً، ولكن عاجلاً أم آجلاً يجب أن نستتير^(٢).

مادام هناك ضرورة لمعرفة أساس الاستيطان الحضري والزراعي الذين لم ينفصلا قط عن (المدينة السابقة exnchilo) أما في نهاية الحقبة، فإن الفتح الاسلامي خلال القرن السابع لم يغير بالحقيقة النمط الحياتي في قرى حوران ولم يلحق خراباً يذكر في المنطقة، ورغم ظهور

بعض التخلف خلال القرن السابع ، حسب المعلومات المستقاة حالياً ، غير أن دراسته بقيت مقودة من قبل مؤرخين ومهندسين مختصين بالآثار الاسلامية .
لقد تم تركيز الحدود الجغرافية لهذا البحث بشكل جيد وقد شملت المنطقة البركانية الواسعة لحوارن التي كانت تشكل وحدة صخرية (أراضي مكونة من البازلت) ووحدة مناخية (في داخل خط المطر ٢٠٠مم)^(١) مختلفة . ووحدة مدنية حضارية لفتت الانظار للوهلة الأولى بهندستها الريفية .

يحدها من الشمال : الغوطة الدمشقية ومن الشرق السهوب الصحراوية (الصفاء والحجاد) حيث الزراعة غير المروية متعذرة - وفي الجنوب : بادية شرقي الأردن وعجلون والتي لا تعتبر في المنطقة البازلتية - في الغرب : القسم الغربي من الجولان الذي يعتبر متمتعاً بمنطقة اسكان يتعدد فيها العناصر (وليس لنا فيها أي نشاط) أما جبل الشيخ (حرمون) يبقى منطقة متلاحمة تصل مساحته الى ٩٥٠٠ كم^٢ .

الوثائق والمستندات

تتطلب محاولة التحقق والجمع الواسعة ، اللجوء الى توثيق أكثر سعة وتنوعاً . ان الرحالة والبعثات في القرن الماضي وبالتحديد خلال العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن قدموا لنا مواداً غنية بالنقوش وخاصة السيد Waddington^(٢) ، littman وباهندسة المعمارية (Butler)^(٣) كانت الجغرافية التاريخية مدار بحث لبعض المواد التي ترجع الى ما قبل ثمانين سنة من الآن^(٤) ، فيما عدا بعض الملاحظات المبعثرة الصادرة عن أعمال بعثة بتلر . إن العودة الى الأعمال الأثرية في حوارن خلال سني (١٩٧٠) قدمت مجموعة وثائق لنقوش يونانية ولايتينية عن بصرى من قبل السيد (Sartre)^(٥) وسلسلة من الدراسات والتقارير التمهيدية^(٦) .

إن الدراسات والبحوث عن الحياة الريفية في حوارن القديمة (الأثرية) يمكن أن تستند الى المنشورات الموجودة بشكل مرضٍ بالنسبة للنقوش اليونانية واللاتينية ، والسامية (خاصة النبطية) أما بالنسبة للنصوص الكتابية الأثرية ، أو العائدة للعصر الوسيط ، فالهندسة المعمارية الريفية هي قليلة التوثيق . ولا شيء يذكر عن بقية المجالات ان الدراسات الحالية تستند الى مجمل مادتين جديدتين . يتعلق الأمر هنا بتغطية المنطقة بالصور الجوية الفوتوغرافية العامودية ، على مقياس يتراوح بين ٣٠٠٠/١ الى ٢٥٠٠٠/١ ، وهذا يتوافق مع خرائط دمشق - السويداء مقياس ٢٠٠ ٠٠٠/١ للشرق ، تلك التغطية التي أنجزها الطيران العسكري الفرنسي خلال أعوام ١٩٢٥ - ١٩٣٥ فهي كاملة وبمستوى مقبول بالنسبة لجبل حوارن «حالياً جبل العرب» الذي هو منطقة سكن الدروز . وهي بالمقابل تعتبر ناقصة فعلاً ، بالنسبة لبقية أجزاء حوارن ، سيما الهضبة الحورانية الخصبة (النقرة - الجيدور)

ويعتبر هذا الغطاء مع ذلك أداة تقارب، يتعذر استبداله فيما يخص السكن الريفي والاستثمار القديم من تمركز المواقع المأهولة بالسكان - التوسع الزراعي - تنظيم مقاسم الأرض - وقد أتاح الفحص المتعمق للدراسة الأرض تقديم فرضيات تعتبر نقاطها الأساسية الدقيقة هي بكل وضوح علم الأحداث التاريخي لمختلف الأوضاع في حيز من الأرض.

من جهة أخرى فإن معظم التنقيبات وحملات البحث، عن الكشوفات خلال الأعوام ١٩٧٧ - ١٩٨٥، ومن عام ١٩٧٧ حتى عام ١٩٨٠ بالنسبة للوثائق الواردة هنا في هذا الباب، اتاحت لنا جمع مستندات ووثائق جديدة، معطيات طبوغرافية أو غيرها تخص القرى الأثرية، بيانات معمارية وخاصة بيوتاً ريفية، التقاط الأجزاء الخزفية من على وجه الأرض، وعرضاً بعض العملات، وأشياء أخرى^(١٣).

إن مجمل تلك المستندات الجديدة، فيما عدا الخزفية منها، التي هي قيد الدراسة، ستكون متواجدة هنا والتحرري التركيبي أو التآلفي وحده، يسعى لتقليص وتضييق الهوة بين البحث الأثري وبين أعمال المؤرخين وبالنسبة لهؤلاء الآخرين سيكون موضوع السؤال، خاصة عن التاريخ الروماني والبيزنطي الأولي. أما مواضيع الأمكنة الكبرى والمستوطنات من جهة، والقرى الريفية من جهة أخرى. فهي تشمل عدداً من المواضيع والمسائل، سيعود الاهتمام بها من وقت لآخر^(١٤) وبالنسبة للشرق، بالفرضية التي يمكن التسليم بها، هي الخاصة بالسيد Lemerle^(١٥) التي تناولت فلاحي الامبراطورية العليا، وصغار المالكين الأحرار، إن أحداث القرن الثالث والعهد الاصلاحى «لديوكليسين» قادت الى التخلص من الملكيات الكبرى. والمستوطنات، للبقاء على فلاحين متعلقين مستقبلاً بالأرض، في سبيل تموين الامبراطورية بالمواد التموينية، على حساب المجتمع الريفي. هكذا انعكس الوضع بعد أحداث القرن السادس والسابع والفتح العربي. ضمن ما تبقى من الامبراطورية البيزنطية.

يبقى عالم الآثار في بادئ الأمر متردداً تجاه هذه المحاولات الكبيرة، فالدراسات الواقعية بالنسبة للمنطقة السورية، هي بمفهومها الواسع نادرة، ولقد بقي J. Bradford صامتاً بالنسبة للشرق، في عرضه موضوع الريف الزراعي الروماني^(١٦). أما بالنسبة لفلسطين، فقد حاول D. Sperber منذ القرن الأول الى أوائل القرن الرابع، تبيان طريقة الانتقال الى تنمية مكثفة ومنتجة للأرض بواسطة استثمارات صغيرة مستقلة عن أي نظام واسع ضعيف الانتاجية يستند على ملكية كبيرة، منتشرة في بلاد ينعدم فيها السكان^(١٧). ولكن تلك النتائج تركز على بعض النصوص التلمودية (المفسرة) تفسيرات شيقة. وفي الكتلة الكلسية لسورية الشمالية، عرض السيد G. Tchalenko، دون دراسة أراضي القرى، ودون استعمال الحزف لمعرفة تسلسله التاريخي. مخططاً يرمي الى وضع اليد على الملكيات

الكبيرة الطارئة على المنطقة في القرن الأول والثاني للوصول بواسطة تجزئة الملكيات الموجودة خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي أيضاً، الى نظام مبني على الاستثمار الحر المستقل، وعلى التجمع الريفي وهو نظام وصل الى الأوج في القرن السادس.

يؤكد «ماك مولن» في مقالة حديثة، بليغة باختصارها، هدفها التحقق والتجمع. أن فلاحي الامبراطورية الرومانية قلما عرفوا أو عرفوا معرفة ناقصة مشوهة. ولدراسة سكان حوران القديمة يصعب الانطلاق من خطة رائدة مستوحاة من المعطيات التاريخية العامة المؤيدة بشهرتها، خاصة بالنسبة للخطوط الكبرى للتطور الزمني.

ونحن لا نعمل هنا للاقترب من التسلسل التاريخي للموضوع، لأن ذلك متوقف على دراسة كاملة للخزف، وعلى اعداد تسلسل تاريخي أكثر وضوحاً يتعلق بالعمارة الريفية^(١٨)، كما علينا أن نضع أنفسنا ضمن خطوط الأفكار اللاحقة، لوصف أنماط الحياة الريفية في حوران الأثرية القديمة على نطاق واسع. وهذه المسائل يمكن تصنيفها على الشكل التالي:

- الإعمار: - مواقع نشطة - اعمار الحضريين والبدو الرحل. أهمية الإعمار الطارئة (مثلاً الجنود أو المحاربون الرومان القدماء).

- التاريخ الاجتماعي: ويتضمن تنظيم الأرض، شبكة القرى، وضع الأراضي، تنظيم القرية نفسها، التوطن، الاشكال الأخرى لاحتلال الأراضي، الملكيات الكبرى، الدير.

- الاقتصاد الريفي: الانتاج والتجارة، العلاقات مع حاضرات المدن. يوضح الفصل الاقتصادي الممكن: - دور روما في ذلك ودورها في التوسع في المناطق المزروعة، ويخط متناظر مع موضوع الانحطاط ودلائله وتاريخه.

التمهيد الجغرافي

ليس من السهل ان يعزى لحوران القديمة الخصائص الجغرافية التي تمتلكها المنطقة اليوم وقد وجد العديد من العلماء ومن عدادهم بتلر^(١٩) الذين تنبأوا عن فرضية التصحر الاقليمي، كتفسير لهجر عدة مواقع، ولانحسار مناطق مزرعة (لا تزال واضحة حتى أوائل القرن، وأقل وضوحاً اليوم. كون البلاد عاد استيطانها بشكل واسع). وذلك في نهاية العصر الروماني - البيزنطي حسب رأي Butler، وقد وضعت النقاط على الحروف بشكل كامل بالبحوث التي قام بها K. Butzer حول مناخ العهد الجيولوجي القديم W. Strongly negate any overall climatic change in the sense of a progressive dessication withins the last 2500 years^(٢٠) وهذا لا يستثني ان مثل تلك التغيرات الطفيفة في نسبة الأمطار، ومثل تلك

السلسلة الطارئة لأعوام من الجفاف، وخاصة تلك التي وقعت بين أعوام ٥٩٠ - ٦٥٠، وكان لها نتائج حاسمة وأكيدة، حول سكن هذه البلاد المرتبطة ارتباطاً شديداً بهطل المطر سنوياً. ومن خلال البحث الحالي^(١١)، حيث لا مزيد من القول والنتيجة، تحصيل الحاصل، يستنتج بأن هجرة القرى، وما يستدل من التصحر الاقليمي، كلاهما يعودان الى أن تدهور التربة والرى سببها الرئيسي هو الجفاف^(١٢).

بانظار دراسة اقليمية لعلم المناخ، مرتكزة، بنوع خاص على الأبحاث العلمية التي موضوعها أو سيلتها الغبيرات، أو غبار الطلع، والتي وضعت أولى معالمها في صيف ١٩٨١، شعرنا انفسنا مشدودين للاعتماد على الملاحظات وعلى الشعور الجيد بالأمور ولوبصورة مؤقتة، مثال «حالة القرية» «مجدل الشور» (Majdel ash shor) الواقعة على تخوم الجنوب الشرقي من حوران، وعلى حافة السهوب هناك، كانت في القرن الرابع الميلادي قرية من الحجم الصغير (٢٠٠ - ٣٠٠م)^{١٣} ولكنها مأهولة جداً بكثافة سكانية حوالي ستين بيتاً وقد تأكد استيطانها حتى العهد الأموي وربما حتى القرن التاسع واستوطنت من جديد حتى العصور الأيوبية والمملوكية (القرن ١٣ - ١٤م) فقد وجد العدد الكبير من البرك المكشوفة حول هذا الموقع كان بناؤها قديماً.

بعد هجر «المجدل» في القرون الوسطى، لم يعاد استيطانها الا في عام ١٩٣٩ من قبل السكان الدروز الذين قدموا إليها من قرية عرمان الكبيرة، وفي عام ١٩٥٧ - ١٩٦٠ حمل الجفاف جميع السكان تقريباً على العودة الى عرمان حيث لم يبق في المجدل اليوم سوى ثمانية بيوت. اذ أن البرك فيها فارغة من المياه بصورة دائمة. وخلال الجفاف الذي وقع عام ١٩٧٩، توقفت حياة القرية على جلب المياه بواسطة الصهاريج من جوار السويداء وعلى بعد ٤٠ كم^(١٤).

ها هي حالة قرية قديمة كانت مزدهرة، تتوفر فيها المياه بصورة كافية، وقد حل محلها قرية حديثة ينعلم فيها كامل مقومات الحياة، وهذا مايضطرنا للقول جازمين، بأن قرية مجدل (أو القرى الأخرى المهجورة في الجوار) كانت تستفيد من استجرار المياه بغزارة من أعالي الجبل، هذا الاستجرار الذي رغم وضوحه، لم يعطنا أي تفسيراً ودلالة بأن غزارة الأمطار كانت تفوق عصرنا الحالي طيلة عدة قرون قديمة حتى المتأخرة منها. وهذه هي الفرضية الأكثر تقبلاً، مع العلم بأنه قد حدث تبدلات مناخية على أطراف البادية، كانت كافية للحد من امكانية استمرار الحياة في القرى.

اذا ما انتقلنا الى موضوع الأراضي والغطاء النباتي، نجد أن ريف جنوب سورية لا يطرح أية مشكلة خلافاً لشمال سورية اذ لا يوجد أي جزء في حوران محروماً من وجود موقع قديم مستوطن لا يمثل حقيقته، سيما، اذا امعنا النظر في الوضع الحالي للأراضي التي تحيط بها (الشكل رقم ١) الذي يمثل خريطة مفصلة للأراضي الواقعة شرق «امتان» على

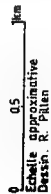


Fig. 1. — Carte des Lerruis de la région d'Imilan, réalisée à partir de photographies aériennes anciennes.

الشكل رقم ١ خريطة أراضي منطقة (عنان) تمخّفت بواسطة الصور الجوية القديمة

التخوم الصحراوية لحوران، يبين وجود قطاعات واسعة من الحقول القديمة المهجورة - وحسب الكليشيهات الجسوية، تتناقض تلك الحقول الرمادية اللون بصورة واضحة مع الألوان القائمة أو الفاتحة للحقول التي تزرع اليوم، وعلى وجه الأرض تظهر الحقول المهجورة مغطاة بحصى متوسط الحجم وينقل الطمي من العصر الايوليوني، التراب السطحي طالما الحقل قيد الزراعة والمزارع يرفع الحصى بانتظام، ويُكوّن رجام أو يترصّفه ضمن خطوط مستقيمة، ولكن حينها يهجر الحقل بدون زراعة يعود الحصى ليغطي أرضه على مرور الأجيال.

أما المنطقة الثانية، الواجب التصدي لموضوعها هي احتمال اجتثاث الحراج واتلافها لأن حوران اليوم، فيما عدا بعض الأشجار على منحدرات الجولان، لا يوجد فيها إلا بعض الغابات المتوسطة الحجم من السنديان القرمزي، متواجدة في بعض قطاعات الجبل، عادت كأرض موات (بين السويداء و سيع شمال الكفر حول حبران) وهي ممثلة على الخرائط، ذات المقياس ١/٥٠٠٠٠ الصادرة عن ادارة المساحة السورية، غير أن (حزقيال) ٢٧ : ٦ في القرن السادس قبل الميلاد كان قد أشار الى الاشجار الكبيرة لباشان، وكلمة باشان تعني الاسم التوراتي لحوران، فهل كانت هناك غابات حقيقية، في القرن الأول وخلال العصر الروماني؟. يشك في ذلك. لأن الخشب لم يستعمل قط في البناء، وكان يحمل محله نوع الاكساء الثقيل مؤلف من الألواح الحجرية البازلتية، كان حري بالبنايين أن يستغنوا عنها لو تمكنوا من وضع الخشب بدلاً منها، فمن المحتمل أن يكون غياب الغابة قد وقع قبل العصر الكلاسيكي أو على الأقل، كان على وشك الاكتمال. بعد التمهيص، في الصور الفوتوغرافية لجبل حوران تبين بأن الاستعمال الزراعي للأراضي قد امتد كثيراً بحيث لم يفسح مجالاً لظهور منطقة مغطاة بالغابات. وان الدراسات الباليولوجية (موضوعها ووسيلتها غبار الطلع وتأثيره) تأتي بإيضاحات^(٣٣).

اذن يمكننا التحدث عن جغرافية حوران القديمة كما نتحدث عن جغرافيتها الحالية، وبصورة مبسطة، ومن الأهمية بمكان ان نميز فيها بعض القطاعات الكبيرة التي لها امكانية مختلفة.

فالجبل من شهباء الى صلخد، ومن السويداء الى الشحف، الذي يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ و ١٨٠٠م، هو كتلة بركانية ذات سفوح معتدلة الانحدار وقابلة دوماً للزراعة نظراً لطبيعة سطحها فالواقع، وبنتيجة تدقيق الصور الفوتوغرافية الجوية للمقاطع تبين بأن القطاعات، التي لم تخضع للزراعة في عصر غزارة الانتاج القديمة، كانت نادرة جداً، ولو فرضنا جديلاً، أن المنحدرات لا تحول أبداً دون السير مشياً على الأقدام أو على ظهور الدواب، غير أنها تعتبر مانعاً للمتجولين على الطرق وفي القطاع المركزي للجبل، فإن درجة

الارتفاع فيه لا تشجع على التوطن الدائم، بسبب طبيعة الرياح الشتوية الشديدة وتساقط الثلوج الذي يستمر حتى شهر نيسان. ولهذا لا يوجد أي قرية قديمة بين «السويداء وصالح» أو بين خرائب أعلى وادي «سيع» (مثل خربة «ام الجلود»، على بعد ٥, ٣ كم فوق البناء الذي يعرف «سيع») والمشف، لذلك تشكل تلك القرى حزاماً من العمران حول الجبل، تتصاعد نحو أعلى السفح لتلقي الأمطار التي تتناقص بسرعة حينما يزيد الانحدار نحو الشرق وباتجاه الحماد، وعلى هذا الجانب فإن طرق القرى المنتهية إلى السهوب هي خفيفة وغير كثيفة، أما على العكس باتجاه الغرب يحقق هذا الجانب الاتصال مع جميع قرى «النقرة» الخصبة.

في هذا القطاع الجبلي لحوران، عمل التحات والانجراف الشديد عبر المنحدرات، وكذلك المسكوبات البازلتية التي لم تتفكك جيداً والتي يعود منشؤها إلى أول أدوار الحقب الرابع، على جعل تربته كثيرة الحصى، لذا كان أول ضرورات الحياة، بالنسبة للقرويين القدماء، رفع الحجارة، وتكديس الحصى على الرجام^(١٠) أو على جدران صغيرة مرتفعة، والمحافظة على تلك المساحات والسطوح من عودة الحجارة إليها^(١١).

اجملاً، ينظر إلى هذه الأعمال بأنها غير ملائمة لمفاهيم الحراثة (فيها عدا أطراف الهضبة) ولكنها غير مضرة بالنسبة لزراعة الكرمة والزيتون، رغم كون البرد الشتوي يجعل زراعة الزيتون شديدة الخطورة.

فيما يخص الطاقة المائية، فإن جبل حوران هو القطاع الأفضل تزوداً بها، أما بقية المنطقة فهي أقل نصيباً في المياه (ما عدا الجولان)^(١٢) الذي يستقبل فيه الجبل سنوياً أكثر من ٣٠٠ مم من الأمطار، وبصورة أوضح، أكثر من ٤٠٠ مم في الجزء الأوسط منه ومن هذا الواقع، فإن هذا القطاع يلعب دور الخزان المائي في أكبر جزء من حوران حيث تتجمع فيه ينابيع المياه (أكثر من ٦٠ ينبوعاً على السفح الغربي)، من بينها عدد كبير دائم التدفق، وهي كما ذكرنا سابقاً نادرة في بقية حوران فيها عدا الجولان، وهناك نتيجتان تاريخيتان يمكن استخلاصهما:

- أن الجبل الحوراني ملائم جداً للتوطن الحضري.
- أن المناطق الكائنة في الأسفل، هي، بالنسبة لتأمينها بالمياه، تابعة لنظام جريان مائي من مياه الجبل طيلة جريان الوديان.

للقوف على عرض أكمل لهذا الموضوع، لابد منه مراجعة مقالة P. Gentelle التي عنوانها (الدراسة التاريخية لمحيط «سيع - قنوات») في هذا المجلد.

أما الهضبة الحورانية «المعروفة حسب التعريف الحالي «بالنقرة والجيدور» التي تمتد بين امتان ومزيريب، وبين درعا وغبغب، فإن أرضها تعرف بخصائص تختلف عن تلك التي يتمتع بها الجبل وطبوغرافيتها منبسطة نسبياً، يتخللها براكين منعزلة، وبارتفاعات

تتراوح بين ٦٠٠ و ١٠٠٠م واستثنائياً على ارتفاع ١٢٠٠م على الأطراف الشرقية، حيث توجد أراضٍ أكثر كثافة وأقل تحجراً. ومع ذلك، فالاستثناءات فيها عديدة ناتجة عن توضع اندفاعات العصر النيوجيني، وعن ضعف الأمطار التي يقدر متوسطها ٢٠٠ الى ٣٥٠مم سنوياً، مع ندرة عدد الينابيع، باستثناء الغرب، على المنحدرات الأولية للجولان^(٣١)، فالموضوع الرئيسي لا يقوم هنا، برفع الحجارة، بل بتأمين المياه، لذا توضع العديد من القرى الكبيرة في هذه المناطق، وبصورة متواصلة، على المرتفعات الصخرية مفسحة المجال للاستفادة من الأراضي القابلة للزراعة حولها.

تتميز المنحدرات الشرقية لهضبة الجولان (الزوية الشرقية - الجيدور الغربي) بطبوغرافية ذات تأثير شديد وب نظام مائي أكثر فائدة (من ينابيع - مجاري مياه منحدرية من كتلة جبل حرمون). من بقايا أشجار متوضعة في (تل الجابية مثلاً شرق نوى) ولكن مجمل المنطقة تبدو أكثر حجارة من حوران الوسطى^(٣٢).

يبقى أقسومتان صغيرتان من حوران، تتمتعان بخصائص فريدة، وهما: «اللجا» وهي عبارة عن مثلث مساحته ألف كيلومتراً مربعاً تقريباً، محصور بين شهاب - براق - ازرع. انها اندفاعية حمية من العصر الهليوسيني، متماسكة، لا تتوفر فيها أي أراضٍ ترابية، باستثناء بعض المنخفضات الخصبية التي لم تصلها الحمم الاندفاعية.

وقد بنيت فيها القرى على مقربة من تلك الأحواض المنخفضة، أما بقية المنطقة، فهي موحشة تبدو وكأنها مقفرة تماماً، غير أنها لا تنعدم من تواجد بعض الرعاة والعصاة الذين وجدوا فيها الملجأ، هذه الجزيرة الصغيرة غير الخصبة وغير الآمنة، شهدت مع ذلك استيطاناً قديماً. توضع بصورة منفصلة على محيطها، وهذا بالتأكيد، بغية الاستفادة من الوضع الدفاعي الذي تقدمه أطراف اللجا الوعرة جداً.

يوجد شرق اللجا وشمال الجبل، منطقة ساسيه حول «شقا» وهي على العكس، هضبة صغيرة خصبة جداً، ذات طبيعة طبوغرافية هادئة، كون موقعها قريب من الهضبة الحورانية، وهي أفضل بسبب درجة ارتفاعها عن البحر وقرىها من الجبل، مما جعل مشاكل المياه أقل تعقيداً.

ان تنوع الأوساط التي مر ذكرها، يسمح بتفهم، تنوع طرق، استيطان الأرض التي ستكون موضوع البحث، ولكن الغريب في الأمر هو وجود بعض القرى، من نفس الطراز، في هذه المناطق التي تختلف جغرافيتها الطبيعية تمام الاختلاف، وهنا يوجد واقع عمراني يستدعي المحاولة لالقاء الضوء عليه.

العمران في حوران القديمة

ليس من فائدة تذكر، بالنسبة لموضوعنا هذا، اذا حاولنا الذهاب بعيداً الى ما وراء عصر المهجرات الآرامية الكبيرة، هل من خطر حقاً في الذهاب للبحث قبل الألف الثانية للميلاد حيث يعرف بأن ثورات بركانية غزيرة كانت قد اقتحمت حوران، حتى تاريخ حديث ولكنه لا يزال غير دقيق وأكد (على سبيل المثال - وزيادة في الايضاح - تشمل هذه الاندفاعات. الصفا، الكراع، الوعة)^(٣٨).

أظهرت بعض الوثائق النادرة، بالنسبة لأول العصر الحديدي، وجود بعض المدن العديدة المحصنة، منها الستون مدينة لمملكة «عوج» في باشان، والتي ورد ذكرها في كتاب (يشوع والملوك الأول) والتي اكدتها مراجع غير توراتية^(٣٩)، وبجانب تلك المدن كانت هناك على ما يبدو، عدة قرى أشار إليها صفر تثنية الاشتراع^(٤٠) وأشهر بعض تلك القرى (أدري (ذرا) وسلكا (صلخد) اللتان كانتا مركزاً للعمران في العصر الكلاسيكي، وهناك غيرها مثل عشترون (حالياً تل عشترة) الواقعة على بعد ١١ كم الى الغرب والجنوب الغربي من الشيخ مسكين^(٤١) والتي انهارت عماراتها مع الزمن

من جهة أخرى هناك بعض الدلالات تتيح التساؤل، كيف كان الاقتصاد والاعمار الحوراني، في ذلك العصر؟ لنذكر ما جاء بالزمور ٢٢: ٣، ١٤ قد احاطت بي عجول كثيرة. ثيران باشان اكتفتني . . . وفي نبوءة حزقيال: ٢٧: ٦: «اصنعوا مقاديفك من بلوط باشان^(٤٢)». (القرن السادس)، وفي نبوءة عاموس: ١: ١٤: «اسمعي هذه الكلمات يا عجول باشان التي ترعى في جبل السامرة . . . (القرن الثامن)»، وفي سفر تثنية الاشتراع: ٣٢: ١٤ «وزبدة البقر ولبن الغنم مع شحم الخراف وكباش بني باشان والتيوس . . .».

ليس هذا كافياً، لتتبع F. M. Abel^(٣٩)، حينما استخلص من ذلك بأن المنطقة كانت لا تزال مشجرة في ذلك العصر، وكانت تعرف اقتصاداً جيداً متجهماً بكامله نحو تربية الحيوانات، وخاصة منها البقر، ولا تزال، نجهل اذا كان سكان حوران الحضريين في العصر الحديدي الثاني الذي لا يعرف علماء الآثار أي شيء عنهم - هم لبنة الاستيطان في العصر الكلاسيكي.

أما بالنسبة للعصر الفارسي، فإن الدلالة المهمة الوحيدة التي يصعب تفسيرها جيداً هي اكتشاف كنز ضخم من العملات (سبائك وحلي)^(٤٣) بالقرب من الحدود السورية - الاردنية، ونظراً لعدم توفر المعلومات لزيادة الايضاح عن مصدرها، يتعذر ابداء الرأي فيها. في العصر الهليني تأتي برديات «زنون»، ثم كتب المكابيين على ذكر حوران باختصار^(٤٤)، فالأولى مذكرات ادارية وتجارية من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، جاءت على ذكر حوران مرة (PSI IV 406)^(٤٥)، ومرة أخرى على ذكر الأوابد (المواقع) التي قد تكون

حورانية مثل، «حيط» على اليرموك أو «الهيث» في منطقة ساسيه؟ (Eitou) أونوى (؟) (Non) ^(٣٦)، والثانية، الواردة في قصص اسفار يهودا المكابي عام ١٦٣ قبل الميلاد، تذكر سلسلة من المواقع القديمة اتفق اجمالاً انها موجودة في حوران، ومادام علم الآثار لم يأت على غير هذه النصوص الجافة، وطالما لم يمكن التحقق من تلك المواقع ^(٣٧)، فماذا يمكن استخلاصه من تلك التنسيهات والاشارات؟ في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، بأنه كان فيها ضيع وقرى، وأماكن محصنة، وقلة قليلة من السكان.

في نهاية العصر الهيليني، خرج سكان حوران من الظلمة، وحسب الوثائق المتوفرة حالياً، فإن منطقة حوران، دخلت في سجل التاريخ منذ القرن الأول قبل الميلاد، ومنذ ذلك الزمن كان يتوفر عنها ما يكفي من النصوص العائدة لمؤرخين يونان ورومان، ومن النقوش اليونانية والنبطية، ومن الآثار الهندسية المعمارية.

- مجموع هذه الوثائق أظهرت وجود عمران وتنمية بمستوى مقبول، ولدينا ثلاثة أمثلة

على ذلك :

- في «سيع» على الجبل، شرع ببناء المعبد الكبير «لبعل شامين» خلال عام ٣٣ قبل الميلاد ^(٣٨). وبصب مثل هذا الصرح يفرض مستوى مهم من العمران والثروة.

- وأيضاً في «سيع» فقد أشار J. Dentez-Feydy بعد أن أصلح نقشاً يونانياً - نبطياً، (يعود لأواخر القرن الأول قبل الميلاد) ^(٣٩). ثرى فيها وحدة فنية وتاريخية. وقاعدة تمثل ^(٤٠) بأن الأورانيتس (أي جبل حوران) هو بمثابة هضبة مغطاة بالكرمة، وقد استنتج من ذلك بأن زراعة الكرمة وصلت في هذا القطاع الى مستوى عال خلال القرن الأول قبل الميلاد ^(٤١).

- وعلى نطاق أوسع فقد أعطى (Joseph) أدلة واضحة عن توطن حوران في المنتصف الثاني للقرن الأول قبل الميلاد، بالتحديد، قبل ٢٣ سنة بقليل من الميلاد، أما السيد «قارون» حاكم سورية فقد كتب الى أوغسطس ناقلاً إليه شكاي جيران «اللجا» والذين كانوا ضحية السلب والنهب من قبل سكان اللجا ^(٤٢). وبلاستناد الى هذه الوثيقة، وعدم توفر ايضاحات أكثر بهذا الخصوص، يمكن الاعتقاد بأن سكان حوران في هذا العصر، كانوا بمثابة تجمع من القرى الحضرية (هذا بالنسبة للشاكين) ومن نصف بدو رحل (وهو مشير وا الفتن والقتلاقل في اللجا وفي المناطق الأخرى المتخلفة). وبالنسبة لهؤلاء الآخرين تفيد نصوص جوزيف ^(٤٣) - وسترابون ^(٤٤) وأيضاً مرسوم (اغريبي الأول ^(٤٥)) بأنهم لم يكونوا يمارسون الزراعة بل كانوا يعيشون، من جهة، من الغزو، ومن جهة أخرى من تربية المواشي، ولأجل ذلك، كانوا يلجأون الى التنظيم الهيدروليكي (المائي) الذي يمكن تعريفه «بتنظيم البرك». وهي كناية عن خزانات للمياه، كانت تغذيها مياه المطر وعند الاقتضاء مياه الوديان المسحوبة عن طريق الجر، وكانوا يقطنون حسب التقليد في مغر تحت

سطح الأرض . بالاشتراك مع الحيوانات، ولم يكن باستطاعتهم الدخول الى هذه المغر إلا افرادياً^(١٣٥) .

اثبتت تحريراتنا (نقطة بعد نقطة) صحة هذه الاوصاف الأخيرة، التي قد تبدو بأنها خرافية ولكن «ويتزتاين ووادينفون»^(١٣٦) شعروا بصحتها . في اللجا، مثلاً (على بعد ١ كم من الجنوب، والجنوب الغربي من أم الزيتون)، وأيضاً في أماكن أخرى (على بعد قليل من شمال أم الرمان، ١٢ كم جنوب، غرب صلخد)، توجد أنفاق عبر البازلت بطول عدة مئات من الأمتار وبارتفاع وعرض بعض الأمتار، وبمدخل غير منظور عادة، أرضها مغطاة بكسر من الخبز وبفضلات عضوية، كانت تلك المغر، مستخدمة حتى عصر متأخر كزرائب للخرفان، ومثل هذه السرايب متوفرة في جميع المناطق الصخرية المنبسطة في حوران، وأيضاً في الجبال يوجد النماذج الأخرى من هذه المغر، وهي أقل عمقاً، داخل طبقات الحمم البركانية Scorie نذكر منها مغر تل «أبويناما» (على بعد ٥, ١ كم جنوب شرق بثينة ومغر «تل الحسن» (على بعد ٨ كم شرق صلخد) ويخص منها المغر الواقعة على واجهة وقمة «تل قليب» (على بعد ١٠ كم من الجنوب الشرقي للسويداء) . فالكثير من هذه المغر كانت مجهزة بخزانات كبيرة للمياه مخفورة ضمن الصخر ومغذاة بالمياه بواسطة فتحة جريان، يمكن الوصول إليها بسهولة بواسطة درج يقود الى أرض غرفة واسعة، يصل ارتفاعها الى عشرة أمتار طوياً وعرضاً وارتفاعاً، وبدون، أدنى شك، يعود متطلبات هذه الأحجام الواسعة، لتلك الخزانات القممية، الى شدة الثلوج الشتوية على الجبل .

ان أهمية عمران وتنمية حوران في العصر الهلنستي، التي سبق أن مررنا على البعض من شواهد القديمة، قد نسبت الى النبطيين بصورة كلاسيكية^(١٣٧) . وهذه الفرضية تركز على وثائق تثبت بأن المملكة النبطية في القرن الأول قبل وبعد الميلاد، كانت تشمل حوران الجنوبية حول بصرى و صلخد، بواقع وجود عدة نقوش نبطية في هذا القطاع تتعلق بتفسير المركز الديني الشعائري لموقع سيع بكونه معبداً نبطياً، وعلى جملة من النصوص توضح فعاليات النبطيين الحيوية في حوران والجولان وحتى دمشق من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الأول بعد الميلاد .

ومما لا شك فيه بأن الجزء الأكبر من حوران، وقد يكون بكامله، كان تحت السيطرة العسكرية النبطية، اعتباراً من أول القرن الميلادي على الأقل، وخاصة خلال حكم اريتاس الثالث حوالي الأعوام ٩٠ - ٦٠ ق.م)، أي اعتباراً من الثلث الأخير للقرن الأول قبل الميلاد، وحتى ضمه الرومان نهائياً (عام ٩٣ - ٩٢ ق.م) بالنسبة للثلثين الشماليين، وعام ١٠٦ بالنسبة لثلث المنطقة الجنوبي . كانت المملكة النبطية قد ضمت جنوب حوران، أما شماله، فقد كان تحت الحماية والوصاية الرومانية أو جزءاً مشمولاً في ولاية سورية الرومانية .

اذن، الحديث هنا يدور حول وقائع سياسية تعود بالنفع على التطور الاقتصادي للمنطقة، حيث أن حوران عرفت، منذ ذلك الحين، نظام الأمن طيلة وجودها تحت قبضة الامبرياليين الرومان الذين نشروا الأمن بواسطة عملائهم في المنطقة^(١٣)، ولكن هذه الوقائع لم تكن من صنع السكان لأن لا أحد منهم فكرو يوماً، بأن شمال حوران سيتأثر، باليهود بمجرد أن حاكم الولاية الروماني والبعض من خلفائه جعلوا من هذه المنطقة مرتعاً للعملاء منهم، ومن الفطنة والحكمة الانتباه الى دور النبطيين في حوران تجنباً للوقوع في أخطاء لا تحمد عقباها.

وتحديداً فإن عدد الكتابات النبطية في القرن الأول بعد الميلاد، والعدد الكبير أيضاً من عملة البرونز النبطية التي اكتشفت خلال تنقيبات موقع «سيع» والتي أبانت مدى السيطرة المطلقة للنبطيين في هذا العصر بالذات، يجب أن لا يبالغ في تفسيرها، لأن لغة النقوش اليونانية والنبطية التي كانت سائدة، وذات نفوذ لم تكن بالضرورة اللغة العامة، لأن تداول العملات أثبتت سيطرة الانباط التجارية فقط على جميع حوران في القرن الأول الميلادي.

ان موقع «سيع» الذي أقره «بتلر» منطقة نبطية، بقي ضمن هذا المفهوم لدى جميع المؤرخين ومع ذلك فإن «بعل شامين» المقدس في هذا المكان، ليس بإله نبطي، من جهة أخرى فإن الدليل الذي استعان به «بتلر» لاسناد المعبد الجنوبي الغربي الى (دوسارس) انكشف خطأ^(١٤) إن الخزف النبطي (الوفير جداً في شرق الاردن) خلال القرن الأول الميلادي، المتوفر أيضاً في بصرى وبكميات كبيرة، يظهر في «سيع»، بست سقف هي من بين العديد من عشرات الألوف المحفورة من باطن الأرض، اذن فالحكم تقضي من الآن وصاعداً، بعدم اسناد هذا الأبد الكبير (موقع سيع) الى المدنية النبطية نظراً للآثار الهندسية المكتشفة، التي تتيح لنا العودة للموضوع، حال اشهار نتائج تنقيبات موقع «سيع» الذي هو قيد التحضير.

غير أنه يوجد دليل وحيد، يمكن ان يعطينا ترجيحاً لصالح فرضية الاستيطان النبطي في حوران، قام السيد سارتر، وهو يعمل ويبحث في مجموعة الكتابات اليونانية واللاتينية في بصرى، بإحصاء ١٤٠ اسماً سامياً، من أصل ١٥٠ اسماً، وغالبيتها قد تكون نبطية^(١٥). ولكن ماصح قوله في بصرى العاصمة السياسية، وحاضرة القوافل، هل يصح في القرى، وهل يصح في الشمال؟؟.

لندع هذا الاستعراض الانتقادي ولنعبر عن الفرضية الأكثر احتمالاً. ان أساس عمران حوران الريفي يعود للتوطن القديم للحضرين الذين توضعوا بثبات، خلال القرن الأول قبل الميلاد، حينما اجتازت المنطقة عهد ما قبل التاريخ (Protohistoire). ان قدم الاحتلال المفروض على الكثير من قرى «النقرة» نذكر منها: تلوك الكرك، الصنعية، وتلوك «سما» في

شرقي الأردن التي أعيد معايتها خلال تنقيتها، وتطور زراعة الكرم في الجبل الحوراني في نهاية القرن الأول قبل الميلاد. وازدهار مباني الشعائر الدينية الجنائزية، المدنية في هذا العصر، التي كانت تتطلب مستوى عالٍ من الغنى والأموال على الصعيد المحلي، جميع هذه الوقائع على اختلاف أنواعها، قادتنا إلى هذه الفرضية. وقد بقي الآن تقديم البرهان الأثري الهندسي عنها. مع عدم نسيان حركة الهجرة المهمة للبدو الرحل، وخاصة الصفوين، إلى تلك المواطن الحضرية^(٢٠).

مع ذلك سنأتي على ذكر ثلاثة نصوص معروفة، ولكنها ضعيفة التفسير، فبرهن على أنه كان يسود، قبل العصر المسيحي، الاختلاف والتضاد العنيف، في أغلب الأحيان، بين الحضريين والرحل، جاء ذلك في رواية «حملات» يهوذا المكابي (Juda Maccabée) ضد مواقع (أراضي جلعاد) الذي كان لبعضهم وجوداً في حوران^(٢١)، وهؤلاء ليسوا إلا النبطيين الذين التقوا بجيش يهوذا في الصحراء بين الأردن وبصرى وأعلموه عن سوء معاملة اليهود من قبل أهالي (جلعاد)^(٢٢) المتوطنين في جنوب حوران، فالنص الأولي يبين أنه خلال منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، لا مجال لنكران الوجود المختلط للنبطيين الرحل ولسكان حوران، وإذا ما عدنا إلى قرن مضى، نجد في مخطوط الرق (٤٠٦ - PSIIY - السطر ١٧ - ٢٢) بأن النبطيين كانوا غارقين في خضم الحياة البدوية حتى خارج حوران حيث إذا صح النص، لم يصادفوا إلا بعد عودتهم من حوران.

وجد النص الثاني، في الفقرة ١٩٦ من الفهرس ٢١٢ العائد لصاحب المكتبة فوتيوس الذي انتحل اسمه مؤلف La Villa isidori لداماسيوس الذي كان مؤلفاً أسكندرانيا في القرن الرابع الميلادي^(٢٣)

وللايضاح، كانت بصرى محصنة ضد جيرانها (الديونيسييين) الذين هم سكان السويداء - ديونسياس: من قبل ملوك العرب (النبطيون). وهذا ما يجعل وقوع الحادث خلال القرن الأول قبل الميلاد، أو على الأكثر خلال القرن الذي بعده، فإن الفعل Emitéixisu (حَصَّن ضَدَّ) مركب كلاسيكياً مع المضاف. ليأخذ معنى (تحصَّن ضد) والمتعدي اللازم له متمم أو مضاف ادخل حرف ب مع حالة الجر، عوضاً عن المضاف إليه بدون جر. هذا المسلك أوجد حالة من التضاد، بين بصرى التي هي تحت النفوذ النبطي وبين أهالي ديونسياس (السويداء) هذا التضاد الذي يمكن تفسيره كصراع بين النبطيين والسكان غير النبطيين في حوران.

- أما النص الثالث: فهو غير جازم، فقد أورد فلافيوس جوزيف^(٢٤) أنه في عام ٣٢ ق.م، أوكلت كليوبترا إلى هيرودس الحرب ضد العرب. فتجمع هؤلاء في قنوات، لكن هيرودس هاجمهم بلا حذر. فأثار عليه ملازم أول من العصاة، سكان تلك المدينة، أظهر

هذا المقطع اختلافاً بين العرب، وسكان قاناتا (قنوات). ولو كانوا في هذه العملية طرفاً واحداً ضد هيرودس.

- يبدو لنا الخطأ في عزو سرعة تطور حوران، اعتباراً من أول القرن الميلادي ب. م إلى العرب الرحل. الذين تحضروا فيها ضمن زمن متفاوت السرعة، لهذا علينا أن نراهن بأن الاستقرار الحديث للمنطقة، وازدهار القرى المتزامن مع هذا الاستقرار، هو الذي شجع العرب الرحل بالاندماج والتحضر، كون أراضيهم للرعي قد تقلصت في سبيل العمران الحضري والدفاع عن المنطقة، وهذا ما أثبتته النقوش.

القرية

التسلسل:

ان التصانيف اليونانية غير الملائمة (قرية) و(مدينة) لحقيقة الوضع الفردي في الشرق القديم، ظهرت مؤخراً للعيان بعد فحص النصوص الكتابية اليونانية^(١١). وقد حالف الحظ حوران لا مكانية استخدام الكثير الكافي من الاثرات لدراسة المسألة على أرض الواقع. حالياً ليست هناك تقريباً، أية قرية في المنطقة غير متوضعة على موقع قديم. لابل مبنية في غالب الأحيان، على آثار قرية قديمة، وهذا لا يعني أن أشكال السكن الحالي والقديم متشابهة فالقرى الحديثة تجاوزت على العموم حدود القرى القديمة. وأحياناً تسعى الى أن تبدل في الأيام الأخيرة الى خليط من المستوطنات شبه المبعثرة، (مثل منطقة السويداء. قنوات - حول بصرى وغيرها) وبالمقابل هناك الكثير من الاوابد الاثرية القديمة، لم يعاد سكناها تقريباً، كالقرى الواقعة على طرف السهوب مثل: «مجدل الشور» الوارد ذكرها سابقاً، (بسبب نقص المياه ووعورة المسلك). أوقرى اللجا للأسباب المماثلة، وأيضاً بسبب ندرة التراب. وأيضاً هناك مواقع كثيرة (قوامها قرى صغيرة) في كل حوران وخاصة في الجبل، وضمن دائرة نصف قطرها ٣ كم في الشرق والجنوب الشرقي، لموقع سيع وجدت أطلال أربع ضيع من مستوطنات متجمعة، هي: «خربة العنز، خربة مام الجلود، وخربتان اسمهما مجهول». وقد تبين بعد التقاط المواد من على سطحها، بأنها قرى ذات تاريخ متأخر، (بيزنطية، كانت لا تزال مأهولة في العصر الوسيط)، وأيضاً يجب أن يضاف على أساس الشكل الحضري، غير القروي، وجود خرائب لقلاع رومانية، مع أديرة متوفرة جداً في المناطق ذات الطبيعة القاسية.

ان الأمر يحتاج الى كثير من القرى الحالية، لتحل محل المواقع الأثرية القديمة، فالاستيطان القديم لحوران، الذي وصل الى أوجه، كان يشمل قرى أقل كثافة من القرى

الحديثة. والجدير بالذكر أن أكثر من قرية في منطقة «النقرة» يزيد عدد سكانها في هذه الأيام عن ٥٠٠٠ نسمة. ولكن هذه القرى كانت ترتسم على فراغ لحمتها أوسع وأكثر مما هو في يومنا هذا.

لم يكن لهذه القرى جميعها الأهمية ذاتها، لدينا من جهة، قسم من القرى الكبيرة مثل «نوى» بمقبرتها الكبيرة المشتركة، الواقعة على بعد عدة كيلومترات شمالاً، فإن صورتها كحاضرة، وبيوتها الكبيرة ذات الطابع الريفي الجيد، تعطينا المثل الجيد (V.infro) (٢٢٠). كما أن العنوان untpoxiwyia الذي أطلق على بعض هذه القرى (مثل - المسمية - بريكة . .) يفيد بأن أهميتها كانت ملحوظة، بالنسبة لمعاصريها. كما أن «مجدل الشور» التي سبق ذكرها، والتي انشئت انطلاقاً من المركز المجاور لقرية «امتان» تعتبر بالعكس نموذج القرية الصغيرة السائدة في الشرق بصورة خاصة، وقد أشرنا إلى الضيق الصغيرة التي لا يتجاوز قطرها المئة متر، والتي هي على العموم غير مرسومة على خريطة حوران المذكورة في هذا الكتاب، فنذكر منها مثلاً «خربة الرصيف الواقعة في اللجا» على الطريق الروماني المستقيم بين دمشق والسويداء، لهذا الغرض لن نتكلم بعد، في ما يتعلق بتلك المواقع، عن القرى، مخصصين هذه الكلمة لتجمعات اتصفت بتنظيم جماعي متطور، وهذه الحالة تنطبق حتى على القرى الصغيرة، مثل قرية «مجدل» (٢٢١). إلى جانب هذه السلسلة من التجمعات الريفية، وإلى جانب ذلك الطراز السائد من المساكن المجمع، هناك أشكال محددة من المساكن الموزعة والمشتتة في العصر الروماني، ذكر عدد من الفيلات في أرياف عاصمة الولاية، بصرى، في جرير، بورد مثلاً. غير أنه لم يعثر حتى الآن على أي أثر لفيلات حول الحاضرات الأخرى في حوران. هذا النموذج السكني في المنطقة الذي كان يجمع شبكة من الفيلات والبيوت على مقربة من الحاضرات، مع شبكة من القرى في كل مكان هو مشترك في الولايات الرومانية حيث ورد وصفه بكل وضوح في مقاطعة (Césarée) سيزارة الموريتانية (٢٢٢).

من جهة أخرى، انتشرت الأديرة في العصر البيزنطي، ومن الواضح أن الدير والفيلات لا تتوافق مع أي تطور تلقائي في العمران، ولكن كانت إشاداتها في حينه، تجاوباً لعوامل خارجية، مثل تمركز وتوسع الملكيات الطارئة، وتطور المؤسسات الرهبانية.

تنظيم المدى الحيوي (من: مياه - حصى - حدود - طرق)

عند توفر المياه من نبع، أو مجرى مياه دائم، أو بئر. لا غربة في أن تتوضع القرى القديمة حيث تتوافر المياه، وخاصة في الجبل، ولكن هذه المياه تنعدم تقريباً خلال السنة في (النقرة وفي اللجا. الخ. . .). لهذا كانت المواقع (الأوبد) الأثرية تتوضع بالدرجة الأولى بالقرب من الوديان التي كانت خلال جريانها الشتوي، تملأ البرك الكبيرة المكشوفة والمنحوتة

في الصخر في جوار القرية، أو في وسطها. هذه هي طريقة الحصول على المياه التي ذكرها جوزيف (V. Supre) في القرن الأول قبل الميلاد، وهي الشرط الذي لاغنى عنه في حياة القرى، وخلال السنين الاعتيادية، من المؤكد أن الأمطار كانت تكفي للزراعة، حيث لم يعثر على أي أثر للري القديم حتى الآن^(٨٨). ولا يمكن اعتبار البقايا الأثرية وآثار الكتابات والنقوش، التي اعتبرت، منذ زمن طويل، أقنية لجري المياه إلى القرى، دلائل على الري.

ونشير أيضاً إلى أن رحالة عربياً، قد ذكر في القرن العاشر، بعد الحقبة التي نحن بصددھا بقليل. أن حقول حوران كانت تزرع بدون سقاية^(٨٩)، غير أنه لو أمكن التوصل إلى إثبات. بأن الري لم يكن ممارساً في حوران أو موريث منه القليل، تبقى للتساؤل عن الحاجات الأخرى الضرورية. مثل المياه الصالحة لشرب الإنسان والحيوان والمياه المخصصة للنظافة التي تتطلبها الحياة المعاصرة. وإلى جانب البرك كانت هناك أنواع أخرى لتخزين المياه، مثلاً: الخزانات الكبيرة المغطاة والمزودة بالأدراج المنحوتة في صخور «تل قليب» (V. Supra). الخزانات الصغيرة المحفورة في الصخر والمزودة بفتحات مستديرة سهلة التغطية (في قرية مسيكة مثلاً). أما البرك فقد كانت من الطراز السائد. وهذا أمر مفيد. فالصهاريج الكبيرة الجماهيرية المفتوحة لجميع الناس لدى ندرة المياه. تفترض وجود بنية جماعية متينة. وقد أشارت نقوش يونانية في «القرية» تاريخها عام ٢٩٤، ب. م، إلى بناء إحدى هذه الخزانات الكبيرة على أرض التجمع السكاني (١٩٦٣)

استمر وجود هذه البرك منذ ظهور القرى. وقد أشار إليها «Joseph» على أنها تجمعات مياه وهي موصوفة لمستنقع أو بحيرة بنقوش من العهد الروماني أو البيزنطي^(٩٠) ومع ذلك، لم ينقطع بناؤها عند الفتح الإسلامي، وقد دلّ على ذلك نقش عربي وجد في «ريمة حازم» مؤرخ في عام ٧٢٢ و٧٤٢ بعد الميلاد. يشير إلى بناء البركة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الذي تميز بنشاطه في مثل هذا الحقل^(٩١).

ضمن هذه المعطيات، ليس من المستغرب، أن موضوع المياه، كان يقيد اختيار مكان القرية، تنظيماً الأولية. وهكذا فيما يخص تركز القرية كان المنهج السائد هو استخدام الأراضي الصخرية - الربوات - التلال - رؤوس الجبال - لترك أكبر مساحة ممكنة للأراضي الزراعية. فهذا الهدف يمكن بلوغه في حال اشادة القرى في اللجا - مثل «شعارة» التي بنيت على الطفح حصراً.

إن المساحة التي تشغلها القرية المبنية بشكل مزدحم، تكون محاطة بمنطقة بسايتين وزراعة شجرية (انظر الشكل ٣)، كما هو الحال اليوم، هذه المنطقة تمتد على بعض مئات الأمتار حول القرية بشكل مستمر بتعارض مع ما تبقى من الأراضي الزراعية، التي هي دوماً مغلقة بواسطة جدران حجرية عالية مكونة وحدات صغيرة للاستثمار العائلي. فهذا التنظيم

لا يمكن أن يكون هندسياً، لأنه يضم محاريب غير نظامية، ان حالة مناطق هذه البساتين القديمة، نادراً ما تلفت النظر لأنها تتعلق بأراضي يعاد زراعتها لدى عودة توطن أي قرية قديمة. ومع ذلك، لا مجال للانخداع إذ تم الاستنتاج خلال مرة واحدة، بعد مقارنة الحاضر مع الماضي، فقد سلم جديلاً، بأنه يمكن سقاية هذه البساتين عند الضرورة بفضل قريها من البرك، التي كانت سابقاً مخصصة لزراعات متعددة لصالح معيشة القرية.

أما تنظيم بقية الأراضي القابلة للزراعة، فقد أصبح هدفاً لتطور منفصل، أي أنه يحيط القرية بحزام زراعي آخر، سواء من الحقول المفتوحة، أو من الحقول الصغيرة المغلقة^(١١٠) أو من الاثنين معاً. إذن ما هو الفاصل لحدود قرية عن جارتها؟ الجواب: على الغالب يفصلها منطقة محجرة أو كتلة بارزة صخرية واسعة بمثابة الحدود. كما كانت الغابات المتبقية في الغرب تفصل بين قريتين، إبان العصور المتوسطة ولكن قد يصادف أن الأرض بمثابة هضبة خالية من الأحجار، عندها تصبح معرفة الحدود القديمة سهلة جداً. ومع كل ذلك، كان يوجد حدود واضحة معينة من قبل السلطات الإدارية وقد أعيد تحديدها خلال أعوام ٢٩٣ - ٣٠٥ تحت حكم، الولاية الربعية، وضمن نطاق الإصلاح الديوكليسي، وقد تبّع ذلك سلسلة من تنظيمات الحدود المساحية المدونة^(١١١)، لأن النصوص الواردة في النقوش تشير إلى تثبيت الحدود التي كانت موجودة سابقاً بصورة رسمية. وفي سبيل تثبيت الحدود كان التسجيل يعاد مرة ثانية مع وضع إشارة أو شكل ما، متجهة نحو كل من القريتين^(١١٢)، والشكل الذي بين المحيط يعني تقريباً الحدود، أما الأراضي وأحياناً كلمة الحقول تعني الأراضي الزراعية (الحقول)^(١١٣) ويستنتج من هذه النقوش أن القرية حسب القاعدة العامة، كان لها حدودها الإدارية المعروفة. إن مشاهدة الأرض أو الكليشيات الجوية لمعرفة حدود المنطقة، لا تعطي أي برهان مقنع خاصة إذا كان الحد مثبّثاً بعلاقة قابلة للنقل أو الاختفاء، وفيما عدا الحدود الطبيعية كالوادي مثلاً. يصادف أحياناً طرقات قديمة وواسعة محددة بجدران مبنية تكون بمثابة الحدود.

كيف تتوافق هذه الشبكة من حدود المناطق القروية، مع وضع أراضي الحاضرات أو المدن؟ قد يكون هذا السؤال وجيهاً. كانت الحاضرات أو المدن تقوم بصورة نظامية، بمهمة المدقق لمجموعة من الأراضي ومن ضمنها القرى أو بموجب خطة ثابتة كانت تعتبر كسائر التجمعات القروية الأخرى مثلاً. مدينة السويداء (Dionysics) التي هي إحدى مدن حوران، كانت حدودها تلامس حدود قرية «عتيل»، على بعد أربعة كيلو مترات نحو الشمال^(١١٤).

إن شبكة الطرق الرومانية لم تربط قرى حوران ببعضها، وإنما اقتصر على ربط المدن والنقاط الاستراتيجية^(١١٥). فمثل قرية المشنف أو الرشيدة قلماً ترفع إلى مرتبة عقدة مواصلات. إلا

أن القرى كانت تتصل ببعضها البعض بواسطة شبكة من الطرقات على شكل نجوم، تصل أي موقع بجميع ما يجاوره، وتضاف إلى شبكة كثيفة - هي أيضاً على شكل نجمة - من دروب محلية للانتقال في الحقول. (راجع الشكل رقم ٢، الذي يتعلق بضواحي مدينة بصرى حيث تفرض الطرقات الرومانية نفسها فوق شبكة من النوع الذي (وصف اعلاه)، لذلك بالنسبة لخوران، يجب الطعن في نموذج تنظيم الأراضي إلى مربعات منسقة الذي عرضه السيد E. Wirth^(١٧). وكانت الدهشة كبيرة عندما شوهد على الخريطة، وعلى كليشيهات الصور الجوية أيضاً، وفي بعض نقاط شبكة المواصلات، بين قرى خوران، بأنها كانت في القديم مشابهة لنموذج النجوم (العقد) المقترح من قبل السادة (Chrestaller et losch)^(١٨).

قد تكون غالباً طبيعة الأرض مانعاً لانطلاق شبكة مواصلات القرية. وفي قفر الاندفاعات الحممية باللجا، التي يجتازها طريق روماني استراتيجي يتجه من السويداء إلى المسمية، ولا يصلح إلا كطريق محلي فردي. فالدخول للقرى مثلاً «مسيكة» كان قد انشأ بموجب خطوط سير، ثابتة ومتعرجة جداً تنعطف خلال الصدوع - المنخفضات والتلوات الحممية للحفاظ بقدر الامكان على مستوى واحد. وعلى الأرض الصخرية المتجانسة وضعت علامات (اشارات) على هذه الدروب المرصوفة بالحجارة بكل دقة واعتناء. وعرض هذه الطريق، لا يزيد عن المتر الواحد بالكاد يتيح مرور الرجال وحيوانات النقل باستثناء عربات الجر، بدون انقطاع، مما أضفى على تلك الطرق، اللون الأسود اللامع سالكة وسط الأرض الرمادية التي تحيط بها. والغريب في الأمر، أن قرى هذا القطاع من حيث النقوش وال عمران لم تك أكثر حصراً من القطاعات الأخرى.

سياسة وعمارية

كان لدى القرويين مؤسسات كحاميات المدن: يا لها من مفاجأة! ومع ذلك، لم يثر هذا النوع الأصيل المبتكر من التنظيمات القروية. اهتمام مؤرخي العالم الروماني، حتى في الوقت الحديث، رغم المعطيات الوفيرة والواضحة، التي ورد ذكرها ضمن مقالة السيد (ماكليس هاريس) منذ عام ١٩٢٦^(١٩). ويمكن الافتراض بأن التنظيم الذي تشهد عليه الكتابات التي أوردتها هذا العالم، لم يكن، رغم تشابه العبارات، صورة مرسومة عن مؤسسات أو قوانين المدن، بل كان مطابقاً لأشكال قديمة من التنظيمات الجماعية القروية التي يجدر تعقب أثارها في المفردات السامية وفي تاريخ الشرق لما قبل العصر الروماني، هذا ليس موضوع حديثنا هنا، ولا نسعى لإظهار نتائج تحقيق هدفه معرفة إن كانت السلطة القروية بيد نخبة اجتماعية، بالاستناد إلى دراسة أسماء الاعلام، وبمعنى أصح، يتعلق

الأمر هنا بالبحث ضمن المؤسسات القروية الحورانية، المدونة في النصوص، عن دليل يسهل لنا فهم القرية باعتبارها بقية آثار.

كان سكان القرية «xwym» يؤلفون بمجموعهم «xoivov» تجمعاً له صندوق مال جماعي للصرف على النفقات العامة، كما يؤمن إدارة الشؤون القروية شخصيات مختلفة وجهاء غالباً العديد منهم كانوا مشتركين، كان تحت امرتهم (وظائف. مؤقتة قد تكون مرتبطة بمهمة واضحة^(٧١)) (الامناء) وأيضاً (المشرفين) وآخر (كالوكلاء) يظهر لنا وكأنهم يمثلون لجماعات قروية في الخارج، إن التعدد ضمن هذه الألقاب التي لا نذكر منها سوى المكرر يجعلنا نعتقد بوجود توزيع واضح جداً، ومحدد المهام قانونياً، ولكن ألا يُعبر هذا التعدد عن شكوك اليوناني تجاه وظائف بسيطة، لا تميز كبير بينها، بل هي غريبة عن التقاليد السياسية اليونانية؟ حتى أي مجلس من القرية لم يكن ظاهراً في النصوص، فإن وجود العديد من الاغلاط، التي حسب المصادر، لا تدعو للتفكير بأنها اغلاطاً وجدت في مدن المنطقة فقط، فقد رسخت الفكر بأن في القرى أيضاً مجالسها الاستشارية، فالبيت المشترك المشار إليه بأكثر من كتابة كان يستخدم كمكان اجتماع للمجلس. فالأمثلة التي أحصيت عن الآثار، والبيت المبني خلال القرن الرابع ب. م، في «وقم»^(٧٢)، والمدرسة المنشأة في القرن الثاني ب. م في قنوات^(٧٣) والتي تشبه ما سبقها في طبيعة العمل، وتعود الى الاعتقاد، بأن تلك البنايات كانت تستقبل الغرباء (الأعيان مثلاً) وهذا ما قد يفسر الوجود غير الواضح للعديد من الكوى (الخزائن) في قاعة الاجتماعات.

وإذا استذكرنا ذلك التنظيم «السياسي» الذي هو صورة عن استقلال الرابطة القروية، التي يمكن أن يقرب مفهومها كما عرف عن (المجلس) البلدي البيزنطي، خلال القرنين السابع والثامن^(٧٤)، فلن تعجب من وجود أموال جماعية ومن ظهور معابد فخمة البناء، في القرية، وكذلك الحمامات والمسارح والأسوار.

إن الملكية الجماعية لبعض الثروات ضعيفة التوثيق في النصوص. ولكن هناك مثالان واضحيان: كتابة في «شقرا»^(٧٥) تشير الى منع إنشاء بيدرلدراسة الحنطة أو مستودع أو أية منشآت أخرى (النص هنا محرف) على مكان مشترك وهذه العبارة الأخيرة قد أوردها (Clermonk Ganneau) بمعنى «عن أرض مشتركة بين قريتين س وع»، ولكن هذا المنع لم يصدر إلا بعد تشاور سكان قرية واحدة. الأمر الذي فهم خطأ، بأن الأراضي المحصورة كانت من اختصاص القريتين، ومن المحتمل أن هذا المكان المشترك هو بمثابة أراضي مشتركة، وقد ثبت ذلك المفهوم، بالقانون الريفي الصادر في العصر البيزنطي^(٧٦)، وكتابة أخرى، في «مجادل» (PPUAESIIIA 787)، تشير الى منح قطعة أرض خاصة الى الملكية المشتركة لإقامة بناء على الأملاك العامة.

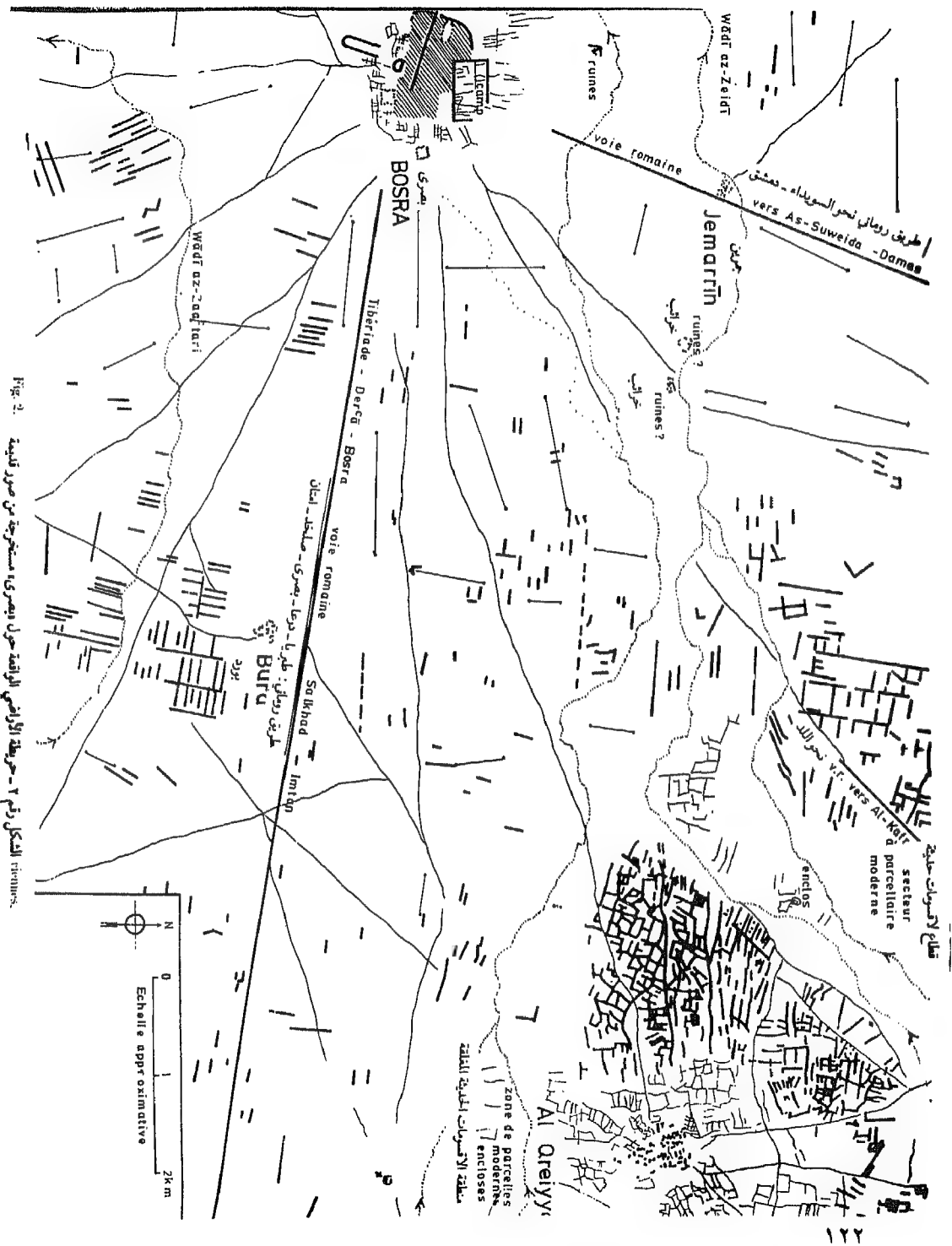


Fig. 2. الشكل رقم ٢ - خريطة الأراضي الواقعة حول بصرى، مستخرجة من صور قديمة.

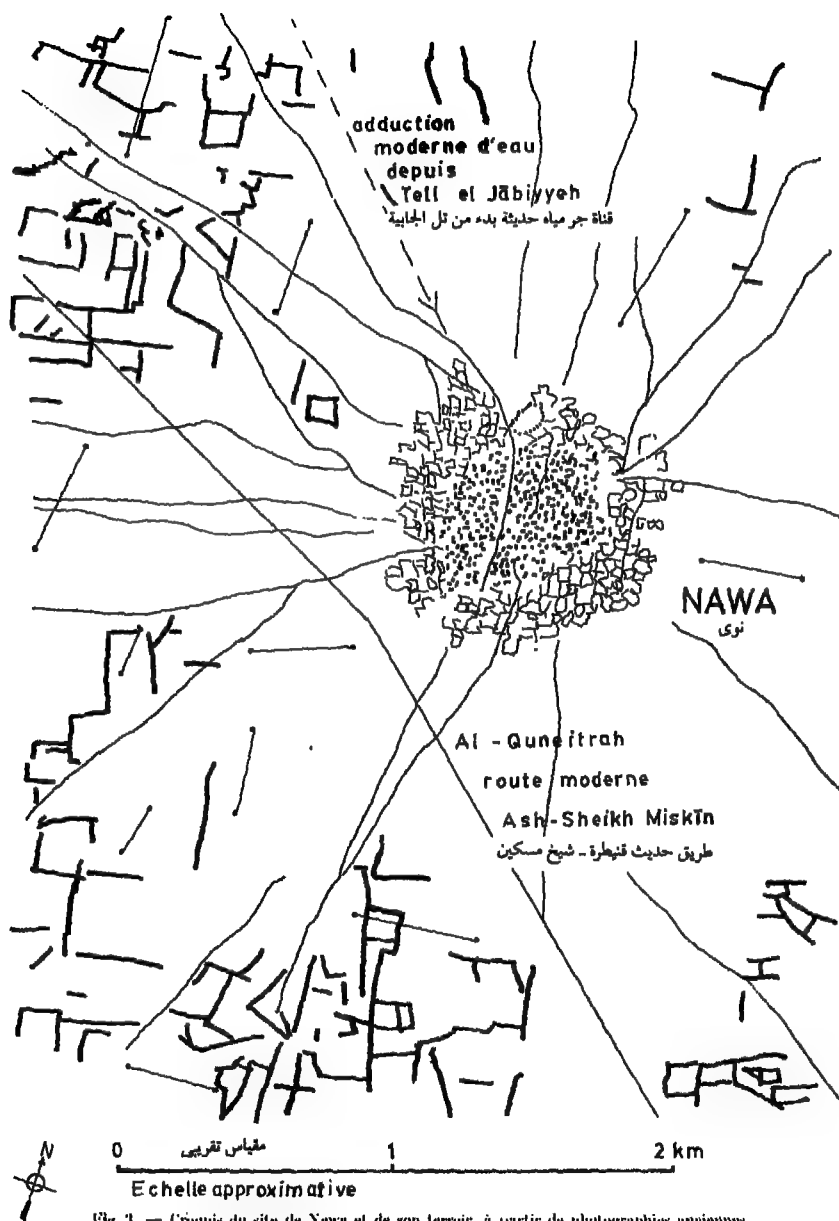


Fig. 3. — Croquis du site de Nawa et de son terroir, à partir de photographies anciennes.
الشكل رقم ٣ - خريطة رسم لواقع نوى وأراضيها مستخرجة من صور قديمة

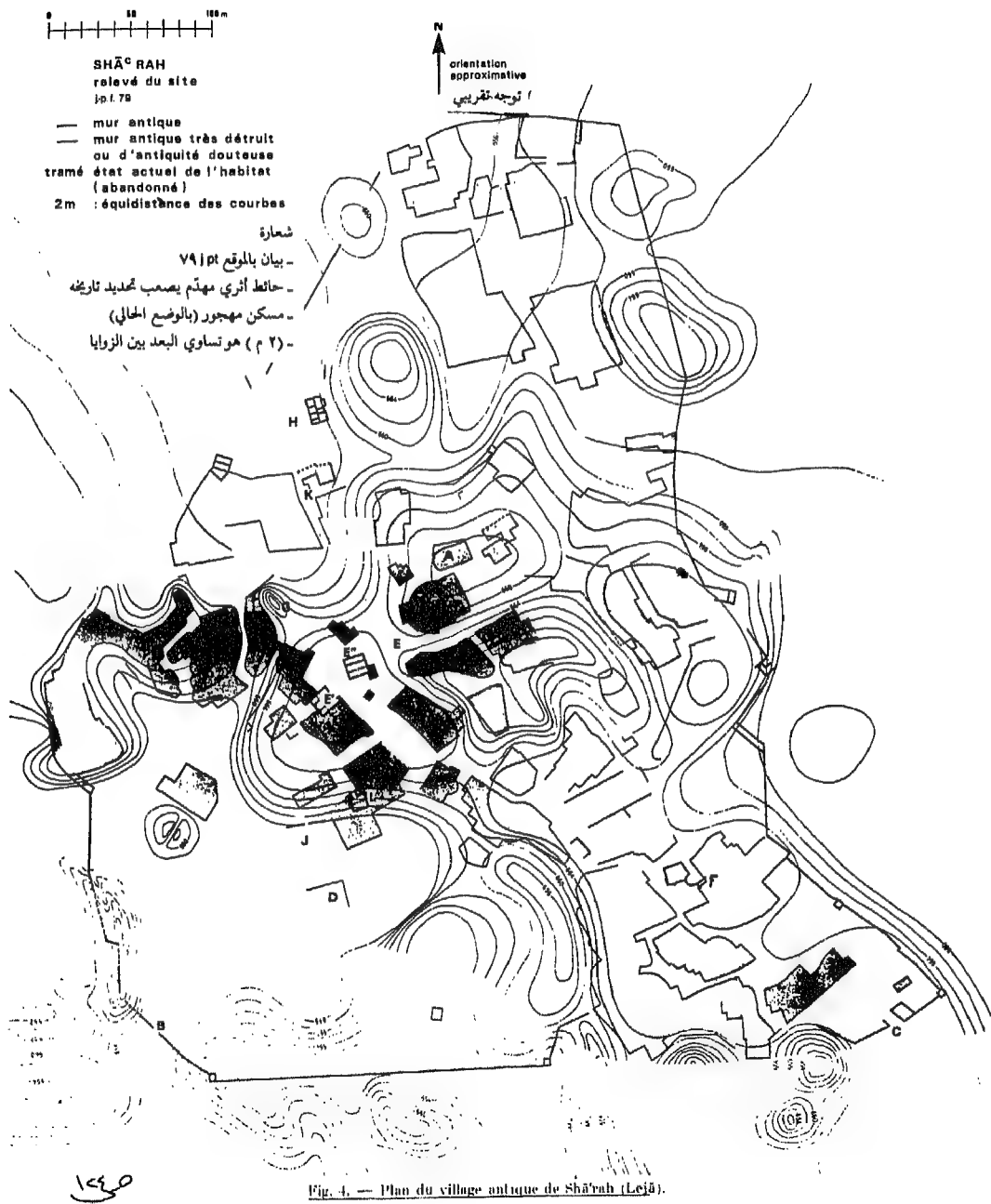


Fig. 4. — Plan du village antique de Shā'rah (Lejā).

الشكل رقم ٤ - رسم بيانى لقريه وشعاره الأثرية في اللجا

يوجد اذن هنا اثبات عن ملكية جماعية لبعض الأراضي ، بجانب الملكية الجماعية للابنية العامة ، ومن الصعب الذهاب الى أبعد من ذلك ، ولا مجال للتفكير بأن الملكية الجماعية للأرض كانت الحالة العامة السائدة^(٧٧) ، بل بالعكس ، فإن واقع الكتابة في «شقرا» يشير الى أن بقعة الأرض المشتركة بوصفها وحدة خاصة تبعث على الاعتقاد ، بأن الأراضي كانت على العموم بمثابة أملاك خاصة . كما يظهر لنا بأن البحث عن تسلسل اجتماعي في القرية ، أساسه الفني العقاري ، الذي يمكن الاستدلال عليه بدراسة اسماء الواهبين في كتابات المقدمات الاهدائية المنقوشة على الصروح والآثار القروية ، سيكون اجراء مفيداً . ومن المناسب التساؤل عن امكانية اعادة توزيع الأراضي بصورة نظامية ، كما تم تطبيقه في سورية الحديثة^(٧٨) حيث أصبح تعاقب الزراعة في الأراضي الخاصة ، ذا مدلول الزامي جماعي .

لاعطاء نظرة الآن ، عن تنظيم المجال الأرضي الفردي ، لابد من الاعتماد على حالة واحدة واضحة . مثل قرية «شعارة» القريبة من المسمية على طريق اللجا الشمالي (الشكل رقم ٤) . فهي احدى القرى الأثرية القديمة في اللجا غير مسكونة حالياً (القرية الحديثة توضع خارج الخراب) ولكن رغم خصوصية وضع هذه القرية ، فإن منظرها الأثري القديم ، إذا ما اتينا على التفصيل ، تبدل كثيراً بسبب السكن المتأخر الذي حدث فيها خلال القرن العشرين ، (حيث يوجد بيوتاً أعيد سكناها أو تعميرها بواسطة بدو (الصلوط) ومع ذلك ، فالحالة الراهنة للخرائب تسمح بإعطاء فكرة جيدة عن مجمل بنية القرية القديمة .

ان قرية «شعارة» التي لا يعرف اسمها القديم ، هي مبنية على أرض صخرية «حمية» بالكامل ذات طبوغرافية متعرجة جداً ، محرومة من أي أرض قابلة للفلاحة ، وموقعها ينحرف عن المحاور الكبرى للطرق الأثرية القديمة . ولا تستفيد مباشرة من طريق اللجا الروماني ، الذي يمر في المسمية بعيداً عن الشرق منها ، ولكن موضع القرية ، أتاح لها بالاشراف على مدى عدة أمتار ، ومن أعالي طرف اللجا ، على السهل القائم في شهاها ، يفيدها من وجهة النظر الدفاعية ، يعتبر سهلها جزءاً من أراض غرينية بحرية من العهد الرابع ، بينما أرض اللجا في الداخل والجنوب تعتبر أراضي رعي .

ان فحص الكتابات والخزف السطحي^(٧٩) وبعض العملات يجعلنا نعتقد بأن الموقع كان أهلاً بالسكان اعتباراً من بداية القرن الأول بعد الميلاد ، كحد أقصى ، وحتى العصر الأموي على الأقل ، يتخلل ذلك أيضاً توطن متوسطي في العهود الأيوبية (حسب النقوش الخزفية) والمملوكية (حسب العملة) والعثمانية (حسب الخزف) .

فقد نظم المخطط المرسوم في (الشكل رقم ٤) بصورة ارتجالية على الأرض ، بموجب مقياس زاوي بالاستناد الى مقياس الأبعاد ، وبواسطة قانس المسافات (الديكامتر) . لذلك

أنت دقة محيط خطوط المستوى تقريبية. أما درجات الارتفاع فقد أعطيت بالنسبة لنقطة جيوديزية. موجودة وسط الخرائب (النقطة A)، والمخطط هذا يمثل بواسطة خطوطه المتصلة، الآثار القديمة الأكيدة وباللون الرمادي المساحات التي أقيمت عليها أبنية في الوضع الراهن (وهي حديثة نوعاً ما في بعض الحالات). فالقرية لها حدود واضحة نظراً لاحاطتها بسور على وجه التقريب. وعلى المخطط لها شكل مثلث قاعدته ضيقة ويستنتج من ذلك، بكل سهولة، بأنها قرية ذات حجم كبير، بطور ٦٠٠م من الشمال الى الجنوب و٥٠٠م من الشرق الى الغرب كحد أقصى، وهذه الأحجام الكبيرة ليست بالحالة الوحيدة اذا ما قورنت مع مخطط «أم الجمال» في جنوب «حوران» الذي أعيد نشره حديثاً^(٣٩) فالتشابه بينهما شديد، و(أم الجمال) هذه كناية عن تجمع سكني تمتد نوعاً ما حتى طول أقصاه ٨٠٠م ولكن من المؤكد حتى الآن أنها ليست مدينة، وأيضاً لا مجال للاعتقاد بأن «شعارة» كانت فيما سبق مدينة قديمة مجهولة، يمكن ربطها بمفهوم القرية، حتى لو لم يعثر مع أية كتابة أو نقوش تحمل كلمة الحسم: «قرية».

ان الجدار المحيطي هو، أصلاً، سور بسيط، أي جدار من صفين مبني بواسطة أحجار رطب منتظمة، بعرض يتراوح بين ٩٠ سم ومتر واحد، وبارتفاع ٢,٥م كحد أقصى، صفت فوق قاعدة أو علت مدماكين، وربما لا يظهر ذلك الجدار البتة، ومخطط سور بشكل مضلع غير منتظم. وغالباً ما تكون الأجزاء المستقيمة منه مفصولة بانفكاكات طفيفة. أما بناء الأبراج مربعة الزوايا فيبدو منظماً. وقد لوحظ أن الباب (B) مسدود عن طريق تعديل في الجنوب الغربي ينتهي الى منخفض ملائم للمرور، ويوجد على الغالب، باب ثانٍ في الجنوب الشرقي في (C) وأبواب أخرى قد زالت.

ان بناء الجدار المحيطي مستوحى من الطراز الهيليني، فالسور مفصول عن العمران القائم داخله، ويرتكز تخطيطه على المبادئ الطبوغرافية: وقد انتقيت الأراضي المنبسطة بالدرجة الأولى، من أعلى التقيقات الحممية التي تسمح باستطالة أجزاء البناء المستقيم وهكذا الحال، في جنوب القرية، ولكن تضاريس الأرض وعرة جداً في جميع الأحوال، والسور، غالباً ما يسائر المنخفضات الضيقة أو ينحدر بصورة عمودية وفق منعطفات المستوى من هذه الجهة من الباب (B) أو من تلك.

يخامر الشك الباحثين حول مفهوم ذلك السور. هل هو مترافق مع بناء القرية، يمكن الاعتقاد بوجود قرية بناها الرومان منذ القرن الأول قبل الميلاد، كموقع محصن لذلك القطاع المضطرب، أي اللجأ، وهكذا يدرك المرء لماذا توجد مساحة كبيرة باقية بدون بناء داخل السور ولم يتطور التجمع السكني لامتلاء فراغها. ولكن لم يحسن انتقاء موضع القرية من الوجهة الطبوغرافية، لتكون خط انطلاق كمستعمرة

عسكرية. فهل جرى بالعكس، تحصينها بعد هجوم أو ضربة لتفادي تهديد (وقع خلال القرن الثالث الميلادي)، رغم هذا الفرض، يصعب تفسير عدم ملازمة العمران للسور. على كل حال، اخفقت المعايير العلمية الأثرية في البت بتلك المسألة، حتى هذا الوقت. ووجود تحصين حول إحدى القرى لا يشكل، في حد ذاته، مسألة! فهناك أمثلة أخرى في الشرق الأدنى^(٨٠). ولكن ظهور مثل ذلك الحصن يبدونادراً في منطقة حوران وفي الحقبة التي نهتم نحن بها. إن الدفاع عن القرى، على العموم، كان قد تم وفقاً لمنهج آخر أكثر أهلية، يركز على إبراز نحو الخارج وبصورة متصلة تقريباً. واجهات من البيوت متصلة غير مفتوحة خاصة فوق منعطفات الأرض. تصادف هذه الحالة في «مجدل الشور» جنوب شرق حوران. إنها كلاسيكية في الشرق الأدنى منذ العصر الحديدي^(٨١). ويعتبر هذا الأسلوب في محض القرى كلاسيكياً في بلدان الشرق الأدنى من العصر الحديدي وهو بحوران بالأبراج المألوفة المبينة بجانب البيوت لهدف دفاعي واضح.

لقد ذكرنا، في دراستنا للسور، المساحات الفارغة في «شعاره»، وهي موجودة ليس فقط بين الأمكنة المبينة وبين السور ولكن أيضاً بين الجزر العمرانية المختلفة. ودون تنظيم واضح. وهنا نصبح أمام نظام طرق وأمام تنظيم مدني (نسبة للمدنيين) غير منسق حيث لا مساقط عمودية، أو مستقيمة، وحيث المرور بين وحدتين سكنيتين قد يتقلص ويضيق - يتعرض - أو يتبدل بالاتجاه حسب مبادرات البنائين الخاصة. لم تعرف قرية «شعاره» التخطيط المسبق، ولا تنظيم المدن بشكل دقيق. إن فوضى المرور وطبيعة الأحياء المغلقة أو المستقلة، تثبت بأن الحياة، ضمن وحدة سكنية تتقدم على الاهتمام بالتنقل في القرية. هذه النقطة لا تنفرد بها «شعاره» لوحدها ولكن هذا الوضع موجود على العموم في جميع قرى حوران القديمة، حتى لو ظهرت هنا وهناك، كما في «مجدل الشور»، أو في «حور» في اللجا محاور مستقيمة تعتبر أصداء بعيدة لتنظيم المدن على الطراز الهيلينستي.

تقود المناطق الفارغة التي تشغل حيزاً واسعاً إلى طرح عدة أسئلة: أهى طارئة ولا فائدة منها؟. بلا شك كلا. ففي قرية «شعاره» بالذات (حسب الشكل رقم ٤) يتضح أن القطاع الواسع الكائن في المنخفض الجنوبي - الشرقي للقرية، هو بالواقع مشغول، بشكل جزئي، بآثار مجمع كبير للعبادة (D)، كانت الزاوية الشمالية لمعبده ما تزال باقية، وقد ظهرت على المخطط بخطوط خفيفة. كما ظهرت هذه المجموعة بشكل قطاع فارغ منبسطة بطبيعة الحال، كان مبلطاً بالصخر الحممي، تتبعه غرب (D) كومة واسعة من الخرائب التي لعبت فيها أيادي التنقيب خلسة، والتي أمكن بكل صعوبة، تتبع محيطها المستطيل الشكل. والتحقق من ذلك لا يتطرق إليه الشك نظراً لوجود العدد الكبير من تماثيل العبادة المحدودة الشكل، من نسور ورسوم نافرة كانت لاتزال منظورة خلال عام ١٩٧٨، وقد تم نقلها إلى متحف بصرى، بالإضافة إلى ذلك، عثر في قرية شعاره^(٨٢)، على كتابة في جامع

القطاع (E) تشير الى باحة أولى هذه الباحة الأولى تعود إلى القطاع (E) حيث يرى حتى الآن العديد من أجزاء أثرية لزيينات من العصر الروماني ، بالإضافة الى العديد من الكتابات التي أعيد استخدامها في الجامع فوجودها ينطوي على باحة ثانية قد تكون ساحة أخرى بنفس المبدأ أو لمبدأ آخر يعود للقطاع (D).

هناك ، قبل العصر المسيحي ، في «شعارة» ، على ما يبدو ، قطاعات على الأقل في المنطقة (D) و (A) مخصصة للعبادة . ومن المفيد أن نشير الى استمرار مكنة العبادة ، فبالقرب من أول باحة (E) شيدت كنيسة (E) ، لا تزال قواعدها مرئية ، ثم جامع في العصر المتوسطي (E) لا يزال بحالة جيدة . والظاهرة نفسها ترى في القطاع (F) . جنوب شرق القرية ، حيث بادت كنيسة في الصدر ، جاء على أثرها جامع له محراب بارز ، على نفس الموقع ، ويمكن القول أن هناك استمراراً لأماكن العبادة ، من العصر الجاهلي الوثني وحتى العصر الوسيط الإسلامي باستمرار ، وتكميلاً لموضوع أماكن العبادة هذه ، لابد من الإشارة الى حقيقة اكتشاف نصب وثني (C) طليق على كتلة الصخور فوق تراكم الحمم . فهو بارتفاع ٥ أمتار ، وقاعدة مربعة ضلعها ٣,٥ م ، وتتقدمه من الشمال مصطبة أبعادها ٣×٣ م محاطة بمقاعد حجرية متصلة بدرج منحوت من الصخر .

رغم ذلك ، فإن الفراغات ، غير المسكونة ، قد تكون مخصصة لمهام مفيدة ، مثل تخزين المياه ، وفي الجدار المحيطي لقرية «شعارة» ، البرك التي يمكن التعرف عليها ليست كثيرة . ولا يعرف منها سوى واحدة . (ولا يزال الأمر مشكوكاً فيه) في المنخفض الصغير الكائن شرق المنخفض الكبير للباحة الثانية (D). ولكن في أغلب القرى القديمة من حوران ، تحتل البرك الكبيرة داخل القرية حيزاً لا يمكن تجاهله .

أما المساحات الفارغة فلا شيء كانت تستخدم ؟ كفكرة خاطئة يجب التثبيت منها . كان البعض من هذه الأمكنة مخصصة لتخميم الرحل ، داخل نفس القرية^(٨٣) وفي حالات أخرى أكثر وضوحاً ، تقود الى الاعتقاد ، بأنها عبارة عن محلات للاجتماع العامة ، وما يشبه ذلك ، وفي «مسيكة» في «اللجا» من وجود مجمع نادر (الشكل رقم ٥) مؤلف من ساحة أفقية واسعة من الصخر ، غير مبنية ، على وجهها أثار سير متجهة نحو مكان معين . ومقاعد حجرية مرتبة بشكل نصف اهليلج ، ونوع من المنصة مستطيلة الشكل بارتفاع ٢٠ ، ١ م ، منشأة من تكديس ثابت للحجارة بمواجهة تلك المقاعد الحجرية ، كما يوجد في «صماد» في اللجا أيضاً كتابة ، تشير بكل وضوح الى منبر عام .

(PPUAES, III A 786,3)

إن القرى المحرومة من الساحة أو من الحيز الفارغ بدون بناء هي نادرة ومستثناة ففي «مجدل الشور» حيث تعود الفجوات حالياً ضمن كتل البناء القروي المترص جداً الى

تداعي واجهات الأبنية. إلى مثل تلك الاستثناءات يمكن أن نسير بتلك الفرضية التي تثبت وجود أنواعاً من الخدمات العامة (معابد، وبرك، ومكان اجتماعات، ومكان بيت للمواشي أو تخميم). وهي بمثابة فراغات مهمة جداً متروكة حرة، وخاضعة للتطور العفوي للسكان القرويين.

بقي علينا أن نذكر الأبنية العامة في القرية، وقد مر أعلاه ذكر الأبنية العامة في «شعارة» عشر على بعض الحمامات الصغيرة (H) غرب القرية، غير بعيدة عن السور وقد نشرت عنها بعثة Princeton^(٨١).

وأيضاً في «شعارة» يشار دوماً إلى وجود بناء يشك في عائدته، غير أنه جنائزي بدون شك، وفي منطقة (J) على المخطط بقرب الباحة الثانية أشير بخط عريض إلى آثار جدار دات مدماك بسيط مستند على جرف صخري (الشكل رقم ٦) بطول ٢٦,٧ م، مشيد بعناية، من أحجار كبيرة لامعة ومحضصة (حصى وملاط) - ركائز استناد (أوبنات باب) بارتفاع ٥٥,٥ م وطول وسطي ٧٥,٠ م. أما ارتفاع الحائط الأقصى المنظور فهو ٤ م ولكن المستوى الأدنى للأساس، غير منظور وكذلك رأس الحائط أيضاً. هذه المواجهة (a) هي عمياء (مظلمة) (الشكل رقم ٦) باستثناء رواق بقناطر (b) بعرض ٢ م ينتهي إلى باب اختفت مصاريحه.

يفتح الباب، من شرفة تعلوه بعدة أمتار، على مغارة طبيعية بشكل منحرف ولها اتجاه مواز لاتجاه الواجهة، ولا يوجد فيها أي مصدر للضوء سوى الباب فقط، وحالياً يتم النزول إليها، بين كومة من الأحجار، ولا يمكن الجزم باستبعاد وجود درج لها سابقاً، فالمغارة بطول ٣,٥ م وعرض ٨ م وارتفاع ٧ م على الأكثر. قدر هذا العلولكون الأرض مغطاة بأكوام من الحجارة وهي ترابية - فخارية مهشمة - عظام موتى - وإن كومات من الأحجار تتركز على أسفل الحواجز تقوم بمهمة مساندة في هذا المكان لأن الشرفات البارزة فيه توحى بالانقياد.

لاشك، بأن المغارة كانت تحوي العديد من المدافن، ويرى فيها على الأقل خمسة مدافن مبنية تجاه الحاجز الجنوبي، ويوجد مسلك ثانوي (G) له شكل عمر (سرداب) ضيق بطول ١٢ م وعرض ٧,٠ م وارتفاع ١,٣٠ م تقريباً، مغلق، يعد ثلث المجرى، بمصراع باب بازلي، هذا المنفذ متزامن مع بقية المجموعة، كون مخرجه الجنوبي متصل بالواجهة بواسطة حائط مبني بعناية فائقة وبنفس الطراز ومظهر الواجهة والممر، برأينا، خصص لإدخال الجثث.

فوق المغارة، وعلى مستوى أعلى في الهواء الطلق، اليوم وعلى نوع من مصطبة مشادة من تقطع الصخور يلاحظ وجود آثار القبور، أو حجرات منحوتة ضمن الصخور، تدعو إلى الاعتقاد، بأن مدافن كانت متوضعة في هذا المكان، فإن الحائط (D) يرتفع حتى

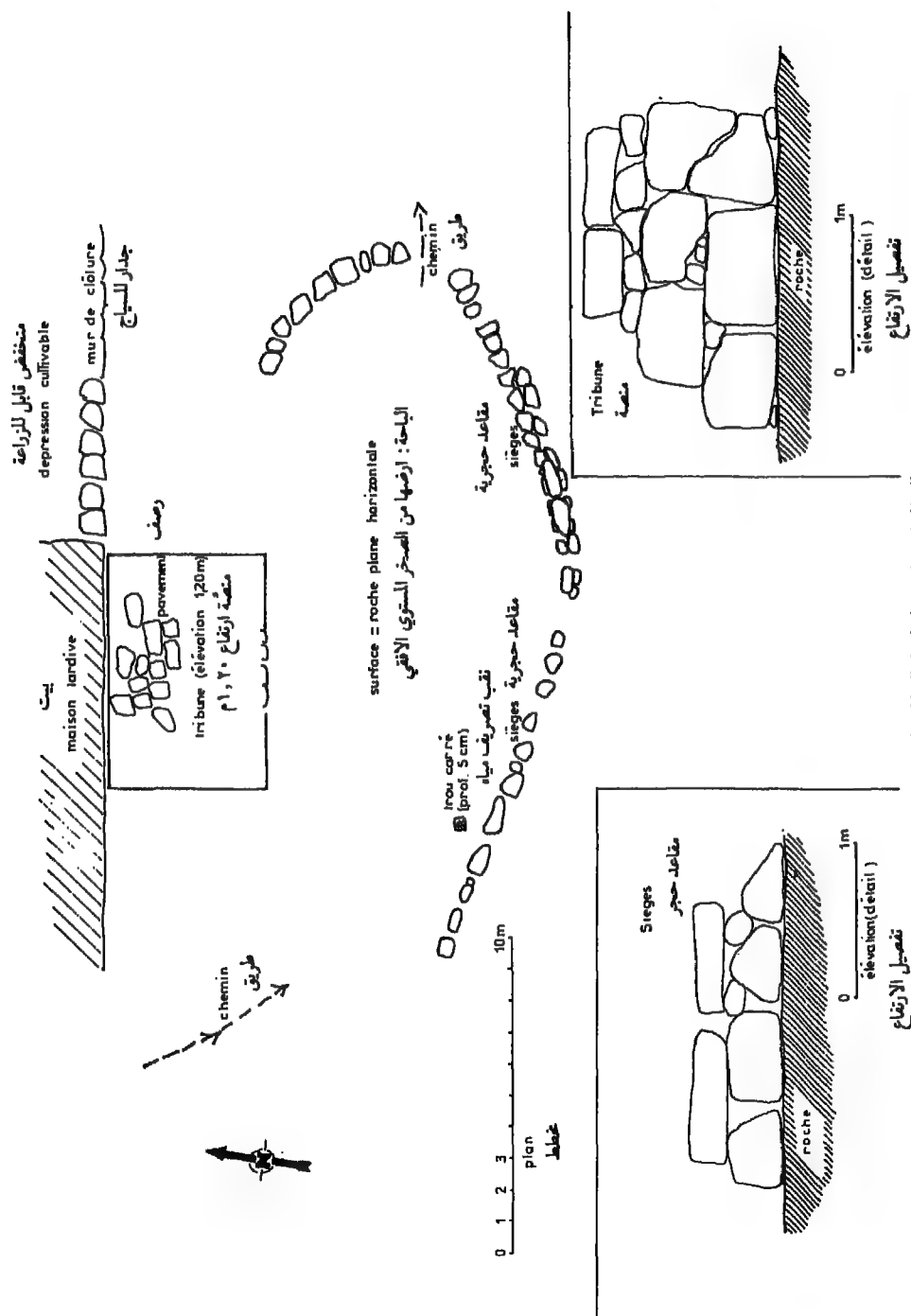


Fig. 5. — L'ugora d'el-Mseikeh (لجورا) : plan et détail.
الشكل رقم ٥ - الباحة العامة في «مسكة» اللجا - خطط مع تفصيل

هذا المستوى وأمام الواجهة توجد الجدران (C.F.G) القديمة . ولكنها فيما بعد أصبحت (مغلقة) . ويبدو من مظهر الجدار أنه متزامن مع اشادة البناء الأول إذن كيف يمكن فهم تلك المجموعة ؟ . فبالرغم من أحجامها الواسعة ، لا يمكن البت بأنها صممت حسب طراز ونموذج المدافن العائلية ، ولكن وجود الكومات غير المألوفة ، المبعثرة على أرض المغارة منذ العصر الوسيط بسبب التنقيبات السرية ، مما يدعو للاعتقاد بأن السرداب لم يكن كذلك منذ البداية وإن المقبرة كانت جماعية لجميع سكان القرية القديمة . . يجب اكمال التنقيب والتحري لمعرفة ذلك . والخزف الملتقط ، في هذا المكان ، يعود للعصر البيزنطي المتأخر (القرن ١٦ على الأقل) ولكن لا يوجد ضرورة للاستمرار من جهة ، ومن جهة أخرى ،

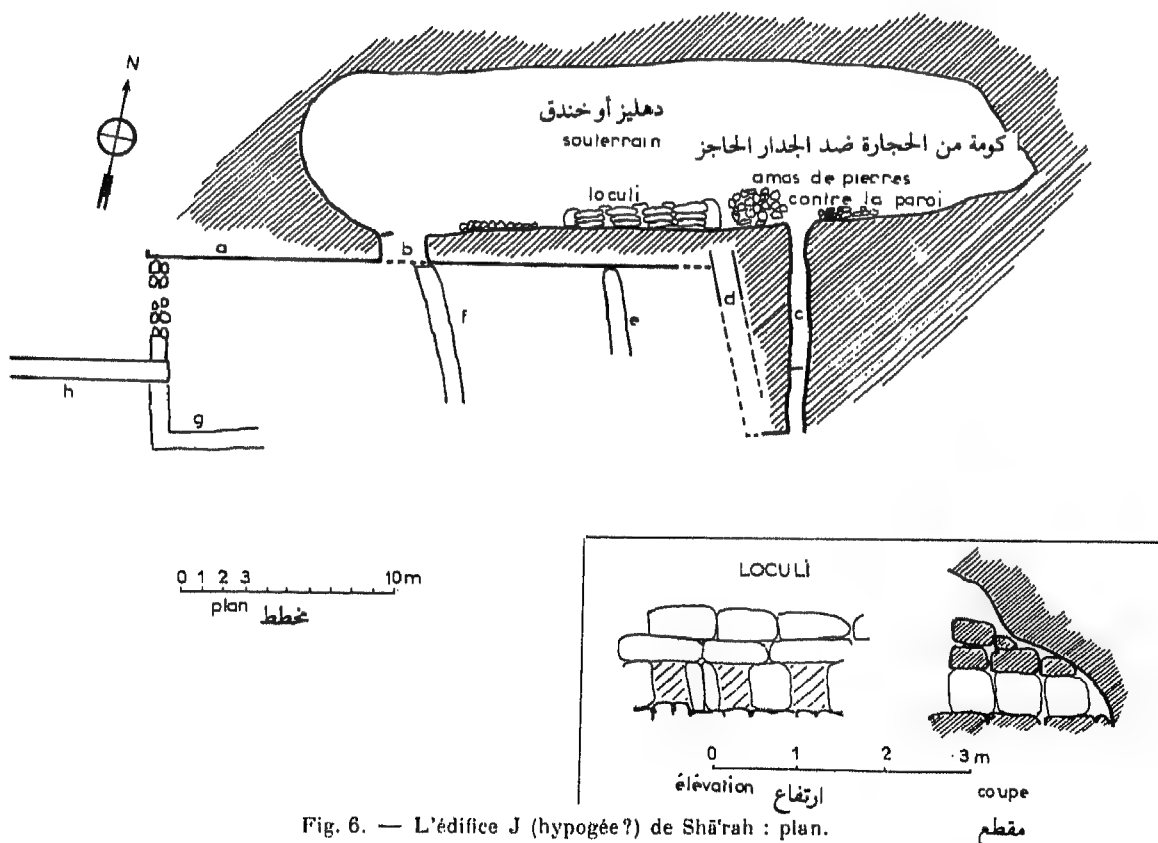


Fig. 6. — L'édifice J (hypogée?) de Shā'rah : plan.
الشكل رقم ٦ - الواجهة لمدفن تحت سطح الأرض في «شعارة» مخطط

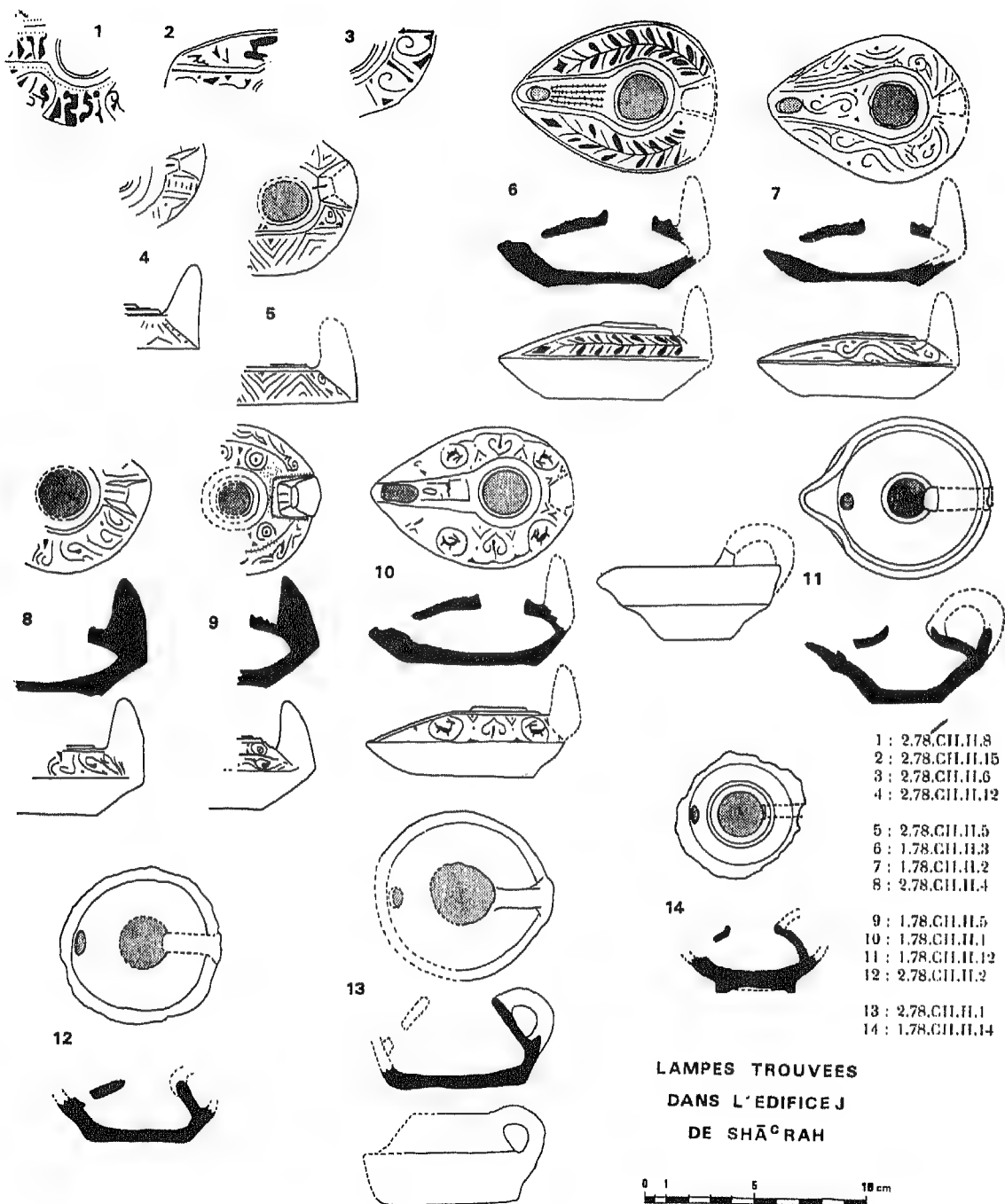


Fig. 7. — Lampes trouvées dans l'édifice J de Shārah.

شکل رقم ۷ - قنادیل عشر علیها فی الواجهة ا فی شعارة

لايستثنى من ذلك . وجود مواد أكثر قدماً من مواد التنقيبات المكتشفة . والحقيقة أن الطراز الظاهر للواجهة وللمجدران المتاخمة لها ، يجعل عائدة البناء الى ما بين القرن الثاني والرابع للميلاد . ينتشر ذلك هنا فقط (بالمعنى الوثائقي ، حسب الشكل رقم ٧) فإن رسم ال ١٤ قنديلاً ومعه ٢٢ من اجزاء قطع القناديل الملتقطة من هذه المغارة ، (لأن الثمانية الأخرى هي بمثابة أجزاء صغيرة جداً تعود الى مجموعة (a) :

(a) - (الشكل رقم ٧) - من ١ - ١٠ قناديل بشكل بيضاوي مستطيل ذات فتحات إملاء عريضة أو واسعة ، ولسان عالٍ من الطين الأسمر الفاتح الوردي وهوبشكل كوب صغير مجسم mokelée في اعلاه . ومن منطلق الزخرفة العربية ، يوجد زينات نباتية - حيوانية - وهندسية . وإذا كان شكل هذه القناديل التي تتمتع بوجود خاصرة fourchette عريضة جداً ، يميز الافتراض بأن تاريخها يعود الى العصر البيزنطي المتأخر ، القرن العاشر ، أما الزينات فترجح بأن تاريخ صنعها يعود للعصر الأموي أو العباسي .

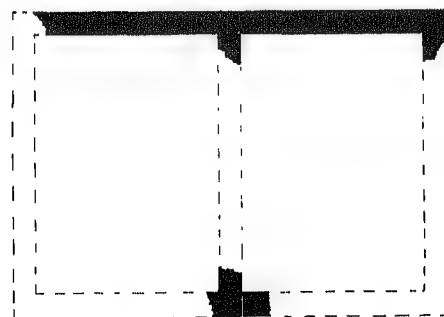
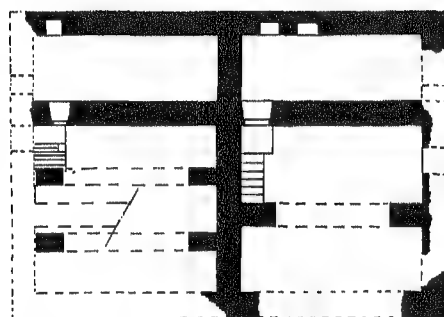
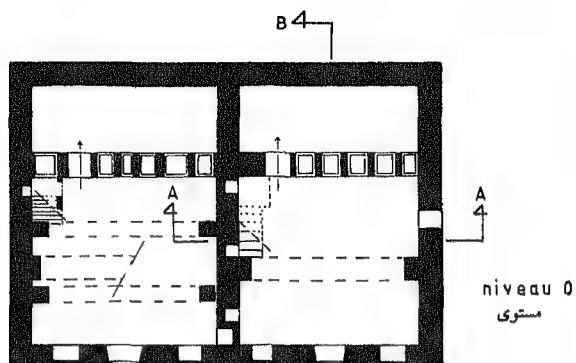
(b) - (الشكل رقم ٧ - ١١) قنديل مستدير من الطين الأحمر ذو مقبض ، والجوانب حملت تاريخاً بين القرن الثاني عشر والرابع عشر^(٨٥) .

(c) - (الشكل رقم ٧ - ١٢ - ١٣) قناديل مستديرة مجسمة - صناعتها غير متقنة ذات مقبض - وهي من الطين الأسمر الفاتح . ان عجيتها السيئة مع شكلها ، يذكران بنوعية الفخار المحلي السائد في العصر الأيوبي والمملوكي .

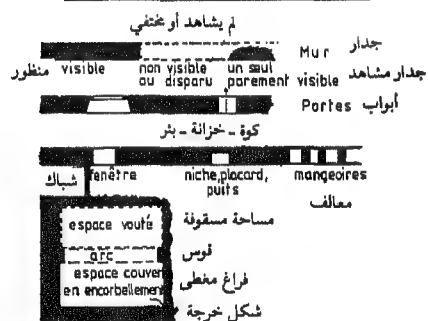
(d) - (الشكل رقم ٧ - ١٤) قنديل مستدير مبروم ذو مسكة ، مصنوع من الطين الأبيض المغطى بالدهان الكثيف الأخضر الفيروزي . ويعود طرازه للعصر العربي^(٨٦) المتأخر جداً (القرن ١٤ - ١٥) .

ان هذا التطور الطويل الأمد الطارىء على مدفن «شعارة» حدد لنا ضمن زاوية خاصة ، موضوع مقابر القرية ، لأن المدافن الكبيرة الجماعية لم تكن هي النموذج أو القاعدة ، والوقت مبكر كي نقتراح ظهور نموذجية معينة لقبور القرية ، إلا أننا استطعنا ملاحظة عدد كبير من القبور البسيطة ، وبخاصة في «المسيكة» المنحوتة في الصخر خارج القرية . ولا يفوتنا ان دراسة «مسيكة» ليست بالمقدار المتقدم ، لمعرفة ما اذا كانت هناك مدافن متجمعة ، في مناطق حددتها الوحدة العمرانية Communaute في «ذكر» على طرف اللجا الشرقي اكتشفنا خلال نيسان ١٩٨٥ مدفناً مقيباً فيه أخايد ، خارج القرية من جهة الجنوب الشرقي .

بعد ذكر مثل «شعارة» - فإن القرى القديمة في حوران ليست بمجموعات سكنية ريفية خالصة . إلا أن السكن فيها يبقى هو العنصر الرئيسي . وهي تتوضع بشكل جزر سكنية متراسة مغلقة باتجاه الخارج متضمنة أبنية وساحات مغلقة ، وفقاً لمخططات غير هندسية ، كما هو الحال في قرية «شعارة» .



LÉGENDE DES PLANS DE MAISONS



A, B, C : désignation de pièces du niveau 0

A', B', C' : — — — — 1

A'', B'', C'' : تحديد القطع على المستوى 2

A''', B''', C''' : — — — — 3

b تشير الى غرفة لا تحتل الا مستوى واحد أو مستويين (= basse niveau)

h (= haute) منخفض — occupant deux niveaux عال

Fig. 8. — Majdel ash-Shör, maison 1, plans.

الشكل رقم ٨ - ومجدل الشور، بيت رقم ١ - مخططات

الوطن الريفي

تعود أصالة الهندسة المعمارية الريفية في حوران، في بادئ الأمر، الى الاصاله الفنية. فالمواد المتواجدة هي الحجر البازلتي المستخدم بصورة خاصة في الجدران ذات الصفيق. لأن في ذلك توفيراً في الحجارة وفي الجهد وأخيراً في الكلفة. بغض النظر عن الضعف الفني للبنايين. ومع ذلك، وفي كثير من الحالات. يعرف العديد من البيوت الريفية، الجمية، الفنية، غنية الزخارف (مثلاً في «نوى» وفي «كفر ناسج»^(٨٧)) قريتين بيتاً وفق هذا المنظور الاقتصادي - السقف بصورة عامة من الجوائز البازلتية التي تركز على «ميازين» حجرية: الفرجة، أو المدى الاقصى لساحة الفرجة، تبلغ، باتباع هذه الطريقة، ٤م. تقريباً. ولكن قد يتضاعف هذا الحجم عند اللجوء الى انشاء القنطرة المتوسطة. وهكذا يكون خشب الأسقف، دلالة واضحة ليس على جث أخشاب المنطقة منذ العصر الروماني، وما قبله، بل على أن تقنية البناء هي حرفة محلية، ولا تستدعي اللجوء الى مواد مستوردة. وهنا يلاحظ الفرق بالمقارنة مع سورية الشمالية، حيث كان يستورد خشب البناء حسب «تشانكو».

وهكذا يعتبر البناء محلياً أصيلاً غير متنكر في وسط مماثل ينعدم فيه الخشب، كما في النقب، نجد الحلول نفسها (ايودا - سبيطة - كرب. . .)^(٨٨).

فالنقطة المهمة التي تتعلق بالسكن، هي توفر قاعدة هندسية معمارية، تستخدم في أوسع الحالات، رغم التعقيدات أو الكماليات التي يمكن ان تضاف اليها. وبالنسبة لسورية الجنوبية يمكن (بدون أي تغيير) الأخذ بالقاعدة التي أعلن عنها حديثاً بالنسبة لسورية الشمالية: «ليست للأبنية نماذج متعددة، لأن الفروقات الكائنة بينها ليست نوعية، انما تتعلق بترتيب الجدران، بارتفاعها، وبالمجال المتروك للزخرفة، وهذا يدل على أنها كانت فروقات تتعلق بكلفة البناء، وليس بمفاهيم متنوعة المبادئ والجوهر»^(٨٩).

ليس من السهل التفتيش بين الخرائب، للعشور على البيت النموذجي، الذي هو وحده يمثل المميزات الأساسية للبيت الحوراني القديم، دون معرفة مميزاته الخاصة التي لم تندثر، بل بقيت سليمة كما كانت، فمثال (الشكلين ٨ - ٩) هو بيت بسيط، وعيبه يكمن في عدم اكتمال ارتفاعه. وهو بيت في قرية «مجدل الشور» (البيت رقم ١ من تأشيرة بيوت هذا الموقع، تابعة لمخطط قيد النشر، ربما يعود بناؤه الى القرن الرابع الميلادي. ميزته الأساسية هي أنه بناء مؤلف من وحدتين متماثلتين عملياً. ملتصقتين ولكن غير مشتركين ولا حاجة للوقوف كثيراً عند هذا الترتيب، الذي نجده في سورية الشمالية أيضاً، والذي يمكن تفسيره بأنه كان مسكناً لأسرتي أخوين أو أب وابنه. لنلاحظ أن أحد شطري البيت، خاصة الشطر

الشرقي منه ، لأن النصف الثاني طرأت عليه بعض التعديلات ، (الأقواس) ، بعد استيطان الدور: يظهر لنا مخطط البيت الحوراني القديم .
تبين المخططات الواضحة في (الشكل رقم ٨) ، بأن الترتيب في البيت يشترك غرفة كبيرة داخلية بغرفة صغيرة خارجية ، المقطع في الشكل (9B) . يظهر بأن الغرفة الداخلية تشكل الطابق كله (مستوى ٠ - ١) أما الغرفة الخلفية فمقسمة الى نصفين الطابق ، ولكن يجب ألا يغرب عن ذهننا بأن المقطع ، في حالته الراهنة ، غير مكتمل ، ولا بد من أن ننشئ فوقه ارتفاعاً مماثلاً بالإضافة الى غرفة ماثلة للغرفة الكبيرة الداخلية ، ومن فوقها . والى غرفتين متوضعيتين الواحدة فوق الأخرى تعلوان نصفين طابقين فوق الغرف الخارجية .
لنحاول الآن العودة الى تفصيل مختلف عناصر البيت .

الجدران الخارجية :

مخطط الغرفة التي نهتم بدراستها مستطيل ، والجدران مزدوجة تربطها عوارض حجرية ؛ هي في معظم الحالات ، غير منتظمة الارتفاعات ، ولكن لا تراجع فيها ، ومع ذلك فإن تسلسل الوقائع التاريخية ، ودرجة الغنى تدخلان الكثير من المفارقات . فالواجهة التي تتخللها الأبواب والشبابيك والتي غالباً ماتكون مزخرفة بأروقة وبعناصر تزيينية ، تقابل بقية الجدران الثلاثة التي تنعدم المنافذ فيها ، أو تكاد . والشباك في الحائط الخارجي حالة شاذة (الشكل رقم ٨) ، وعلى العموم فإن الجدران الأخرى باستثناء الواجهة هي من الأحجار المقصوبة قليلاً وسيئة الترتيب . (Rough quadrated masonry) حسب تعريف Butler^(١١) انظر اللوحة 1a : خلفية البيت رقم (١) في «المسيرة» ، بينما الواجهة مبنية من الأحجار المحصصة ، متصلة فيما بينها بشكل Smooth quadrated masonry (انظر اللوحة 11 ، واجهة البيت رقم (١) في الكرك) . مع مظهر على الغالب جيد ، تزيينه أحجار بازلتية منحوتة ، ملساء ، جميلة ومتراصة ، (highly finished quadrated masonry) استخدمت كإطارات للفرج والكوى ، يتوسط الواجهة باب وحيد بعرض متر وسطيّاً ، يغلق بمصراع أو بمصراعين من البازلت ، كما يقارب ارتفاع الفرجة المترين (الشكل رقم ٩) . ويعلو الباب على العموم ، شباك صغير مربع الشكل (الشكل رقم ٩ ب ، انظر الشكل ١٠ ب) وظيفته تخفيف الحمل عن الجائز الذي يعلو الباب ، وتسهيل مجرى الهواء . كما يشاهد على جانبيه ، في غالب الأحيان ، شباكان آخران أكبر بقليل ، راجع اللوحة 1b حيث بجانب الشباكين المستطيلين الكوة المستديرة التي تحمل محل الشباك المركزي . وكان بالامكان اغلاق النوافذ بمصراع صغير من البازلت ، وهي مزودة أيضاً بمشابك خشبية بالطبع ، تشاهد ثقب تثبيتها ضمن اطار النافذة . ويلاحظ أحياناً واجهة من الكوات المتوازية المخطوط غير المغلقة على ارتفاع قامة

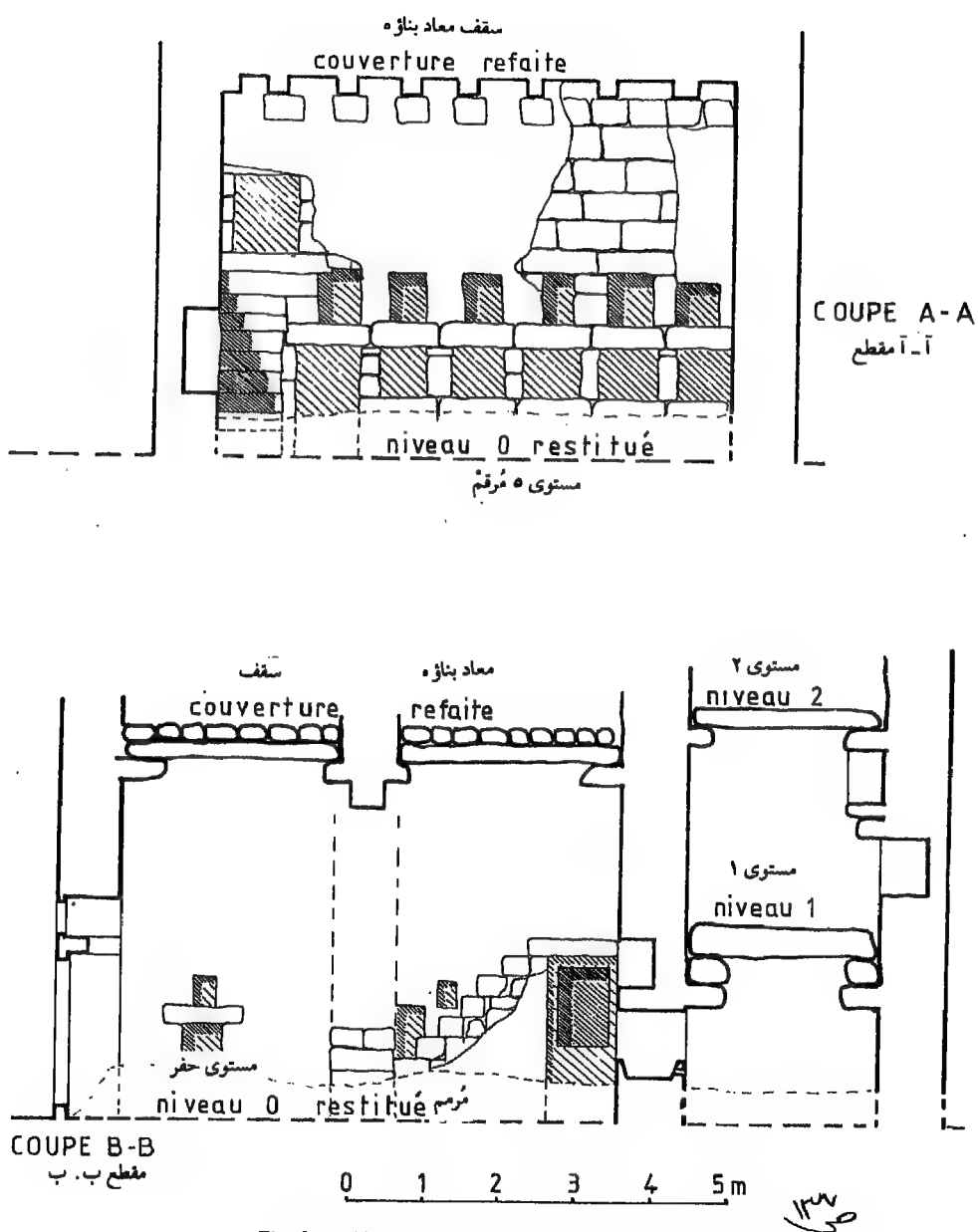


Fig. 9. — Majdel ash-Shōr, maison 1, coupes.

الشكل رقم ٩ - ومجدل الشوره البيت رقم ١ (مقاطع)

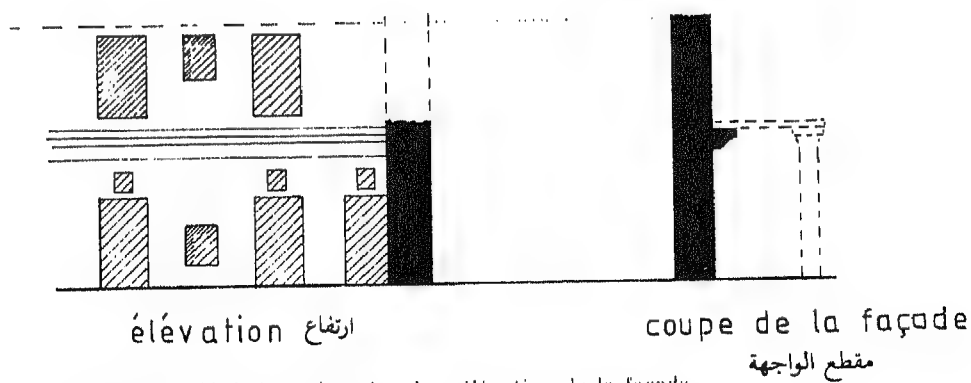
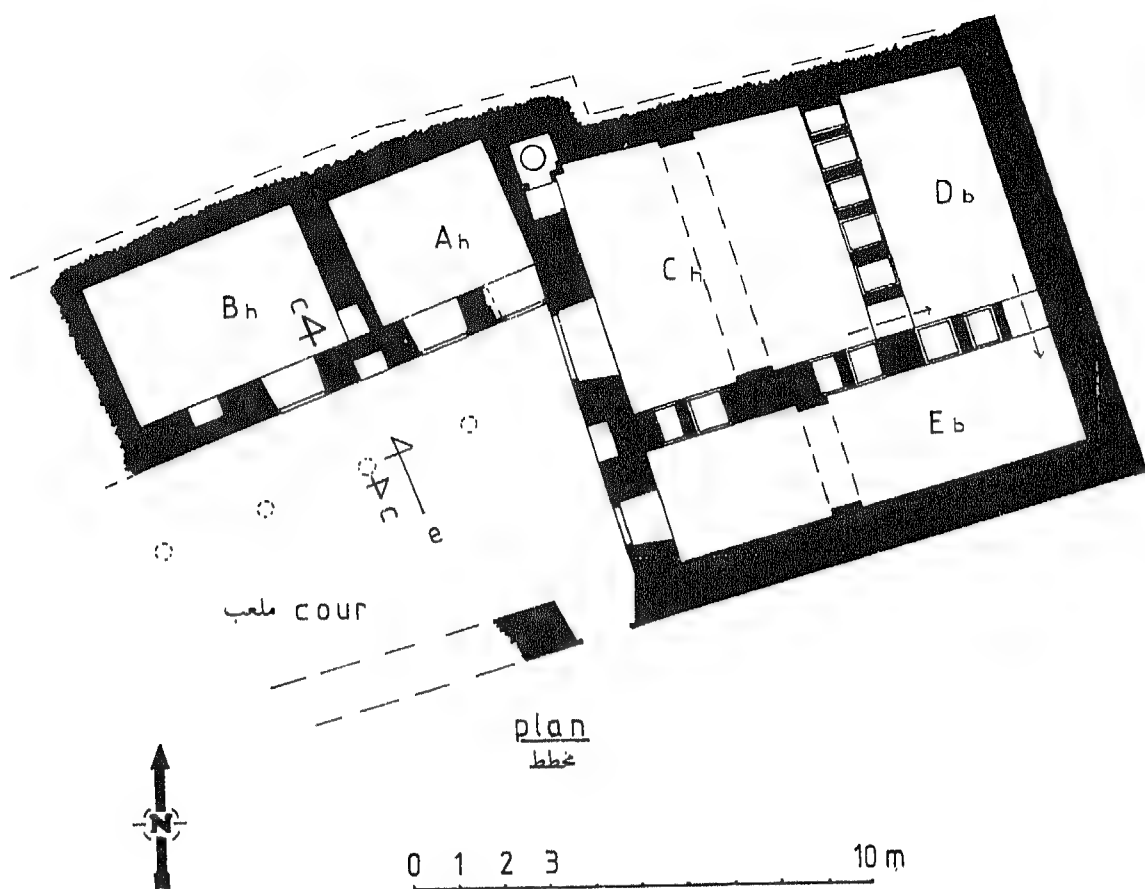


Fig. 10. -- Shā'rah, maison 1 : plan, élévation de la façade.

الشكل رقم ١٠ - «شعارة» البيت رقم ١ بيانات وارتفاع الواجهة - مخطط

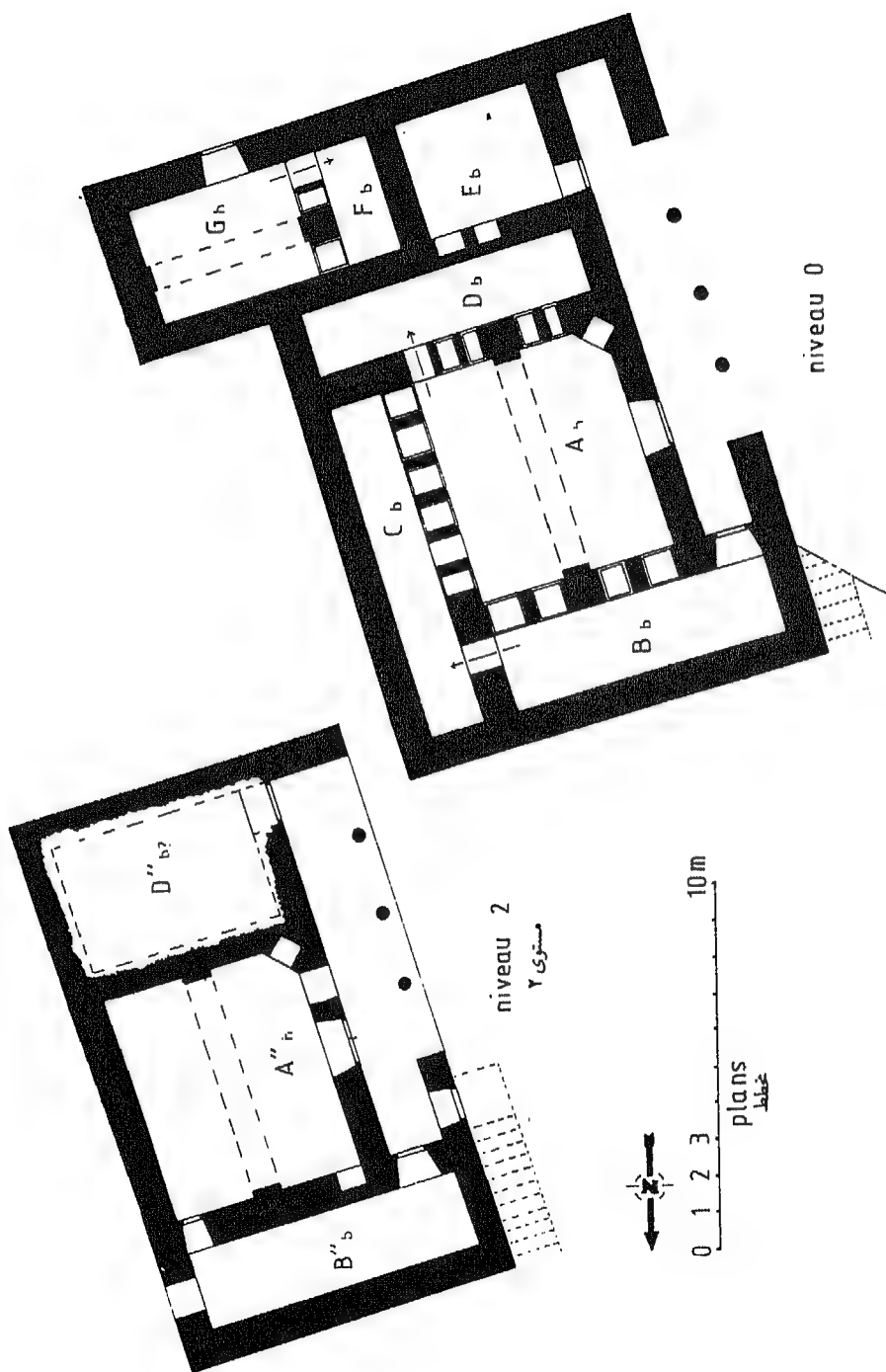


Fig. 11. — Umm az-Zeitun, maison 3 niveau 0, plans.
الشكل رقم ١١ - أم الزيتون البيت رقم ٣ - المستوى (صفى) يقات

الرجل، كان يوضع خلالها جرار شبيهة بخوابي اليوم لحفظ المياه باردة، بالتبخر عبر جوانبها المسامية.

الغرفة الداخلية للطابق الأرضي على مستوى (٠ صفر) من الأرض

ليس لهذه الغرفة أي منفذ، أو مصدر ضوئي سوى من الواجهة، وهي غرفة بشكل مربع تقريباً (الشكل رقم ٨) (٤٠ × ٦,٨٥ م) أي أنها من حجم متوسط، لأن مدى الجوانب البازلتية، يحول دون تجاوز هذا النموذج كثيراً. وهناك قنطرة في الوسط، موازية للواجهة، قد تكون واسعة أو ضيقة، وهي مبنية من أحجار مقصوبة بشكل أفضل من أحجار الجدران، وهي تحمل العوارض Corbeaux، التي تحمل بدورها بلاطات السقف، التي يجب أن تكون عمودية على الواجهة (الشكل رقم ٩ ب). وقد يصل ارتفاع الغرفة إلى ٥ أمتار أو يزيد. وتترك في الجدران أحياناً، وعلى ارتفاع قامة الرجل، كوى فيها أخاديد تستخدم كرفوف أو نقر تثبت فيها أبواب صغيرة لخزائن. والجدران من الداخل مغطاة، بخليط من التراب والتبن، وغالباً ما تكون هذه الطينة صلبة.

أما أرض الغرفة فلها ترتيب خاص (الشكل رقم ٨ و ٩) (الشكل رقم ٩ - a: الارتفاع). من جهة، درج من حجر، ملتصق بالجدار الغربي، ينتهي بمصطبة توازي نصف ارتفاع الغرفة وتقع أمام باب صغير للغرفة الخلفية للمستوى رقم ١، وإذا وجد قرص الدرج بصورة دائمة دون الدرج في حالات أخرى، فحينئذ لا بد من استعمال السلم الخشبي.

ومن الجهة الثانية يظهر الجزء الذي لم يستره درج حائط الغرفة الشمالي وقد فتح فيه ممر منخفض وضيق (٥٠ × ١,٧٥ م) يؤدي إلى الغرفة الخلفية. وهذه الفتحة ما كانت تغلق إلا بواسطة رتاج أفقي، من الخشب، يمكن ادخاله في فريضات على نصف ارتفاع. وهناك سلسلة من المعالف (خمسة هنا) كل واحد منها يتألف من حوض بعمق ٢٠، ٣٠ م مع حرف، كاطار من الأربع جهات وفي بعض الحالات لا يتواجد الحرف إلا على الجوانب الطويلة، ومن فتحة فوق الحوض، تمكن الحيوان من ادخال رأسه. وهذا الحوض يرتفع عن الأرض مقدار ٦٠، ٨٠ م إلى ٨٠، ٣٠ م، أما جوائز الفتحات وسقوفها المزينة، فهي على ارتفاع ١,٥ م. وهذه الفتحات تربط الغرفة الكبرى بالغرفة الخلفية في المستوى (صفر) الأرض. مما يتيح للرجل الواقف أن يعبر من خلالها. أما الأحواض وآخر الفتحات، فهي مبنية باعتماد شديد، أكثر من بقية أجزاء الحائط.

أما الغرفة الخلفية التي هي على مستوى الأرض (صفر). فهي بشكل مستطيل منحرف وبعرض ٢,٥ م فقط، وقد تكون أضيق في بعض الحالات. وهذه الغرفة لا تشكل

سوى مساحة نصف طابق وسقفها مكون من جوائز حجرية ترتكز على عوارض حجرية أيضاً، وتتخذ اتجاه الغرفة العرضاني، وأقصى ارتفاع للسقف لمثل هذا النوع من الغرف هو ٢,٢٠م، ان التنقيب الذي أجري على الغرفة ٨. من البيت رقم ١ في «سيع» خلال عام ١٩٨٢ يشير الى ان هذا الارتفاع لا يتعدى ١,٥٠م.

ان أعلى حلقات الأحواض، غالباً ما تكون مثقوبة من جانب للغرفة. بثقب مستدير قطره ٥سم تقريباً، ولهذا أهمية مزدوجة: الأولى: يثبت بأن هذا الثقب له علاقة أساسية بالمعالف بكل تأكيد، لأن له علاقة بالتنظيم الأساسي للغرف السفلية من البيوت الريفية، ولكن الثقوب الصغيرة في أحواض المعالف، تبين مدى ضرورة ربط كل حيوان في معلفه، والأهمية الثانية: هي ان الثقوب المخصصة للمقاود (جمع مقاود) الموجودة من جهة الغرفة الخلفية، تثبت بأن الغرفة كانت تستخدم كزربية للحيوانات. وكان هناك (بالدرجة الأولى) تردداً في انشاء الزربية ضمن الغرفة (الصالة) الداخلية الكبيرة. . . مثلما يقوم به اليوم الفلاحون الذين يعيدون استخدام تلك الطوابق الأرضية.

الغرفة الخلفية ذات المستوى رقم ١

هذه الغرفة كسابقتها ولها نفس الخصائص، من ظلمة، وسقف منخفض والاتصال الوحيد بالغرفة الداخلية هو الدرج. وهنا لا يوجد معالف للحيوانات بل كوى في الجدران وأحياناً شبك صغير جانبي (الشكل رقم ٨ - ١ في الشرق).

الطابق العلوي (المستوى ٢ - ٣): ان البناء والأحجام سواء في المخطط أو في المقطع هي مماثلة لغرف الطابق السفلي ذات المستوى (٠ - ١) فقط، لا يوجد معالف، اذن، هناك في الأمام غرفة كبيرة جداً ذات قنطرة تمتد على كامل ارتفاع الطابق، وتفتح على غرفتين فوق بعضهما البعض - مظلمتين - ضيقتين وطويلتين في الخلف.

السقف: وهو العنصر الوحيد الذي يندربقاؤه، لم تتمكن من ايجاد أية دلالة على سقوف مزدوجة الميل، ما خلا بعض الاستثناءات، اذن، كان يعلو البيوت سطوح مغطاة بالطين المتلاصق، مثلها هوسائد في البيوت الحديثة الآن في المنطقة. وكانت العوارض الحجرية التي تحمل جوائز السقف البازلتية تفرض حمولة كبيرة مما يجعل ارتفاعها يزيد على سطح البيت ليشكل حاجزاً منخفضاً. أما الصعود الى ذلك السطح فوسيلته درج خارجي يبنى على الغالب من جهة الواجهة الأمامية.

لا يشكل تفسير هذه المجموعة أية صعوبة في التفاصيل. فالطابق السفلي مخصص للأعمال الزراعية، الدليل الأساسي في ذلك، هو وجود المعالف، بشكل عام، في آخر الغرفة الكبيرة ذات القناطر، كما أشرنا. كان يمكن تخصيص الغرفة الخلفية، التي هي على

مستوى الأرض (٥) كزربية، ومن المسلم به أن الحيوانات كانت تدخل وتخرج من الزريبة، عبر الغرفة الكبيرة ذات القناطر. وهذا ينفي أنها كانت غرفة استقبال أو غرفة سكن. وهذا واضح أيضاً بأنه كان يعطى للحيوانات الأكل والشرب أثناء وجودها في الزريبة، عبر الغرفة الكبيرة، ومن خلال فتحات المعالف ومن الممكن أيضاً بأن علف كل حيوان، كان يوضع عبر الكوى التي تعلو المعالف أو كانت تودع فيها، المقادير والبرادع المخصصة لحيوانات الركوب.

إن طبيعة الماشية المزروية هنا تطرح المسألة التالية: فارتفاع المعالف والطريقة المنفردة فيها، تستثني الخراف والماعز (ولا ذكر هنا للخنازير). أما الخيول فهي كبيرة الحجم جداً سواء بالنسبة لارتفاع أغلب فتحات المعالف. أو بالنسبة لأغلب الاسطبلات التي يكاد عرضها لا يزيد عن المترين، وقد يحملنا التفكير على الاعتقاد بوجود خيول في حالات مجموعات من المرباط الأكثر ارتفاعاً، والمعدومة المعالف^(١١)، وفي حالات نادرة تشاهد فيها معالف خارجية بالواجهة^(١٢)، وفي الحالة العامة، يصعب تقديم براهين قاطعة على أن تلك المرباط كانت معدة للحمير والبغال والأبقار، ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأنها كانت خاصة للأبقار، يشار إلى الاسطبلات - في النقوش المكتشفة - بالكلمة اليونانية «ستافلون» التي لا تترهن على أية دلالة. ولكن في الحالة الوحيدة التي تكون فيها الكلمة اليونانية دقيقة، «فوستاسيون»، فهي دليل قاطع عن مربط الأبقار^(١٣).

أما الغرفة الموجودة فوق الزريبة يصعب تفسير سبب وجودها^(١٤). فهي مغلقة جيداً ومظلمة، تبدو وكأنها خصصت لخزان المواد التموينية، أو منتجات الغلال (كالحبوب) ولكن ليس من المؤكد أنها مصممة على طريقة معمارية فريدة لا تستخدم إلا لصالح الاسطبل، وليس لغيره، فالغرفة التي هي خلف المستوى رقم ١، لا تصلح أن تستخدم كمستودع حبوب، لأنه يوجد فيها على الغالب خزائن حائط. ولندكر بعض الحالات التي تستبدل فيها الغرف الصغيرة الأربع قليلة الارتفاع. الزريبة وغرف المستويات ١، ٢، ٣، بغرفة واحدة يقارب ارتفاعها العشرة أمتار، معدومة منافذ التهوية والاضاءة، وهي كناية عن مستودع لا يزال يطرح مسألة، نظراً لضيقه وصعوبة الدخول إليه (باب وحيد، في الأسفل، يؤدي إلى الغرفة الداخلية).

فالفلاحون الدروز أو الحورانيون أو البدو، الذين يعمدون استعمال هذه الخرائب، دون السكن فيها، لا يحترمون ذلك النظام العقلائي، بل يستخدمون الغرف الكبيرة كزرائب لمواشيهم بصرف النظر عن أنواعها أو خلفها، ويفسر الفلاح ذلك، بأن هذه الغرفة الكبيرة كانت تستخدم، زمن الرومان، مربطاً للحيوانات، وهذا تفسير خاطيء، تهرن عليه أماكن ثقب المقادير والأوضاع الواردة (في

الشكلين ١١ - ١٢). (إذن كيف كانت تربط الحيوانات التعسة الموجودة في الزوايا؟). وما هو إذن وضع الغرفة الكبيرة ذات القناطر الكائنة في الطابق الأرضي؟. سنحاول الاجابة على ذلك: انها غرفة خزن للمواد الزراعية ولبعض مواد المؤونة. أو محل لصيانة وصنع المعدات الزراعية الخ. . . وقد نضيف غرفة للسكن. ان الماشية القريبة جداً من هذه الغرفة ليست بالضرورة مزعجة، ومن خلال منظور الشكلين ٨ - ٩، فهي بالعكس تنقل الدفء، ولكن حينها تحيط الزرائب بالغرفة الكبيرة ذات القنطرة من جهاتها الثلاث (الشكل رقم ١١ - ١٢)، يمكن أن نستبعد، حيثذ، بأن الناس كانوا ينامون وسط تلك الحيوانات المحيطة بهم.

وحري بنا أن نعتقد بأن النوم والحياة المنزلية، بجميع تفاصيلها، كان مقرهما الطوابق العليا ذات المستويين ٢ و٣، فالعمل والحيوانات في المباني الأرضية، والسكن العائلي فوقها. هذه عادة قديمة، ومنتشرة في الشرق وليست مستغربة. يعيدها البعض الى فكرة دفاعية، حيث يقوم البيت بمثابة برج المراقبة؛ كما يمكن تشبيه هذه الهندسة المعمارية بالسكن البرجي المعروف خاصة في السيكلاد (Cyclados)^(١١٠) ولابد، على كل حال، من ذكر عوامل أخرى، أهمها:

- لعب الاقتصاد في مساحة البناء في هذه المنطقة وعلى الأكمة الصخرية، دوراً في الحفاظ على الأرض الزراعية الحرة بقدر المستطاع، وذلك منذ الوقت الذي نجحت فيه التقنيات المعمارية، ببناء طابقين متبيين، مثال خان القوافل في (جاوا) الذي يبين بأن هذا هو النموذج الذي كان مطبقاً في حوران منذ العصر البرونزي^(١١١). وبما أن الماشية والحيوانات تعيش في الأسفل، على التراب، فمن الطبيعي أن يستقر السكن في الأعلى.

- ولابد من أخذ الرفاهية البسيطة بعين الاعتبار، فكل من تجول في القرى السورية يعرف الغبار والأوحال التي يتعرض إليها الانسان. والذي يسكن في الطوابق، يتبعد عن الأوساخ، ويستنشق الهواء النقي، كما يتمتع بالمناظر الممتدة أمامه، والتي تتيح له مجال المراقبة.

في هذا الطابق السكني، تعود الأهمية للغرفة الكبيرة ذات القناطر وللدرج الذي يتقدمها، وهي بالحقيقة تماثل اليوم، المضافة، التي هي بالاساس غرفة استقبال وإيواء الضيوف، ولكن هذا لا يمنع من استعمالها كغرفة طعام للعائلة، في الأيام العادية، وكغرفة نوم، ومن المفروض في غرف النوم عادة، أن تكون خلفية ومظلمة.

ويعثر في بعض الاحيان في الطابق الأرضي على غرف كبيرة مزركشة بالزينات تستخدم كغرف للاستقبال دون أن يكون هناك أية زريبة ملحقة بها. وبدولنا منطقياً أن نعتبر الغرفة الكبيرة الطابقية كذات الأسرة الثلاث - تريكلينوس - التي ظهرت في بعض النقوش^(١١٢) عند

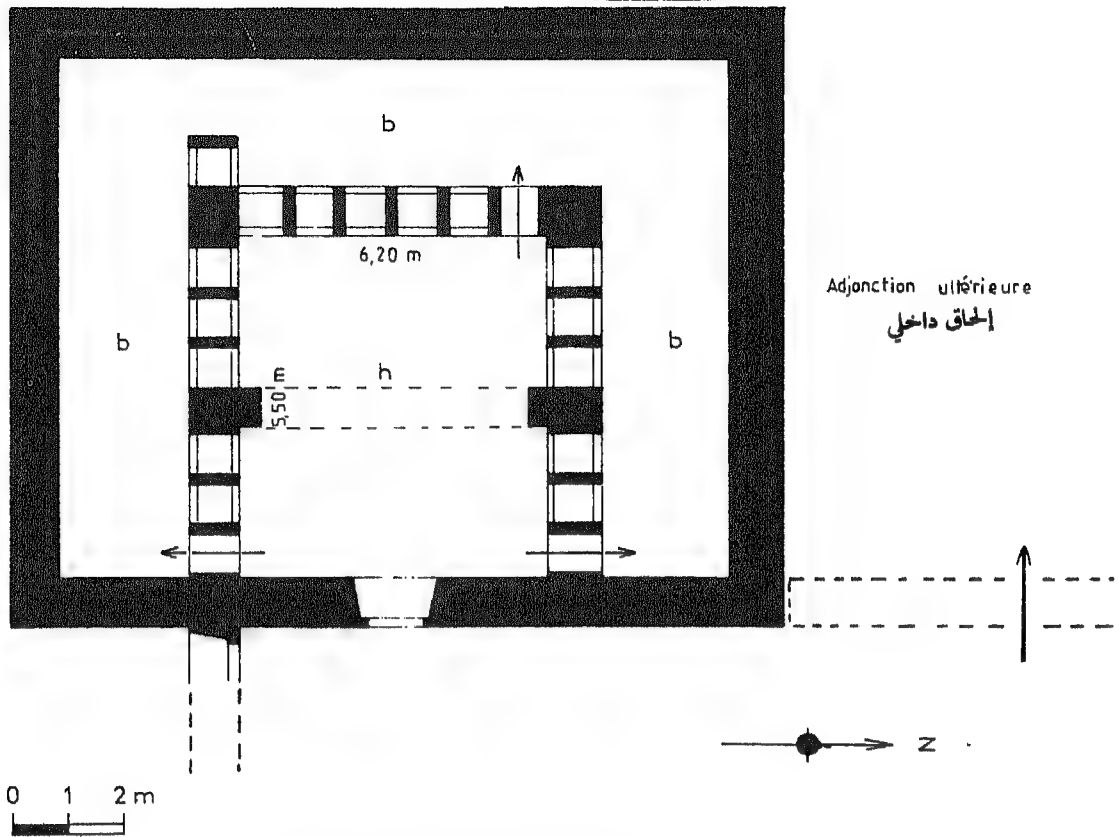


Fig. 12. — Al-Kerak, maison 3, plan.

الشكل رقم ١٢ مالكر البيت رقم ٣ مخطط بياني

ذكر انشاء المباني، سيما وأن العنصرين الرئيسيين^(١٦) في المنزل هما زربية البقر من جهة، وذات الأسرة الثلاث من جهة ثانية، وتسمية تلك القاعة بذات الأسرة الثلاث قد تبدو غير دقيقة. ولكن على ما يظهر، أن تنقيحاً كشف عن مصطبات أو مقاعد على جوانب الغرفة، وبالدات على الجوانب الثلاثة منها فقط - فالمضافة الحديثة هي اليوم بمثل هذه المقاعد. ويستدل من استخدامات السطح أنه كان يستعمل، كما هي الحال اليوم، لتنشيف الحبوب. ومع ذلك هناك نقاط غامضة: فإذا اضيئت جميع تلك الغرف المظلمة بمصابيح توضع مثلاً، في الكوى والرفوف الجدارية التي سبق ذكرها، فليس هناك دلائل على نظام التدفئة - كالموقد - أو المدفأة نادرة؛ ولا بد من أن يكون استعمال المنقل، أو موقد الجمر، قد عُمم. وينطبق الأمر ذاته، في البحث عن مكان المطبخ: لعله كانت هناك أفران خارجية، في باحة الدار. وعلى كل حال، يتم تحضير الطعام في العراء^(١٧).

يبدو أن السناج الكثير الذي يغطي غالباً السقوف والجوانب في تلك الغرف القديمة، كان قد نجم عن الاستعمالات المتعاقبة المتأخرة، ونحن نعرف، في أيامنا هذه، أن البدو المحضرين في سورية والاردن، لا يترددون في إيقاد النار ضمن الغرف المغلقة التي لا يدخلها أي هواء عمودي، تبقى دراسة أرض الغرفة، غير ممكنة، مادامت التنقيبات لم تحرر المستويات الأساسية من الركام الكثيف الذي يغطيها. وإذا صدف مرة، ان شوهد بلاط أرضي جيد، حتى لو كان في الطابق الأرضي، فلاموجب يستدعي الاسراع في الاعتقاد بأن أرضيات الغرف السفلية من طين.

أما بالنسبة للمياه، فإن تعبئة القرب والجرار التي كانت تستقر، على ما يبدو، داخل الكوى، تعتبر جزءاً من الاحتياطات المتخذة، أضف الى ذلك، بأن هناك أنظمة احتياطات أكثر تطوراً، يشاهد إحداها في الشكل رقم (١١). في الزاوية الجنوبية من الغرفة الرئيسية ذات القنطرة في الطابق الأرضي، وفي الطابق الذي يعلوه، هناك خزانة جدارية أقيمت ممتدة على عرض الجدار بشكل مائل، وبدون أرضية: وهكذا يتصل الطابق الأول بالطابق الأرضي، وبطابق أدنى لم نتمكن من استقصاء عمقه. والمثال ليس فريداً.

فنحن نعتقد أن ذلك الترتيب كان يتيح غرف الماء من الطابق الأرضي، أو من الطابق الذي يعلوه، من داخل الخزان. ولدينا أدلة ومثال على ذلك: الخزان الكائن في إحدى بيوتات بركة^(١٣)، أضف الى ذلك النظام المين في اللوحة (IC). والذي يظهر الزاوية الشمالية الشرقية لبيت كبير في «الهيآت» يعود تاريخه الى القرن السادس، فلا حدود العمودي يشاهد عبر الارتفاع المتبقي من الجدار الخارجي، الذي يمكن أن نعيد جر القنوات في داخله (قنوات معدنية أو من التراب المشوي) تخصّص لتصريف مياه الطابق الأول الوبخة (؟): أو لجلب المياه، بفضل الضغط، حتى أعلى مستوى في البيت، وهناك، من جهة ثانية، بيوت عديدة استخدمت خزانات فردية صغيرة كانت تقام داخل الأرض، وبخاصة تحت باحة الدار.

ان البيت الحوراني القديم، مبني وفقاً لنموذج صارم. وهو يحد ذاته وحدة مغلقة، لا يظهر للخارج الا جدراناً خالية من المنافذ، وفي كثيرة من الحالات، لا تفتح الواجهة على الخارج، بل بالعكس نحو باحة البيت الداخلية التي غالباً ما تكون مرصوفة ومغلقة. بحائط سور يطوق ثلاث جهات، أو بواجهات أجنحة البيوت الأخرى التي تطوق جزءاً منها حالما يكون مخططاً. إن القاء النظر على المخططات الثلاث المختلفة يقنعنا بظهور تلك الباحة المغلقة فالشكل رقم (١٣ b) يبين بيتاً في قرية «ام العويني» طلل قفر جنوب «خارمة» (Khazmeh). أن جناحي البيت مع حائط السور يحددان باحة مربعة الشكل ضلعها ١٠م تقريباً. تشغل جزءاً منها أماكن محاطة بأسوار صغيرة جداً. وفي الشكل رقم (١٤). في «أم الزيتون». تجدد

واجهات الأجنحة الغربية والشمالية للبيت رقم ١، والحائط الخارجي الخالي من النوافذ للبيت رقم ٢. مساحة كانت، بدون شك، مغلقة من جهة الجنوب بجدار، ومن جهة الشمال بباب يقع بين الجناح الشمالي للبيت رقم ١، والبيت رقم ٢، وهذه المساحة تشكل باحة البيت رقم ٢، والشكل رقم ١٥ يعطي المثل عن «كفر شمس» فالأجنحة الغربية - الشمالية - والشرقية للبيت رقم ٣ - متوضعة حول باحة، لا نعرف أن كانت مغلقة من جهة الجنوب، بجدار بسيط، أو مغلقة جزئياً بجناح جنوبي مهدوم. وهنا، لا بد من ذكر أن مخططاتنا، هي بطبيعة الحال، غير كاملة لأنها نجحت عن كشوفات دون تنقيب، ولأن الآثار القديمة لهذه الأبنية اختفت على الغالب بسبب العمران الحديث، من جهة أخرى، فإن الجدران البسيطة للسور هي التي اعتراها الدمار أولاً. بسبب هجر البيت، لذا فمن الطبيعي، أن وضع الباحة لا يتضح الا نادراً. وهناك حالة معلومة عن بيت بأربع أجنحة، متوضعة على شكل مربع يحيط بباحة داخلية، انه بيت جميل في «الحيات»^(١٨). ولربما. يميز هذا البناء وذلك التنسيق مع العصر البيزنطي المتأخر، سيما وأن تاريخ هذا المسكن يعود لعام ٥٧٨ ميلادي، فالنقش يُعرفُ البناء بأن «أفلي» auhy الذي يعني باللاتينية فيلا (Villa)، ولكنه يشير مع ذلك الى أهمية الباحة ودورها الرئيسي. ويعتقد أن مثل هذه الباحة في بيت ريفي متوسط، كانت تستخدم كفناء للطيور. أو موقع لفرن. أو باحة للخراف أو للماعز، أو لبعض حيوانات الجر. لم يتم التأكيد، بالحقيقة، من وجود بساتين مغلقة كانت متعلقة بالبيوت^(١٩). لذا فإننا نتمسك اذن بالفرضية القائلة أن البساتين كانت تشكل نطاقاً حول القرية.

وعلى سبيل الإيجاز، وحسب المعلومات المستنبطة من وضع البيت الريفي، يلاحظ بأن الطابق هو مخصص للسكن والاستقبال، والبناء الأرضي للحيوانات والعمل، وقد صمم ليؤمن للأسرة أو لمجموع العمال المنتخبين، باحة مغلقة ومحمية. وهذا غير ما ذكرناه اعلاه، حول الحياة الجماعية في القرى. فالفعاليات الجماعية والحياة الخاصة، لها ميادينها الخاصة، ووجود الزرائب داخل البيوت دليل على ذلك، أضف إلى ذلك أنه لا يمكن الوصول الى الزريبة أو الزرائب والمؤونة الاحتياطية أيضاً، الا بعد عبور باب الباحة ثم اجتياز الغرفة الكبيرة ذات القنطرة، وذلك وقاية من السرقة، بدون شك، أو تذكر لمفهوم معماري ساد في عصر كثير الاضطراب (عصر ما قبل الرومان) حيث كانت تخشى السرقة. ولكن من الخوف؟ من البدو الرحل، من ساكني القرى الأخرى؟ مع العلم بأن القرى المحصنة جداً كانت نادرة، وكل بيت، في نهاية الأمر، كان له حصن أو معتقل خاص. وهكذا يبدو لنا ذلك الترتيب للبيت مؤشراً واضحاً لظهور عقلية تعتبر الملكية الخاصة واستثمارها. نقطتين أساسيتين.

يفيد مفهوم البيت، في المنظور المعماري الصرف، عن اهتمام شديد بالاقتصاد في

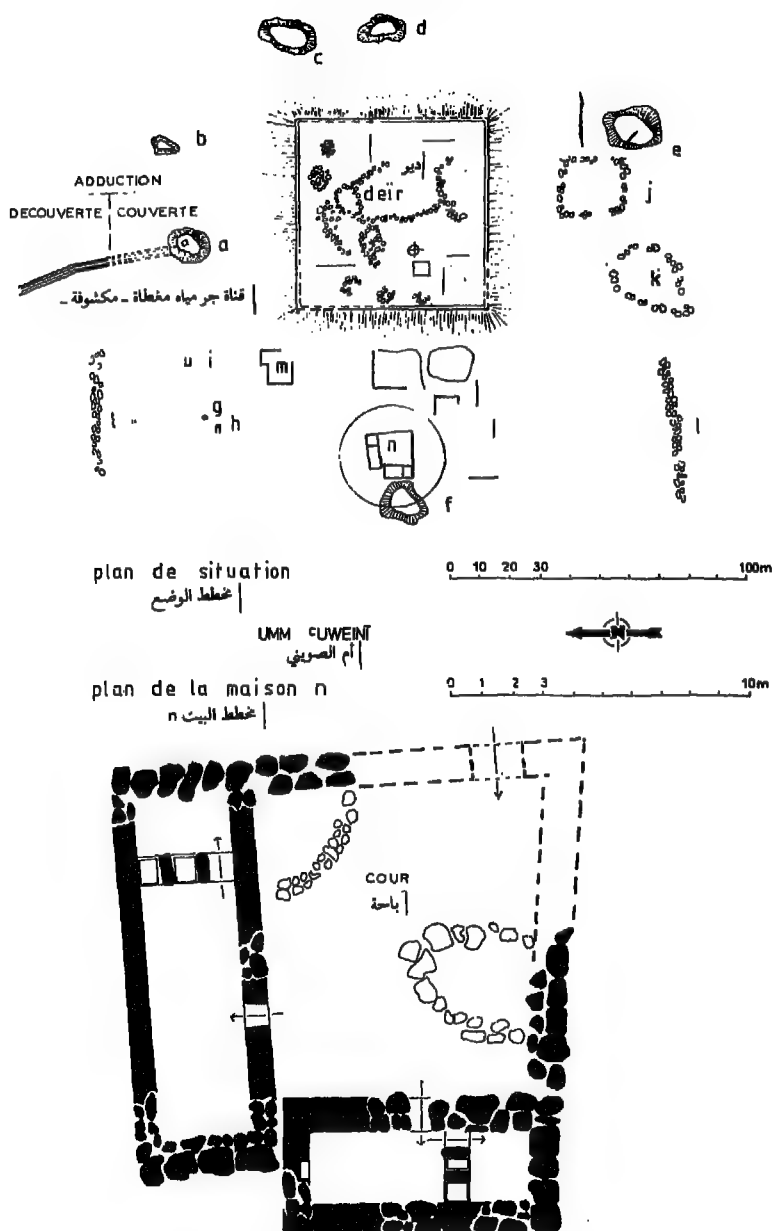


Fig. 13. — Umm 'Uweinī, plan d'ensemble et plan de l'une des maisons.
الشكل رقم ١٣ - مخطط إجمالي ومخطط أحد البيوت

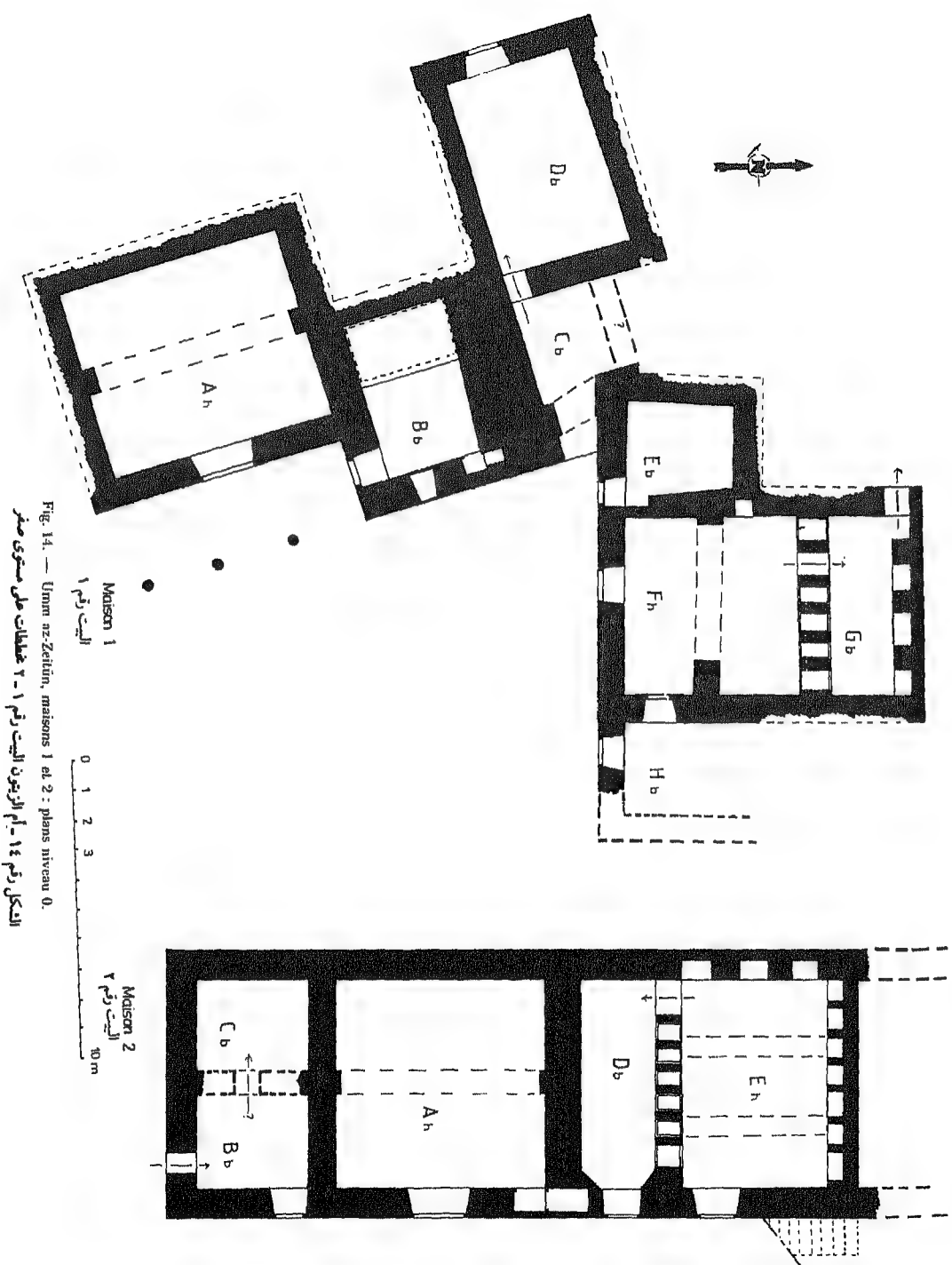
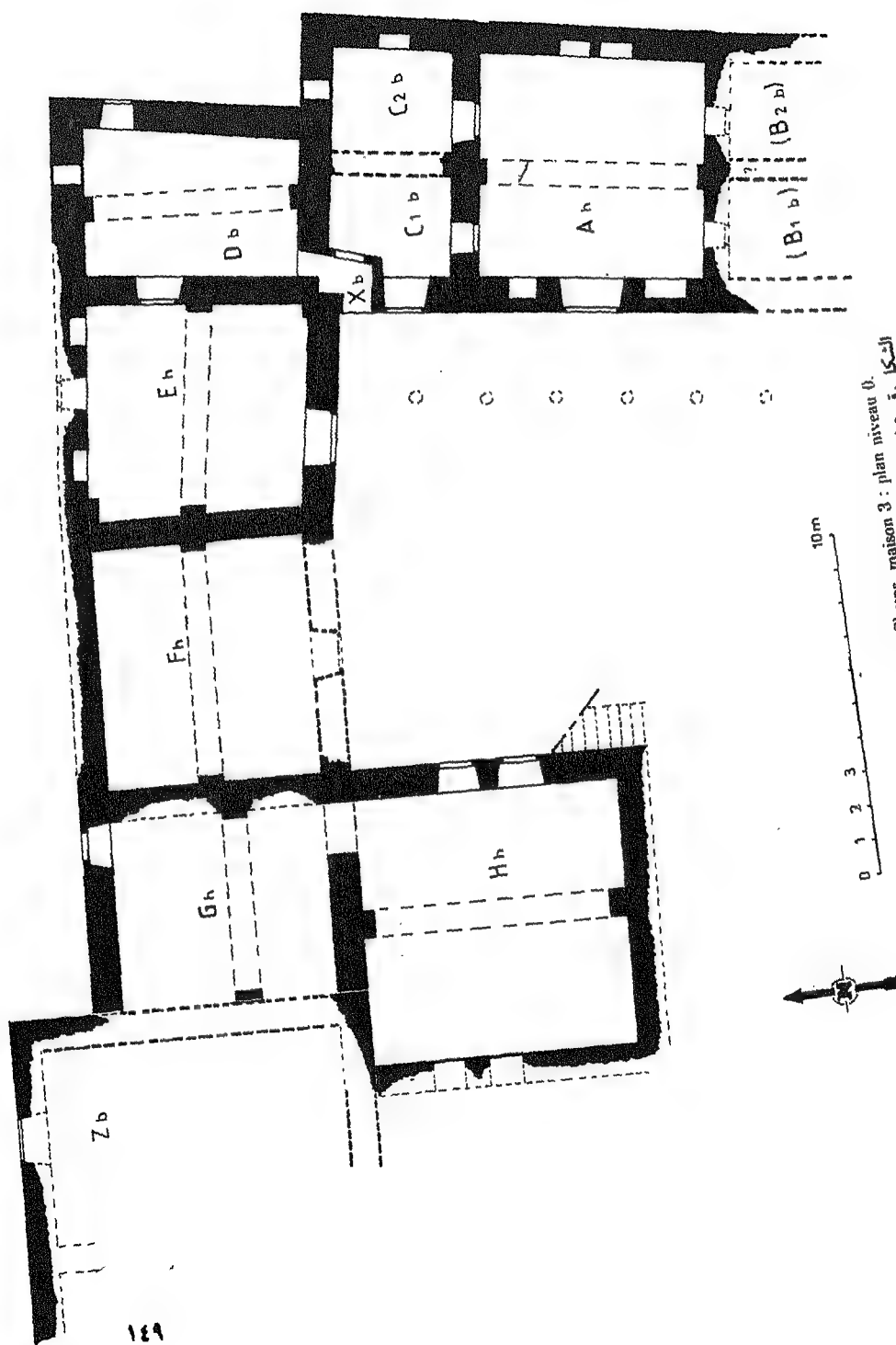


Fig. 14. — Umm az-Zeitūn, maisons 1 et 2 : plans niveau 0.
النكل رقم 14 - أم الزيتون البيت رقم ١ - ٢ : خططات على مستوى صفر



الشكل رقم ١٥ - دكتور شمس، البيت رقم ٣ مخطط على مستوى صفر

Fig. 15. — Kafr Shams, maison 3 : plan niveau 0.

المساحة، على الأرض أو عمودياً، دون الانتقاص من اتساع الغرفة الرئيسية. ولا من الزخرفة الدقيقة، فتلك البيوت التي لها مناظر بسيطة من الخارج، لها غالباً واجهات جميلة جداً، تتقدمها أروقة بقناطر دقيقة النحت، ومن ضمنها معالف من صنع جيد. تحدثنا، حتى الآن، عن البيوت القديمة في حوران بصورة غير متميزة، متمسكين فقط بالخصائص المشتركة النموذجية للمنطقة وللمعصر. ولكن الرتبة في مفهوم بناء السكن لا تنفي التنوع الكبير الحاصل في النوعية أو في أحجام الأبنية، فهناك مجموعة من الأمثلة البسيطة أو المعقدة التي توضح هذا التنوع من وجهة النظر النموذجية.

يتمثل النموذج الأقل إعداداً (الشكل رقم ١٣)، بمساكن أم العويني^(١٠٠)، البناء الفقير جداً، المصنوع من الحجارة غير المنحوتة، دون طوابق، وقناطر، وهذا ما يحدد واحدة من أحجام الغرف: إذن لدينا بناء ان متعامدان اجمالاً، طويلان ودقيقان (بعرض داخلي ١٠م، ٣م، ٥م، ٢م) ولم تكن الغاية من الطول إلا التعويض عن الضيق. وهناك باب واحد لكل بناء يفتح على باحة مغلقة، والזرائب التي ليس لها سوى معلقين، هي غرف صغيرة جانبية بعمق مترين فقط، وحالة الخراب الكبير لا تسمح بالحديث عن شبايك، قد تظهر في البناء يعتبر هذا البيت الذي يعود الى فلاحين فقراء، جزءاً من تجمع سكني، أقيم على مقربة من بناء يبدو دير خرب.

أما النموذج المتقدم، بالحجم أو بالتنوع، فقد وصف آنفاً، أي عندما ذكرنا مثال بيت «مجدل الشور» (الشكلان ٨ و ٩). انه البيت القروي الوسط من العصر الروماني، البيزنطي مؤلف من طابق يعلو الطابق الأرضي، وفيه أربعة مستويات. خمسة مع السقف بتصميم متماسك (الأشكال رقم ١٦ - ١٢ - ١١) ترينا منه تنوعات أكثر اعداداً، في الكرك^(١٠١) عثر في البيت رقم (١) (الشكل رقم ١٦ واللوحه 1b) على مجموعة وحدتي سكن ملتصقتين وليس مشتركتين، واحدة منها لها زريبة بخمسة معالف مع ملحق جانبي، وهو ترتيب يقود الى ضم غرفة صغيرة مربعة في الزاوية الشمالية - الغربية. وبين داخل الغرفة الكبيرة للطابق الأرضي، نوعية بناء مرموقة: ترتيب وارتسام منتظمان، عوارض متقنة الصنع، كوى، خزائن جدارية تتضمن شقاً لتثبيت باب خشبي، واخذوداً أفقياً لتشكيل رف. بيت خلاء في الزاوية الجنوبية - الشرقية.

ان نفس المواصفات موجودة بالواجهة (اللوحه 1b1) حيث اكتشفت بعض أنواع من الديكور، قبل فتحة مستديرة محاطة بصف من الزخرف البيضي، وقسم منه مسدود بصليب كثير التورق، والجائز الجنوبي يحمل مجنحاً مبسطاً في اليسار وفي الوسط، اكليلاً، وردة، عقد هرقل. الجائز الشمالي يحمل اكليلاً ونسراً - عقدة هرقل - عصيات عناقيد عنب - وفي الكرك أيضاً البيت رقم (٣)^(١٠٢) (الشكل رقم ١٢) يبين مخططاً كلاسيكياً آخر، لطابق أرضي

في بناء منفرد حسب الظاهر. فقد وضعت زرائب على ثلاثة جوانب الغرفة الرئيسية، علماً بأن معلقاً اضافياً موجود في أحد الزوايا، وثلاثة أبواب باتجاه الثلاث زرائب. يوجد هنا ١٦ معلقاً تعلوها جميعاً كوى. وهذا يعني امكانية ايواء ١٦ حيواناً. ويعتبر ذلك رقماً مرتفعاً بالنسبة لبيت صغير الحجم ولكن هذا البيت هو البناء الوحيد.

بمخطط البيت رقم (٣) في «أم الزيتون»^(١١٣) (الشكل رقم ١١ - اللوحة IIIa) نبقى ضمن سلسلة بيوت ذات مخطط مستطيل وبسيط، ولكن ترتيبه أكثر تعقيداً: له رواق بثلاث أعمدة في الطابق الأرضي، وفي الطابق الأول ثلاثة زرائب (من ١٣ معلقاً) حول الغرفة الرئيسية كما هو الحال في البيت رقم (٣) في «الكرك». ولكن بنظام اتصالي جيد الاعداد، بالإضافة الى الحاق (ظاهرياً غير خارجي) مجموعة من الغرف التي يمكن الانتفاع منها E, F, G بالطابق الأرضي، ومن بينها زريبة بمعلفين، ثم هناك غرف للماء (الزاوية الجنوبية - الشرقية للغرف (A, A)) ذكرت اعلاه. ولم يكن في الامكان تحديد موضع الدرج الخارجي بدقة على المخطط، إلا أنه يؤدي، دون شك، الى الطابق الأول، والى الباب الموجود شمال قناطر الرواق.

لنستعرض الآن البيوت، فالشكل رقم ١٠ يشير الى البيت رقم ١ في قرية «شعارة»^(١١٤) ومنها المنزل الكائن في المكان K الوارد على مخطط القرية (الشكل رقم ٤): هناك جناحان منظوران، والزرائب متوضعة في الجناح الشرقي (١١ معلقاً). والباحة ظاهرة، جيداً على المخطط في الواجهة «كوتان». وفي الزاوية الشمالية الغربية من الغرفة C، المرحاض والرواق الممرّمة واجهته (وهو مقطع من الارتفاع) ليس بمؤكد (لعدم وجود ركائز للأعمدة)، بل محتمل، نظراً لبروز الأفريز.

وفي مثال بيت نوى رقم (٣)^(١١٥) (الشكل رقم ١٧ - اللوحة IIIa) الذي ربما، كان يتضمن ثلاثة أجنحة وليس اثنتين، نصل الى الامثلة الأكثر اعتناءً واتساعاً: باحة كبيرة مبلطة قد تكون مربعة. الرواق مؤكد تقريباً أما الواجهة الشرقية، ومشكوك فيه أمام الجناح الآخر. فصل في الطابق الأرضي بين الجناح الشمالي بدون زريبة وبين الجناح الشرقي بزريبة (كما في الحالة السابقة) ازدواج، في الجناح الشرقي للغرفة الكبيرة ذات القنطرة (A, C) والتي تفتح على الزرائب (١٢ معلقاً)، ظهور منافذ خلفية للزرائب (B, E, D). ولكن لا يعرف فيما اذا كان يتم الاتصال مع الخارج، أو مع غرفة مطمورة قد تكون مستودع قمح (الشكل ٢٠ غرفة H)، كوتان في الواجهة الواحدة مُقَبَّبة، والأخرى (اللوحة IIIa) على مستوى الجوائز التي تعلو الأبواب، مستطيلة، ومجهزة بشق يوهم بأنه باب، ومحاطة ببروز زخرفي، وقد كانوا يضعون فيها ما هو أنفوس من جرار الماء: تمثال، ذخيرة، أو ما يهيم العبادة؟. درج يقود الى المستودع رقم ١ للجناح الشرقي يصعد بمحاذاة الحائط الجنوبي للباحة، ومن ثم يحاذي

واجهة الجناح الشرقي وحتى المستوى رقم ٢، فوق الرواق المعد ترميمه، أما الرواق المقنطر والكائن أمام واجهة الجناح الشمالي (اللوحة IIa) فهو ملحق متواضع ضُم مؤخراً لتوظيفات جديدة.

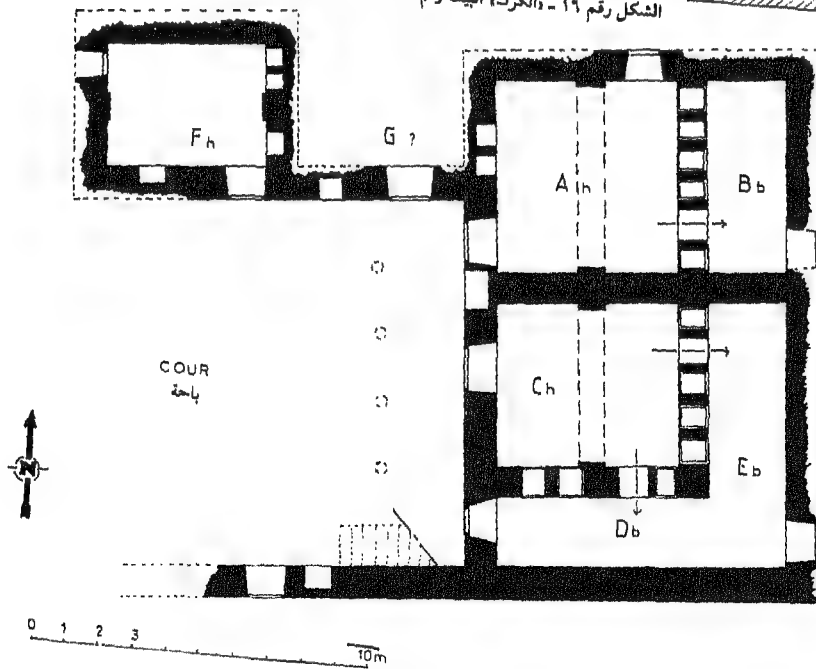
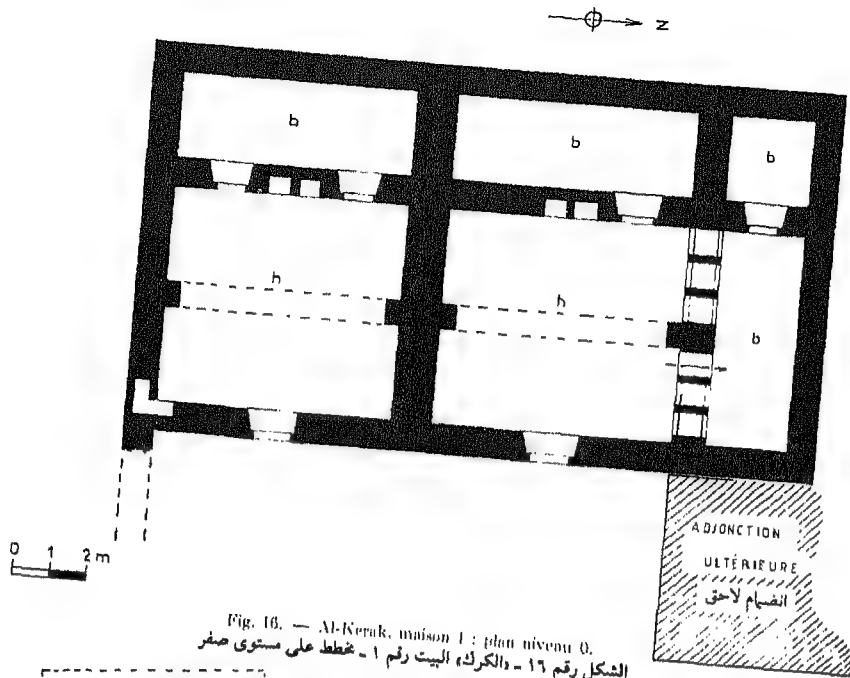
يمثل (الشكل رقم ١٤) المجموعة المذكورة اعلاه، للبيتين رقم ١ - ٢ ولباحة البيت رقم ١ في «أم الزيتون»: فالبيت رقم ١ يتألف من جناحين معاصرين، يشكلان زاوية حادة، لم يتم توضيح حدودها الا بصورة غير كاملة، خاصة بالنسبة لجناح الغربي، ولشرق الجناح الشمالي، ولا يستبعد قيام جدارين متوازيين، الواحد لسياج باحة البيت الأول، والآخر هو الحائط الغربي للبيت الثاني، للعمل على انشاء طريق بينهما. بالنسبة للبيت رقم ١ يشار مجدداً الى الفصل الموجود في المستوى (٠ صفر) بيت جناح له زريبتين، في الشمال وجناح بدون زريبة في الغرب، أما الرواق ذو الأعمدة، فهو قائم فقط أمام الغرفة الرئيسية A من الجناح الغربي، والشيء الفريد هنا، هو أن سقف الرواق يصل الى مستوى متوسط بين الجائز الذي يعلوباب هذه الغرفة، وبين كتف الشباك الموجود بالأعلى. أي على ثلثي الارتفاع الكامل للغرفة A تقريباً. أما البيت رقم ٢، الذي يباثل الأول بعظمته ومظهره (اللوحة IIb - الواجهة والباحة ذات البلاط الحديث، الذي يرتفع مستواه عما حوله) فهو بناء، مستطيل يتجاوز مجموعات غير مشتركة، وهي الغرف (B, C, A, D, E). وبلا شك هناك غرف أخرى «خرائب» في الشمال. فإذا رُمّ الرواق الذي كان سقفه مستنداً على الأفرز الذي يمر أمام الغرفتين (A, D)، يستخلص مجدداً بأن هذا السقف يصل الى مستوى وسيط بالنسبة للارتفاع الاجمالي للغرفة الكبيرة A (٦٠, ٥٥م). ويشاهد أيضاً قرص درج منظور فوق باب الغرفة رقم E، وبقياء درج في الواجهة، ينطلق صاعداً من ذلك القرص الى المستوى - ٢ - المندرج.

ليس لهذين البيتين المتطورين زخارف خارجية، ولكن تتمثل فيهما بعض الخصائص والدقة، فهناك زوايا مخبأة ضمن الجدران (الغرف 1B:2A) (و«بيوت الخلاء»؟). وأفاريز حجرية فوق بعض الشبايك (البيت رقم ١) لا بعد جريان ماء الشتاء عن الفتحة، وعدد من الكوى المرتفعة في الزريبة (IG) وفي الغرفة (2E) التي تفتح على الزريبة (2D) وأخيراً الغرفة (IB) المدخل منذ البدء: يمكن الوصول إليها عبر الرواق، وهي مضاءة بشباك في الواجهة. انها تنقسم الى قسم داخلي مغطى بالبلاط الجيد الصنع الذي يستند من أربع جهات الغرفة، على أطنان جميلة ذات تضليعة منعكسة، والى قسم خلفي هو بمثابة مخدع للنوم، تعلوه قبة، بعقد كامل وأرضية هذا القسم الأخير مرتفعة قليلاً عن أرضية القسم الداخلي، ماذا كانت تشكل هذه الغرفة؟ ان الشكل المعياري الذي تمثله، موجودة عادة في الطابق الارضي للبيوت الجميلة، واستثنائياً في الطابق الأول ضمن قاعات كبيرة، واسعة، معدة لاستعمالات متنوعة: غرف نوم - أو صالات استقبال، أو قاعات اجتماع^(١٠٠).

البيت رقم (١) في «معرية» (الشكل رقم ١٠٨)^(١٠٧) يشبه تقريباً البيت رقم (١) في «أم الزيتون» سواء من حيث المخطط أو من حيث مستوى الانجاز والزخرفة : له جناحان متعامدان ، الواحدة مزودة بمعالف (في الشمال) والأخرى بدونها ، هناك أروقة قابلة للترميم أما واجهات كل منهما ، والزرائب (C. H. I) تحوي (١٦ معلقاً) . الزخرفة محدودة ، إلا أنها متقنة ، قنطرة ذات جبهة مزينة بتسويات في الغرفة رقم B جوائز مزركشة بتاج في الوسط ، وبأغصان الغار على الجوانب ، على أبواب الغرف F. A ان واجهة الجناح الشمالي هي واحد من الأمثلة النادرة المحفوظة حتى أعلى الطابق العلوي مستوى (صفر - ٤) ولكن غرف الطابق قد اندثرت .

نعرض الآن مجموعة البيوت الأكثر اتساعاً والأكثر اناقة مع البيت رقم (١) في «كفر شمس»^(١٠٨) (شكل رقم ١٩ ، اللوحة IV a, b ، واللوحة IIa) . يتألف البيت باديء الأمر ، من الغرفتين (A, G) (دون ذكر غرف أخرى ممكنة في جنوب C, B) ، اذن ، يتألف من جناحين (غير متساويين) ، فالجناح الغربي رئيسي ويتقدمه رواق بقناطر يشاهد ، في الزاوية الجنوبية الغربية من الجناح الشمالي ، بدء انطلاق قوس من الشمال الى الجنوب ، وسقفه يرتكز على أفريزي يقع على ارتفاع ما يقارب ستة أمتار من سطح الأرض المحتمل ، فوق هذا المستوى (أي المستوى رقم ٢) ، توجب إعادة ترميم بناء طابق ، بارتفاع مماثل دون شك ، على كامل هذا الجناح ، وما يثبت ذلك ، وجود أساسات جوانب الاقواس على المستوى رقم ٢ ، وفوق الحجرة A. كما أن نموذج الطابقين الرئيسين والمستويات الأربعة المعروضة سابقاً ، ينطبق هنا جيداً . وهذا يعطي بناء بارتفاع ١٢ متراً تقريباً . أما الوصول الى المستوى ٢ فيتم بواسطة درج على الطرف الجنوبي (غير متطور) من الواجهة . والجناح يتألف من مجموعتين من غرف صغيرة ، واطئة ، (B. C. D. E) تعلوها مثيلاتها من الغرف في المستوى ١ ، وهي متناظرة بالنسبة للغرفة الكبيرة ذات القنطرة A. والغرفة الأخيرة هذه مميزة جداً : بأبعادها (٢٠ ، ٨ × ٨ م وارتفاع ٦ م تقريباً حتى السقف) وبمنافذها ، باب في الواجهة بعرض ١,٧٠ م ، تعلوه ثلاث نوافذ كبيرة كانت مغلقة بشبك وبمصراعين ، وباب غربي من الخلف ، يرتفع قليلاً بالمقارنة مع الباب الرئيسي ، ويحذف الأدراج الداخلية التي تخدم غرف المستوى ١ : (B. C. D. E).

E) وهذه لا يمكن الوصول اليها الا بواسطة أبواب قائمة على مصاطب ، في الواجهة (B. D). ويتميز الغرفة الكبيرة أيضاً بدقة العمل : اذا كانت الجدران تقدم واجهة خشنة غير مصقولة ، ربما كانت مغطاة بطلاء ما ، فسطح السقف مرصوف ببلاط متكامل (اللوحة IV a) وتاج العمود في الجانب الشمالي للقوس يحمل على حافته المشطوبة ، شكل وردة لها بروز ، بينما يوجد (حرفوشه) أي اطار مزخرف بشكل ذنب السنونو يحمل النقش (V C D / E D C) أي الله . مما يتيح إعادة البناء الى التاريخ البيزنطي . وفي الواجهة يحمل جائز الباب الذي يوصل



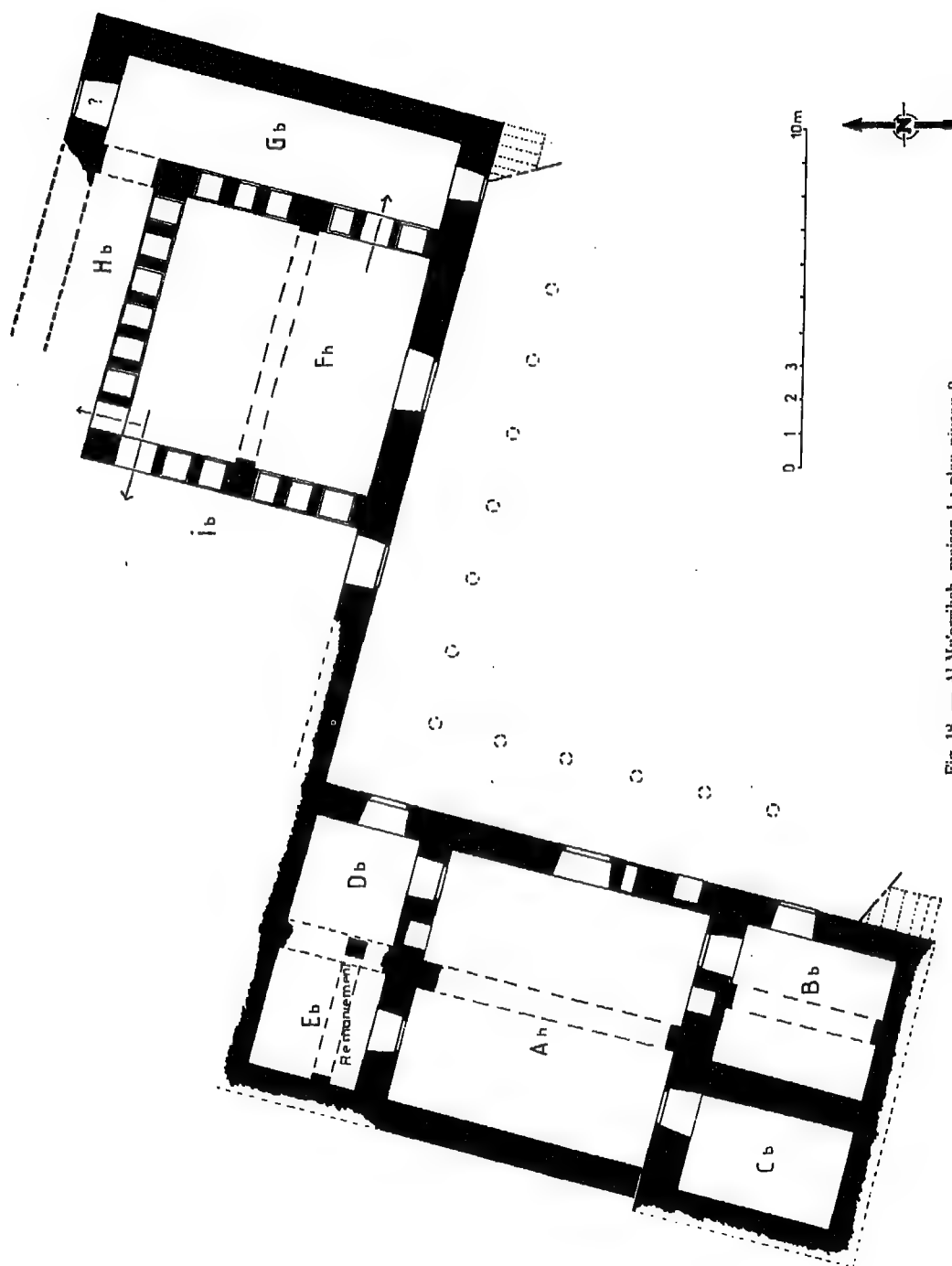


Fig. 18. — Al-Mu'arrabeih, maison 1 : plan niveau 0.
الشكل رقم ١٨ - المربية رقم ١ - مخطط على مستوى صفر

الى هذه الغرفة اشارة مزخرفة لرمز المسيح، وعلى حجر يعلوه، خط وديكور مزخرف من الزهور (اللوحة رقم IVb) ثم نقش عناصر أخرى من ذلك الديكور المحتشم والمقتصر على بعض الرموز على جائر الباب الواقع بين (D, A). وعلى بلاطة سقف الغرفة D. يقتصر الجناح الشمالي (في حالته الأولى) على غرفتين صغيرتين (F, G) تطلان على الباحة، مسقوفتان دون اللجوء الى القنطرة وتعلوها الغرفتان G, F بارتفاع ٥, ٢ م فقط، ولا يتقدم هذا الجناح أية أروقة.

يتم اتصال الجناحين بزاوية غير مكشوفة في استطالة الرواق، وعلى حافته الشمالية كان هناك باب للخارج، وعلى جداره الشرقي يوجد درج يقود من مستوى الأرض الى المستوى (١) الغربي، له مصطبة داخلية في البناء الشمالي، حيث توجد عبارة من البلاط الحجري، كانت بمثابة المرور الى باب الغرفة D. على الطرف الشرقي للجناح الشمالي، توجد الغرفة H التي هي ملحق قديم ولكنه خلفي، ومبنى بالأحجار المحدبة. أما الجناح الجنوبي مع الغرفة Z محدة الجوانب، فهي أيضاً ملحق قديم.

وإذا امعنا النظر في هذا البيت يلاحظ وجود ثلاث نقاط تلفت الانتباه وهي:

- اتساع ونوعية ذلك البناء.

- الغياب الظاهر للزرائب

- عدد وحجم المداخل - والنوافذ، لا سيما خارج الواجهة.

يمكن العودة للحديث عن تلك النقاط حينما يأتي ذكر البيوت التالية: البيت رقم (٢) في نوى^(١١١) (الشكل ٢٠ - اللوحة b, va) له علاقة مع طراز البيوت رقم (١) في «معربة» (الشكل رقم ١٠) ولكن مع ديكور أكثر فخامة وأكثر ابداعاً، في موضوع تنسيق الغرف، يتألف البيت من هيكلين من البناء، شمالي وجنوبي، فالبناء الشمالي من جناحين متعامدين، الأول واسع مع زرائب واهراء في الشرق، والآخر صغير وفخم حتى في الطابق الأرضي في الشمال. وهذا المثل يبين، بأن غرفة الاستقبال لم يكن لها أساس أو وجود في الطابق، ولكن غالباً في الطابق الأسفل بجانب غرف العمل بالذات، ولم يبق أي أثر للطابق، ولكن في الطابق الأسفل، يوجد الزريبتان (F-G) مع مجموعة من تسعة معالف على الأقل، مع الاهراء H بارتفاع خمسة أمتار حيث يوجد فيه أيضاً الغرف A الفخمة التي يتقدمها رواق مرقم في الواجهة، ويتم الدخول اليها بواسطة باب يعلوه جائر غني بالديكور (الزركشة (va)، اللوحة) وشباكان يزيناها من كل جانب نافذة (عين الثور) المستديرة. وهذه الغرفة المزركشة بدقة في الداخل أيضاً لها ارتفاع ٥, ٧ م. ولا يمكن قط، أن تكون غرفة صغيرة للعموم. هل الأمر يعود الى غرفة استقبال؟ ان الغرف ب الكائنة في الخلف والتي لا تحتل سوى

نصف طابق (على مستوى صفر) كان يمكن أن تستخدم غرفة نوم، أو صالة راحة للضيوف بطريقة غير مباشرة، يجب التساؤل فيما إذا كانت الغرفة الكبيرة، الشبيهة بالغرفة A - في الامثال السابقة، (البيوت رقم ١ الغرف رقم A في كفر شمس - معربة - أم الزيتون) هي رغم وجودها في الطابق الأرضي، غرف الاستقبال، وفي هذه الحالة كان يحتفظ بالطابق لإسكان الأهالي الدائمين.

البناء الجنوبي للبيت رقم ٢ في «نوى» قد فصل كلياً عن بقية البيت الذي يبدو، مع ذلك، وكأنه مستقل وعصري. والغرفتان ١٠- و ١١- تبدوان أكثر زخرفة من غرف المستوى (صفر). في الغرفة رقم ١، يرى باطن القنطرة مزيناً بتنوءات عمودية، (deux naissances) وبمجموعة لها بروز، بشكل صدف، تيجان، عقد، عناقيد عنب فوق البدائتين (اللوحة vb) في الغرفة ل، ورغم الخراب الموجود، يرى قوس قنطرة له تيجان مزخرفة، حاملاً على جبهته ديكوراً تزيينياً يونانياً، كما يرى منطلق قنطرة نصف اسطوانية يغطي الجزء الخلفي للغرفة.

وفي نهاية هذا الكشف نركز على تنوع البيوت بمثلين (exemples)، رغم عدم غناء زخرفتها ولكنها متميزة بعدد الغرف وبأهمية المخطط، وهذا يشمل البيوت رقم (٣) (الشكل رقم ١٥) والبيوت رقم (٢) (الصورة رقم ٢١) في كفر شمس^(١١) فالبيت رقم (٣)، يتألف من ثلاثة أجنحة بشكل حذوة الحصان حول باحة، وكانت بترتيب يصعب دراستها في المكان، لأنها كانت بمجموعة مردومة، الباحة كانت بكاملها مغطاة، (قد يكون ذلك في العصر الوسيط) بسلسلة من القناطر. وكما أعيد من جهة أخرى بناء العديد من الأسيجة والجدران بحيث يتعذر البحث في تفصيلها، وخاصة لا يبدو صحة وجود جناح رابع كان يغلق المجموعة الجنوبية، لأن واجهة الجناح الغربية بدت متقطعة هناك حسبما أشير على المخطط الوارد (الصورة رقم ١٥).

أما الصالة Z في الشمال الغربي، فتشكل حاجزاً واقعاً مع البيت رقم (١) راجع (الشكل رقم ١٩) الجناح الشمالي للبيت رقم (٣)، كان في الواقع، ملتصقاً بالجدار الشرقي Z. ونذكر أن الجناح الذي هو جزء من البناء أيضاً يقع خلف البيت رقم (١) وإذا قدر أن مجموع الأبنية في البيت رقم (٣)، بنيت في وقت واحد، حسب ظاهر الحال، فتكون لدينا ثلاث مراحل: بناء البيت رقم ١، ثم البيت Z مع جناحه، وأخيراً البيت رقم (٣).

ويموجب الديكور يعرف البيت رقم (١) بأنه بيزنطي، ويمكن تقريب المخطط المغلق للبيت رقم (٣) من مخطط البيت المبني في «الحيات» خلال أواخر القرن السادس (راجع ما سبق والحاشية ٩٦). وهكذا تم الانتقال خلال العصر البيزنطي من المخططات المفتوحة نسبياً، الى مخططات مغلقة. ولكن هذه الفرضية تتطلب أن تكون مستندة الى أحداث تاريخية أكثر

وضوحاً، وإلى مقارنة أمثال أخرى، وعلى كل حال، فإن هذا القطاع من القرية الأثرية «كفر شمس» عرف خلال هذه الحقبة، كثافة في البيوت الكبيرة.

وبالعودة، إلى البيت رقم (٣) نفسه نجد أن الجناح الرئيسي هو الشرقي، وهو مزخرف بلاشك، برواق في الواجهة، يحتوي على غرف جانبية B (لا يمكن مشاهدتها) و C مقسمة إلى قسمين بواسطة حواجز / شمال - جنوب / ومتناظرة بالنسبة للغرفة الكبيرة A. بموجب مخطط بياني كلاسيكي فعلاً. وبالمقابل الأجنحة بالشمال والغرب، دون رواق، تجاور غرفاً مربعة متماثلة تقريباً. ولكن مثل هذا الوضع نادر، ويمكن الإشارة إلى تجاور الأجنحة الغربية - الشمالية، حيث يوجد عمر مكوَّع x لائق يشرك الباحة مع الغرفة C والغرفة D.

حسب مثلنا الأخير، فإن البيت رقم (٢) في كفر شمس (الشكل رقم ٢١ - اللوحة VIIb-vc) هو مبتكر حسب رسم مخططة: الطابق الأول غير موجود، وما تبقى من الواجهة هو مخفي بسبب البناء الحديث الواقع أمام وفوق البيت الأثري: تشاهد في الوسط ثلاثة شبابيك مربعة متوضعة فوق باب الغرفة A يعلوها أطناف مزخرفة من حجر.

هناك جناح عارض يقع عمودياً على طول جسم البناء الشمالي، لم تكن دراسته ممكنة بسبب التدمير والردم الكاملين. وفي الطرف الغربي من البناء الشمالي، ربما ألحقت الغرفتان «K و Y» بمجموعة البيت (القرية جداً من الغرب)، أما الغرف A إلى I الباقية فهي متجانسة كما يوجد رواق جميل له سبعة أعمدة يصل سقفه حتى المستوى، أي تحت شبابيك الغرفة A، ويزين الواجهة أمام الغرف (A إلى E) وأمام مدخل الغرفة A. تيجان العمودين هي من الطراز الأيوبي، بينما تيجان بقية الأعمدة من الطراز الدوري؟ أما عتبة الرواق في المدخل، تحمل على سقفها المزخرف، / صليباً / بنحت نافرمقوش وسط تاج اللوحة va. وفي الصدر يوجد صليب آخر منقوش، ضمن إطار مزخرف بذيل السنونو، هذا ما يؤكد عودة ذلك البيت إلى التاريخ البيزنطي.

لا شيء جديد بالنسبة للتنسيق الصحيح في كل مجموعة من الغرف، بالمقارنة مع الامثلة السابقة، ولم نستخلص سوى ثلاثة تفاصيل هي: وجود باب شمالي للغرفة الرئيسية A باتجاه الدرج - الممر من الرواق نحو الغرف F بواسطة ممر مقبب السقف وإطىء. وضع الدرج الذي يخدم الغرف «F و H» في الطابق الأول فوق الغرفتين (F و H) (اللوحة VIIb)، وبين أبواب الغرفتين F, H في الواجهة، يشار إلى قرص درج مدمر على ارتفاع يقدر بمترين فوق أرض الأساس، ومن هذا القرص تنطلق دورتا درج صاعدتان نحو الغرب، (الغرفة H) ونحو الشرق (الغرفة F) والحقيقة لا يمكن الوصول إلى قرص الدرج هذا من الأرض، إلا بواسطة سلم.

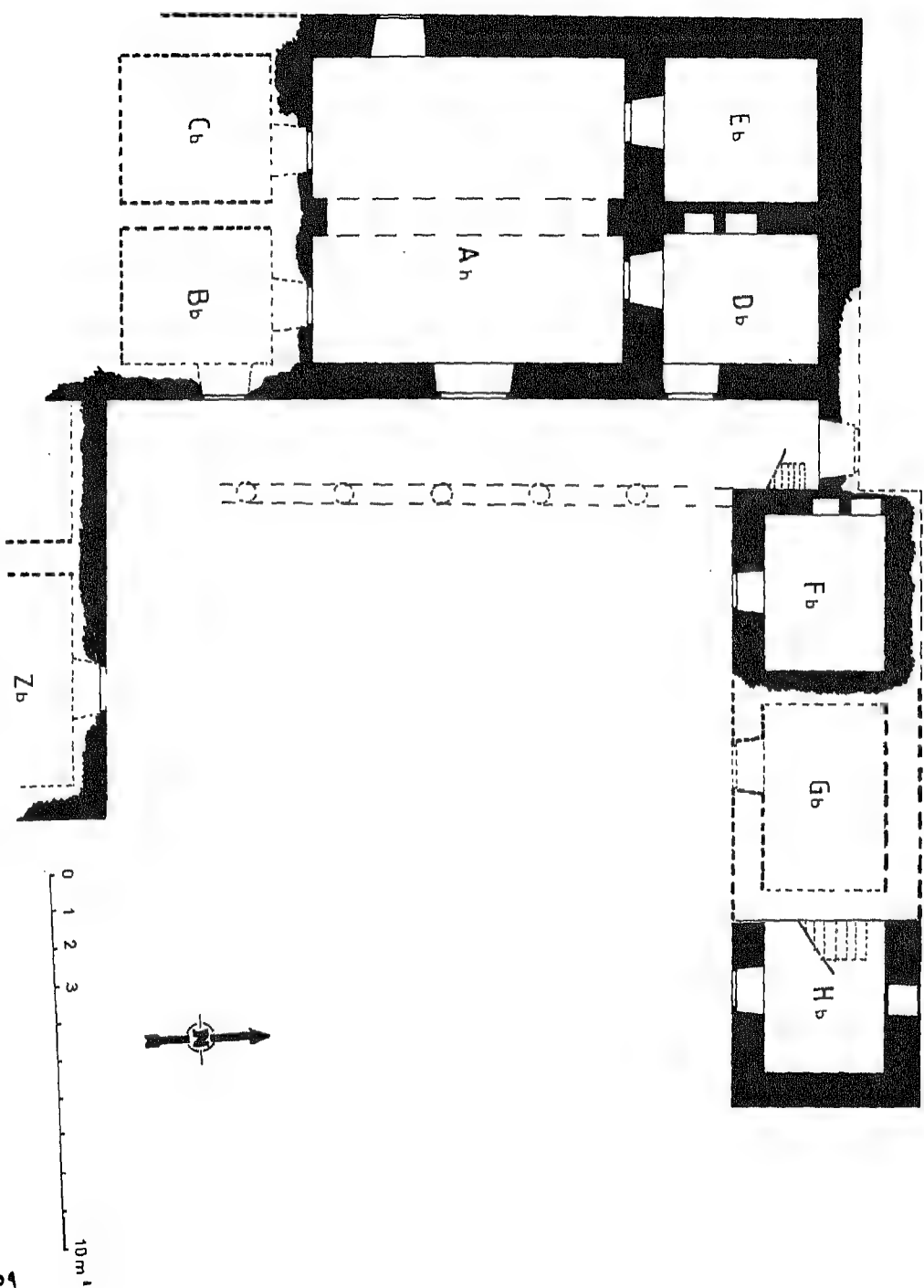


Fig. 19. — Kafr Shams, maison 1 : plan niveau 0.
الشكل رقم ١٩ - كفر شمس البيت رقم ١ - حطة على مستوى صفر

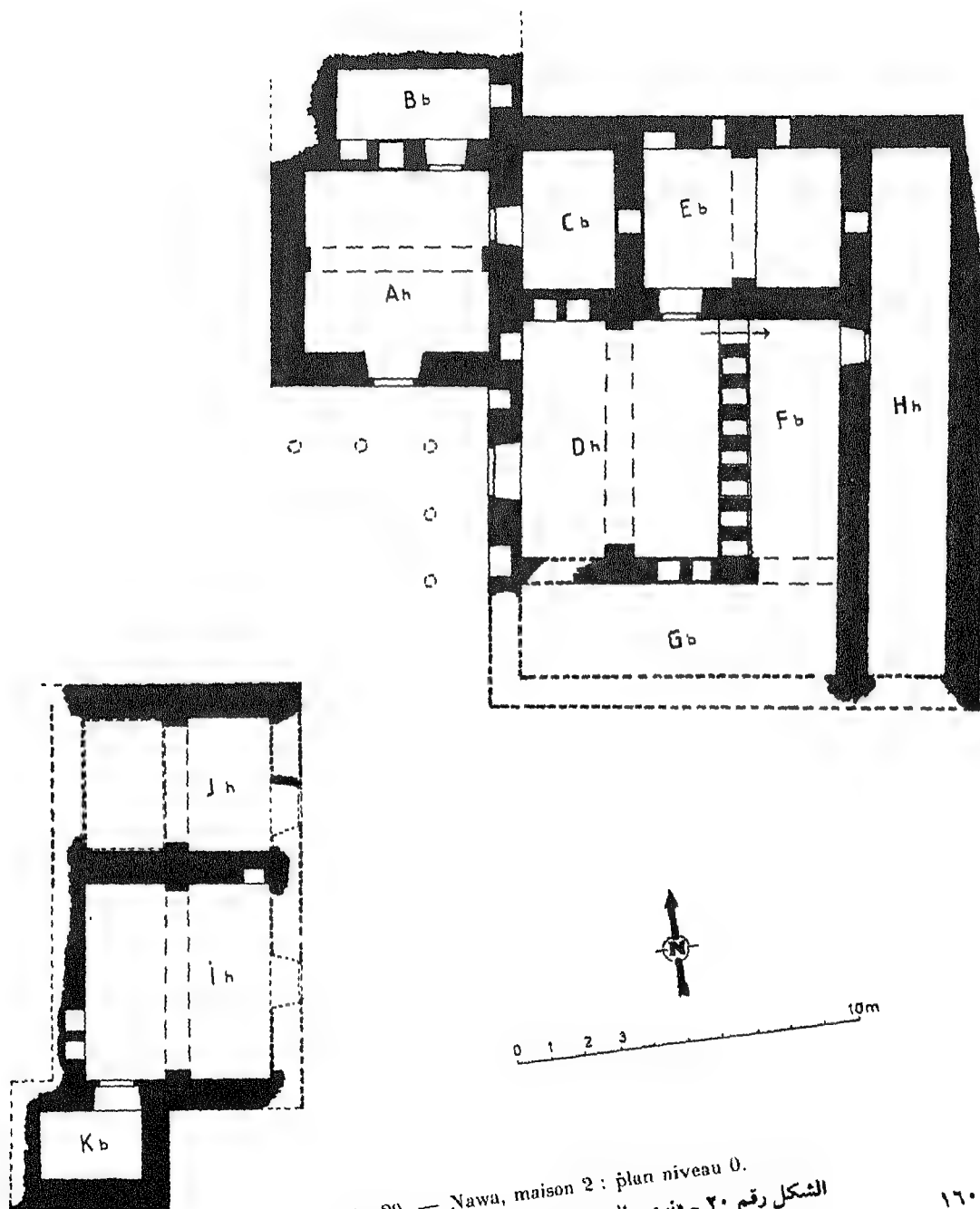


Fig. 20. — Nawa, maison 2 : plan niveau 0.

الشكل رقم ٢٠ - «نوى» البيت رقم ٢ - مخطط على مستوى صفر

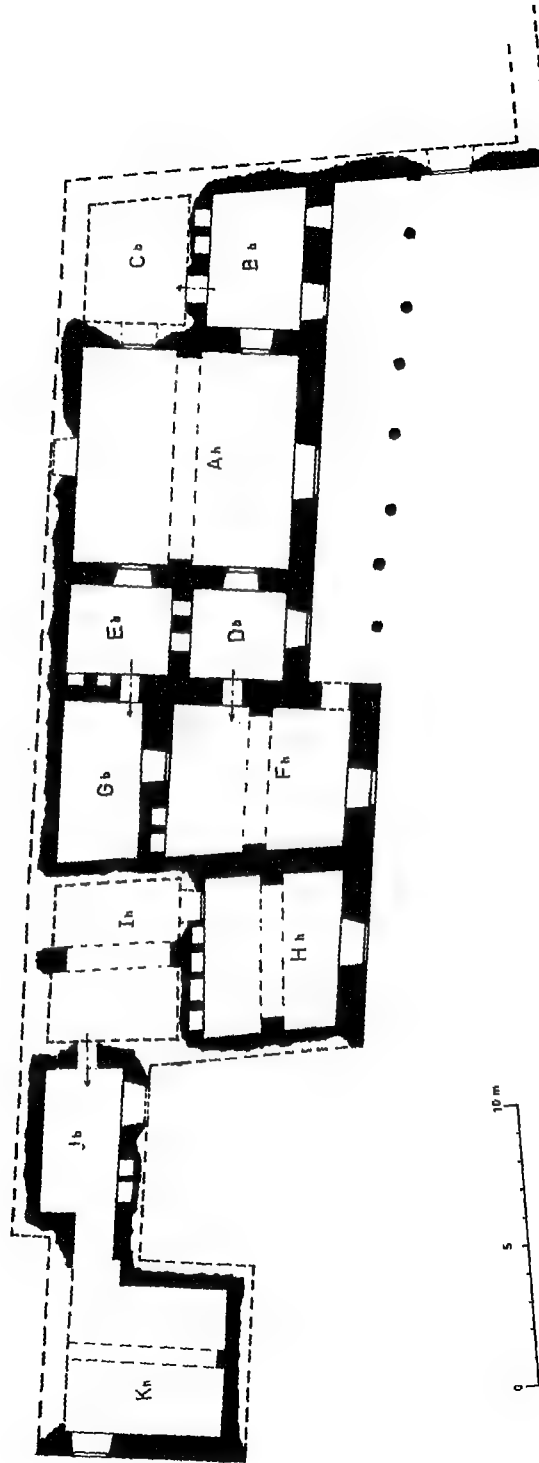


Fig. 21. — Kafir Shams, maison 2 : plan niveau 0.
الشكل رقم ٢١ - دكاير شمس، البيت رقم ٢ - غطط على مستوى صفر

تمثل بيوت نوى وكفر شمس بعض الأساليب الموحدة، مثل الحجم الكبير، كثرة التعقيدات المتعلقة بالمخططات، الديكور المتزايد في الغالب، اختفاء الاهتمام في تحديد منافذ الوصول الى البيت الى اقصى حد، (يمكن مشاهدة ذلك على المخطط النموذج): فهنا الفتحات، والأبواب والشبابيك عريضة، وليس من الصعب العثور على أبواب تقود الى الخارج في جهات غير الواجهة. حتى لولزم الأمر انتظار جزء اكثر اكتمالاً، يمكن القول ان وجود عدد من البيوت الفنية في هاتين القريتين، وفي القرى الأخرى المجاورة (مثل كفر ناسج^(١١١)، انخل^(١١٢)، الصنمين^(١١٣)) يؤكد أن تلك المنطقة الواقعة على الشمال الغربي من بتانيا الأثرية، هي أغنى مناطق حوران: فهذه البيوت الغنية كانت على العموم مركزاً، لأغنى الاستثمارات الزراعية، ومع أن بعضاً من الذين قاموا بالتنقيب الخاطف تحت حماية الجيش الاسرائيلي عام ١٩٧٣، لم يتمكنوا من تمييز المذاود البسيطة، ففسروا مجموعة الزرائب بأنها اخدار حريم، غير مميزين المعالف من المشربيات^(١١٤)، في الواقع ليست هناك سوى منطقة واحدة في هذه المجموعة يظهر فيها نقص في المعالف، في البيوت التي تمكنا من زيارتها بالتفصيل في «كفر شمس» هذا الغياب الغريب وغير المنتظر، يجلب الشك فيما اذا كانت هذه المعالف من أصل الاقسام المدمرة، التي اختفت بسبب البيوت التي أعيد بنائها. ولكن لا يعتد ذلك، لأن اهتمامنا إنحصر في ثلاثة بيوت. (انظر الشكل ١٥ - ١٩ - ٢٠) التي لم يكن أصحابها، لسبب ما، ييارسون فيها تربية البقر. لا شيء آخر يعمل على الاعتقاد بأن تلك البيوت ليست ريفية، وليست مركز استثمارات زراعية، ولكن قسم الإقامة والمظهر الخارجي وحده، هو الذي كان متطوراً هنا، أكثر من أي مكان آخر.

إن البيوت الكبيرة المألوفة في الشمال الغربي، وأيضاً في مناطق أخرى مثل (معربة - أم الزيتون) مغمورة بشكل واضح بكتلة من البيوت المشابهة، للمخطط المتوسط الذي يبدو أنه كان معمولاً به لفترة طويلة، ولعدم القيام بالتنقيب والبحث بصورة كاملة يتعذر تحديد الزمن الذي ظهرت فيه أقدم الأمثلة على تلك البيوت. بالتأكيد في أواخر القرن الثاني الميلادي، ظهر البناء الأثري القديم، الذي يدعى المدرسة، في «قنوات»^(١١٥) عام ١٢٤ - ١٢٥ بعد الميلاد^(١١٦). اذا لم يكن بيتاً بالفعل، فمن الواضح أن هيكله المعماري مستمد من تنظيم البيت. لذا فإن الأسلوب الكلاسيكي للبيت الريفي الحوراني موجود منذ السنين الأولى، أي بعد الحاق حوران، بالولايات الرومانية. ويعتقد أنه يعود الى أقدم من ذلك، ولكن دون امكانية تحديد تاريخ بدء استخدام القنطرة في البيوت، الاستخدام الذي أعطى للبيوت شكلاً ومظهراً نهائياً لقرون عديدة، ربما يعود ذلك التاريخ الى القرن الأول قبل الميلاد؟. فقد أظهرت دراسة التاريخ جلياً، بالنسبة للبيوت الكبيرة المشار إليها أعلاه بأنها بيزنطية بصورة ثابتة، مع منحني تطوري نحو مخطط مغلق في القرن السادس الميلادي.

موضوع الملكيات الكبيرة

لا بد من أن يكون هناك تفسيراً لتطور البيوت الكبيرة الريفية في العصر البيزنطي، حيث يشار لغنى بعض الملكيات العقارية بسبب النمو الاقتصادي للقرى والتفاوت الطبيعي والاجتماعي الذي نما فيها، وأدى الى انطلاقة الملكيات الكبيرة بعد قرون من التطور والازدهار تحت حكم روما، ولكن لا بد من الحذر، لأن هذا التطور عرف في بادئ الأمر، العديد من الصدمات، منها أزمة القرن الثالث بعد الميلاد المشهورة بشكل خاص، والحكم لتدمري عام ٢٦٩ - ٢٧٠ م، ومن جهة أخرى، لأن مفهوم الملكيات الكبيرة في حوران لم يكن قد تلور حتى الآن.

لنعد أولاً الى البيوت البيزنطية الكبيرة. فهي ليست فيلات بالمفهوم الروماني ولكنها بيوت قروية فقط: في «نوى» كانت البيوت المتراسة تبعد عن بعضها بضعة عشرات الأمتار. وفي «كفر شمس» كانت ثلاثة بيوت من أصل الأربعة المذكورة هنا، تشكل مجموعة متراسة جداً للدرجة يصعب فيها تمييز عائدية بعض غرفها. ومن الواضح أننا نتحدث هنا عن وسط القرية الأثرية؛ ويجب ألا نعتبر كمراكز أملاك ومناطق نفوذ، بل مراكز استشارات أغنى من غيرها، ضمن نطاق النظام القروي. وفحوى جمع الشقق السكنية الى غرف المؤونة وغيرها، في وحدة معمارية، هي أن الانسان كان قروياً غنياً يعيش على أرضه (أو على أرض أوكلت إليه، وهو أمر غير مستبعد نظرياً)، والى جانب محاصيله وحيواناته، وليس كما لك الأرض في المدينة: ولو كانت الحال كذلك، لوجدنا في الأبنية أثراً للفصل بين القسم المدني والقسم الريفي.

هناك سبب آخر يدعونا الى أخذ الحذر: هو عدم اجراء تنقيب في هذا الشأن. إن البيوت الكبيرة المذكورة، قد تكون بُنيت بدلاً من الأبنية القديمة التي أخذت تتوسع؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإن غنى تلك البيوت كان يتطور بسرعة، ويمكن أن يعود تاريخ ظهور «طبقة غنية» (نوعاً ما)، في تلك القرى، الى ما قبل القرن الرابع.

إن الفيلات، بالمفهوم الكلاسيكي، كمجموعة من الأبنية المشيدة لغاية السكن والاستثمار وسط ملكية واسعة، لم تظهر أبداً في حوران، إلا في حالات عارضة، حول بصرى، وقد أشير اليها سابقاً، هذا فيما يخص الأبنية. أما بالنسبة للملكيات الكبيرة، فقد جاء ذكرها عدة مرات في النقوش، ولكن يجب التمييز بين أملاك الدولة (أي الأميرية الواسعة الموجودة في عصرنا هذا، وبين الملكيات الخاصة التي لم تكن ميسورة دوماً. لقد اعتبر ج. ب. راي كوكيه^(١١٧)، في إحدى دراساته الحديثة، أن الاملاك الأميرية كانت كثيرة في سورية الجنوبية، خاصة منذ الانضمام الى الولايات الرومانية، وهذا ممكن اذا اعتقدنا أن مختلف مؤسسي السلالات الحاكمة، الذين وضعوا أيديهم على هذه المناطق، كانوا هم أنفسهم

قد شطروها من أملاك الدولة . وهذا أمر ممكن ، وليس فيه إضافة . إن البرهان الواضح الذي أورده (J. P. Reycoquais) يشير الى أنه كان يوجد في العصر الروماني في الجزء الحوراني من ولاية سورية ، الكثير من النقوش مؤرخة حسب سني حكم الأباطرة ، غير أن هذا الأسلوب في تحديد التاريخ ، لم يكن هو العادي في كل الولاية السورية الرومانية ، بل كان يميز حكم الملوك^(١٨) وهذه النقطة الأخيرة ليست مؤكدة ، كما أن مجمل هذا البرهان يبدو مصطنعاً ، لنعد الى دراسة الحالات المؤكدة في الملكيات الأميرية ثم الامبراطورية : لقد ذكر يوسيفوس^(١٩) ، في الربع الثالث من القرن الأول قبل الميلاد ، ملكية ليزا نياس ، رئيس ربيع ايتوريا ، التي استأجرها ، فيما بعد ، زينودور^(٢٠) ولاشك بأن الحديث هنا يدور ، على الأرجح ، حول حالة أوسع بكثير من الملكية البسيطة ، وقد روى المؤلف نفسه^(٢١) أنه فيها بين سنة ٩ - ٦ قبل الميلاد ، أسس هيرودس في بتانيا ، المستوطنة الرومانية العسكرية - الزراعية في بترية قرية «بصير» الحالية دون شك في الشمال الغربي من قرية «خبب» . وكانت هذه المستوطنة قد زودت بأراضي وقلاع وقرية ، وقد أعفيت من الضرائب ، وفيما بعد حافظ الرومان على هذه الملكية الواسعة (xwpx) وعلى استقلالها الذاتي إلا أنهم اثقلوها بالضرائب .

هناك نحصان في / سما - وجابر/ شمال الأردن الحالي ، وعلى تخوم حوران الجنوبية^(٢٢) منقوشان على أحجار الحدود الفاصلة ، تشيران الى ضريبة زراعية ، يمكن ترجمته بـ(حقل اميري) غير أن هذا الأسلوب في تحديد ملكية الدولة ، قد يكون جاء متأخراً ، ولربما ظهر أيضاً في عهد يوستينانوس^(٢٣) .

وإذا لم يتم التأكد من وجود هذه الملكية في القرن السادس الميلادي ، فهوثابت بالنسبة للملكية الامبراطورية الأخيرة : الملكية الخاصة بالوكيل ، التي ذكرها ، في ذلك العصر ، جورج القبرصي^(٢٤) ضمن لائحة من المدن والقرى ومجموعات من القرى . والكلمة اليونانية «سالتون» (saltov) مشتقة بالتأكيد من «سالتوس» (Saltus) ، وتستخدم كلاسيكياً بمعنى «الملكية الريفية» (شيشرون - جوفينال) وليس من المؤكد . من جهة ثانية ، بأنها تعني ملكية أميرية ، وقد أثار تحديد موضعها (يذكر النص بأنها تقع بعد كناثا Canatha) أي القنوات) فرضيات عديدة ، منها المعقولة ، في «بثينة» شمال «شق»^(٢٥) وفي «دير السلط» غير بعيدة عن «الكرك»^(٢٦) ومنها غير المعقول : في «صلخد»^(٢٧) . ويمكن أن نعتقد أيضاً ، وضمن نطاق المعقول ، أن هذه الملكية ، المثبتة في القرن السادس ، تخلف أن كانت أملاكاً أميرية - ملكية فائرا (Baoupx) المشار إليها آنفاً على أنها ثبتت في القرن الأول .

بقي علينا دراسة الأملاك الخاصة ، والأملاك العقارية الواسعة ، ربما «الملكية الريفية» ثم هناك بالقرب من الكفر ، في الجبل ، علامة الألف متر المنقوشة^(٢٨) ، والحاملة تاريخ ١٦٩ - ١٧١ م . التي تشير الى حدود ملكية ماركوس هيريبوس ، أنها وثيقة قيمة ، تظهر

أهميتها بتاريخها القديم، وبلغتها اللاتينية، وبالأسم اللاتيني للمالك أيضاً، التي تبرهن كلها على أن تلك الملكية كانت تخص مزارعاً، ربما منذ الانضمام الى روما - تحلى بصفات الرومان، ان لم يكن روماني الأصل. لسنا متأكدين بأنه لا بد من متابعة «ليتمان» عندما يشرح بأنه كان من الواجب إحاطة الملكية بأراضي الدولة أو البلدية، لأن علامة الألف متر لا تحمل دلائل على وجود الأراضي المجاورة. وقد أصبحنا مقتنعين تقريباً بعدم مواكبة رأي Domazewski^(١٢٨) في تصوراته الجريئة جداً والتي جعلته، يجزم بأن الأراضي المجاورة هي التي كان يملكها الفوج الثالث السيرينائيكي *Cyré naique*.

إن ملكية الدولة المذكورة اعلاه. قرب «سما وجابر» محدودة بملكية اوريليان (aurelien)^(١٢٩) سيما وأن العبارة الأجنبية ضريبة الملكية الخاصة «بأوريليانوس» تزرع الشكوك حول معنى النقش.

كل ذلك يعطى أدلة قليلة، وأيضاً تواريخ غير كافية، وحتى الآن لم يتمكن علماء الآثار بالاستناد الى فحص الصور الجوية التي التقطت لمناطق «البثينة»، دير السلط - الكفر من اثبات أو إبطال الفرضيات التي تدور حول مناطق تموضع تلك الملكية، التي تبدو غير أكيدة أو من أخذ الفكرة من حجم الأملاك. ان دراسة أسماء المواقع القديمة لمجمل المنطقة، لن تأتي بأي جديد، حول البحث عن الملكيات الكبيرة الممكنة، لقد اقترح هـ. سيريف وتشالينكو استخدام طريقة دراسة أسماء المواقع السورية الشمالية^(١٣٠). فالأسماء المبتدئة بكفر «Kafr»، المشتقة من كابرو «Kapro» وكابرا «kapra» القديمتين، قد تعني القرى، وأسماء المواقع المبتدئة بـ «Ba» المشتقة من بيت «Bet» (المنزل، الحقل) قد تعني الأملاك أو الحقول، الا أنها طريقة لا يعتمد عليها كثيراً، هناك نقش^(١٣١) درسه سيريف - يحدد أرض ملكية (enolxcou) مساة «كابير و [.] اميوس» (Karepou [.] auews).

وبالرغم من بعض الشكوك، لا يعتقد بأن الملكيات الواسعة، سواء امبراطورية أو خاصة كانت قد لعبت دوراً رئيسياً، في حوران أبان الحكم الروماني - البيزنطي - يدل على ذلك سلسلة أحجار الحدود الطويلة المتوافقة مع عمليات المساحة في نهاية القرن الثالث الميلادي - فمن بين خمسة عشر نقشاً معروفاً في حوران، والجولان، وأعلى وادي الأردن، وجنوب الشام^(١٣٢) أربعة عشر منها لا تذكر سوى مدن وقرى، وواحد فقط يذكر ملكية خاصة، ومع ذلك، هي خارج حوران، ونعني بها جسر الفجر في أعلى وادي الأردن^(١٣٣).

الخلاصة، أنه من خلال غياب اقتصاد زراعي حقيقي، فإن الحياة الريفية في حوران، كانت ترتكز على القرى، وفقاً لأساليب وأسس زراعية، وهذا لا يعني، كما رأينا، بأن الأراضي الزراعية الغنية، بصورة خاصة، والمجهزة ببيوت جميلة، لم تر النور حتى في قلب القرى.

وقبل القيام بدراسة مختصرة للأسس الاستثمارية لهذا الاقتصاد القروي، من المفيد عدم نسيان السكان غير القرويين في المنطقة: في أول الأمر، وقبل كل شيء البدو الرحل، ثم الرهبان بشكل ثانوي.

جوار القرية

البدو الرحل:

تبدو دراسة الآثار الباقية التي خلفها البدو الرحل شيقة، ولكن يصعب الاحاطة بها، حيث يشاهد في الصور الفوتوغرافية الجوية، وعلى الأرض، العديد من زرائب المواشي المقلعة، المبنية من الحجارة في مناطق اللجا والكراع الحممية وفي السهب الصحراوية في الشرق والجنوب وبخاصة في وادي / راجيل Râgil (بين خازمة وجاوا Jawa, Khazymeh ولكن لا بد من تحديد تاريخها، وكيف؟ حتى الخنزف بالذات أحياناً يقع بالخطأ - أما بالنسبة للتخييم. اذا استطعنا تحديد مواضعه أحياناً - بالقرب من تلك الزرائب، دون شك، فلا يتظر أن يؤدي الى نتائج معبرة، ولن نلقى جزءاً لدقة العمل التي يمكن ان تبذل اثناء التقيب عن تلك المواضع: ماذا سنعرف عن تجوال البدو، وعن فترات ومدد الاستراحات، وعن تنظيم العشائر أو القبائل؟.

هناك نقطة واحدة تستحق الإشارة، كما أوردها السيد P. Gentile (راجع دراسته في هذا المجلد) وهي أن الصور الجوية تبين ندرة المناطق الحورانية التي لم تخلف آثار تنمية زراعية مزدهرة، ومنها على سبيل المثال: قطاع صغير في وسط الجبل، ويقرب القمم - المساحات الصخرية في اللجا - والبادية في الشرق (خاصة المنحدر الشرقي لوادي «الراجل»؛ وهي مناطق خارج حوران. وهذا يعني أنه في زمن ما لم تبق عملياً أية أراضٍ في حوران لرعي مواشي البدو الرحل، وذلك منذ القرن الرابع للميلاد بلا شك.

غير أن العرب الرحل لم يختفوا من حوران، ولكن يجب الافتراض، بأن عددهم قد تناقص حقاً بشكل ملموس، ومن جهة أخرى، كان يتوجب على الرحل الموجودين، التفاهم بشكل صريح مع السلطات المحلية ومع أصحاب القرى حول حقوق التنقل والرعي الصيفي، وهذا الذي يؤدي الى الفكرة القائلة بأن للحياة الحضرية تقدماً على حياة البداوة.

ونظراً لعدم توفر المعطيات الأثرية التاريخية الثابتة، يجب ترك الحديث الى علماء النقوش والمؤرخين في الأبحاث والنصوص الهيلينية^(١٣٤)، والسامية^(١٣٥)، والزعات حول ذلك تبدو واضحة: فقد شهد القرن الأول الميلادي، وأوائل العصر الروماني اكتمال دعوى تحضير الرحل (حسب J.t.Milik فإن القبائل الصفوية Safaite من العُويديين Awidhenens ومن ثم

Dafaïtes تحضرت بكاملها خلال القرن الأول الميلادي^(١٣٦) واندماجهم في الدفاع عن الأراضي النبطية^(١٣٧) أولاً وثم عن الأراضي الامبراطورية^(١٣٨) وحسب M. Sartre. فإن العرب الرحل الذين اندمجوا في المحيط الحضري، كانوا خاصة من عداد الصفويين Safaite بعد أن ساد الاستقرار خلال القرنين ٢ و ٣ ميلادي. واعتباراً من القرن الرابع الميلادي ظهر البدو الرحل على المسرح ثانية كقوة يُحسب لها حساب. وقد تنامت هذه الحركة بسبب تأييد الفتح الاسلامي لها في القرن السابع الميلادي. فالقبائل الكبرى القادمة من الجنوب الشرقي هي بالتابع: التتوخيون - الصالح - الغسانيون - وقد أشار السيد سارتر^(١٣٩) الى كيف كانت بعض القبائل أو مجموعة القبائل تتلقى من بيزنطية - المال والقمح وأراضي الرعي الصيفي، والتفويض الرسمي وخاصة Phioarchat (مرسوم الزعامة)، الذي يمنح السلطة لزعيم أقوى قبيلة على مجموع البدو الرحل في المنطقة التابعة له، حتى ولو تجاوزت سلطته حدود الولاية العربية، لقاء وقف غارات الغزو، والسلب. واعتناق الديانة المسيحية، والمخالفة ضد العدو الفارسي.

كيف تمكن القرويون من معايشة ذلك المد للرحل في العهد البيزنطي خاصة في القرن السادس الميلادي؟ سؤال يبقى مفتوحاً دون جواب. وخلال عصرنا الحالي بكامله لم نتوصل الى فهم أفضل حول كيفية قيام المعاشية. يبدو من الناحية الجغرافية ان الشمال الشرقي من الجبل كانا، بين القرن الأول والثالث الميلادي، منطقة تحضر مميزة، والدليل على ذلك النقوش المتوفرة فيها^(١٤٠). وخاصة بالنسبة لقبيلة الصواعة Sawwār^(١٤١). وخلال العصر الغساني (في القرن السادس الميلادي) خصوصاً في شرق الجولان (مثل عقربة - تل الجابية) ومنطقة بصرى (مثل الدير - وخربة) لذلك يمكن فصل بعض المناطق المفضلة لتمرکز البدو الرحل.

بقيت الطريقة التي بموجبها كان البدو الرحل يتحضرون، عرضة للجدل، يميل السيد J. T. Milik الى الحل المختلفة^(١٤٢): مثل: الإقامة في أحياء من القرى مثل «بوسان»^(١٤٣) والتمركز المؤقت وغير المتكامل في قرى كانوا يغادرونها، نحو الشرق، على أمل العودة، حسب عادة تنقل الرحل في الحياة الفصلية. وهناك احتمال آخر: مثل التمرکز في أمكنة جديدة حيث يقيم فخذ كامل من القبيلة - وهكذا فإن قرية «بريكة» كانت تعرف قديماً باسم بريكات سابا يورم (Borckath Sabeaeorum)^(١٤٤) واسم Sabaioi قد يكون مشتقاً من اسم Safaioi وبالدرجة الأولى من Dafay حسب تفسير J. I. Milik^(١٤٥) المؤيد بنقوش وكتابات Safaitique وجدت في تلوث شرقي الأردن^(١٤٦)، فيها إشارة الى Burêket. بهذا يعرف بأن قرية «بريكة» كانت مركزاً للتحضر لقسم من قبيلة الصفائيين Dafaïtes. (أو الدفاييين).

لقد ظهرت طريقتان من التحضر، الاندماج الجزئي في قرى الحضر، أو تأسيس قرى جديدة؛ ولكننا لا نعرف أيتهما التي سادت. والفرضية الثانية هي بالتأكيد الأكثر لفة. فخلال العقود الأخيرة. تحضر بدو الصلوات في اللجا وبني الحسن في شمال شرقي الاردن، ببناء القرى على املاكهم وليس بتجمعهم في القرى الدرزية أو في ريف البلقا. ولكن هل تعيد الحركة الحالية هذه الى الذاكرة. الحركة التي حدثت في نهاية العصر الهيليني؟. والأمر يحتاج الى الكثير لكي يتحضر البدو جميعهم. وفي القرن الثالث الميلادي، عثر على نقش في قرية «طربا»^(١٧) أهدها الى حاكم الولاية (oi ano eovous voma awv ethnos). وهي عبارة عادية تدل على القبيلة أو على مجموعة القبائل. ويذكر نقش آخر في «طربا»^(١٨) رئيس مخيمات الرحل. كان الوسط البدوي معترفاً به بصورة كاملة حتى في الكتابات والنقوش اليونانية في المنطقة بواسطة زعماء القبائل، سواء كانوا ولاية رومانيون أم رؤساء قبائل (قديمين) حسب الحالة^(١٩).

وفي حال عدم تحضر البدو سابقاً، ما هو الدور الذي كانوا يقومون به؟ كانت اللصوصية وقطع الطرق مستمرة فعلاً قبل قدوم روما. أو أعوانها المحليين^(٢٠) عند الهجمة البدوية للرحل في العهد البيزنطي^(٢١). ولكن هذا ليس وفقاً على العرب الرحل. ففي نص يوسيفوس حول قطاع الطرق في اللجا خلال القرن الأول الميلادي^(٢٢). إشارة على أن أولئك لم يكونوا رحلاً صرفاً، لأنهم كانوا ينشئون القنوتات ويبنون خزانات للمياه. وفي أوائل القرن الثالث الميلادي كان والد الامبراطور (في المستقبل) فيليب العربي، رئيساً لقطاع الطرق ولكن لم يقل لنا أحد أنه كان رجلاً^(٢٣) فقد كانت روما تحاول تجنب القرى من القوى العسكرية التي كانت من الرحل الذين تحتديهم للدفاع عن الثغور: ضد القبائل العربية الاخرى وأخيراً ضد الفرس، وقد نجحت بهذا المسعى طوال عدة قرون، وقد ذكرت النقوش أسماء بعض الرحل الذين كانوا مخططين للحروب أو المعارك^(٢٤).

ولكن الى أي حد يبقى حقل تربية المواشي محصوراً بالرحل، بينما الزراعة في القرى؟ سيما وقد تبين بأن تربية الابقار على الأقل كانت تمارس على نطاق واسع في القرى. أيدعو ذلك الى الاعتقاد بأن القبائل الرحل تخصصت فقط بتربية الخراف. الماعز، والجمال، والخيول؟ بكل تأكيد نعم، ولكن هذا لا يستثني القرى من أنها كانت تمتلك قطعاناً خاصة بها توكل رعيها للرحل «وقد أشير سابقاً الى المساحات الحالية حول القرى، وقد كانت حظائر قطعان المواشي». لنذكر انه في أوائل القرن الأول الميلادي كانت حاضرة أم قيس (Gadara) غير البعيدة عن حوران والقرى المجاورة لها كانت تمتلك قطعاناً كبيراً (من الخنازير) يقوم رعاة يسوقه الى المراعي المحيطة^(٢٥).

لنترك جانباً موضوع الصيد، لأن المستندات الأثرية قصرت حول ذلك، الا اذا عدنا

الى العصور الغابرة^(١٠٠)، أما بالنسبة لمركز مرور القوافل، فقد تأكد بأن التجارة الكبيرة المزدهرة عبر الصحراء بين تدمروبلاد ما بين النهرين، ومع الخليج بالانطلاق من بصرى عن طريق دير الكهف الأزرق، ووادي «سرحان». كانت الشغل الشاغل للقبائل الكبيرة. وهل كان الأمر نفسه، بالنسبة لنقل المؤن داخل حوران، والقرى الى اسواق البيع والشراء، ومن المدن الى الأسواق الخارجية وخاصة الى دمشق. وصور عبر طريق طبريا؟ لقد عُثر في «دير العدس» على آثار الطريق القديم الذي كان يربط دمشق بنوى ثم بشواطىء بحيرة طبريا^(١٠١) أو الى درعا، نوع من الرخام الموزاييك^(١٠٢) يحمل التاريخ ٦٢١ ب. م. ومن بين المشاهد الأخرى، منظر يمثل «جمالاً» يقود أربعة جمال بشكل قافلة خاصة لنقل جرار (من الزيت؟ أو النبيذ؟) والمشاهد التالية في الموزاييك تمثل النطاق الزراعي وغراسه الاشجار: هذه اللوحات توضح جيداً تداخل الحياة الحضرية والبدوية في حوران القديمة.

الأديرة

خلال زمن الموجة الجديدة للبدو الرحل، تبين بأن الرهبان في الصحراء لعبوا دوراً حاسماً بالنسبة لقواعد العلاقات مع البدو، وخاصة في موضوع اعتناق الرّحل الديانة المسيحية اعتباراً من النصف الثاني للقرن الرابع الميلادي^(١٠٣). كان هؤلاء الرهبان يعيشون في صومعات تعرف باسم «الدير» حسب الدراسة اللغوية التاريخية اليوم. وهذه العلاقات كانت وثيقة كلما كان الرهبان يدينون بطبيعة واحدة في المسيح، وكلما كان عرب الصحراء أيضاً مناوئين للمجمع الخلقيدوني^(١٠٤). لدينا لائحة جزئية لأديرة (مونوفيزينية) تعترف بالطبيعة الواحدة في المسيح، يعود تاريخها الى عام ٥٧٥ ب. م. وفي الولاية العربية، عدد لا بأس به من تلك الأديرة التي تقع في حوران^(١٠٥).

من جهة أخرى فإن مراجعة الآثار المعمارية على الخرائط، والصور الجوية والأرضية، تسمح بمعرفة العديد من أوابد الأديرة وقد يكون ذلك صعباً حينها تكون الأديرة في القرى التي كانت مأهولة، مثل كفر شمس - كفر ناسج، ولكنه سهلاً حينها تكون تلك الأديرة مشادة في بلاد منبسطة ومكشوفة. ومع ذلك ليس من السهل دوماً تمييز «دير» في قرية فقيرة متأخرة. وقد تنطبق تلك الصعوبة على الدير الواقع جنوب «بصرى»، حيث الوضع الحالي للخرائب، لا يساعد على التمييز بين الاحتمالين المذكورين، ولا يعرف ذلك الا بواسطة الدراسة اللغوية التاريخية، وبواسطة نشر الطباعات الأولى من الكتب القديمة لـ Princeton التي لها صلات بالأديرة. وهذا ما ينطبق أيضاً على الزبيرة الواقعة شمال «صور اللجا». فقد عرف بواسطة كتاب مرسل من اباء (برتبة ارشمندريت) يفيد عن وجود دير فيها^(١٠٦).

ولكن التنقيب ضمن مساحة بسيطة في الموقع ، لا يتيح الا ثبات بأن الموقع بأكمله كان ديراً ، أو أن الدير كان قد أشيد ضمن أبنية القرية .

من هذا الشك المنهجي يبرز الشك التاريخي الجسيم . أكان هناك شبكة من القرى خلال القرن السادس (تقريباً) أو توزع في الأديرة؟

من جهة أخرى وعند التنقيب في اطراف البادية «شرق حوران» لم تتوفر القنعة بوجود طابع خاص ، لأي دير من خلال الصور المنشورة بالاشكال رقم ٢٢ و ١٣ . في دير الشعير (الشكل رقم ٢٢) ^(١٣) توجد الخرائب التي تتألف من سور مربع الشكل تقريباً (٣٦, ٥ و ٣٢) يحيط بربوة صغيرة ، حيث يتكدس داخلها أبنية تشكل مجموعة متراسة يرتكز بناءها على الجهات الأربع للسور والمسكن مبنية من الأحجار القليلة التقصيب ، ليس لها سوى طابق أرضي على الأكثر ، مع واجهة أكثر اتساعاً واعتناء ، وفي الوسط قد تكون كنيسة . وهناك بناء في الغرب قد يكون ملعباً أو ساحة ومجموعة الأبنية تفوق متطلبات «الضربة» المفردة ان الوضع العام يعطي الفكرة عن حياة مكتظة جداً وجماعية ، مترافقة بقلق قد فرضته ضرورة الدفاع ، تثبت دراسة المواقع التاريخية الحالية لغوياً بأنها تتعلق بوجود دير . والشكل رقم ٢٢ يوضح حسن التنظيم المباشر وفي الجوار ، وهو عبارة عن سور كبير من الأحجار (تجاه الزاوية الجنوبية - الغربية) وقد يكون بيدراً ، لدراسة المحصول ، أو حظيرة للمواشي ذات سور خفيف أوزرائب مغلقة ، وبعض الأبنية النادرة الخارجية المشادة على السور . ويقرب الدير مباشرة يوجد بركتان واحدة كبيرة وواحدة صغيرة ، وأخيراً يشار على وجه الأرض وعلى بعد ٨٠ متراً شرق وشمال الدير ، الى وجود صفوف من الأحجار الأثرية ، بمثابة حد لتخاريب صغيرة مبنية من الحجارة بشكل هندسي تقريباً . وقد يكون هذا آثاراً لحدود بساتين خضراء أو كرمة تعود للدير ، وهي قرية بحيث يمكن من الحراسة الدائمة ، كما يمكن سقايتها من ماء البركة .

ان تحديد التاريخ مسألة عسيرة بالتأكيد ، ولا يستند الا على الخزف فقط . وبالإضافة الى وجود مجموعة من القطع الخزفية تعود للعصر الأيوبي والمملوكي ، يوجد قطع خزفية تعود بالتأكيد الى العصر الأموي . وقد يعود البعض منها الى العصر البيزنطي ، أن الأبد (الموقع الأثري) «أم العويني» (الشكل رقم ١٣) ^(١٤) قرب «خازمة» على طرف البادية ، هي أقل حفظاً ، ولكنها أوسع وتُمثل انتظاماً خارجياً أكبر ، مثيراً للاهتمام ، وهو يشابه الى حد كبير /دير الشعير/ باستثناء كل ما يتعلق بخارج الدير . فإن مجمله يشكل مربعاً طول ضلعه ٦٥ م من كل جانب تحيطه «أكمة» طبيعية ترك مجالاً لتمييز الأبنية السكنية الفقيرة مع طول الجهات الأربعة ، التي لا تتوفر فيها القناطر ولا الطوابق الأرضية الظاهرة . ويبدو أن الوسط كان خالياً من الأبنية ، وأيضاً كانت درجة التدمير والخراب فيها مع الاسوار

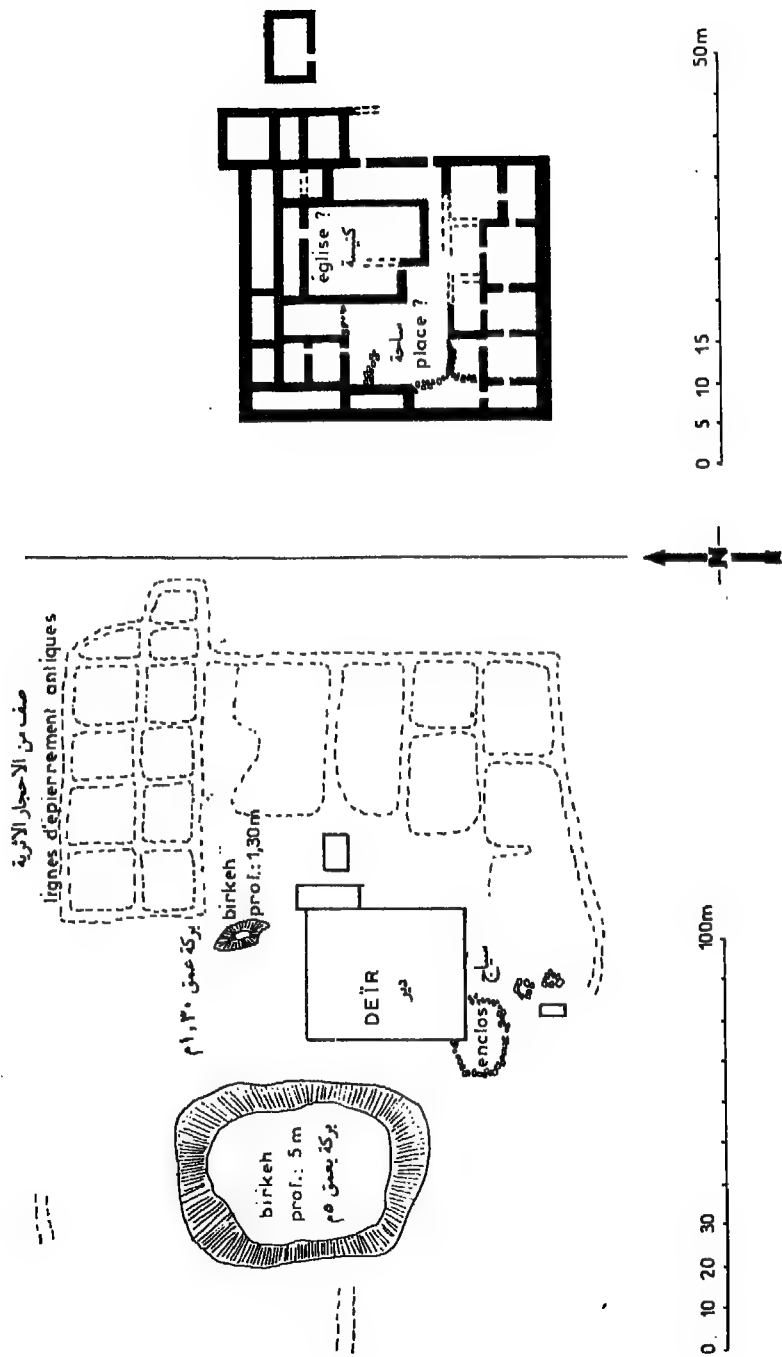


Fig. 22. — Deir ashi-Sha'ir : plan de situation et plan du deir.
الشكل رقم ٢٢ - دير الشعيبر عظم الموقع وخطة الدير

المبنية فيها مؤخرًا، قد جعلت من الصعب جداً تكوين فكرة واضحة عنها. أما القطاع المحصن فهو محاط في الأسفل بما يلي:

- ست برك من أحجام مختلفة (الشكل رقم ١٣، f, e, d, c, b, a, A) فالبركة شمال (a) جزء منها منحوت في الصخر، والجزء الآخر الأكبر مبني بصورة طبيعية وهو مستكمل «بجيب» مغلق (بئر) له ثقب في أسفل البركة. وهونقطة الاتصال لقناة جربطول (٥٠٠) خمسمائة متر. لها مأخذ متفرع بسهولة من مياه إحدى روافد (وادي الراجل) وهي قناة أثرية قديمة ذات ميل خفيف جداً محدّدة بأحجار كبيرة كانت تنقل المياه حتى البركة بواسطة مجرى مغطى في مسافة العشرين متراً الأخيرة.

- ومن خزان صغير (G) منحوت في الصخر، وهويشكل اجاصة، له فتحة مستديرة وضيقة، مع جميع تلك الانشاءات المائية المنفذة لصالح موقع صغير جداً، يبدو أن الرهبان كانوا يتعاطون بتربية المواشي والزراعة، أو الاثنين معاً.

- ومن خرائب سكن بالجهة الغربية، حيث يوجد البيت (n) (الشكل رقم ١٣) الذي ورد ذكره اعلاه وهو عائد لمسكن خلفي.

- ومن أساس لبناء صغير، جيد الموصفات (m).

- ومن مغارتين محفورتين تحت سطح الأرض، داخل الحمم البركانية (h,i) ويتم الوصول إليها بانحدار غير قاس منذ وجه الأرض. ولكن الوضع غير صالح بالنسبة للبرك (الحزانات) التي تم غلقها بالطين حين انشائها داخل الصخر. وقد كانت تستعمل كزريبة للمواشي، حيث يمكن اغلاق فوهتها وتخبة المواشي فيها في حالة الخطر.

- ومن أسوار من الحجر الصخري (J,K) خصصت للحيوانات أولدراسة الحنطة.

- ومن صفوف من البناء الحجري (١) باتجاه الشرق والغرب، موضحة المعالم، التي تمتد على بعض المئات من الأمتار حول الموقع المتواجد في وسط منطقة محجرة جداً. وهذا ما يشير الاهتمام جداً. كما توجد الأراضي الخصبة جداً بأحجار خفيفة، خارج هذه المنطقة الأشد قساوة في المنطقة. والسبب في ذلك لأن القرى المجاورة مثل (خازمة - امتان) لم تترك لهم غير هذه الأرض. ومثل هذه الظاهرة تحدث كثيراً. لأن الأديرة تشاد غالباً على أراضي القرى وفي مواقع غالباً ما تكون غير قابلة للزراعة، أو متروكة كونها فاصلة أو صعبة المسلك بالنسبة للقرى المتراجعة (المنحسرة). وهذا مستنبط من ملاحظات الصور الجوية. أما الأديرة الصغيرة فقد مارست على قطاعات محدودة وقليلة الخصوبة الزراعة مع تربية المواشي بصورة قاسية، يدل على ذلك قطع الأرض الصغيرة (المعرّلة) المرفوع حجارها، والتي تعود الى «دير الشعير». يشبه هذا الوضع عدة مواقع أخرى ولكن بزمان متأخر «نهاية الزمن البيزنطي - الأموي» مثل خربة الصهب^(١١٠) - قرب بصرى - وأرساء^(١١١) - شرق امتان.

أما الأديرة التي سبق أن وضعت نهاذجها، كانت هامشية ولكن أصبحت مهمة في نهاية العصر البيزنطي سواء من حيث التوطن أو من حيث التنمية، لأنها اتاحت استثمار هذه الأراضي جيداً، من قبل سكان القرى، وبقى للعلم، فيما إذا كانت الأديرة تقوم مقام القرى، التي هي على طريق الزوال، (بسبب نقص اليد العاملة - مرض الطاعون - دمار الغزوات؟) إذ إنها تكمل التنمية في البلاد دون أن تؤثر في انحسار القرى. ان مفهوم تلك الأديرة الصغيرة المتناسكة والمحصنة كان مطلباً لوسط يسوده اختلال الأمن. ولكن مخططها المربع الشكل والمغلق على نفسه ليس بقاعدة مطلقة، فقد يكون مستوحى من مخطط القلاع الرومانية المهجورة والتي غالباً ما أعيد استيطانها بمثابة أديرة^(١٧٠).

لدى فحص مواقع البدو الرحل والأديرة في الحياة الريفية لحوارن القديمة، فقد ظهرت أهميتها النسبية المتصاعدة في نهاية العصر البيزنطي، ولكن دورها، كمحصلة، بقي ثانوياً بالنسبة للقرى. بقي علينا أن نتفحص أسس ازدهار تلك القرى.

اقتصاد الأرياف

يكتفى هنا بوصف مختصر للزراعة - تربية المواشي، ولطبيعة الأرض. أما الدراسة المستفيضة عن الأساليب الزراعية فلا تزال مبكرة.

القمح والكرمة:

بالاختصار يركز الاقتصاد الريفي لحوارن الحالي على مجموعتين من الانتاج. الحبوب: خاصة في الهضبة وفي منطقة ساسة (Sacée)، ثم الكرم (مع تزايد في الأشجار المثمرة وأشجار الزيتون) في الجبل، والانطلاق من الوضع الحالي الى الخلف، نحو الأزمنة القديمة، ليس بالأمر السهل، ففي نهاية القرن ١٩ الميلادي، أشار العالم الجغرافي (Rindfleisch) الى انعدام شبه كلي تقريباً لزراعة الكرم في «النقرة» وازدهارها في الجبل لدى الدروز^(١٧١). وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي لاحظ الطبيب (Delbet)^(١٧٢). انه في منطقة بصرى ما كان يزرع الا الحبوب مع استثناء بعض الخضروات^(١٧٣).

في عام ١٥٩٦، وبلاستناد الى مشروع عمل مدون بسجلات مالية عثمانية واضحة^(١٧٤) جداً تبين ان زراعة الكرم وزراعة الأشجار المثمرة كانت معدومة تماماً في كل حوارن فيما عدا استثناءان صغيران^(١٧٥)، بينما كانت زراعة القمح والشعير تنال حصّة الأسد، دون التفريق بين السهل والجبل، واذا ما قورنت هذه المعطيات الثلاث المار ذكرها؛

يلاحظ بأن ادخال زراعة الكرمة في منطقة جبل حوران مرتبط الى مدى بعيد بهجرة الدروز الكبيرة في نهاية القرن السابع عشر والتاسع عشر الميلادي .

في العصر العباسي السلجوقي - الأيوبي - لوحظ بعض التدوينات لجغرافيين عرب مشيرة للدهشة وهو أن درعا التي تبعد كثيراً عن الجبل كانت مشهورة بخرمها^(١٧٢) وقد أشير الى نوى بأنها كانت «مستودع القمح والحبوب»^(١٧٣)، ومعنى ذلك، انه في أوائل العصر المتوسط، لم تكن التقسيمات الجغرافية المعاصرة لزراعة الحبوب والكرمة قد توضحت بشكل بارز:

وإذا عدنا الى عصر ما قبل الإسلام، نجد أن ندرة الوثائق المكتوبة كانت جسيمة، أما بالنسبة للقمح فقد توصلنا الى العثور على كتابة طريفة في قرية «شعرة» وقد مر ذكرها، وهي تتعلق بمنع أهالي القرية من انشاء بيادر الخنطة على الأراضي المشتركة ويمكن من ذلك، استخلاص نتيجتين: أولاً أن انتاج القمح كان شائعاً في تلك القرية المجاورة للبحر، وثانيهما، كان الشاغل الأول منع اقامة بيادر على أراضٍ عامة. لذلك وبما أن البيادر هي مرفق خاص لذلك تم منعها، غير أن المعطيات المعمارية التاريخية هي الأثبت، كونه قد أشير فيما سبق الى «حالات تمييز وضع البيادر في القرى أو قرب الأديرة. هناك في جميع القرى الأثرية القديمة وفرة في الطواحين البازلتية القديمة، ومنها نوعان كانا سائدين منذ زمن بعيد:

الطاحونة الصغيرة وهي فردية وتتألف من قرصين (طبقتين) مستديرين من الحجر البازلتي، تتوضع الأولى فوق الثانية، فالقرص العلوي هو الذي يتحرك بالدوران بواسطة قبضة عمودية، مثبتة داخل ثقب فيه، تمكن من تدوير هذا القرص حول محوره مثبت في وسط القرن السفلي الثابت، أما الطاحونة التي يقال عنها رومانية، فهي مكونة من جذعين من الصنوبر المفرغ، يقوم الرجال أو حيوانات الجر بتدويرها على محورها، حول الجذع الثابت على الأرض، غير أنها قليلة الانتشار في المنطقة، ويستخلص من ذلك، أن تلك المواد الشائعة في كل قرى حوران ليس لها علاقة بانتاج الحبوب بل استهلاكها، وكذلك: فإن هذه الطواحين البازلتية ليست منحصرة في حوران فقط، بل توجد في كل مكان تقريباً حتى في الأماكن البعيدة عن مواقع البازلت، مثل تدمر - جرش - مأدبة، في إيطاليا وفي افريقيا الخ. . من جهة أخرى، تحمل هذه المطاحن القليل من الأدلة عن تسلسلها التاريخي. ان الطواحين الصغيرة ذات القرصين تبدو وكأنها ترتقي حتى أواخر العصر الهليني وتستمر حتى أوائل القرن العشرين^(١٧٤). أما المطحنة الكبيرة (مزدوجة المخروط) والمسماة بالرومانية، فهي معروفة منذ عهد اليونان^(١٧٥) ولكن لم يعرف تاريخ اختفائها.

لقد تمكنا من الوقوف على بعض المطاحن المائية المبنية على مجاري المياه. غير دائمة التدفق، وفي بحر الفصل الممطر، تصبح لديها القوة المائية الكافية للدوران مثال: على

وادي اللواء، وعلى بعد بضعة مئات الأمتار من شهباء وعلى وادي المشنف قرب القرية، وعلى وادي الزبيدي، شمال بصرى بقليل، كانت هذه المطاحن تعمل بموجب تحويلة قناة جر مبنية من الأحجار البازلتية، تنقل المياه من مسلك آخر مفتوح شديد الانحدار كان يقذف بالمياه بالقوة الكافية لإدارة الطاحونة ومن المؤسف أنها الآن مهدامة، لسوء الحظ، لم يكن يبدو، على هذه الطواحين التي شاهدناها أي أثر قديم، وهي حسب إفادة الأهالي عنها، يعود انشاؤها إلى ما قبل القرن ١٦ - ١٧ الميلادي، ولكن هذا لا يستثني وجود طواحين مثلها في العصور القديمة.

يبقى موضوع الأراضي الزراعية الذي يحمل الإفادة الباتة. فالقطاعات النادرة للهضبة الممثلة على الكليشيات الجوية الجاهزة، مثل ساسة (Sacée). والأراضي المنبسطة للجبل، والأطراف الشرقية لخوران (مثل منطقة «امتان» انظر الشكل رقم ١) كانت قيد التنمية، وذات أهمية منذ العصور القديمة، بفضل رفع الحجارة من أراضيها، وتقسيمها إلى أسهم طولانية متوازية، لتشكل حقولاً بعرض وسطي ٣٠ متراً أو أقل وبطول ٥٠٠ متر أو أكثر في كثير من الحالات. ومثل هذا التنظيم لم يكن له أي معنى سوى الاستخدام الأمثل في الحراثة وزراعة الحبوب. وهذا ما يعيدنا بالذاكرة إلى الطريقة الهندسية المعمارية للبيوت الريفية، التي تقودنا إلى تفسير سبب وجود العديد من الغرف التي كانت تستعمل مستودعات للقمح (انظر فيما سبق) ومن خلال التقيب يؤمل العثور على ما يماثل مستودعات القمح (آهراء) الحديثة التي تبني في العراق.

إن زراعة الكرمة القديمة كانت معروفة جيداً لدينا أكثر من زراعة الحبوب. وقد تمكن وصفها بشكل جيد، بعد حذف بعض المعطيات، غير وثيقة الصلة بهذا الموضوع، فهناك كتابات يونانية، قد تعود إلى القرن الثالث الميلادي^(١٧٧)، حول حماية غرسات الكرمة، نسبت إلى ملف زراعة الكرمة الخورانية^(١٧٨). لقد عثر فعلاً على هذه الكتابة على بعد مسيرة ساعتين فقط من جرش، إذن خارج خوران، ولزيادة التأكيد وجدت هذه الكتابة منقوشة على صخور كلسية يندرج وجودها في خوران^(١٧٩)، وهناك عملات نقدية في بصرى^(١٨٠) فسرت وكأنها تحمل على أحد وجهيها معصرة عنب. إلا أنها في الواقع تماثيل آلهة^(١٨١) وأخيراً، يظهر اختفاء الكرمة في الديكور المعماري في خوران، الملاحظ في مجلد السيد J. Dentzer. Feydy. وبدراسته للهندسة المعمارية في خوران ليس له أي معنى أو تأثير في مجال تاريخ الاقتصاد، لأنه يتناول فقط التغييرات في القواعد التزيينية.

تبقى الوثائق الأكثر اندفاعاً، بأن الريف القديم للجبل وهو، بكل وضوح مغطى بزراعة الكرمة، وندعو القارئ إلى دراسة «جينيل» الواردة في هذا المجلد والتي يصف فيها ذلك الريف وصفاً دقيقاً. فقد انتظمت المنحدرات بشكل مصاطب وحددت الملكيات الخاصة بجدران صغيرة عمودية على حافة المنحني، بينما كان أسفل الوديان، مغطى أو

مقسماً الى أبراج مستديرة أو مربعة (الشكل رقم ٢٣). تبدو هذه المناظر الفوضوية والعفوية القابلة للتنظيم بوضع حدود لاحقة (مثل الحقول الهندسية على السفوح) وكأنها تعود الى مرحلة ما قبل العصر الروماني.

لقد ذكرنا آنفاً التحت الذي يرجع لما قبل العصر الروماني في موقع «سيع» والذي يمثل الجبل الحوراني، المغطى بكروم العنب^(١٨). وبعد ستة قرون ونيف من ذلك، في العصر الأموي، كانت زراعة الكرمة مزدهرة دوماً في الجبل. وقد ظهر ذلك بنتيجة التنقيب في معصرة في موقع «سيع». وعلى ضوء تلك الحفريات يمكن أن ينسب الى هذا العصر المتأخر، عدة معاصر للعنب، حصاها السيد P. Gentelle عام ١٩٧٨، خاصة ما ورد في الرقم ٩١ - وهي كناية عن نموذج لمعصرة لها باحة في الوسط مبطنة، ومعصرة أفقية تدور على محورها حول برغي من الخشب الخالص، المثبت وسط هذه الباحة: وقد ظهر هذا النوع خلال القرن السادس على سيفساء المخطط قرب «مأدية»^(١٩) في شرق الأردن وقرب «قبر حيرام» بجانب «صور»^(٢٠). ان معاصر الجبل هذه كانت مبعثرة في الريف، وهذا يدل على أن العنب كان يعالج في مكانه، خاصة بعد اقتطافه. ولكننا نجهل فيما اذا كان يستخرج منه الخمر أو الدبس. ان القرى المجاورة لجبل حوران، كانت تملك معاصر للعنب^(٢١) وحتى في منطقة جبالها الوسطي.

منذ العصر الهيليني، وحتى العصر الأموي، عرفت زراعة الكرمة. تبدلات مردها الى التنظيم وليس التحولات المناخية أو الاقتصادية، فمن المعلوم أن الامبراطور دوميان أمر بقطع نصف غرسات الكرمة في الولايات^(٢٢) ولكن يشك كثيراً بأن هذا الأمر (المرسوم) نفذ بحذافيره، لأنه ألغي عام ٢٦١ ميلادي بأمر من Probus ولا بد للبحوث المستقبلية من أن تتيح بمتابعة التطور الحاصل، سيما وأن الكرمة في حوران دامت طويلاً، كونها بقيت أيضاً حتى العصر العباسي.

وحتى الآن لم يذكر عن أي معصرة أو أي أثر واضح لزراعة الكرمة خارج الجبل، بل بالعكس، فإن زراعة الكرمة سيطرت على اقتصاد الجبل القديم، بشكل فعال، ومع ذلك، لا يمكن القول، أن زراعة الحبوب هي الوحيدة في الهضبة، وان الكرمة هي في الجبل، لأن مثل هذا الادعاء يبدو مغلوطاً من وجهة النظر التاريخية، وهو من جهة، غير حقيقي، اذا سلمنا بتطبيق هذا الادعاء على قرى قديمة كانت تنسم بمواصلات صعبة، ومن جهة أخرى، فإن الشكل الخارجي للأراضي الزراعية في المناطق المنبسطة (قبل التلال والهضاب) في الجبل تحمل على الاعتقاد بأن زراعة الحبوب كانت متواجدة أيضاً (الشكل رقم ٢٣). وان الهضبة الحورانية من جهتها، كانت تملك زراعة الكرمة بعناية ودون اهمال، ما دامت درعا، التي مر ذكرها كانت أيضاً مشهورة بخمورها في العصر المتوسط.

ومن المؤكد ان القمح والكرمة لم تكن تزرع في أراضٍ منعزلة تماماً، عما حولها، ولكن كانت طرق الزراعة تختلف بالضرورة، في الجبل عنها في الهضبة. فهل الري والسقاية كانا مطبقين في كل من هذين الواسطين؟ سؤال دقيق، في أيامنا الحاضرة، لم يطبق الري على مدى واسع في الأراضي باستثناء بعض القطاعات النادرة من حوران^(٢٢٠)، مثال: حول بويضان، شمال براق، بفضل ضخ حديث، وفي ناحية مزيريب، شمال غرب درعا، في أعلى اليرموك، حيث المياه الغزيرة، القادمة من الجولان، تسمح بري سبق أن ظهر فيها مضي. أما بالنسبة لبقية الأراضي ينحصر عمل المزارعين، بسقاية البساتين بواسطة مياه البرك أو الخزانات. وربما كان ذلك نهجاً متبعاً في العصور القديمة. هناك كتابة في «دما» من قرى اللجاء^(٢٢١) تعود الى القرن الثالث الميلادي، تشير الى وجود بركة صناعية والى غرسة التين حول منشأة جنازية، فقد كانت تلك البركة تسقي اشجار التين.

ومع ذلك لم نعثر، لا نحن ولا غيرنا حسب علمنا، على أية آثار لأقنية واضحة كانت مخصصة للري على نطاق واسع. وفي القرن العاشر أيضاً. كانت حقول حوران Bat hamniyya، والبطحانية برأي ابن حوقل^(٢٢٢) تزرع بدون ري.

ان فرضية غياب الري في العصور القديمة، لا تعارض مع الاثباتات التي تبررها الكتابات والنقوش العديدة، التي تفيد بوجود أقنية لجر المياه، وخاصة من أعلى الجبل باتجاه الهضبة^(٢٢٣)، ولكن لا يوجد أي دليل يثبت استعمال هذه الأقنية للسقاية والري، فتغذية المدن والقرى بالمياه كانت تفرض وحدها انشاء أقنية جرسخمة للماء البرك، وإذا كانت الحقول، بالمقابل، غير مروية، فلا بد من التساؤل كيف كانت تزرع كل سنة؟ ان الدراسة حول الزراعة خلال القرن ١٩ الميلادي تبين بأن محصولاً من أصل أربعة كان معدوماً بسبب الجفاف^(٢٢٤) وبأن محصول القمح غير المروي، كان بنسبة^(٢٢٥) (١) الى (٢٠) وهذا قليل جداً اذا كيف كان سكان حوران الذين كانوا اكثر كثافة من كثافة القرن ١٩، والذين كانوا مضطرين للعيش من منتجاتهم فقط (بخلاف اليوم) متمكنين من العيش المزدهر في مثل تلك البيئة؟ هناك اجابتان: اما أن البري كان سائداً، متجاوزاً حدود سقاية البساتين وهذا يلزمه أدلة قاطعة، وأما أن المناخ (حسب الفرضية التي وردت في أول المقالة) عرف في بدء تاريخنا هذا مرحلة ساد فيها مناخ فاقت رطوبته الرطوبة الحالية.

لم نتحدث الا عن القمح والكرمة، وعرضياً عن الأشجار المثمرة (التين) لعدم توفر الوثائق والمستندات القديمة حتى الآن للزراعات الأخرى في المنطقة. والزيتون هو الذي غاب ذكره في هذه الدراسة، لأن مناخ أعالي الجبل بارد بالنسبة للزيتون، وباستثناء ذلك، فهو يزرع في كل مكان، تنتشر بساتين الزيتون في أيامنا هذه، وخاصة على جوانب المنحدرات السفلى للجبل، ولكنها حتى الآن حديثة العهد، بيد أننا وجدنا في قنوات، في

باحة المبنى الروماني الشرقي لدار الحكومة عمودية أعيد نحتها، كانت تستخدم، على ما يبدو، كفضاء ثابت لهرس الزيتون، وفي الوقت الحاضر ليست هناك أية أدلة أخرى، ولا وجود لمعصرة زيتون معروفة إلا في غرب الجولان، مع العلم أن هذه المنطقة هي نقيض المرتفعات العكسية لسورية الشمالية.

إن الزراعة المستندة على الحبوب والكرمة، والمستثمرة لكامل الأراضي القابلة للزراعة في حوران ربما فيها الأراضي المنحدرة جداً والمحجرة جداً، والتي لا تترك أية أراضٍ للرعي، إلا في بعض القمم في أعلى الجبل وفي حمم اللجا. تلك هي خصائص ومميزات الزراعة في حوران، إبان العهدين الروماني والبيزنطي.

تربية المواشي

إن عدم توفر المساحات الواسعة الدائمة للرعي، لا تعني أن تربية المواشي كانت مهمة بل كانت في القرن ١٦ الميلادي شبه معدومة، لأن نصيبها من المواشي كان قليلاً، لكون التربية في الجبل كانت مقتصرة على الماعز والخرفان والنحل^(١١١) وخلال هذا العصر المنوه عنه ليست هناك أية معلومات واضحة وجاهزة تتعلق بقطعان البقر والماعز، وقد أشرنا أعلاه إلى بعض الحقائق التي تتعلق بهذا الموضوع فيما يخص البدو الرحل وسكان القرى.

إن النقطة المهمة في الموضوع، ولو كانت ملفتة للنظر، هي ممارسة تربية الأبقار بشكل واسع، وهذا ما قد أشير إليه من خلال عمارة البيوت؟. والحقيقة فإن الزرائب التي تشكل حيزاً نظامياً، في الطابق الأرضي كانت تستخدم خصيصاً لايواء الأبقار، سيما وأنها صممت لهذا الغرض ولمدة طويلة، كما لا نعرف، بالحقيقة نوعية هذه التربية، هل هي أبقار للحليب، أو حيوانات للذبح، أو حيوانات للجر.

أما الدلائل الأخرى التي لدينا بخصوص التربية، فهي تتعلق بالكولومباريا Columbaria (رماد الأموات) وهي كناية عن مجموعة من النقوش والكتابات^(١١٢) التي تشير إلى أبراج الحمام. ونتردد، في مثل هذه الحالة في الجزم أن كانت ملاحق قبور^(١١٣) أو منشآت يستفاد منها منزلياً، لانتاج السماد الطبيعي، مثلاً^(١١٤).

ليس من مزيد الآن، حول تربية المواشي قديماً في حوران، إلا أنه لا بد من انتظار تنقيب قرية أوبيت ريفي كامل. . ومنذ الآن، يمكن تصور قطعان الأبقار في تلك القرى بأعداد كبيرة، وحيوانات الجر أيضاً، التي تُربى للعمل. في استثمار الأراضي، وبالوقت نفسه لتأمين اللحم والحليب، وهي تستهلك كثيراً من مياه البرك ومن العلف الذي يؤخذ من منتجات ومحاصيل الأرض.

الخلاصة

الرجوم والجدران الصغيرة: سمة حوران القديمة

ان نقطة الضعف الكامنة في هذا العرض، تنحصر في تسلسل الأحداث التاريخية، ويمكن دراسة تنظيم الريف في الأراضي الخاصة، لكي تعطي بيوادر الحلول، وبعد التعود على منظر وطبيعة الأرض، لن يصعب التمييز بالاستناد الى الصور الجوية، بين الجدار الصغير الأثري القديم أو صف الحجارة القديم لحائط ما. وبين جدار، أو صف حجارة حديثة أو آنية، فهذا الأخير يظهر للعيان رقيقاً، مكوناً من حجارة رمادية أو سوداء ليست مزججة Patinée (أي لا يعلوها طبقة غضار قديمة). أما الأخرى، فهي أحياناً بعرض ٢ - ٣ أمتار، ويوجه الاجمال متهدمة ومكونة من أحجار صخرية مغطاة بطبقة كثيفة من الزنجار الأبيض. ومن جهة أخرى، يندر جداً، أن تأخذ الزراعة الحديثة نفس أوضاع الحقول القديمة - حسب العرف - لأنه يشاهد كثيراً على كليشيات - الصور، اتجاهان للحدود يتقاطعان مع طول المسافة، فهو استنتاج، حسب ظاهره عقيم، ولكن ما يلفت النظر، ان الفاتحين الحديثين تقاسموا الأرض طبقاً لمخططات، لا تمت بصلة الى مخططات الآثار القديمة، ولم يتضابقوا من الحدود والجدران القديمة، طالما كانوا يفلحون الأرض بمحراث خفيف، وطالما يمكنه خلال بضع ثوان رفع محراثه عن الجدار الصغير القديم الذي يتقاطع مع اتجاهه. وفي حالة ازدواج قطعة الأرض، من السهل جداً تمييز مقسم الأرض الحالية عن غيرها بالاستناد الى اختلاف اللون بين الحقول مرده الاختلاف في الفلاحة والفرق بين الأراضي البور، والفلاحة، وبين القديم المكون من شبكة من الجدران أو الحدود الحجرية، دون الربط باختلاف اللون.

إذا استبعدنا استيطان الأرض الحديث، وإذا سلمنا يوماً، ان استيطان العصور الوسطى قد طبق الانظمة القديمة في جميع ترتيباتها والى حد بعيد (وهذا ما لا يصح في جميع التفاصيل)، يتبقى علينا بلورة فكرة التسلسل التاريخي للمقاسم القديمة الصغيرة. ان نماذج وأشكال ومظاهر الحقول بسيطة جداً. فمن جهة، هناك حقول متعددة الزوايا تتخللها رجام صخرية متوضعة بدون أي نظام أو ترتيب، حقول يوحى جميعها بمظهر التخاريب المتشابكة alvéoles (الشكل رقم ٢٣) وكان يمكن القصور، بالدرجة الأولى، بأن هذا النوع من التنظيم واقعية، تتبين وجود آثار قديمة في بعض الأرياف الجميلة الظاهرة «في النقرة» حيث تبدو مغطاة بتقسيمات حجرية صغيرة لها طابع هندسي. وفي أمكنة أخرى، تشاهد مجموعات من المستطيلات موزعة حزاماً حزاماً (الشكل رقم ٢ Burd)، وفق اتجاهين متعامدين، وأخيراً هناك مقاسم مستطيلة وطويلة جداً ومتوازية، على قطاعات واسعة من

الأراضي، تفصل بينها خطوط حجرية (جدران من الحجارة الصغيرة) رئيسية متباعدة بمقدار ٢٠٠م، وخطوط ثانوية متباعدة بمقدار ٣٠م. تقريباً، دون تأكيد في دقة القياس (الشكل رقم ١) فالشكل الأخير موجود بانتظام كبير على أطراف حوران الشرقية، أما الشكل الروماني فهو في كل مكان تقريباً وخاصة بجوار المواقع الكبيرة المعروفة بأهميتها في العصر الروماني.

هناك نقطة استدلال واحدة، تسهل لنا الاقتراب من الوصول الى التسلسل التاريخي لظهور تلك المظاهر في حوران، انها التقسيمات الرومانية الصغيرة التي تمت دراساتها في كل مكان تقريباً، من الامبراطورية، والتي وصفتها نصوص (gramatidi) غروماتيسي، لايتضح تماماً، فيما اذا كان القياس المستوي Centuriation، وهو الأداة الأولى للمسح الطبوغرافي الروماني، قد طبق في حوران؟ فإذا صح ذلك، يكون قد نفذ فعلاً في الهضبة، التي لم يتم حتى الآن كشف صورها الجوية كشفاً كافياً: لذا لا بد من التحفظ هنا. ولكن العلماء النظريين في مصلحة المساحة الرومانية، اشاروا الى صيغة أخرى للمسح *per strigas et scamna et en laeinae* وهي صيغ كانت سارية المفعول في الولايات، ولكنها حتى اليوم لم تدرس إلا قليلاً جداً^(١٩٠). ان تقسيمات الأرض الى أجزاء في حوران حسب نظام المستطيلات وعلى اتجاهين متعامدين، تبدو أنها من تقويم الـ *Strigation Scamnation* ويوجد مثال جيد منها في الشكل رقم ٢. شرق بصرى وحول «Burd» وكانت الأرض مقسمة وفقاً لاتجاه يركز على مسار الطريق الروماني بصرى - صلخد (الذي انشأه حوالي أواسط القرن الثاني للميلاد^(١٩١))، والخطوط الحجرية تفصل مقاسم من الأرض بعرض ٢٥٠ متراً (أي ٧ actus) متجهة تارة نحو الشمال والجنوب وتارة نحو الشرق - غرب وهذه الأشرطة الأرضية مقسمة بدورها بخطوط عمودية بشكل مستطيلات بعرض ٧٠ متراً (أي ٢ actus) التي تساوي ١,٧٥ هكتاراً (Jugera ٧)^(١٩٢). وإذا تم التقدم نحو الشرق وإلى الشمال الغربي من قرية (القرية) نجد وضعاً مائلاً مؤلفاً من قطع أرضية تساوي ٢٤ (Jugera) وهي بطول يزيد مرتين عن العرض، وهذا ما يتوافق تماماً مع اصول ومبادئ *Strugation- Scamnation* التي حددها (هيجين Hygin)^(١٩٣) ومن هذه الواقعة ووقائع أخرى أيضاً، يعرف السجل المساحي الروماني المتزامن مع (أوبعد ذلك بقليل) تنفيذ الطريق الروماني. ولم يكن هذا الاسلوب سائداً من قبل، بل كان مرتبطاً، بهذه الحال، مع زمن بناء مدينة «بصرى» على وجه التقريب. (الشكل رقم ١) يشير الى نموذج أكثر انتشاراً، يتفق ومصلحة المساحة الرومانية، حول نظرية القطع (lacinae). وهو سائد بصورة رئيسية على الأطراف الصحراوية في حوران، في قطاعات برزت متأخرة نسبياً. وفي مثال (الشكل رقم ١)، لعب جوار قصبة «امتان»، مدينة الحامية، دوراً مافى توزيع الأراضي في الشرق منها

الى محاربين قدماء من الجيش كاستعمار أولي، ومقاسم الأرض ذات الشكل العفوي (غير الهندسي، عكست الوضع الداخلي) لتوطن الريف، كقاعدة عامة، ولدنا حجتان واضحتان بهذا الشأن: من جهة أولى وفي كثير من الحالات، يصادف وجود قطعة أرض قديمة غير منظمة، وقطعة أرض أخرى قديمة منظمة (بلا شك رومانية) متوضعتين الواحدة فوق الأخرى، ولا يعقل ان المزارعين دمروا أو أزالوا الحدود المنظمة والقانونية لوضع شكل جديد، وبالمقابل، يمكن أن ندرك بأنهم ارغموا على التخلي عن شكل قائم، لضمه الى وحدة انشئت بأوامر إدارية، رومانية دون شك، من جهة أخرى، فإن دراسة المعجم الجغرافي التاريخي لمنطقة «سيع - قنوت» بدأت تعطي ثمارها. مثال على ذلك، الطريق الأثري المستقيم، «قنوت - سيح» يجتاز جميع رقع (الحماة) الأرض غير المنظمة لهذا الوادي، الذي سبق ظهورها، بينما يقوم هذا الطريق بانعطافة وحيدة، ليدور حول مدفين قنا بتتقيب وكشف أحدهما عام ١٩٨٠، وتبين بأن تاريخه يعود للقرن الأول بعد الميلاد. لذا يكون الطريق قد تم فتحه، قبل أواخر القرن الأول الميلادي، كما أن تنمية هذا القطاع ابتدأت قبل العصر الروماني، وحتى قبل بناء المدفن الذي بدوره وجد مبني على أرضية حجرية أقدم منه.

إن تاريخ ريف حوران، وتاريخ الحياة الريفية في هذه البلاد، بدأ يخرج من الظلمة، فهناك بدأ التنظيم الكثيف جداً لمناطق قابلة للفلاحة بشكل ملموس قبل ضمها الى الولايات الرومانية وقبل بدء استيلاء الرومان على المنطقة بكل تأكيد. هذا القرار كان يتوخى اجراءات عملية مثل حماية المزاروعات من المواشي ومن السارقين. (حبس ملموسة وفقاً لترتيب هندسي محدد. وهذا هو الأسلوب الذي حقق ثراء القرى الذي كان سائداً في القرن الأول قبل الميلاد^(١٠)) (أي قرب نهاية الثلث الثاني من هذا القرن)، بواسطة توطيد الطمأنينة الدائمة، ثم بعد السيطرة الرومانية، بواسطة خطة جر المياه المقررة على نطاق واسع، هذا الاثراء أخذ طابعاً متجهاً لانطلاقة اقتصادية حقيقية لعدة أجيال، فإن القرى الحورانية كانت تتمتع بانطلاقة ديمغرافية مزدهرة، كانت الزراعات تمتد بعيداً حتى انها غطت مجمل المنطقة (أكثر من اليوم)، وتناولت على أرض السهب في الشرق (أكثر من اليوم أيضاً) بواسطة تعزيل الحجارة والروم بشكل منظم، ضمن أنظمة مساحية، تبدلت أحياناً وفقاً للقوانين الرومانية التي غالباً ما كانت تتوخى التنمية الزراعية للأراضي البكر، وقد زادت شبكة الطرق كثافة وزاد العمران الزراعي والعام في بادئ الأمر، ثم اتسع العمران الخاص مما أبان تقدم الازدهار في البلاد. في وقت مضى من العصر البيزنطي، في القرن الخامس الميلادي تقريباً. عرفت المنطقة تبدلات ملحوظة جاءت مع عودة سيطرة الرحل وتوطن مجموعة من الأديرة ومن القرى

الصغيرة الفقيرة. ولم يشكل الفتح الاسلامي في عام ٦٣٥ أي انقطاع رئيسي في الوضع^(١١٨) (ذكرت المعاصر في العصر الأموي سابقاً) بل تمخضت عن ازدياد قوة هجمة العرب الرحل. ولكن متى وكيف بدأ التخلف في حوران. فهذا بقي مجهولاً. ولكن الأسباب التي يمكن التذرع بها ليست قليلة، فمنها الاستثمار المكثف للأراضي - زيادة رعي المواشي - المناخ شديد الحرارة خلال الفترة ما بين ٦٠٠ - ٨٥٠ ميلادية^(١١٩) - اختلال الأمن المتزايد، خاصة بعد انتقال السلطة من دمشق الى بغداد^(١٢٠) وفي مستهل العصر العباسي المضطرب، بسبب النهب والسلب، وقدم موجات البدو الرحل (وهذا على ما يعتقد نتيجة الانحطاط وليس سببه). وأخيراً فقدان المنافذ التجارية المهمة، خاصة المنافذ التي كانت تتمثل بالمدن السورية التي تعرضت لويلات الحرب والأمراض الوبائية.

ان متابعة البحث حول كل ذلك، ستتيح تكوين فكرة أكثر صراحة عن هذا التدهور الذي هو بالأصل لم يكن مفاجئاً. فقد أصبح المستوى الأعلى لاستثمار الموارد الزراعية الطبيعية في حوران، التي أصبحت أرضاً مغطاة بترك المياه. أما في الجبل فقد تبدل الى سلم من المصاطب المتدرجة، حيث، يفترض، في سبيل تماسكه ضرورة تلاحم عدة عوامل متوافقة - ديمغرافية - سياسية - تقنية - مناخية، وعلى سبيل المثال يمكن تفادي صفة التخلف.

ومع ذلك نشك كثيراً، بأن الانحطاط أثر بالقرى بقدر ما أثر بالمدن، وبأنه كان سريع الفاعلية ولا تراجع فيه. وإذا أريد الحكم بياحية هذا الانحطاط بالاستناد الى الخزف المكتشف، فإن قرى حوران، في العصرين الأيوبي والمملوكي كانت مزدهمة بالسكان، وازدادت كثافتها السكانية. في نهاية القرن ١٦ أكثر من ازديادها في القرن ١٩ ميلادي^(١٢١). رغم عودة استيطان المنطقة بدروز الجبل اعتباراً من القرن ١٨ ميلادي.

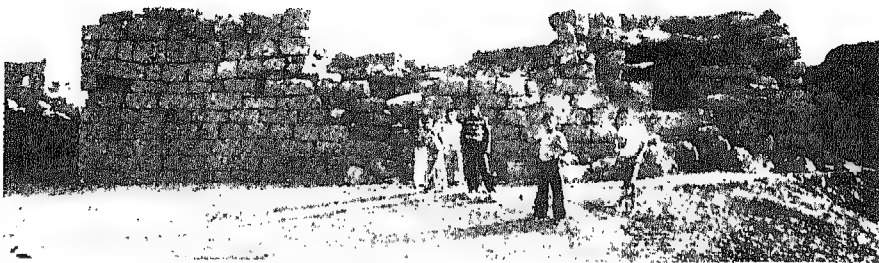
وعلى القارئ أن يتفحص الطبيعة الغامضة والمشكوك بها لهذه النبذة التاريخية إن التاريخ الاقتصادي لحوران القديمة لم يعد منذ الآن مجهولاً لدينا. وأخيراً فإن الوضع الاجتماعي للقرى وتطوره الذي بقي في الظلال لم يلحظ: مثل الأراميون الحضريون - البدو الرحل الذين تمحضروا - المزارعون الاغنياء - الفلاحون الفقراء - وربما العبيد - قواعد تقسيم الأرض. أساليب الزراعة، كل ذلك يجب أن يكون هدفاً لبحوث ودراسات طويلة ليتمكن الاستفادة منها قبل أن نحد من اهتمامنا، الاحجار والغرين والفخار المكسور في هذا الجزء من سورية.

فرانسوا فيلنوف

عمان أيار ١٩٨٥

ملحق اضافي أيار ١٩٨٥

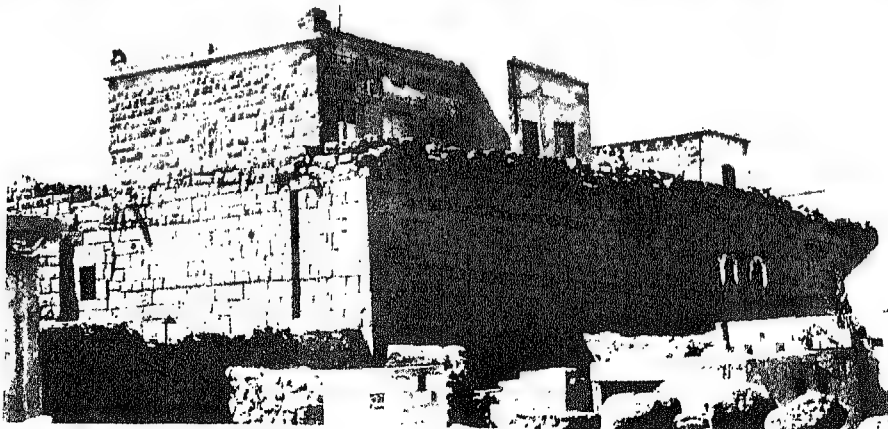
كُتبت المقالة التي تمت قراءتها - في معظمها - في عامي ١٩٨٠ و ١٩٨١ ، ومن واقع مهلة النشر، فقد تم إعادة النظر فيه خلال عام ١٩٨٥ ، وعوضاً عن إعادة كتابة نص البحث الذي بدت لنا فرضياته الأساسية سليمة وعن ادخال ، المعطيات الجديدة المكتسبة على أرض الواقع بين عامي ١٩٨١ - ١٩٨٥ ، فقد اقتصرنا تحديث النص تبعاً للمراجع الأكثر حداثة .



أ - المسيفة البيت رقم ١ - جدار خلفي (شمالى واجهة خارجية)



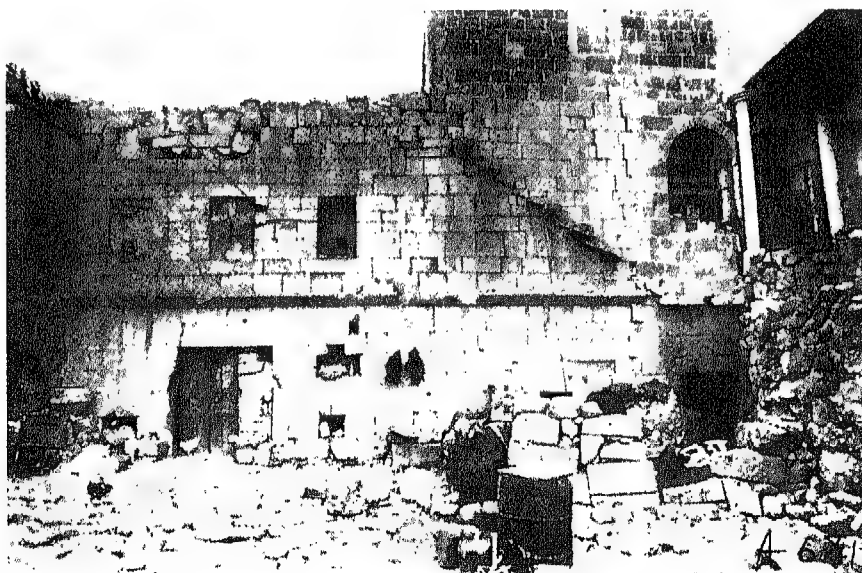
ب) الكرك بيت رقم ١ - واجهة (انظر الصورة رقم ١٦)



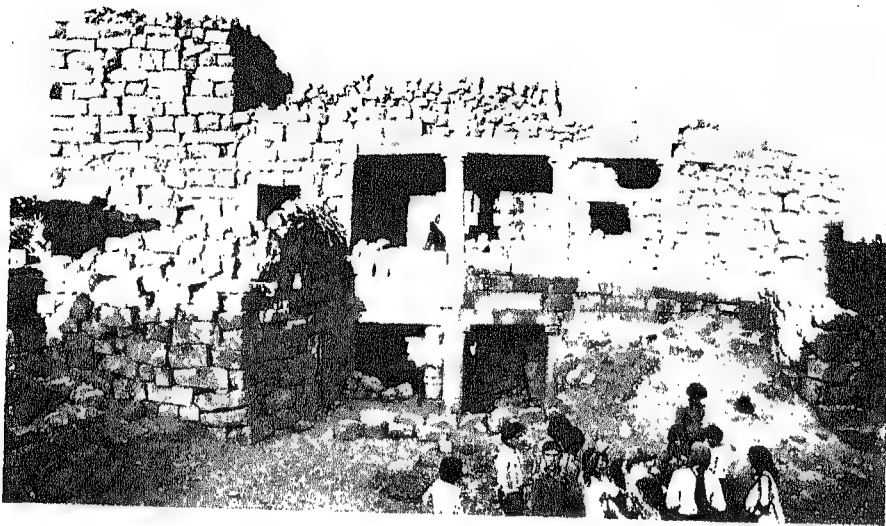
ج) المهيأ : بيت فلافيوس سيوس نهاية القرن السادس م. - الزاوية الخارجية في الشمال - الشرقي



آ - نوى - البيت رقم ٣ - تفصيل الواجهة الشمالية المطلة على الباحة (الصورة رقم ١٧) الطابق الأسفل -
أبواب الغرف F و G وكوة



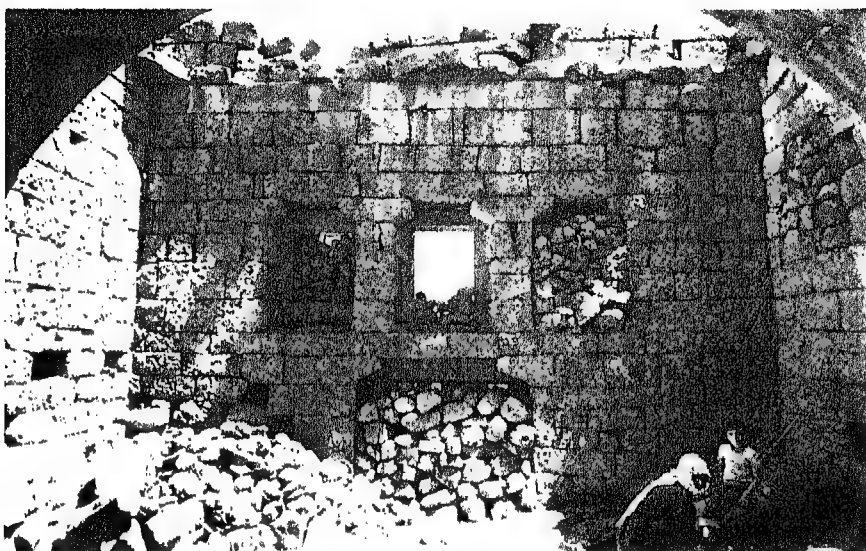
ب) أم الزيتون - البيت رقم ٢ - الواجهة (انظر الصورة رقم ١٤)



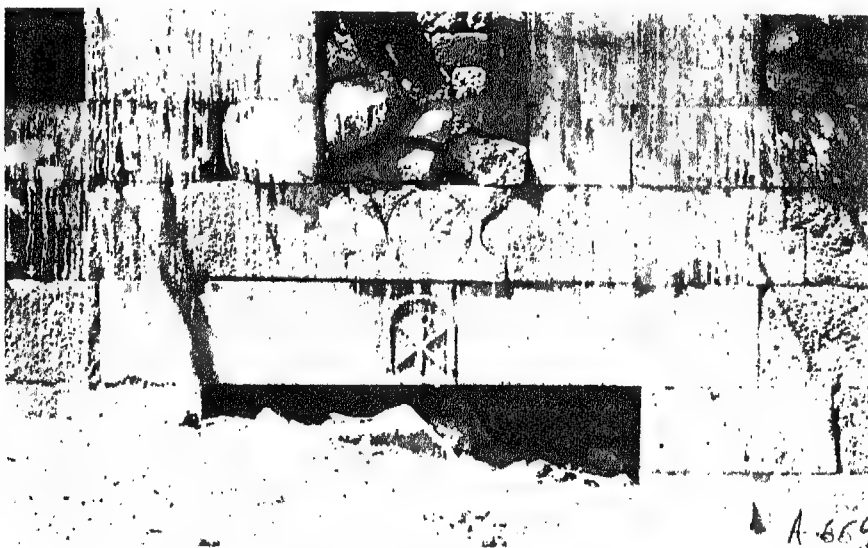
(آ) أم الزيتون البيت رقم ٣ - الواجهة (انظر الصورة رقم ١١)



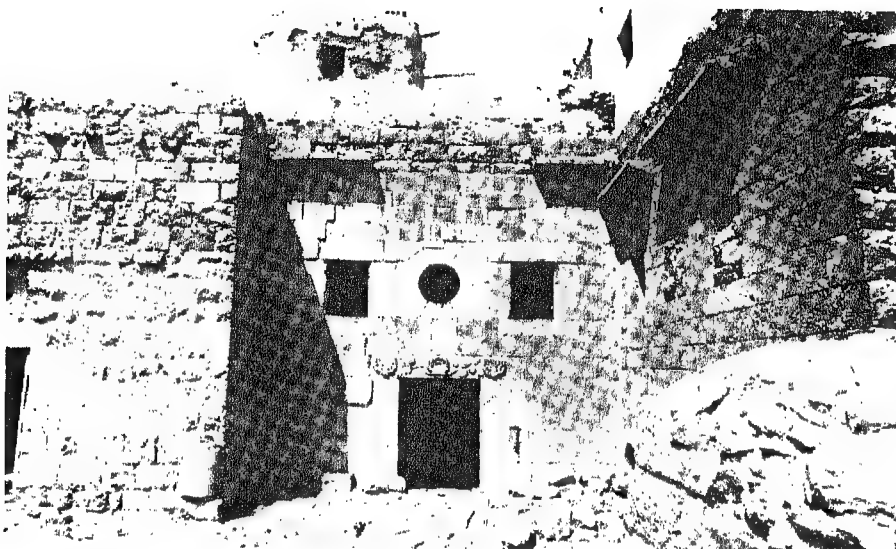
(ب) المسيفة - البيت رقم ١ - الزاوية الشمالية الشرقية للفرقة الرئيسية في الطابق الأسفل



آ) كفر شمس البيت رقم ١ - الطابق الأسفل - الغرفة A نحو الأسفل باتجاه الشرق (انظر الصورة رقم ١٩)



ب) كفر شمس - البيت رقم ٢١ - الطابق الأسفل - الواجهة الغربية - حنت الباب العائد للغرفة A



(أ) نوى البيت رقم ٢ - الواجهة الشمالية (الفرقة A) (انظر الصورة رقم ٢٠)



(ج) كفر شمس : البيت رقم ٢ - صليب بارز على
السقف المزين وعلى هوارض الباب أمام الغرفة رقم A -
(انظر الصورة ٢١)

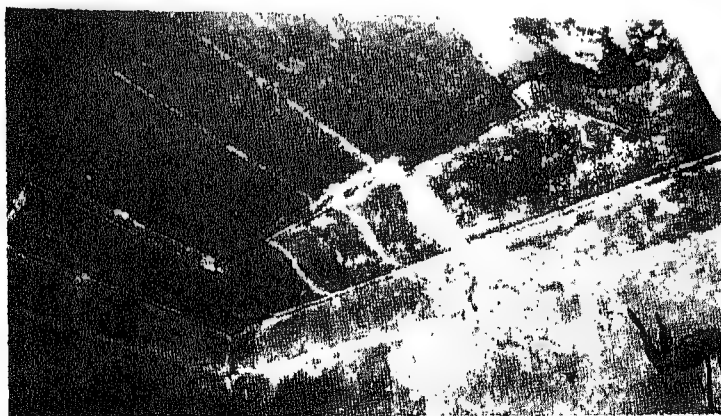
(ب) نوى البيت رقم ٢ - الطابق الأسفل الغرفة رقم ١ - الجزء الشمالي من القوس (انظر الصورة رقم ٢٠)



آ) كفر شمس: البيت رقم ١ - زاوية مغطاة بين البناء الغربي (على اليسار) وبين الشمال (على اليمين) انظر الشكل رقم ١٩ غرفة حديثة وسط على المستوى ١ - غرفة معتنى بها على المستوى ٢



ب) كفر شمس: البيت رقم ٢ - اقتلاع الدرج الخارجي والقرص (مستوى ١) في الواجهة بين أبواب الغرف F, H (انظر الشكل رقم ٢١)



ج) نوى البيت رقم ٢ سقف الغرفة A



أ) حول قرية الهيت في (Sacée) الحدود الأثرية للحقول (عمل مساحي قبل الروماني) وزراعة حديثة



ب) شمال قرية «امتان» آثار عمل مساحي هندسي من العصر الروماني (الشمال هو على اليسار) (الشكل رقم ١)

هوامش

1- A. 11. M. Jones The Cite of the Eastern Roman Provin ces 2nd, ed, Oxford, 1971, pp. 289- 290
C'est nous qui traduison.

2- H. C. Butler et coll. Publication of un american archaesological expedition to syria in 1899- 1900, New-York, 1904- 1914 desormais cité comme: Paaes, Id, publications of the princeton University Archaeological expedition to, Syria in 1904- 1905 and 1905. Leyden, 1913- 1949, désormais eike Comme PPuaes.

٣ - مقدمة السيد M. le Glay في مؤلف (J. M. lassere) (ubique populas) حركة السكان في افريقيا الرومانية منذ سقوط قرطاجة حتى نهاية حكم اسرة سيفير (Sévère) (977) (Paeis 146 a C.235 p.C)
٤ - (G. Tchaleuko) القرى الأثرية السورية الشمالية الكتلة الجبلية لـ (Belus) في العصر الروماني (باريس ١٩٥٣ - ١٩٥٨).

٥ - ابتدأت الدراسات بهذا الخصوص اعتباراً من عام ١٩٨٣ تحت ادارة (F. Braimer) الذي قاد العديد من التنقيبات الموجهة نحو آثار العصر البرونزي والعصر الحديدي (الذي كان يصعب تحديده) وأيضاً نحو آثار العصر الفارسي والعصر الهيليني انظر (F. Braemer) التنقيبات الأثرية في حوران (سورية) مؤلف سورية ١٩٨٤ تحت الطبع وبخصوص السؤال عن أعمال F Braemer (انظر (F. villemeuve) . التنقيب في قرى حوران القديمة من القرن الأول قبل الميلاد الى القرن السابع بعد الميلاد) . السكان - البيوت الريفية - اطروحة الدكتوراه - المرحلة الثالثة على الآلة الكاتبة (باريس ١ - ١٩٨٣) من الآن وصاعداً يذكر بحث F. villemeuve ص ٣٧ - ٥٤ مع المعطيات الأخرى المعطاة من قبل السيد (H. Sarter) في مؤلف عن بصرى (باريس B. A. H) تحت الطبع ١٩٨٥ .

٦ - السيد C. Safadi هيدروليكية سورية الجنوبية (نانسي ١٩٥٦) الخريطة المطرية لحوران Climatle Atlas of syrie وزارة الدفاع السورية، دائرة الارصاد الجوية - قسم مناخ دمشق ١٩٧٧ - الخريطة رقم ٤ - المعدلات السنوية لهطول الأمطار.

٧ - W. H. Waddington النقوش اليونانية واللاتينية في سورية - باريس ١٨٧٠ من الآن وصاعداً هي E. littmann in P.P. UAES III A et IV H.C.Butler (P.P. U. AES) IIA - A

٩ - خاصة

G Rindfleisch Die landschaft Hauran in Romischer Zeit und in der Geganrart Z DpV 21, 1898 pp- 1- 16
G sehum ochter per dscholah ZDPR 9, 1886 165- 368- idem Das sudliche, Basam Z Dpr, 20, 1897- pp, 67-227

١٠ - السيد سارتر كتابات يونانية ولاتينية عن سورية ١ - ٨ - الفصل ١ - بصرى باريس ١٩٨٢ .

١١ - م - ادم - دراسات الولاية العربية بعهد الرومان وبيزنطة - اطروحة على الآلة الكاتبة للسيد pt.D منشستر - ١٩٧٩ وايضاً كتابات عن حياة قرى جنوب سورية خلال الحكم الروماني وأوائل الحكم البيزنطي - بيروت ٣١ - ١٩٨٣ . ص ١٠٣ - ١١٥ - G. W. Bowersock العربية الرومانية كميريدج ماس لندن ١٩٨٣ - J. M. J Dentzer

التنقيبات الأثرية في «سبع» والاثار الهيليني في سورية الجنوبية GRA1 ١٩٨١ ص ٧٨ - ١٠٢ ج. م. دانتزر و(ج) - دانتزر - فريدي) وفيليب د ف زيريمر - ست رحلات تنقيب في «سبع» التطور والزراعة المحلية في سورية الجنوبية Milleslungen. Damaszner ٢ - ١٩٨١ . S.P. ج دانتزر . ابحاث حول الزخارف الهندسية الأثرية في سوريا الجنوبية في العصر الهيليني والروماني - ١ - الابواب - اطروحة المرحلة الثالثة على الآلة الكاتبة - كلية باريز ١ - ١٩٧٩ - ج. م. دانتزر بالتعاون مع ف فيليب دانتزر . القرى في سورية الرومانية في الحديث عن تنظيم المدن الشرقية ، In de Lénelus في البلقان - مجموعة Jesn Deshayis باريز ٢١٣ - ٢٤٨ .

١٢ - لا بد من التنويه باننا مدينون للسيد J. M. Dentzer الذي أحسن منذ البدء ، تقدير مدى فائدة تلك التنقيبات . ولا يسعنا الا أن نقدر المساندة المطلقة ، وحسن الضيافة والوقارة التي ابدتها أعضاء مصلحة الآثار في الجمهورية العربية السورية ، وخاصة منهم الدكتور بهنسي المدير العام لمصلحة الآثار الذي اتاح لنا القيام بهذه التنقيبات المتابعة ولاظهار مدى فائدتها . والدكتور البني المدير العام للتنقيبات الذي لستنا منه كل تفهم وصادقة ، والذي سهل لنا جميع الأشكال الادارية ، والمرحوم سليمان مقداد مدير الآثار في بصرى - درعا - القنيطرة . الذي كان يستقبلنا بحرارة في قلعة بصرى والذي بدوره كانت تصعب الأمور والسيد عامر مدير الآثار في السويداء الذي بلطفه وحسن اهتمامه اتاح لنا العمل في جبل العرب ، كما أننا لاننكر مساعدة زملائنا في التنقيب J. Dentzer - C. Bolleil - t. Bouzou - P. Fonrdin - S. Qudsi - F. Huguet - .P. Gentelle R. Doncael المهندس المصممي في المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى ، الذي اعاننا بخبرته في عام ١٩٧٩ ، والذي دقق مخطط قرية «شعارة» المنشور في هذا المؤلف والسيد L.thomas الذي ساعدنا في هذه الرحلة بكل مودة ومقدرين علو موهبته في رسم اغلب المخططات المنشورة في هذا المؤلف كما ان (J. Y. Vial et C. Sayet l'IGN) الذي تحت وطأة الثلج والوحل ، قدموا لنا في كل عام ١٩٨٠ اثنى خبرة في الطبوغرافيا .

١٣ - Réccmmnt: W. Held Das ende der progressiven Entwicklung des Kólovaes am Ende des 2 und 3 . in der ersten Halfe des 3 . Jahrhundeuts in Rfthsehen, Imperium, Koio 53 - 1971- PP. 239- 279 M.

Hazza , Terra é Forme, ei dependenza nell' impero 'Romano

الأرض والفلاحون التابعون لها في المجتمعات القديمة (الندوة التي تمت في بيزانسون يومي ٢ - ٣ أيار عام ١٩٧٤ - باريز ١٩٧٩ ص ٤٤١ - ٤٩٣ .

١٤ - ب - برل - نبذة من التاريخ الريفي لبيزنطة المجلة التاريخية ٢٠٩ - ١٩٥٨ ، ص ٣٢ - ٧٤ . ش . ج أوسترغورسكي : المجتمع الريفي البيزنطي - بيزانسيون ٣٢ - ١٩٦٢ - ب ب ١٣٩ - ١٦٦ .

15- J. Bradford Ancient lanskacapes, Stadies in Fild Archaeology, Londre, 1967, ch 4 Roman centuriation a Plenned lanskope, pp. 145- 2/6- pb 38- 51.

16- D. Sperber, Aspects of Agararian Life in Roman Palestine 1- Agrievltural Decline in Palestine during the later principate Aufstieg und Niedergang der Rórmischen vell, 11,8, 1977. pp. 397- 443.

- 17- R. Mac. Mullen, Peasants, during, the principate, vbid, 11, 1, 1974 pp. 253- 261.
- ١٨ - F. Villemeuve بحوث pp. 317- 323 أول تأليف حول ترتيب من عمارة البيوت .
- 19- L: H- e Butler, Desert Syria, The land of a lost cwilization Geographiale Review 10- 1920, pp. 77- 408.
- 20- K Butzer Quaternary Stratigraphy and Climate in the Neus East, New- York, Londres 1958- .122.
- ٢١ - ان أول تحليل لتربة الباليونوجيلك حققه مخبر Girard في فالبيوت (cra du CNRS) على مسطرة قدرت لما قبل العصر الأموي (نتيجة التنقيب في سبع - ٨) وهي مستقيمة (أي حوض من رخام في وسطه نافورة مياه) وجدت في أسفل حوض المعصرة . وكانت نتيجة التحليل بما يلي : أشجار ٤٤ , ٤٤٪ - أعشاب herbaceae ٩٥ , ٥٦٪ وهذا يثبت وجود سابق لريف كثير الاشجار .
- ٢٢ - معطيات التكتطت عام ١٩٧٩ وعام ١٩٨٠ من قبل المؤلف وعلى مقربة من أهالي المجلد .
- ٢٣ - الفرضية الحديثة (صادرة في Boreas) للسيد T. M. Lwigley .Geographical Patterns .
- of climatic ehange - 1000Be. 1700AD, internn Final Report to N. O. A. A. us. Dept of Commerce under contact n° 7-35207, 26. 9. 1977, 80p. fait apparaitre, pour le proche- orient, une Suite de fluctuation من ٧٠٠ - ٣٠٠ قبل الميلاد, درجات الحرارة منخفضة عن العادية حالياً (النصف الأول من القرن العشرين) مع ميل الى الدفء فيما بين ١٠٠٠ - ٥٠٠ عام قبل الميلاد.
- ٣٠٠ ق.م - ٢٠٠ ق.م فراغ في المراجع الوثائقية .
- ٢٠٠ - ٥٠٠ ق.م عودة الدفء, هطول أمطار أدنى من العادية في الوقت الحاضر .
- ٥٠٠ - ٦٠٠ ق.م متبدل ولكن يميل الى البرودة .
- ٦٠٠ - ٨٥٠ ق.م العودة الى الدفء هطول امطار قليلة الغزارة ولكن مع درجات حرارة متوسطة ولكنها أدنى من درجة الوقت الحاضر .
- ٩٠٠ - ١١٢٥ ق.م حقبة زمنية أكثر برودة وأكثر رطوبة .
- نحن مدنيون لهذه المعلومات للسيد J. L. Borel في قطاع علم النبات وعلم البيئة النباتي في جامعة غرينوبل, وفيما يخص النقطة التي تهمنا . فالموضوع المهم سيكون, الحقبة أو المرحلة المناخية المناسبة للزراعة في القرن السادس ب.م يتبعها مرحلة أدق في القرنين السابع والثامن .
- ٢٤ - F. Haguët بحوث في شكل الأرض Gescmorphologique في منطقة شهبأ (سورية الجنوبية - دراسة منطقة بركانية, بحث السيادة باريس ١ - ١٩٧٨ - الخريطة بشكل الأرض ١ / ٥٠٠٠٠ لمنطقة شهبأ .
- ٢٥ - السيد صفدي op. eit البحث رقم ٦ الخريطة الهيدروليكية لخوران .
- ٢٦ - المرجع نفسه .
- ٢٧ - حول جغرافية الجولان, آ. باغ ومنطقة الجولان (اطروحة الدكتوراه) باريز ١٩٥٨ - السيد ص. خير, أقليم الجولان, دمشق ١٩٧٦ بالعربي . اطروحة د. أوريان : الجولان خلال المصريين الروماني والبيزنطي طبوغرافيا: ستيلانتيه الاقتصاد . ديس ١٩٧٩ الجامعة الامريكية نيويورك الجامعة الدولية للميكرو فيلم - آب اربور ١٩٧٩ بحث الجغرافيا التاريخية للمنطقة وآثارها الهندسية, وحالياً للاكمال من قبل د. دومان p. ex. Jewish and christion communitis in the roman and Byzantine Gaulanitis. a stuedy of Evidence from Archaeological Surveys. P. E. 9. 1982. pp. 129- 142 Settlements of the Roman and

- Byzantine periods on the Golan Heights IEJ. 33. 1983. pp. 198- 206. pl 20- 22.
- قرى ومعسكرات بيزنطية في الجولان ١٤ Internat, Byz, kongr Jahrb Oster Byz ١٤ الجولان ١٤ - ص ٦١٦ - ٦٢٤
- ٢٨ - بقي تاريخ الاندفاعات الحممية الأخيرة غير مؤكد. وكما بين M. Dumand, L. Dubertret التوضعات العظمية في خربة الامباشي وهبارية (الصفاء) (N. A. A. S) ٧/ ١٩٥٤ - ١٩٥٥. كما ان وجود كمية كبيرة من العظام المكلسة الحيوانية. البعض منها مساقاً بالحمم قرب موقع «خربة الامباشي» على طرف الصفاء، لا يدعو الى الاعتقاد بأن هذه التعظّمات كانت مساقاة بالحمم، بل ان حرق هذا القطيع المتعمد هو الذي اذاب الحمم من جديد - اذاً فان التاريخ في هذا المحيط كان B.P ٤٠٧٥ (+ ١٦٠ سنة) أو بالاحرى ٤٥٠٠ B.P أي حوالي ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد كتسلسل تاريخي حقيقي. وأن تاريخ ١٤ C لهذه التعظّمات لا يدل على تاريخ الانصهارات الحممية لمنطقة الصفاء.
- ٢٩ - سفر تثنية الاشتراع ٣، ٤ - ٥ يشوع ١٣ - ٣٠ - ٣١ والملوك الأول ١ - ١٣ انظر ق. م آبل جغرافية فلسطين باريز ١٩٦٧ - ١ - ١٠ صفحة ٢٧٤.
- ٣٠ - سفر تثنية الاشتراع ٣، ٤ - ٥.
- ٣١ - آ. ابو عساف - تل عشترة في جنوب سورية ١٩٦٦ iste Kampagne - ١٨ AAAS - ١٩٦٨ - ص، ١٠٣ - ١٢٢ - ٢٠ pl تل عشترة ٢ - ١٩٦٧ Kampagnie te - ١٩ AAAS - ١٩٦٩ - ص ١٠١ - ١٠٨، ١٩، pl، مستوى عصر برونزي حديث - عصر الحديد الثاني - العصور الهلنستية والعربية.
- ٣٢ - F. M Abel Op. cit., n. 29, t. I, p. 275.
- 33- c. M. Kraay, P. R. S. Moorey, two Lifth century Hoards from the near- East. R. N. 6. 10- 1968, 181- 210 pl XIX- XX.
- 34- Publ. della soc. ital. par la ricerc. dei pap. gr. e lat in Eg., pupiri greci e latini IV Florence, 1917, No 406 = Pai iv 406) C.C Edgar. cat. Gén. des Ants. Eg. du musée du Caire, Zenon Papyri 1, le Caire 1925 No 59004 (= PCZ 59004). 1 Maceabées 5, 9-54., II Maceabées, 12, 10- 16.
- ٣٥ - انظر. C أوريو مخطوطات زينون - باريز، ١٩٨٣، ص ٤٤ - ٤٥ و X دوران - يونان في فلسطين خلال القرن الثالث ق. م. رحلة زينون من «كونوس» (٢٦٠ - ٢٥٨) بحث قدم في مدرسة الكتاب المقدس والآثار الفرنسية في القدس - أيار ١٩٨٤ - ص ١٤٠ - ١٤٣ انني اشكر المؤلف الذي اشركني في البحث قبل نشره.
- 36- S. Miltmann, Zenon im ost Jordanland, in E kutoch, A Kuschko Archæologie und Altes testament tûbingen 1970- pp. 209- 210 et X Durond, op cit. No 35 pp. 37 et 45.
- ٣٧ - في سبيل محاولة شبه مقنعة من حيث التفاصيل، تطابق المواقع (مكابي ٥ - ومكابي ١٢ انظر ف. م آبل - تل حمد في حوران JPOS ١٢ عام ١٩٥٦ ص ١ - ١٥ pl ٣٨ - PPUAES - ٤ - آ - رقم ١٠٠.
- ٣٩ - PPUAES - ٣ - آ - رقم ١٦٧.
- ٤٠ - ع - دانتزر - فيدي - حول معبد يقال أنه يدهى دوسارس في سيع سورية ٥٦ - ١٩٧٩، ص ٣٢٥ - ٣٣٢.
- ٤١ - فلافيوس جوزيف الآثار الرومانية ١٥ - ٣٤٥.

- ٤٢ - المرجع نفسه ١٥ - ٣٤٢ - ٣٦٤ .
- ٤٣ - سترابون (الجغرافيا) ٢٠١ ، ٢٠ ، هذا النص يعود لأوائل القرن الأول بعد الميلاد وكان موضوع صلح نفذ تحت اشراف الرومان
- ٤٤ - ٢٣٢٩ W outa xtnais áypwv unnpxe
- auvaywyai u1u1a iww
- unopuyai zata yna xai omniaia
- xolun ketú twv Boexyuatwv oiaitia
- ai ye ymv tioo1uol qtevai zii za o' Eua mapepzyóevwv
- 45- J. G. Wetzstein Reisebericht über Haurán und die trachonen, Berlin 1860. pp. 44- 48. W. p. 534
- ٤٦ - مثال : passim, PPUAES G. W. BOWersock. Areport on Provincia Arabia. J. R. S. 61, 1971. pp. 221- 222.
- ٤٧ - مقالة السيد M. Sartre (روما والنبطيون في نهاية عهد الجمهورية (٦٥ - ٣٠ ق. م) R. E. A (٨٤ - ١٩٧٩ ص ص ٣٧ - ٥٣) يلح بحق . حول طوعية النبطيين القسرية لروما منذ الثلث الثاني للقرن الأول ق. م.
- ٤٨ - انظر الحاشية رقم (٤٠) - لا يعرف في الوقت الحاضر عبادة Culte النبطيين في سيع بحسب النقوش الكتابة ورسم الايقونات ، ان خصائص معبد الجنوب الشرقي الذي كان يتمتع بواجهة ذات تيجان نبطية لا تزال غير معروفة .
- ٤٩ - السيد M. Sartre (بصرى والعربية) الاطروحة المنسوخة - ليون ١٩٧٨ pp ٧٣٩ id ss. بصرى ، باريس ١٩٨٥ SP- B. A. H .
- ٥٠ - J. t. milk- cl قبيلة بني عمرات في الاردن في العصر اليوناني والروماني A. D. A. S ٢٤ - ١٩٨٠ صفحة ٤٦ .
- ٥١ - آ - مكايي ٥ - ٢٤ - ٢٦ .
- ٥٢ - مكتبة فوتيوس ٢٤٢ Q ١٩٦ - éd R. Henry - ٦ vol. باريس ١٩٧١ ، تفسير غير مقبول للمرور في مؤلف Macier و Dussand (رسالة في المناطق الصحراوية في السورية الوسطى صفحة ٢١) تفسير حازق ولكنه ملتوي كثيراً في مؤلف c. clermant Garneau (في المجموعة الهندسية التاريخية الشرقية) أ - جلعاء بلاد جبلية في فلسطين (المترجم) .
- ٥٣ - جوزيف - حرب اليهود - ١ - ١٩ - ٢ .
- ٥٤ - P. Briant القرى والمجتمعات القروية لآسيا الفارسية والهيلينية J. E. S. H. O ١٨٨ - ١٩٧٥ p.p
- ١٦٥ - ١٨٨ .
- ٥٥ - السيد س عبد الحق - المواد المكتشفة في نوى A. A. S ٤ - ٥ - ١٩٥٤ - ١٩٥٥ صفحات ١٦٣ - ١٨٨
- ١١ - N. Salibi, A. Bounmi والتائج الأولى للتنقيبات في مقبرة أم حوران (في العربية) - 8- pp. 1956, 6, AAS
- 24, 13 pl, 1 plan H.t
- ٥٦ - ٢٠٢٩ W

- ٥٧ - p. Levau (Caesarea de Maurelania) مدينة رومانية وريفها باريس ١٩٨٤ ، وخاصة في الصفحات ٤٨١ - ٤٨٢ - دراسة تطور الريف الزراعي في العصر الروماني نتيجة تنقيب في الأرض ، مثال قطاع ١٣٠ - Quaderni di storia - de Maurétanie - Caesarea (١٩٨١) صفحة ١٦٧ - ١٨٥ id التنقيب الأثري الهندسي والاسهام في معرفة قرية من العصر الروماني في افريقيا الشمالية . المدينة الأثرية وتنظيم الفراغ الريفي من حاضرة (id éd. C. N. R. S Paris 1978 p.p 191- 199) ومدينة وقرية حوليات E. S. C ١٩٨٣ - ص ٩٢٠ - ٩٤٢ .
- ٥٨ - ترك جانباً وبكل تأكيد موضوع Jawa فهي هامشية بالنسبة لخوران وهي قديمة جداً بالنسبة للعصر الشالكونيكي والبرونزي الأوسط . انظر : S. Helms - Jawa lost city of th. Black desert. Londres 1981 - p.p 135-198.
- ٥٩ - ابن حوقل ، كتاب ثروات الأرض ، ترجمة Wiet . ص ص ١٨٣ ss. نحن مدينون لهذه الاحالة الى السيد H. T. Blanquis المدير القديم L'IFEEA بدمشق . ٦٠ - ١٩٦٣ W .
- ٦١ - السيد ريجادي اكتشاف ترفيعين عربيين A. A. S ١١ - ١٢ - ١٩٦١ - ١٩٦٢ ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
- ٦٢ - IGR. III - ١٢٥٢ (الناسر - جاسم) IGR. III - ١٢٧٨ السويداء - عثيل - ج. دهمان . ٣٦2DPV - ١٩١٣ - ص ص ٢٤٩ - ٢٥٤ (خربة المطحنة ، قرب القنيطرة) OGIS - ٢ ، ٧٦٩ (عقربا وقرية مجاورة) R. Mouterde, Jalabert تختلط من الكلية الشرقية . V. Reyrouth ، ١٩١٠ ص ٢٢٢ (بصير) م دوناند . متحف السويداء ص ص ٧٥ - ٧٦ (شقا والجنيينة) . ٦٣٩ - IGR - ٣ - ١٢٧٨ .
- ٦٤ - A. Vn Domazewski, R Brünnow الولاية العربية ستراسبورغ - ١٩٠٥ - ١٩٠٩ - انظر المجلد ٣ صفحة ٣٣٤ .
- ٦٥ - ٦٣٧ .
- ٦٦ - E. Beauzou تحريات حول طرق خوران للعصر الروماني ، مذكره مدرسة النسخ ، جامعة باريس ١ - Passim ، ١٩٧٨
- ٦٧ - Darmstadt- Syrien - E Wirth ١٩٧١ - ص ٤١٢ - شكل ٥٣ .
- ٦٨ - 1 he économies of Location :K losches
- ٦٩ - G. Mac Leon Harper ادارة القرية في الولاية الرومانية السورية . Yale classical Studies 1- 1928- p.p. 105- 168 إن أغلبية النقوش المدونة متضمنة بالحقيقة الولاية العربية ، وقد أعيد دراسة هذه الوثائق مجدداً من قبل (H. I. Headane- Studies. (op. elt n. 11) صفحة ١٠١ - sp وتحت شكل مستتج وموثق جداً عن طريق المادة الحديثة (رقم ١١ (Berytus 31- 1983)
- ٧٠ - هذا هو رأينا وليس رأي (G. Mac Pean Harpor) .
- ٧١ - A - 11 - eF - ٧٨٨ A- PPUAES III
- ٧٢ - cit- op- R. Brunnov رقم ٦٤ مجلد ٣ ص ص ١١٦ - ١١٧ .
- ٧٣ - ١٤٧ - ١٤٩ .
- ٧٤ - W 2505 ef, Ch Clermont Gannont الدراسات الهندسية الأثرية في الشرق . ١١ ص ١٦ باريس ١٨٩٧ ص ١٤٧ - ١٤٩ .

- ٧٥ - القانون الزراعي γεωοορρυκιο - ٨١ - P. Iemerle. et مجمل Esquisse للتاريخ الزراعي لبيزنطة (المجلة التاريخية ١٩٥٨ ص ٦٠).
- ٧٦ - انظر الاطروحة الحديثة لـ H. I. Mc. Adam حول الموضوع Som Aspects of Land tenure and Social development in the Roman near East. Arabia, phoenicia and Syria, in J Khalidi ed Land tenure and Social transformation in the middle East, Beyrouth, 1984, p. p. 50- 55
- ٧٧ - دراسة اجتماعية حول عائلة مسلمة معاصرة في سورية، باريس S.d صفحة ١٩٥ - ١٩٦ : J. Weulersse فلاحى سورية والشرق الأوسط ٣ - ٤ ed باريس ١٩٤٦ .
- ٧٨ - PPUAES III. A, J, ص ٤٤٤ sq من رقم ٨٠٣ الى رقم ٨٠٣ ٢٥٢٣ - ٢٥٢٣ .
- ٧٩ - B. de Vries بحث حول أم الجبال - الاردن، ١٩٧٢، ١٩٧٧، عالم الآثار القديمة والكتاب المقدس ١٤٢ - ١٩٧٩، ص ٥٠ - ٥١ id مشروع أم الجبال ١٩٧٢ - ١٩٧٧ - BA sor - ٢٤٤ - خريف عام ١٩٨١ صفحة ٥٨ - ٥٩ .
- ٨٠ - P. Briant cit loc رقم ٥٤ ص ١٧٤ رقم ٢٢ .
- ٨١ - J. B Humbert - J. Briant «تل كيسان» ١٩٧١ - ١٩٧٦ (باريز ص ٢٩، ٤، ٥ . . .
- ٨٢ - P.P UAES III A 803
- ٨٣ - مثلاً J. t. milik قبيلة «بني عمران» في الاردن في العصر اليوناني والروماني، لـ ADA ٢٤، ١٩٨٠ ص ٤١ - ٥٤ .
- ٨٤ - PPUAES II A.P 439
- ٨٥ - J. P. thiman تل عرق (لبنان الشمالي) الرحلة ١ - ١١١ (١٩٧٢ - ١٩٧٤) ورشة رقم ١، تقرير أولي، سورية، ١ - ٧ - ١٩٧٨ ص ٢٨ والصورة رقم ٣٧، D prinle
- Thirteenlh- century pottery from the Monastery of saint ، الشرق ١٦ - ١٩٨١ ص ١٠٢ (صورة رقم ٧) رقم ٣٩ (مطي)، Mary of Carmel
- ٨٦ - ج. سعادة، استكشاف الآثار في اللاذقية، AAAS، ٢٦، ١٩٧٦ ص ٣٠ (٢ - ١١١ PL) تنقيب شهر تشرين ثاني ١٩٥٨ في القلعة
- ٨٧ - Preliminnary Report كشف الآثار في شال باشان A. Mazar- A. Kloner- Z. Ilan - G. Barkay D. Urman I. E.U 21, 971 PP 176- 179 pl 33- 35. F. Villeneuve
- (بحوث ص ص ١٥١ - ١٦١ صورة ٢٣ - ٢٤)
- ٨٨ - A Negev, dans le monde de la Bible. 14 mai- Juin 1981. PP. 20- 22 Encyelopaedia of Archaeological excavations in the Holy land. Londres 1975- 1978. S. V. Eboda. P. 353. Subaita P. 1119, Kurnub, p. 726- 727. Sur Sbaita Voir. A. Sigal The Byzantine city of Shivta (Esbeita) Negev Desert, Landres 1983.
- ٨٩ - Gtat, J. P. Sodini (بيوت من العصر الروماني والبيزنطي (القرن الثاني - السادس) من كتلة الهضبة الكلسية لسورية الشمالية. دراسة نموذجية عن أقامية في سورية (موازنة البحوث الهندسية المعمارية ١٩٧٣ - ١٩٧٩ - باريس ١٩٨٤ - صفحة ٣٧٧ .
- ٩٠ - PPUAES. II. A. ص ٦٦ - ٦٧ ill ٤٤ - ٤٩ .

٩١ - في البيت رقم ١ في «بريكة» في اللجا، يوجد في المبنى الجنوبي من كل جانب من الغرفة الكبيرة ذات القنطرة وفي الغرب، زريبة عادية لها معالف منخفضة، في الشرق اسطبل حقيقي مشترك مع غرفة كبيرة بمدخل كبيرة تشكل مرابط دون معالف (V. F. Villeneuve) اسهام الهندسة المعمارية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في قرى حوران (القرون ٤ - ٧ بعد الميلاد).

Proceeding of the 3rd Bilad esh- Shaim conferenec, Held in Amman 15/21- 10/1983, the University of Jordan S. P. (fig 2) et II

بيت من العصر الروماني والبيزنطي في قرية «بريكة» و«وقم» في اللجا - بيروت XXXII ١٩٨٤ S.P. ومثل اخر غير منشور في البيت الأثري الموجود مباشرة شمال ضريح عثمان الضخم (في النقرة).

٩٢ - موضوع المعلق الموجود في الواجهة، في باحة البيت الذي يعود للقرن السادس ب.م في الهيات PPUAES II. A صفحة ٣٦٢ - ٣٦٣ - وان مؤلفي PPUAES لم يدونوا هذه التفاصيل.

٩٣ - PPUAES 111- A ص ٣٢١ رقم ٦٩٦ (٣٧٢ ب.م) المرجع نفسه رقم ٣٧٧ و ٢١٦١ W. ٩٤ - Cit. op- S. Helms رقم ٥٨.

٩٥ - PPUAES III- A ص ٣٢١ رقم ٦٩٦ (عمران) ص ٩٩ - ١٠٠ رقم ١٦٩ بمجلد الشور (٤٣١ ب.م) ص ٢٠٩. ٢٠٣٢ W (ام القطين) PPAES III ٣٧٧ - «شقا».

٩٦ - بيت «الهيات» PPUAES IIA ص ٣٦٢ - ٣٦٣ - PPAES.III ٣٦٨ - ٣٦٩ W رقم ٢٢١٠ - ٢٢١١ Villeneuve بحث ص ١٣٣ - ١٣٦ الصورة ١٧ h1.

٩٧ - بيت Breikih (بريكة) رقم ١ - خزان بين الغرف L و K انظر رقم ٩١. ٩٨ - ٩٦٧.n.

٩٩ - نفس الشكوك واقعة أيضاً في سورية الشمالية J. P. Sodini G. Tate, loc. cit, n. 89p. 386

١٠٠ - F. Villeneuve بحث ص ٢٠٢ - ٢٠٤ الصورة رقم ٤١. b.

١٠١ - المرجع نفسه ص.ص: ١٦١ - ١٦٤ الصورة ٢٥ pl ١٤ - ١٧.

١٠٢ - المرجع نفسه ص.ص: ١٦٤ - ١٦٦ الصورة ٢٦ pl ١٨.

١٠٣ - المرجع نفسه ص.ص: ٢٥٣ - ٢٥٦ الصورة ٥٦ pl ١١ - ١٦ PPUAES, II, A ٣٦١.

١٠٤ - Villeneuve بحث p.p ١٢٣ - ١٢٤ الصورة رقم ١٣.

١٠٥ - المرجع نفسه ص.ص: ١٩٨ - ٢٠١ الصورة رقم ٣٩ pl ١١ - ٣.

١٠٦ - المرجع نفسه ص.ص: ٢٤٨ - ٢٥٣ الصورة ٥٥ pl XLV- XLEV.

١٠٧ - المرجع نفسه ص.ص: ١٦٩ - ١٧٣ الصورة ٢٨ pl ٢٠ - ٢٢ PPUAES. 11. A ٣٠٦. و ٢٧٥ III.

و J. Dentzer cit-op- رقم ١١ - ص ٤٠٢ - مجلد ٢ - ص ٨١.

١٠٨ - ف فيلينييف ابحاث. ص ١٤١ - ١٤٦ الصورة ١٩ - ٢٠ PL ٣- ٥٤ ج. شوماشر، ابحاث

حول «الجيدور» PEFQS ١٨٩٧ ص ١٩٤ وقد اعتبر المؤلف هذا البيت بمثابة معبد.

١٠٩ - غير موجودة بالكتاب

١١٠ - غير موجودة بالكتاب

١١١ - G. Barkey, Z. Ilon, A. Kloner, A. Mazar, D. Urman, loc. cit No 87 صفحة ١٧٤ - ١٨١ اقترح المؤلفون ان تاريخ بناء بيوت كفر ناسج يعود للقرن ٢ و ٣ ميلادي . غير أن هذا التاريخ ، يبدو متقدماً جداً بالمقارنة مع بيوت قرية كفر شمس الشبيهة كثيراً بها والتي تعود الى القرن الرابع (حسب أبحاث V. F. Volleweunce صفحات ١٥٤ - ١٦١ ، الصور ٢٣ - ٢٤ .

١١٢ - PPUAES II A ص ٣١٢ - ٣١٥ . F. Villeneuve et أبحاث ص ص ١٢٨ - ١٣٣ الشكل ١٦ .

١١٣ - بيت كبير أصلح من قبلنا خلال شهر آذار ١٩٧٨ في الجهة الغربية من القرية الأثرية .

١١٤ - cit- loc- Coll, C Barkey رقم ٨٧ ص ١٧٨ الشكل رقم ٦ وص ١٨١

١١٥ - R. Brunnow cit- op- رقم ٦٤ مجلد ٣ - ص ١١٦ - ١١٧

١١٦ - W. ٢٣٣٠ .

١١٧ - J. P. File- Coquais سورية الرومانية - مجلة الدراسة الرومانية ٦٨ لعام ١٩٧٨ ص ٥٣ .

١١٨ - J. P. Raycoquais انقش كتابي في لبنان الشمالي . وهو مشترك بين جامعة القديس يوسف في بيروت

٤٧ - ١٩٧٢ صفحة ٩٤ - ١٠٥ JR. S.G W Bowersek ١٩٧٥ صفحة ١٨٣ ضد M. Sartre, J. P. Rey

Coquais ثلاث بحوث حول العربية الرومانية والبيزنطية - بروكسل ١٩٨٢ صفحة ٥٠ - ٥١ يعتبر بأن

وضع التاريخ بحسب سني ملك الأباطرة كان معمولاً به وسائلاً في الولاية السورية

١١٩ - فلافيوس جوزيف حرب اليهود (١ - ٢٠ - ٤ (= ٣٩٨) الآثار في اليهودية - ١٥ - ٣٤٣ .

١٢٠ - الآثار في اليهودية - ١٧ - ٢٣ - ٣١ نفس المرجع .

١٢١ - Samaa. PPUAES III A, P. 46 No 28. Jaber: G. lombardi, Nuove iscrezione di jaber, Liber -

annuus pp. 312 - 313 No 10.

لا يفصل القريتين سوى مسافة ٦ كم (النصان متاثلان) (النصف المتعلق بجابر قد فهم بالخطأ من قبل G.

Lombardi ولكن يبدو الاختلاف في الحجم بين البيتين (حجم بيت جابر ٤٠ × ٣٢ م ، مقابل

(٨٣ × ٣٣ م) في سبأ .

١٢٢ - جوستيان (الاعلام ٣٠) .

١٢٣ - Gelzer éd, Georgi Cyprú desereptio orbis Romani , ٢٠٧ ص

١٢٤ - A, 11, M Jones, Cities of the Eastern Roman provinces ٢٨٩ ص

١٢٥ - F. Dussand الطبوغرافية التاريخية لسورية القديمة والمتوسطة ، باريس ١٩٢٧ ص ٣٣٢ - ٣٣٦

١٢٦ - F. Macler, R. Dussand تقرير حول المهمة الوسيطة التي نفذت في المناطق الأثرية الصحراوية

لسورية باريس ١٩٠٣ صفحة ٢٣ - ٢٤ .

١٢٧ - PPUAES III A ص ٣٠٥ رقم ٦٦٦ .

١٢٨ - A, von, Domaszewski, Romisch- Gemamische korr (ss ٣٦ ص ١٩٠٩ - ١١ مجلد ١١

١٢٩ - راجع الحاشية رقم ١٢١ .

١٣٠ - G. Ichalenko القرى الأثرية في سورية الشمالية ١ - ١ باريس ١٩٥٣ ص ٣١٢ حاشية رقم ٢٠٦ III

١٩٥٨ . ملحق رقم ٢ (H. Seyring) ٦ p.p - ١١ الحدود المساحية في جبل سمعان النقوش رقم ٨ - ٩ .

١٣١ - المرجع نفسه الترقيم ٩

- ١٥٣ - ٢٢١٢W - ٢١٩٦W .
- ١٥٤ - Mathieu - ٨ - ٢٨ - ٣٤ - Mare - ١ - ٥ - ٢٠ - ٨ - ٢٦ - ٢٩ .
- ١٥٥ - Londres, Jowa, S. W. Helmes - ١٩٨١ - ص ٣٨ - ٥٣ دراسة المكتب Kites أو طريقة اجاشة الغزلان في العصر النيوليتي .
- ١٥٦ - Bauzou J. بحوث حول طرق حوران في العصر الروماني - مذكرة طبع على الآلة الكاتبة باريس ١٧ - ١٩٧٨ ص ٣٠ .
- ١٥٧ - J. Balty موزاييك سورية - بروكسيل ١٩٧٧ صفحات ١٤٨ - ١٥١ .
- ١٥٨ - cit, op, M. Sartry - رقم ١١٨ ص ١٤٤ .
- ١٥٩ - انظر كتاب الاشمنديت المؤرخ خلال أعوام ٥٧ والمنشور من قبل I. lamy استاذ الديانة والمرسل من قبل ابيه الدير في الولاية العربية الى جاك باراديه من أعمال المؤتمر العالمي الحادي عشر للمستشرقين باريس ١٨٩٧ الفصل الرابع ص ١١٧ - ١٣٧ - Greyoire Bor Hebraens اخبار اكليريكية ١ - ٢١٨ .
- ١٦٠ - كتاب رؤساء الاديرة، انظر الحاشية السابقة وبصورة خاصة من حاشية رقم ٢٥ الى رقم ٣٦ التي تحدد الاديرة في حوران كفر شمس - عقربا - عالقين - مجدل شمس - نامر on Namer أو نمر - جاسم - زميرين - امتان براق - (ومرتان ، جاسم) مع عدة ارقام مختلفة مثل ٤٢ (الزيرة في اللجا ورقم ٥٨ عاهرة في اللجا (ورقم ٦٥ ودير ماکر) (ورقم ٧٠ كفر ناسج) إلخ . . الخريطة المفضلة cit-op-M. Sarters رقم ١١٨ ، خريطة رقم ٥ the Noldekeur lopographie und Geschichte der damoscenischen gebiete und dir Haurangegend zeitschrift der deutsche morgentandischen Gesellschoft 29. pp. 419. 444.
- ١٦١ - ٨ PI ، ١٠٥ - ١٠١ ص 11-PPuaes .
- ١٦٢ - رسالة الارشمنديت (انظر رقم ١٥٩) ورقم ٤٢ .
- ١٦٣ - Goorde ٢٤٦٨ / ٤٨١ - على خريطة ١ / ٥٠٠٠٠ سورية في العربي - قسم امتان (حيث ان دير الشعير مدونة على بعد ٥ كم للشمال الشرقي وهو موقع تم تنقيبه في ٩ / ١١ / ١٩٧٨ .
- ١٦٤ - Coorde ٢٥٣٨ / ٥٤٤ - قسم امتان - ارتفاع ١٢٤٥ م . ان خريطة امتان تحدد خطأ الموقع (مثل ام الهوييني بدلاً من أم المعويني (موقع تم تنقيبه في ١١ / ١١ / ١٩٧٨ ، ويوجد وثيقة عائلية لاديرة (دير الشعير) و«أم المعويني» في صحراء (اليهودية) فلسطين في kh mourassas (القرن الخامس) عالم الكتاب المقدس ٢٨ نيسان ١٩٨٧ صفحة ٥٧ (مخطط) .
- ١٦٥ - Coord ٢٠٧٠ / ٠٦٥٢ - خريطة بصري ١ / ٥٠٠٠٠ اصدار ١ / ٤ / ١٩٨٧
- ١٦٦ - Coord ٢٥٥٥ / ٠٥٢٣ - خريطة امتان اصدار ٣ / ٤ / ١٩٧٨
- ١٦٧ - مثال: دير الكهف، ولكن ليس هذا الوضع بالنسبة للدير الشعير ولا بالنسبة لأم المعويني، ولا بالنسبة لكوم تل حسان، شمال مجدل الشور Coorde ٢٤٨٥ / ٦٠٥ - التنقيب في توارينخ ٨ - ١٠ - ١١ - ١٩٧٨
- ١٦٨ - ١٨٩٨ ص ١٦ - ١٨ طببعة الأرض حوران في العهد الروماني G. Rindfleisch.
- ١٦٩ - M. E. Delbet مزارعون يعيشون لحماية تعاونية وضمن تعدد الزوجات في بصرى استكشاف في قري حوران (سورية) - الامبراطورية العثمانية Play Le. F. M. العمال الأوربيون ٢٠١ - العمال في الشرق وجماعة المتوسط tours ١٨٥٧ صفحة ٣٨١ .

- ١٧٠ - W. d. Hutterath, ف، عبد الفتاح - جغرافية فلسطين - شرق الاردن وجنوب سورية في القرن ١٦ و Erlangen ، ١٩٧٧ ، خريطة h.t : الانتاج الزراعي، في سورية الجنوبية .
- ١٧١ - جبا في الجولان قرب القنيطرة - ومَسَايِك في اللجا (قد تكون قرية مَسِيكة) .
- ١٧٢ - البكري مؤلف كردوان (نهاية القرن الحادي عشر) معجم ما استعجم ١ - ٨٣ (ياقوت، بغداد، اوائل القرن الثالث عشر) معجم البلدان ١ - ١٧٠ نصوص مراجعة ومترجمة من قبل (A. S. Marmardgi) مرمرجي) النصوص الجغرافية العربية حول فلسطين باريس ١٩٥١ .
- ١٧٣ - المقدسي (نهاية القرن العاشر) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٦٠ bidī W, Co. o - ١٧٤
- ١٧٥ - F. Macler, R. Dussand تقرير حول بعثة علمية في المناطق الصحراوية السورية الوسطى - باريس ١٩٠٣ صفحة ١٦ «خب» كانت مركز استخراج كبير لاجار الطواحين نحو عام ١٩٠١ .
- ١٧٦ - J. Deshayes (التاريخ العام للفنيين) ١ - باريس ١٩٦٢ صفحة ٢١٢ .
- ١٧٧ - Ch. Clermont Ganneau دراسات هندسية تاريخية شرقية ١ - باريس ١٨٨٠ ص ١٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ .
- ١٧٨ - F. M. Heichelheim سورية الرومانية ص ١٤٠ - T. Frank, in - الزراعة في عهد روما القديمة «يلتيمور»
- ١٧٩ - F. de Sanley صكوكات الأرض المقدسة - باريس ١٨٧٤ ص ٣٧٠ و pl-XXI رقم ١٢ .
- ١٨٠ - G. F. Hill Catalogue of Greek Coins of Arabia Mesopotamia and Persia, Londres 1922, p. 26, No - ١٨٠ 48 et pl, IV, 12- Cf. J. Starkey petra et la Nabatene, supplemeaire Dictionnaire de la Bibl, VII, 1966- col. 907- 908, fig. 695- 13.
- ١٨١ - انظر الرقم ٤٠
- ١٨٢ - B. Bsgatti- S. J. sallier مدينة «Nebo» أورشليم ١٩٤٩ ، كنيسة القديسين Pl, proicop و ١٤-٢ و
- ١٨٣ - ١ كنيسة القديس جورج pl ٢٣ - ٣ و ٢٤ - ١ .
- ١٨٤ - E. Renan بعثة فينيقية / مجلد vol. de planche باريس ١٨٦٤ pl- XLIX
- ١٨٤ - Coorde ٢٣٥٢/٨٣٨ ارتفاع القمة ١٥٥٤ خريطة سورية مقياس ١/٥٠٠٠٠ خريطة السويداء بالعربي تاريخ التنقيب ٢٣/٣ ١٩٧٨ .
- ١٨٥ - Dom - Suetone - ٢ - ٢ .
- ١٨٦ - ٢٤٥٢ - W- PPUAES - III- A- رقم ٨٠٠٦ .
- ١٨٧ - ابن حوقل loc, cit رقم ٥٩ في القرن التاسع عشر Delbet يثبت بأن فلاحين بصرى كانوا يبارسون ري أراضي البور .
- ١٨٨ - F. Heichelheim ١٤٢ ص n et loc. cit. ١٧٨ - يعتبر بان تدفق وجر المياه وكأنها مخصصة للسقي .
- ١٨٩ - G. Rindfleuch cit- loc- رقم ١٦٨ ص ١٦ .
- ١٩٠ - المرجع نفسه H. E. Delbet cit- loc- رقم ١٦٩ ص ٣٨١ .
- ١٩١ - W. D. Hutteroth ق، عبد الفتاح - cit, op- رقم ١٧٠ خريطة h-t الانتاج الزراعي في لواء سورية الجنوبي .

- ١٩٢ - ٢١٤٥ W - ٢١٧٣ a - ٢٣٨١ - ٢٤٧٤ - انظر C. Cretas مسألة الكولومبرين - مذكرة على الآلة الكاتبة مقدمة الى الاكاديمية ، النقوش والفنون الجميلة - باريس ١٩٨٤ وخاصة الصفحات ٤٧ - ٤٨ .
- ١٩٣ - Celesteinos في ريمة اللحف «اللجا» : A. Sartor اخرجته اثرية لسورية الجنوبية سوري ١٩٨٧ LX - ص ٩٧ - ٩٩ قبر (باسوس Bassos) في شقا : ibid - ص ٩٩ انظر أيضاً E. Will سورية ٢٦ - ١٩٤٩ صفحة ٢٦٨ .
- ١٩٤ - cf. M. Nowicha البيت الخاص في مصر البطلموسية Wrocław ptolémaïque ١٩٦٩ - ص ١٢٤ - ١٢٥ .
- ١٩٥ - A. Deleage المساحات الأثرية حتى ديوكليسيان في دراسات مخططات البردي Papyrusologie II القاهرة ١٩٣٤ - ١٤٧ pp - ٢٠٧ مسح قطع الأراضي A. W. Dilke o, Avn (Thé Roman lands Surveyors, An introduction to the Agrimensres, Newton
- Abbot 1971 ch, 6, G. chouqurs- M. Claval- Lèveque. F. Favory- Gudastres) استخدام الأراضي والريف الزراعي القديم . Annale ESC 1982 وخاصة ص ص ٨٥٣ - ٨٥٦ ج F. Fovoy التنقيب عن أسلوب مسح الأراضي الريفية قديماً ، In Cadastre et espace rural الطاولات المستديرة في بزانسون / شهر أيار ١٩٨٠ باريس ١٩٨٣ صفحات ١١٣ - ١٢٩ .
- ١٩٦ - cit- op- T Bauzou رقم ١٥٦ ص ٨٣ و ٦٢٢za- III- PPUAES
- ١٩٧ - Hugmus in Iachmann Gramatici vetere 306, 9, 207
- ١٩٨ - A, H, Sorter حوران البيزنطية على ضوء الفتح الاسلامي - المؤتمر الرابع الدولي حول تاريخ بلاد الشام - عمان - آذار ١٩٨٥ - غير مذكور
- ١٩٩ - رقم ٢٣
- ٢٠٠ - W. Huteroth ف. عبد القناح , cit, op, رقم ١٧٠ صفحة ٥٧ صورة ٧ - التبدلات الطارئة على ثقافة المستعمرات بين ١٥٩٦/٩٧ وبين ١٨٨٠ - D.A.

هوامش المترجم

* ٩ - ونحن يمكن أن نضيف لمعامل المناخ وتعاقب الجفاف بين فترة وأخرى عاملاً آخر يتعلق بعدم الاستقرار الذي عانت منه المنطقة في فترات متعددة أدت الى تدهورها، ثم عادت واستأنفت نشاطها وازدهارها كما هي الحال الآن .

* ١٠ - يستخدم العامة في محافظتي درعا والسويداء، كلمة «رُجم» للتعبير عن كومة الحجارة الصغيرة الموجودة في الحقول، وجمعها «رجوم». أما إذا كانت الكومة ضخمة فيقال عليها «رُسم» وجمعها على رسوم. أما الفواصل والجدران المنخفضة التي تفصل الحقول عن بعضها فتسمى «حداً» أو «بُنْسال» وأحياناً «خَبْلَة» وهي مبنية من الحجارة الطبيعية المتوفرة في الحقول .

* ١١ - شجرة البلوط معروفة جداً في حوران وخاصة في مناطق المرتفعات الجبلية والهضاب، وتكثر بقايا احراج البلوط في اللجاء، حيث تستخدم كحطب في الشتاء، ويصنع من جذورها الضخمة أجود أنواع الملوّنات لطحن القهوة المرة في سورية الجنوبية، ويسمونها سكان حوران والجبل «جرن القهوة» .

* ١٢ - يستدل من هذه الآثار أن منطقة حوران كانت مزدهرة قبل وصول الرومان اليها في نهاية القرن الأول الميلادي مما يتعارض مع التأكيد في بداية البحث على انها لم تتطور إلا في العهد الروماني .

* ١٣ - وهذه المفرد ليست موجودة إلا في اللجاء، أما بقية الجبل وسهول حوران فكانت منحصرة ومزدهرة زراعياً كما تؤكد جميع الوثائق وكانت مدنها الستة وقراها مشهورة بهندستها المعمارية الخاصة .

* ١٤ - ويطلق على الحقول الصغيرة المحاطة بجدران عالية اسم الحواكير، ومفردا «حاكورة» .

* ١٥ - لم هذه الصعوبة؟ فجميع مستودعات الملف والتبن في حوران وجبل العرب لا تفتح فيها أي نوافذ في الجدران، اللهم إلا فتحة واحدة في السطح، لتخزين الملف من الأعلى وتسمى محلياً «روزنة» أما المستودع فيسمى «تبان»

* ١٦ - Les Cyclades : السيكلاد، مجموعة جزر يونانية في بحر إيجه، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تشكل ما يشبه الدائرة حول جزيرة ديلوس .

* ١٧ - إن من سبق له أن زار المنازل القديمة في حوران والجبل يلاحظ وجود موقد في احدى زوايا الغرفة الرئيسية أو في وسطها، فالأول له مدخنة ترتفع الى السطح، والثاني لا مدخنة له، وتسخن على كل منهما الأطعمة وبشكل خاص تستخدم للتدفئة وتسخين القهوة المرة .

* ١٨ - إن هذا الأسلوب من التفسير المفرض الخاطئ لا يستغوب عن العلماء الصهاينة الذين لا يتورعون عن تشويه الحقائق والتاريخ للإساءة لسكان المنطقة الأصليين . . وإلا ما الذي يعرفه هؤلاء أو غيرهم عن مسألة الحرير في عهد الإغريق والانباط أو الرومان . وكيف نجراً هؤلاء على التزوير الى هذا الحد الذي يسخر يعقول الناس .

* ١٩ - والسؤال ماذا كان دور البدو الرحل او غيرهم من سكان المنطقة الجبلية الوعرة؟

والجواب هو ان هذه المناطق المفتحة على الجزيرة العربية كانت موطناً وعمراً للقبائل العربية القادمة من اليمن وشبه الجزيرة العربية . وقد وصلت الى درجة من الحضارة في أواخر العصر الهليني وانشأوا مملكة

قوية هاجتها البتراء وبصرى وتعرف باسم المملكة النبطية، وكانت تقاوم توسع روما وبيزنطة باتجاه الجنوب وكثيراً ما كانت السلطات الرومانية والبيزنطية تنظم الحملات لاختصاصهم. ولكنهم كانوا يقاومون بشراسة وعنف مستفيدين من مناعة جبل حوران ووعورة «اللجاء». وعلى عادة المستعمرين الأجانب كانوا يطلقون عليهم القاب «الصوص»، وقطاع الطرق، والحقيقة أنهم كانوا يناضلون ضد الاحتلال الاجنبي، ولن نستغرب بأن يصل الأمر الى حد وصف والد الامبراطور فيليب العربي بأنه قاطع طريق، مع العلم بأنه من زعماء المنطقة، ولو أنه كذلك لما أتبع لابنه لأن يكون ضابطاً في الجيش الروماني ويتدرج بالمناصب حتى يصبح امبراطوراً بفضل عبقرية الادارة العسكرية، وأخيراً نحن نذكر بأن جميع المناضلين الذين ثاروا عن الفرنسيين في جبل العرب وجبال سورية، كان الفرنسيون يطلقون عليهم اسم «قطاع الطرق» واليوم يف الصهاينة المناضلين الفلسطينيين بالارهابيين. وقطاع الطرق وغير ذلك من الأوصاف. ولكن ذلك لم ولن يغير الحقيقة التاريخية الموضوعية.

* ٢٠ - هذه الملاحظة سطحية وعاجلة لأن كروم عنب بصرى كانت مشهورة في حوران، وقد استمادت شهرتها في السنوات العشر الماضية. وأصبحت لها شهرتها.

* ٢١ - من الثابت أن الصخور الكلسية موجودة في الوادي الذي يجاور مدينة درعا التي اشتهرت بانتاج الكرمة. . والانواع الفاخرة من النبلد، كما تؤكد جميع الوثائق التاريخية، واستغرب كيف يغيب ذلك عن بال المؤلف، فيدعي الا علاقة للنقوش المذكورة بحوران.

* ٢٢ - لم يعد هذا الرأي مطابقاً للواقع في محافظتي حوران ولا السويداء، فحينما تحول المرء في انحاء هاتين المحافظتين يلاحظ انتشار الاشجار المثمرة وكروم الزيتون والعنب التي تروى من المياه الارتوازية ولم تعد تقتصر السقاية على مواقع محددة.

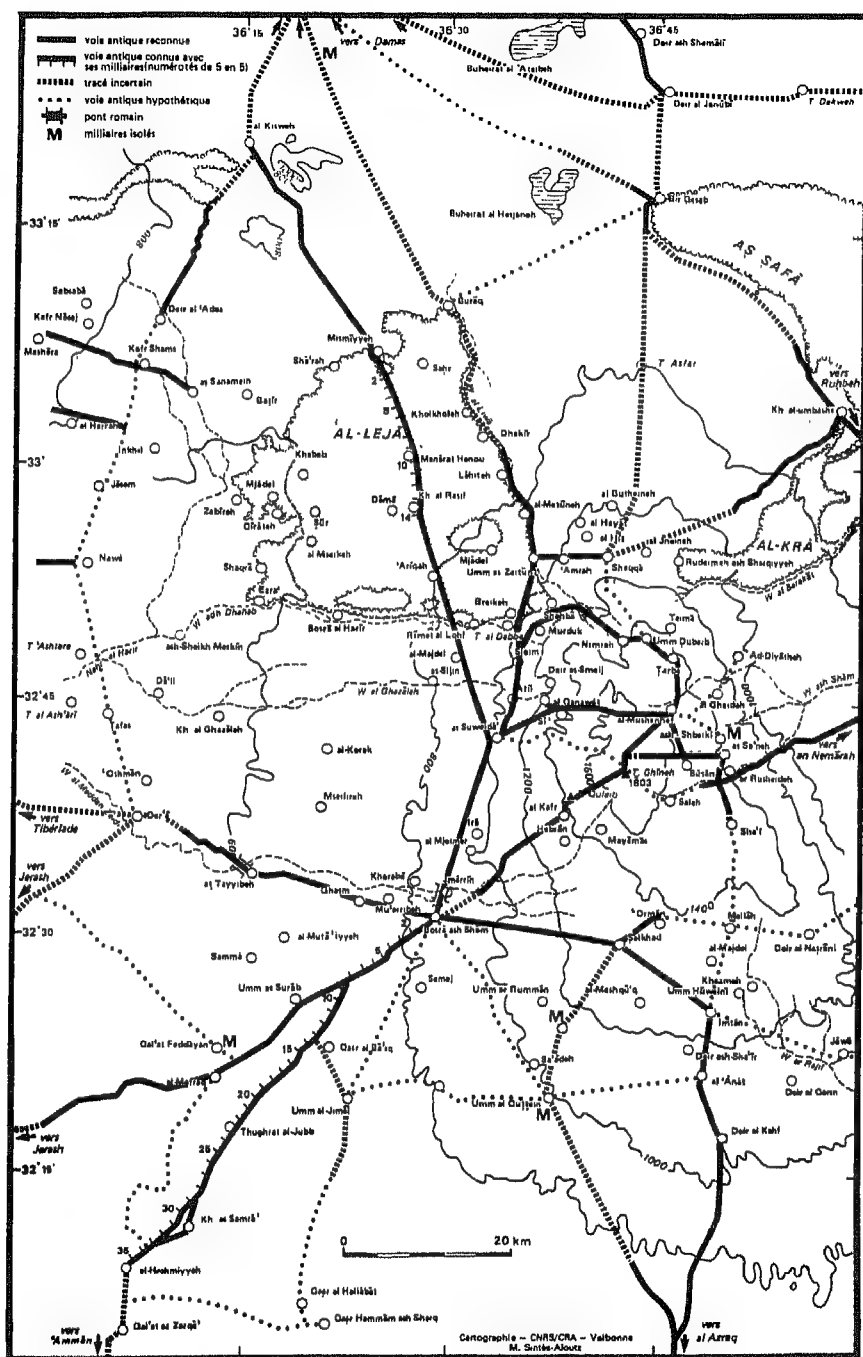
* ٢٣ - Juqera مقياس مساحي للأرض يعادل فدان، وحسب معجم لوتس اللاتيني.

* ٢٤ - يمكن الملاحظة من هذا النص أن حوران كانت مزدهرة منذ القرن الأخير قبل الميلاد أي في عهد المملكة النبطية. وهذا يتناقض مع الادعاء بأن المنطقة لم تزدهر الا بعد ضمها الولاية الرومانية كما ورد في أمكنة أخرى من هذا البحث.

* ٢٥ - من المرجح أن الفقرة التي شملت سقوط الخلافة الأموية كانت مضطربة في حوران لمدة طويلة بسبب تأييد القساسنة للأمويين مما أدى الى تدهور الوضع الاقتصادي فيها.

طرق المواصلات في حوران في العصر الروماني

تعتبر بقايا الطرق الرومانية التي حافظت، أحياناً، على آثار تجهيزاتها (وبصورة رئيسية: الأبراج - القلاع - نصب مقاييس الأميال) جزءاً من أشهر الآثار القديمة في حوران. وقد سهل دراستها من خلال بعض الخرائط ذات المقياس ١/٥٠٠٠٠، التي حملت عليها بعض تلك الطرق التي حافظت على قسم كبير من حالها. ومن خلال بعض المجموعات المتفرقة من الصور الجوية القديمة، التي تتيح في بعض الحالات تمييز آثار الطرق^(١). ان استكشاف الأرض نفسها، مكن من إعادة اظهار الطرق الاضافية، وبنتيجة ذلك، أمكن اصدار خريطة واضحة عن شبكة طرق المواصلات الرومانية في حوران، وبالتأكيد في مربع يتوافق مع النصف الجنوبي من خريطة دمشق الحالية مقياس ١/٢٠٠ ٠٠٠، ومع كامل خريطة السويداء (نفس المقياس) فالمنطقة المدروسة إذن، تمتد من خط عرض دمشق، الى خط عرض عمان، «يمحدها من الشرق السهوب الأولى لبادية سورية، ومن الغرب، الطرف الشرقي من هضبة الجولان. كانت هذه الأرض في القرون الأولى، التي سبقت عصرنا هذا، بمثابة الجنوب الأقصى للولاية السورية، وشمال الولاية العربية (التي خلفت المملكة النبطية) بما فيها عاصمتها «بصرى».



بالتأكيد، إن شبكة الطرق الرومانية التي احتواها مخططنا، هي أبعد من أن تمثل مجمل طرق المواصلات القديمة في حوران، التي لم تكن تشمل أية شواطئ ولا أية طرق بحرية من أي نوع. والنقل لم يكن مؤمناً إلا بواسطة الطرق، وهذا واضح، لأن جميع القرى كانت مرتبطة مع بعضها بواسطة الطرق البرية التي بقي أغلبها لروفاً وقيد الخدمة، فيما عدا بعض التغييرات، مردها ظهور السيارة ولو فرض جدلاً أن هذه الشبكة كانت موجودة قبل العصر الروماني، فهذا على كل حال، يمكن تعريفه بالمصلحة المحلية.

هناك تمايز واضح بين شبكة الطرق الرومانية، وبين مجمل الطرق القديمة في حوران، فالطرق الرومانية مرصوفة بالحجارة، ولم تستخدمها المواصلات المعاصرة كطرق أساسية، الأمر الذي حافظ على حالتها في كثير من الأحيان. ليس في هذه الظاهرة ما يدعو للمدهشة أبداً. لأن متطلبات الطرق المحلية يمكن لها أن تدوم، باستمرار التجمعات السكنية التي كانت تستخدمها، وهذا هو الحال اليوم. وما يمكن أن نصادفه ضمن حدود هذا البحث، ليس سوى نظرة مجملة، عن هذه الشبكة الرومانية للطرق.

١ - طرق المواصلات

١ - ١ الطريق من دمشق إلى نوى ثم إلى درعا:

(بالنسبة لطرق السير التالية، لم يكتشف أي طريق عسكري، وليس لدينا أية صور جوية نعود إليها).

إن الطريق الذاهب من دمشق إلى نوى، عبر الجزء العربي من «النقرة»^(١)، كان يمر بعنق الكسوة، التي هي نقطة مرور الزامية بالنسبة إلى من يتجه من دمشق نحو الجنوب الغربي، تتمثل هذه الطريق، بين الكسوة ودير العدس، بآثار للطرق المعبدة أو المرصوفة بالحجارة عبر تدفقات حمية بازلتية أقل وعورة من تدفقات حم اللجا. بلاشك، إن هذه الطرق المعبدة حافظت على وضعها، لأن الأرض غير قابلة للزراعة، ومن تتبع آثار هذه الطريق، يبدو أن تخطيطه حاد عن «الصنمين»، واتجه بشكل مستقيم باتجاه مدينة نوى الأثرية المهمة، ومن الممكن استكمال هذه الطريق، بواسطة الطرق الحالية، التي يعتبر تخطيطها واتجاهاتها، كاستطالة واضحة لتلك الآثار القديمة^(٢) ويشبه هذه الطريق مجمل الطرق التي أشار إليها مخطط سير انطونين (١٩٦ - ١٩٧) (دمشق Damascus) - (الصنمين Aere m. p XXXII) (نوى m. p. XXX (Neue) بيت رأس Capitoliada) m. p XXXIV (أم قيس Cadara) m. p XVI (بيسان Seytopoli) m. p XVI الخ. ^(٣) وكان هذا الطريق يتقاطع، غرب الصنمين، مع طريق آخر. كان متجهاً نحو طبريا - وأيضاً كان يتصالب في الجنوب مع طريق ثالث موازٍ

للسابق، لا تزال بعض الآثار من هذه الطرق على هضبة الجولان في جوار قنيطرة والبطيحة. ان تصور وجود طريق روماني، يربط نوى بدرعا، ليس سوى مجرد تخمين يستند على أهمية درعا في القديم، وعلى الفائدة لمثل هذا الطريق، الذي بانطلاقه من دمشق يؤمن الوصول الى عمان^(١٠)، متجنباً المرور بأطراف اللجا. وفي يومنا هذا، يعرف بأن هذا الطريق هو احدى أهم الطرق في المنطقة لأنه يتوافق مع طريق الحج، منذ القرن الثامن عشر^(١١)، ومن المحتمل كان في القديم مهماً أيضاً.

١ - ٢ من دمشق إلى بصرى - عن طريق السويداء :

يميز هنا طريقان رومانيان يربطان دمشق - بالسويداء وآخر يربط السويداء ببصرى :

١ - ٢ - ١ طريق اللجا (اللوحتان Ib, Iib) .

في الكسوة يوجد تفرع لطريق دمشق - نوى (انظر P.000) يسير باتجاه الجنوب الشرقي نحو المسمية، التي كانت تدعى قديماً (phaena). حيث كان يتمركز بالتأكيد، في القرن الثاني الميلادي مفارز من الفوج الثالث Gallica. والسادس عشر (IGRRP. III1443-â-1121). Flavia Firma وبعد المسمية كان الطريق يتابع الاتجاه الجنوبي الشرقي، عبر قسم من الأراضي الوعرة. والصعبة المسالك في اللجا، ولا يزال محافظاً على حالته، وفي أغلب مظاهره وطبيعته يشبه طريق Lavianova لتراجان في جنوب بصرى. مع نفس الأبراج المترابطة فيما بينها لا يصل الاشارات الضوئية، على أبعاد نظامية (اللوحتان Ila-IIIa) ونفس مجموعات المقاييس الألفية، وهي تذكر بالاصلاحيات التي اجريت تحت حكم (سيبتم سيفير Septime Sévère) وديوكليسيان^(١٢) وهذه الطريق لا تلامس أي موقع سكني قديم إلا (خربة الرصيف) التي تبعد متأخرة بالسكنى (القرن الخامس؟) وثم يمر شرق «عريقة». وفيما بعد يجتاز اللجا، ويصل للضواحي الغربية للسويداء. ومن خربة الرصيف إلى السويداء، يرى بشكل مستقيم جداً آثار هذا الطريق.

١ - ٢ - ٢ طريق وادي اللواء :

تسير هذه الطريق من جنوب - دمشق (انطلاقاً من بوابة القديس بولس لتصل الى براق قديماً Costantia) وكل ما تبقى من آثار هذه المسافة، هو مقياس ألفي، أشير إليه سابقاً في «نجهها» الواقعة على نهر الأعوج (CLI- III- 197 du IV siècle) ومن جنوب «براق» حتى السويداء تبدو الطريق صالحة، ويمكن بواسطة الصور الجوية تتبع آثاره مع طول الحمم البازلتية للجا، مسيراً لمجرى وادي اللواء، اعتباراً من أم الزيتون، يتوغل الطريق داخل الحمم البازلتية ويجتاز الزاوية الجنوبية - الشرقية للجا، وبهذا يكون مساره مستقيماً،

متجهاً نحو قاعدة تل الدية، وعند أسفل هذه الأخيرة ينعطف قليلاً ليشبه نحو قرية سليم، ومن هنا يختفي التبليط الحجري الروماني تحت زفت الطريق الحالي وجميع الاحتمالات تتجه بأن الطريق الحالي المزفت يتوضع على الطريق الروماني حتى السويداء.

١ - ٢ - ٣ من السويداء إلى بصرى :

اختفى الطريق نفسه بسبب دمار حجارته المرصوفة، ولكن لا تزال آثارها منظورة وهي مكونة اليوم من تنالي طرقات ثانوية ترابية، ومن حدود حقليّة، فالطريق يسير من غرب السويداء، ويبدو وكأنه امتداد لطريق اللجا. ومساره على العموم، مستقيم تقريباً، باتجاه بصرى مع الخطأ ببعض الدرجات فقط. وبالفعل حينما يصل الى أول نقطة مرتفعة تطل على بصرى، يصحح مساره مقدار ٤ درجات، ليواجه تماماً النقطة المرتفعة الأخرى، التي أشيد عليها مسرح بصرى. أما قبل وصوله لبصرى، فإنه يجتاز وادي الزيدي عبر جسر حجري في قرية جمرين (اللوحة IVa) ^(١) حيث كان يرتفع على نظام من القناطر الصغيرة (راجع P000).

١ - ٢ - ٤ حسب لوحة Peutinger الاتصال بين دمشق وبصرى :

اعتبر جميع المؤرخين، حتى تاريخ حديث، أن طريق السير، حسب لوحة Peutinger طريق دمشق - براق - قنوات (Damascus XXIII- Aenos XXXVII Ghanata) التي تمثل طريق اللجا ^(٢). فـ Ghanata التي هي قنوات. و Aenos التي هي تحريف لكلمة Phaena ومع ذلك، فالمسافات ليست مطابقة. لأن المسافة أكثر من ٢٤ ميلاً بين دمشق - والمسجبة (خط مستقيم) فالدكتور د. كنيدي ^(٣) يرى في Aenos، أنها موقع براق، وهويتخيل أنه كان هناك طريق روماني يمر بشهبا، يصل قنوات من الشمال.

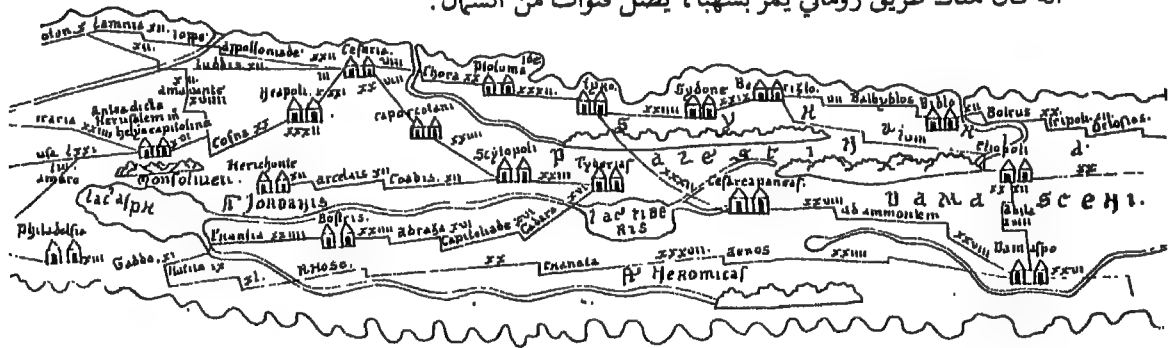


Fig. 2. L'itinéraire du Hauran d'après la Table de Peutinger (détail du segment IX).

الشكل رقم ٢ - طريق حوران حسب لوحة Peutinger (تفصل القسم ٩)

أما مطابقة Aenos بـ براق، مقبولة، ولا يمكن ارجاع تاريخ الاسم القديم لبراق المعروف بـ (Coustatia) إلا للسنين الأخيرة من القرن الثالث، وعلى وجه الاحتمال القرن الرابع الميلادي، و Aenos أي براق، يمكن أن تكون اسم مكان، من أصل سامي، قريب من الكلمة الآرامية Ena التي تعني «النبع» وعلى كل الأحوال فالمسافة بين دمشق وباراق تزيد عن ٢٤ ميلاً. والمواقع الحالية: «بلي» و«بويضان» الواقعتين في شمال وغرب هذه القرية «براق» تتطابق والمسافة الواردة في لوحة Peutinger، ولكنها غير واقعتين على الرسم المفترض للطريق^(٣٠) الذي ستقتفي معالمه الطريق الحالية، في معظم أقسامها. كما أنه لم يشر إلى أية آثار طريق قديم آخر.

ويمكن تصحيح المسافة xxiii الواردة في اللوحة المذكورة اعلاه مع ملاحظة أن الرقم xxiii في الأحرف الصغيرة الفوطية للقرن الثالث عشر. قريب جداً من الرقم xxvii. لذلك فإن مسافة ٢٧ ميلاً تطابق تماماً المسافة الفعلية بين دمشق وباراق. وإذا صح هذا التعديل، فإن Aenos، يمكن أن تكون الاسم الآرامي القديم «لبراق».

وما تبقى من الطريق يوصل إلى قنوات Chanata على مسافة xxxviii (٣٧ ميلاً) من Aenos (براق) وما أمكن قياسه على خرائط مقياس ١/٢٠٠ ٠٠٠، فإن مسافة الـ ٣٧ ميلاً تتوافق مع مسافة الطريق الروماني، «براق - عتيل» بالإضافة إلى الطريق الذي يتجه مباشرة من «عتيل إلى قنوات». لا يبدو هذا الطريق أن كان طريقاً رومانياً سالكاً، ولكن لا يشك في احتمال وجوده، في ذلك العصر، نظراً لطبيعة أقسومة الأرض في ذلك القطاع، ومن جهة أخرى، يمثل هذا الطريق، أقصر مسافة بين دمشق وقنوات.

وبعد (Chanata قنوات)، هناك على مسافة ٢٠ ميلاً (موقع Rhose روز. وهذا الاسم لا يتفق مع أي موقع معروف في المنطقة، وهو على بعد ٤٠ ميلاً من Hatita أو Gadda (الرسم، في لوحة Peutinger)، غامض. وإذا اعتبرنا بأن Rhose هي على بعد ٤٠ ميلاً من Hatita (خربة السمرة) فيجب البحث عنها. بجوار صلخد. هذه هي فرضية D.I- Kennedy^(٣١) التي أفضل عدم الأخذ بها لسببين: أن الموقع الذي يعتقد بوجوده لا يتفق مع خراب قديم له بعض الأهمية. كما لا يوجد أي طريق روماني يربطه مباشرة بقنوات من جهة، و«بسمرة» من جهة أخرى، وبالفعل يمكن أن نعتبر بأن الأرقام في لوحة Peutinger قد شُوِّهَتْ، ولكن هناك فرضية أخرى.

إذا اعتبرنا أن Rhose مرتبطة بـ Gadda نتأكد أن موقعها ليس إلا في «بصرى» بالذات. أن المسافة بين قنوات وبصرى هي بالفعل ٢٠ ميلاً فقط. إذا تم المرور أولاً بطريق قنوات - عتيل المار ذكره اعلاه، وإذا اتبعنا بعدئذ الطريق الروماني الذي يصل مباشرة إلى «بصرى» عبر «السويداء». أما بخصوص موقع Gadda (انظر الفقرة ١ - ٤). فإنه يقع في

«الحديد» على طريق (via nova) بين الكيلومتر ٤٠° - ٤١° اعتباراً من مدينة بصرى . بهذا تكون بصرى والـ via nova قد تمثلت مرتين على لوحة Peutinger.

ان اسم Rhose غير مؤكد في حوران، وكونه يتبدى بحرف Rh. فهو مشتق بالتأكيد من أصل يوناني الذي كان يشير إلى pwon، كان يعرف بسورية جنوب اسكندرونة، بالشغر القديم «روسوس» Plutarque Demetr 32. pomp- Mela Chorge 1. 12. 12. وهذا الاسم قد يكون مشتقاً من اللفظة الآرامية Resa أو من العربية راس أورووس التي تعني الرأس أو الشجر. ويشار أيضاً إلى أنه في الاسماء القديمة لحوران كلمة Caput اللاتينية غالباً ما عاشت حتى يومنا هذا تحت لفظة Ras. فإن مدينة Capitollas تدعى اليوم Beyt. ras و Caput viae واقعة على حافة طريق اللجا عند مخرج مدينة المسمية في مكان يدعى اليوم «أم راس» (m. Dunaud, cit, 5 p. 530) غير أنه اعتباراً من عام ١٨١ فإن الـ Caput viae من طريق «تراجان» أي على الأقل الشطر الشمالي منه، كان موجوداً في Bostra فهذه الصيغة الغنية الرومانية المترجمة من الآرامية، قد تكون أساساً لمعنى مألوف لبصرى Bostra مثل Pwon كل ذلك ليس سوى افتراض، ولكن التعرف على Rhose في كلمة Bostra له على الأقل الفضل في توافق الطرق الواردة في قائمة Peutinger مع الطرق الرومانية المعروفة.

١ - ٣ - من دمشق الى شقا :

أشار الأب P. Poldebard^(١١) في خريطته شمال قصر تل. الأصفر إلى طريق يمكن مشاهدته من الطائرة، يتجه تماماً الى الشمال. وبلاستناد الى تلك الآثار تتوصل الى افتراض بوجود طريق روماني تربط دمشق. بشقا مروراً ببئر كساب الموجود بشمال الصفا. ومع ذلك فإن الصور الجوية لم تساعد على تحديد أي طريق روماني طبيعي بين شقا وتل. أصفر.

١ - ٤ - من بصرى إلى عمان :

ان الطريق الروماني الذي كان يربط بصرى (بفيلادلفيا عمان) هو من أفضل الطرق المعروفة في المنطقة خاصة، وقد أشير إليه في لائحة Peutinger وأيضاً لكونه لا يزال محتفظاً بأكبر قسم منه بالترقيم الألفي. ويمكن ملاحظة آثاره على الأرض على مسافة العشرات من الكيلومترات شمال الاردن. ومظهره كناية عن طريق معبد بالحجارة، يحتوي على خصائص طريق اللجا (الذي يمكن مشاهدته شمال المسمية مثلاً)، حتى ولو كان قسم من تعبيده. وجميع الترقيمات الألفية منه مبنية من الحجر الكلسي.

تمثل لوحة Peutinger الطرق التالية :

(عمان Philadelphia) - XIII - (تل الحديد، أو خربة الحديد) (Gadda) - XI - (خربة السمرة)

IX- (Hatita) (ثفرة الجب XX XXIII (thantia) (بصرى Bostris) فإذا كانت عمان وبصرى هما منذ زمن بعيد، موصوفتان ومعرفتان بتأكيد مطلق، فليس الأمر بالمثل بالنسبة للمواقع الأخرى. فقد ذكرت تفسيرات عديدة حول ذلك.

وهذا الطريق لا يتفق إلا مع الشطر الشمالي للطريق الرئيسي الذي كان يربط بصرى مع البحر الأحمر. ويبدو، تبعاً لملاحظات Butler بأنه لم يكن يمر بصورة منتظمة بعمان^(١) بل من شمال عمان، ماراً بالرصيصة - الزرقاء - الهاشمية - خربة السمرة. ثفرات الجب ثم على مسافة قليلة غرب البعيج (قصر البعيق كتسمية أخرى)، ليصل إلى البوابة الغربية لبصرى، دخول خربة السمرة، كان يتضاعف ليمر من كل جانب من القلعة الرومانية، التي كانت تربض فوق هذا الموقع.

مع العلم، أنه بموجب لوحة Peutingen، فإن المواقع القديمة الأثرية كانت مثبتة بواسطة مؤشر مسافات يمكن قراءتها حسب الترتيبات الألفية.

قد تكون (thantia) هي ثفرة الجب، لم تظهر هناك آثار صروح، بل كتل صخرية قديمة ومبعثرة، عملة نبطية - شقف أو أجزاء خزفية نبطية مختومة tondo روماني أو بيزنطي، وأيضاً عدد كبير من خزانات المياه القديمة (البرك) الـ (la Nolitia Dignitatum) (or-XXXVII, 29) تشير إلى أنه في القرن الخامس الميلادي، كانت تعسكر الفرقة الأولى الفالنتينية (Ala Prima valentiniana) ويمكن اليوم، مشاهدة العديد من الترتيبات الألفية في هذه القرية وهي تعود إلى الطريق الروماني وتحمل رقم ٢٣ ألف انطلاقاً من بصرى.

HATITA وهي خربة السمراء (في الأردن) وقد أجرى التنقيب فيها وخاصة القلعة الرومانية السيدان (A. Deusreumeaux, J. B. Humler) وتقع على مسار الطريق الروماني. وعلى مستوى الترتيب (الألف ٣١) ولكن لم يعثر على راقم الألف (الصورة: حجر ينصب على مسافة خطوات معينة على الطريق الروماني). وجد فقط نقش على صخرة على بعد ٣ كم جنوب - غرب هذا الموقع. سينشر محتواه فيما بعد كإثبات لهذا التعريف ان اسم Hatita قريب من الكلمة العربية Haditha التي تعني المدينة الجديدة.

إن سجل الغيلاء (Notitia Dignitatum) تدل على تعسكر فرقة فيليكس الثانية Ala (Secunda Felix) الخ، في القرن الخامس الميلادي (or XXXVII 30-31 Cadda) تشابه تقريباً الحديدي al. Hadid الذي هو معسكر روماني شوهد ونُقّب من قبل (Brunmow et Domaszewski) في أوائل هذا القرن (٢٢٣ - ٢٢٢ Pros-Ar II p.p) إن الموقع الكائن جنوب الزرقاء اختفى كلياً في يومنا هذا تحت الأبنية الحديثة. وقد يكون موقعه على نقطة الألف ٤٠ - ٤١ على الطريق الروماني وأيضاً في سجل النبلاء (motitia) ورد ذكر الخيالة الرماة العمليون (or XXXIII 20) (Equites Sagittarū Indigenae).

ظهر حديثاً اقتراح يقضي بالكشف عن تلك المواقع ، سيما وأنها درست بشكل مستقل بوسائل السادة (K. L. Kennedi- A. Dosreumeaux J.B. Humbert) ^(١٢) وقد اقترح كيندي مطابقتاً لارقام لوحة Peutinger على الأرض ، مفترضاً بأن المسافة بين ترقيمي الألف على هذا الطريق ليست مطابقة لترقيم الألف الروماني الذي هو ١٤٨١, ٥ متراً ولكنها وحدة بطول ٨ غلوة التي تقدر بأكثر من ١٦٠٠ م . وهذه ليست بمشكلة ، لأنه قد تم استخدام مقياس دقيق جداً لعدة أميال على هذا الطريق ، فتبين بأن الوحدة القياسية المستعملة انذاك كانت تتراوح بين ١٤٨٠ و ١٥٠٠ متراً . لهذا يمكن البت الآن بأن هناك خطأ في لوحة Peutinger .

في كل ميل وُجد سلسلة من الترقيمات الألفية ، قد تصل الى عشرة أحجار علام وفي كل مئة متر من هذه الترقيمات الألفية يلاحظ ، حسب الخراب القائم ، وجود أبراج صغيرة مربعة الضلع من ٦ إلى ٨ أمتار ، ومكونة من جدران مزدوجة الجانب ، مبنية من الأحجار الكبيرة / الركائز / البازلتية ليست دقيقة الصقل ، فقد تكون مواقف لتبديل المناوبة / مزودة بإشارات ضوئية أو بصرية مشابهة للإشارات المشاهدة على طريق اللجا . ان كتابات الترقيمات الألفية هذه تشبه مدى الاعتناء الجماعي ، وحسن التنظيم الذي كان سائداً منذ انشاء الطريق عام ١١٤ حتى أوائل القرن الرابع .

١ - ٥ الطريق من امتان إلى جهة الجنوب :

ان قسماً من طريق «امتان» باتجاه الأزرق ومن ثم باتجاه «وادي راجيل» كان قد نظر إليه من قبل المسافرين ، على أنه أقسومة من الصحراء ، نظمت لصالح السير بواسطة رصف الحجارة ^(١٣) ومن الممكن وجود عقدة مواصلات في أم القطين ، جنوب صلخد . فقد عثر على ترقيمات ألفية في خراب هذه المدينة ، وأيضاً بينها وبين صلخد ^(١٤) وقد أفاد كل من F. Macier و R. Dussaud بأنه كان يوجد تفرع من طريق امتان - الأزرق يتجه الى «ام القطين» ^(١٥) .

١ - ٦ الطريق من بصرى نحو الشرق ونحو الغرب :

ان الطريق بين بصرى وصلخد مستقيم ، ويحمل آثاراً في وسط مساره الذي لا يزال غير مغطى بالطريق الحالي . ومن صلخد كان ينطلق طريقان ، الواحد باتجاه «امتان» (المذكورة أعلاه) والثاني باتجاه «ملح» ان وجود الخرائب في النقاط المحصنة «شرق امتان وملح» مثل «جاءه وأم القصير» ، تحمل على الاعتقاد بأن هناك دروب أخرى كانت تغوص في الصحراء ، وهذا ما كان يتكهن به أيضاً الأب (P. Podebard) الذي لم يعثر على أي ترقيم ألفي على طول هذه الطرقات .

نحو الغرب ، فالطريق بين درعا - وبصرى يحمل آثاراً منظورة اعتباراً من بصرى

وعلى مدى ثلثي مساره. هذا الطريق الذي كان يمر في «الطيبة» على جسر من الحجر محاذياً وادي الزبيدي، بُني بزمان حكم «مارك أوريل»^(١٧). ومن درعا كانت تتجه عدة طرق نحو «جرش» و«طبريا»^(١٨). وعلى ما يظهر أنه من طبريا كانت تنقل الترقيات الألفية، الذي روى عنها M. Roy-Coquais^(١٩) والتي كانت تحوي المسافات المعدودة اعتباراً من Homatha وهي موقع قريب من طبريا. أما هذه الأخيرة فكانت مرتبطة «بنوى» بواسطة طرق أثرية، أشير إليها على خرائط حديثة تحتاز هضبة الجولان.

١ - ٧ الطريق من السويداء باتجاه الشرق:

ان الطريق الذي كان يجتاز الجبل بين السويداء و«صالح» يظهر من موقع الى موقع بواسطة الصور الفوتوغرافية الجوية. ويمكن ان تشاهد آثار منه على الطريق، شرق تل غينه، والطريق الحديث يأخذ اتجاه مساره دون أن يغطيه بالكامل، ويلاحظ «برجان» بقرب بعضهما، مع طول مسار الطريق غرب «تل غينه» على سفح هذا التل كان يتصالب فعلاً مع الطريق التي كانت تربط بصرى «بالمشنف». واعتباراً من قرية «صالح» كان الطريق يمر جنوب قرية «الرشيده» ويتصالب بزواية مستقيمة مع الطريق الذي يطاول المنحدر الشرقي للجبال. هذا التصالب مرئي بالكامل، على الصور الفوتوغرافية الجوية، ومن «الرشيده» ينزل الطريق داخل البادية الشرقية تقريباً باتجاه تدمر، ماراً بالمركز الروماني «النهارة» الواقعة في وادي الشام^(٢٠).

١ - ٨ الطريق من شقا الى الشرق:

إن الطريق الذي كان يسير من «شقا» نحو «خربة الأومباشي» في «الصفاء»، لم يترك أي آثار، إلا في جنوب خرائب تل الخربة، فالخرائط الطبوغرافية التي دونته، تشير الى وجود سلسلة من التفرعات المتوازية لهذا الطريق^(٢١). مما يحمل على الاعتقاد «في حال غياب أية مصادر معلومات أخرى». بأن هذا الطريق في ذلك الموضع، أخذ صفة الدرب المرصوف بالحجارة. واعتباراً من خربة الأومباشي، تبين الصور الفوتوغرافية الجوية، وجود طريقتين. الواحد كان يتجه نحو بئر كساب، مطاولاً الطريق الجنوبي للصفاء. الثاني كان يتجه نحو «تدمر» ماراً بالنقاط المرتفعة «entennes» «للكرع». والتنقيب في هذه المنطقة صعب جداً، حيث لا يوجد أي طريق متفرع يسير داخل الاندفاعات البازلتية كما هو الحال في اللجا.

١ - ٩ طرق جبل حوران (أو جبل العرب حالياً):

يلاحظ في جبل العرب كثافة شديدة للطرق الرومانية. والجزء الأكثر ارتفاعاً للكتلة

الجبليّة هو المحاط كلية بهذه الطرق، من بصرى إلى أم الزيتون في الشمال، أو إلى ملح في الشرق، وهاتان المدينتان كانتا بدورهما، مرتبطتين بطريق يمر على الخاصرة الشرقية للجبل، غير أن آثار ذلك الطريق بالضبط لم يعثر عليه بعد.

هذه الطريق الذي له ثنانيا شرقية، يبدو اعتباراً من قرية «امتان» وكأنه إحدى استطلاات طرف وادي «سرحان» وقد علمت آثارها حول المشنف حيث يتصالب مع الطرق القادمة من بصرى ومن موقع «سبع»، ومن ثم يتجه نحو الشمال، بشكل اصح، نحو «تربة» حيث يتجه نحو أم «دبيب» ثم «شهباء». بينما الملاحظات الواردة من الأب Poindebord تفرض وجود تفرعاً باتجاه «شقا». أما بالنسبة للطريق المار شرقي الجبل. فقد عثر على ترقيم ألفي في الشبيكي شمال السعنة، ولكن قد يكون فرعاً ذاهباً من المعسكر الروماني في السعنة إلى الصفا.

أما الطريق الذاهب من بصرى إلى المشنف فكان يجتاز قلب الجبل بالذات، ليتوغل بخطه المستقيم، داخل المنطقة الوعرة أيضاً - نلاحظ آثاره على مسافة بعض الكيلومترات من الشمال الشرقي لبصرى وقد دوت تلك الآثار على الخريطة حتى الكفر. ومن قمة تل قليب، شمال الكفر، كان يوجد نقطة مراقبة^(٣١)، وقد اتاح التنقيب تعليم استطلاة الطريق المستقيمة، من الكفرو حتى سفح «تل غينة» ان الرصف بالحجارة لا يزال محتفظاً بوضعه على هذا الجزء، وإذا كانت الآثار قد اختفت من الجزء الأعلى من مسار الطريق حيث يتصالب الطريق مع الطريق الآخر، الذي يربط السويداء - بصالح، فإنه يعود إلى الظهور ثانية في الجنوب الغربي من المشنف، ويمكن ان تتبعه حتى هذه المدينة.

ان الطريق الذاهب من السويداء إلى المشنف ماراً «سبع» ظهر بفضل الصور الفوتوغرافية الجوية. هذا الطريق المبلط بالحجارة يصعد بشكل مستقيم من السويداء، حتى أسفل التواء الصخري لموقع سبع. ليتصل بالطريق القصير نسبياً الذي كان يربط قنوات، ومن موقع «سبع» يمر شمال المعبد، ويتغلغل في الجزء العلوي للجبل، حيث تمكنت الصور الفوتوغرافية الجوية، من تتبعه حتى المشنف^(٣٢).

ان مدينة شهباء التي سميت «فيليبوبوليس» منذ حكم فيليب العربي، مرتبطة بطرق المنطقة بواسطة الطرق الثلاث التي كانت تنطلق من أبوابها الثلاثة الفخمة في الشمال والشرق والجنوب. والطريق الشمالي لم يبق منه أي أثر، ولكن وجود الباب ومسار الطريق الحديث الذي يتتبع الطريق القديم في شمال أم الزيتون ماراً بالباب المذكور يحمل على الاعتقاد بأن الطريق المزفت كان يصل هذين الموقعين. في الشرق، تبين الصور الفوتوغرافية الجوية آثار الطريق الذي يحاذي بمساره وادي اللواء، ليمر شمال «نمره» ومن ثم لينضم إلى طريق شرق الجبل. وفي الجنوب، ان الطريق الذي نشاهد آثاره بشكل زاوية مستقيمة نحو الغرب، عند خروجه من

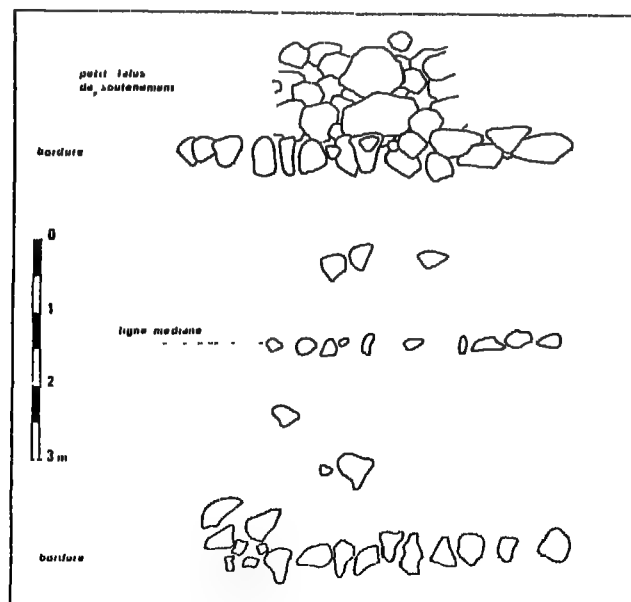
الباب التاريخي، لينضم لطريق السويداء - شمال قرية «سليم» أما بين «شهباء» و«شقا» فلم يشاهد أي أثر لطريق معبد بالحجارة يربط مباشرة المدينتين.

٢ - منظر الآثار وفن البناء :

أما الطرقات الأخرى المعبدة بالحجارة والتي لا تزال بخالة جيدة، فهي كثيرة في حوران وهي تتشابه كثيراً مع بعضها حينما يراد دراسة آثارها. ويمكن لمظهرها الحالي ان يتبدل في نقطة أو أخرى ومع ذلك يمكن استخلاص مثلين منها ذات معنى : ان الطريق المعبد الذي يصل بصرى مع «المشنف» لوحظ فيها عند المشنف، وعلى طريق اللجا ما يشبه مقطعاً وعرّاً يمكن دراسته وهو على بعد ٢ كم جنوب المسمية ضمن أرضه الفخارية.

٢ - ١ الطريق نحو بصرى في الجنوب الغربي من المشنف (الشكل رقم ٣) :

تبدو الطريق المعبدة، وكأنها طريق مبلط بالحجارة بعرض وسطي ١٥، ٦ م، ومع أن مستوى الأرض على شكل انحدار نحو الغرب، فإن الكومة الكبيرة من الحجارة من الجهة النازلة أتاحت للطريق أن يكون افقياً. فهي محددة بواسطة سياجين من الحجارة المتوازية والمقسمة الى قسمين، بحد وسطي من الحجارة الأصغر حجماً (هذا الحد موجود

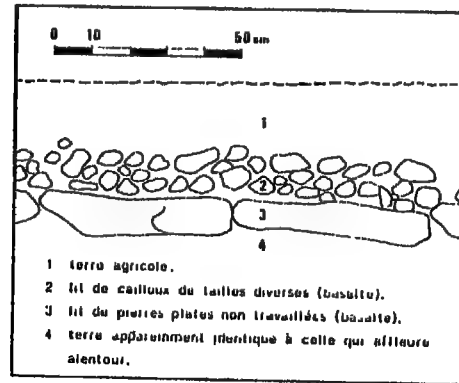


الشكل رقم ٣ - مخطط بياني لآثار الطريق الروماني - بصرى - المشنف (٢٢) P. Gentelle C.f

دائماً على جميع طرق حوران، فيما عدا جنوب دير العدس. ولكن هذا الخط لا يتواجد دوماً في منتصف الطريق المعبّد تماماً). وبين هذه الخطوط الثلاثة من الحجارة يملأ الفراغ بحجارة صغيرة من أحجام مختلفة. وفي كثير من الامكنة نشاهد الخطوط الثلاثة البارزة على وجه الطريق المرصوف بالحجارة، وأحياناً يشاهد الطريق مغطى بالتراب تاركاً بعض الحواف من الصف الأوسط ظاهرة، وأحياناً أخرى، نشاهد وجه الطريق المعبدة محدودباً قليلاً أو رصف الحجارة الواقع بين الخطوط الطولانية، منخفضاً محولاً شكل «السنم» الى شكل W مفتوحة كثيراً.

ان جميع الحجارة المستخدمة لبناء هذه الطريق هي خشنة (دبش) جمعت من حول الطريق المرصوم بصورة مباشرة، وهذه الحجارة هي كناية عن قطع من حصى البازلت، تحمل لأول نظرة نفس الخصائص التركيبية، للفرين والحصى البرغلي المبعثر على الأرض المحيطة بالطريق، ولا يوجد أي أثر لأي نوع من الاسمنت عليها، وتلك الحجارة متراسة تراصاً قوياً، إلا أن الطبقة الترابية الرقيقة، التي تغطي الطريق حالياً، لا تظهر سوى رؤوس تلك الحجارة، الأمر الذي يجعلنا نراها متباعدة كما هي في الرسومات. ^{١٢}

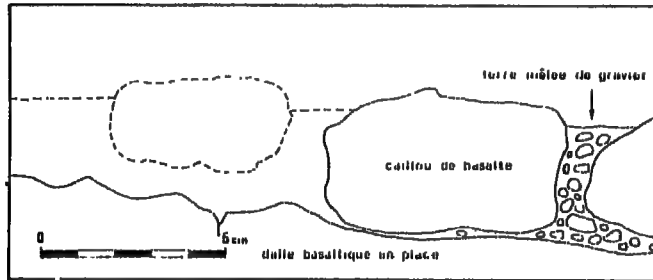
٢ - ٢ مقطع من طريق اللجا على بعد ٢ كم جنوب شرق المسمية (الشكل رقم ٤): لعدم توفر الوقت والوسائل، لم يتم أي سبر لطريق روماني مرصوف بالحجارة في حوران، ولكن يمكن تكوين فكرة مختصرة عن تركيبها بفضل التقعير، الذي سببه منقبون متسترون، كما ذكر أهالي المنطقة، والذي اعترى الطريق الروماني على بعد ٢ كم جنوب شرق المسمية.



الشكل رقم ٤ - مقطع طولاني لطريق روماني في اللجا على بعد ٢ كم تقريباً جنوب المسمية

على عمق ٢٠ سم تحت سطح الأرض الحالي، يشاهد رصفة من الأحجار الصغيرة المختلطة بالتراب مكونة طبقة بساكة ١٥ سم تقريباً، وهذه الرصفة تستند على صف افقي من الأحجار الكبيرة (الصخور المنفصلة) ليست مقصوبة، ولها على الغالب طابع البلاط الحجري. وقد يختلف حجم تلك الحجارة، فالبعض منها بطول ٥٠ سم وارتفاع ١٠ أو ٢٠ سم ولم تخضع لأي مقياس واضح أو محدد. وهي مرصوفة بحسب وجهها المنبسط، وفي أسفل هذه الطبقة لا توجد حجارة، بل طبقة ترابية تشبه في ظاهرها الطبقات المجاورة للطريق.

٢ - ٣ مطابقة بنية الطريق للأرض الصخرية (الشكل رقم ٥، واللوحه ١b):
عند مرور الطريق، على الصخر البازلتي الطبيعي، سواء في اللجا، أو في منطقة «دير العدس» يصبح انشاؤه سهلاً. ولا يلزم الأرض الحجارة على الصخر، مع احاطتها بمزيج من التراب والحصى. ويتألف وجه الانصبابات البازلتية، عادة، من الحمم المفتولة. وفي بعض الأماكن المنخفضة من الطريق، ثبتت بعض الحجارة، لتأمين تلاحم المجموعة بكاملها، ومع ذلك فقد اختفت هذه الأقسام من الطريق.



الشكل رقم ٥ - بنية تخطيطية للطريق الروماني على حمم بازلتية في اللجا بين «سليم» و«أم الزيتون»

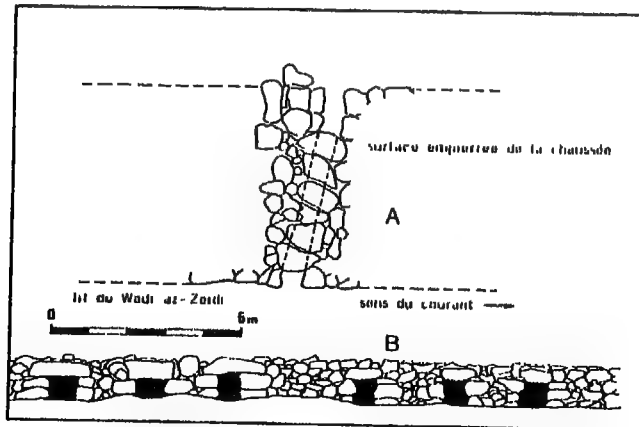
٢ - ٤ تخطيط الطرق:

هناك خاصية مميزة لتلك الطرق، هي البحث عن الخط المستقيم. فالعديد من مسافات الطرق مستقيمة، وفي سبيل تغيير الاتجاه، غالباً ما كانت تستخدم طريقة الزوايا، وليس إلى طريقة الانحناءات. وأحياناً، حينما كان يصعب اتباع الطريق المستقيم بالدقة المطلوبة كان يلجأ إلى تحديد زاوية على الطريق، وبعد مسافة قليلة منها يستأنف الطريق اتجاهه الأساسي المستقيم. وهذا النوع من التخطيط كان حصيلة تبنى المهندس الروماني تحديد

نقطة علام واضحة، يمر نحوها اثناء تخطيطه للطريق (مثال : عند الانطلاق من بصرى، فإن علام الطريق الذاهب الى المشنف يتجه نحو قمة قلب وبعد انعطافه، يتجه ثانية نحو «تل غينة» التي هي أعلى منطقة في الكتلة الجبلية هناك. كما أن بركان صلخد هو بالضبط داخل محور الطريق الروماني القادم من بصرى، (ويمكن ذكر العديد من الأمثلة الأخرى). وهذا التخطيط يعطي مجالاً للمسافر بمراقبة الطريق، الذي يسير عليه على مسافات بعيدة.

٢ - ٥ الأعمال الفنية :

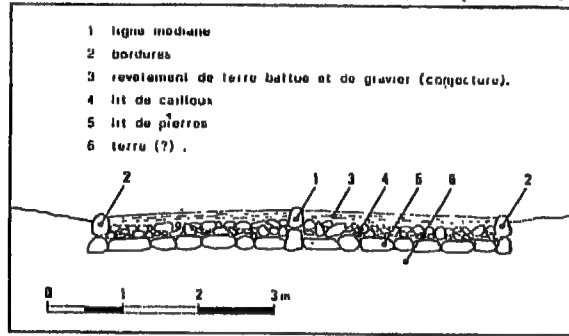
كان عبور أقينية المياه ومجارها يتم فوق جسور من الحجارة المقصوبة. ويعرف منها اثنان واحد في جمرين (اللوحة ١٧٨) والأخرى في الطيبة^(٣٣) وكلاهما على وادي الزيدي وهناك جسر ثالث بين بصرى وخربة لا يعرف تاريخ اشادته بشكل مؤكد، كما لا يوجد أي رسم أو أثر لطريق روماني معبد بالحجارة، اكتشف في هذا الاتجاه. وفي أمكنة أخرى، وفي زمن ضرورة اجتياز واد مياها فصلية، كان يلجأ إلى اجراء ترتيب محلي في المكان المنتقى للاجتياز. وذلك بتضييق الطريق ورفع على سلسلة من الأروقة المتوازية تسمح بمرور المياه من الفتحات، وهذا الوضع لا يزال موجوداً بين «جمرين وبصرى» (الشكل رقم ٦). وتظهر آثار معبر^(٣٤) آخر على طريق اللجا، بقرب من ريمة اللحف، وأيضاً على أطراف اللجا، قرب المتونة^(٣٥) وأخيراً في اللجا. يمكن أن يبقى الطريق مستقيماً، عبر بعض المنخفضات الصغيرة التي صادف وقوعها بين كتل البازلت الصخرية. وذلك بفضل املائها يردم من الاحجار الكبيرة، المنقولة من الجوانب القريبة، التي تغطي قسماً كبيراً من الأرض المنخفضة، وهذا الردم قد يصل الى ارتفاع ٣ أمتار (اللوحة ١١٦).



الشكل رقم ٦ - الطريق المرفوع بين بصرى وجمرين A جسر B رفع الطريق على سرير وادي الزيدي

٢ - ٦ الفرضيات حول منظر هذه الطرق في العصر الروماني :

مهما كان وضع هذه الطرق اليوم . فإن صعوبة سلوكها واضح . حتى لو تم سيراً على الأقدام وذلك بسبب تبعر البحص تحت الأرجل . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار - الكوم والطنف الذي أوجدته الصفوف الحجرية الثلاث المرصوفة لإملاء الفراغ ، أمكن التقدير بأن التحجير مغطى بطبقة بسيطة من الحصى ، وقد عراه السيل الجارف . والحث بالاضافة الى ذلك هناك حالياً ، في قرى حوران الحالية ، على سبيل المثال شوارع قرية «أم الزيتون» ، شوارع تسلكها العربات ، مفروشة بطبقة من الحصى ، ومغطاة بالرمل الناعم المخلوط بالحصا محدداً من الجانبين وعلى صفين متوازيين من الأحجار ، كما هو الحال على الطرق الرومانية ، حيث يبدو من المفيد اظهار التقارب بينهما .



الشكل رقم ٧ - مقطع عرضي بياني لطريق روماني في اللجا في منخفض فخاري

وهكذا نحصل على تجربة إعادة تركيب بقية تلك الطرقات ، التي تتوضع فيها العناصر التالية :

- a - أرض ترابية يصعب التمييز فيما اذا كانت مختلفة عن طبيعة الأرض التي تحيط بها .
- b - طبقة سريرية من الملاط الحجري الخام ، المرصوفة أفقياً والتي يصعب التثبت من وجودها في جميع الطرق الرومانية للمنطقة ، وفي الأراضي البازلتية يتحكم الصخر نفسه المتوضع عليها ، والذي يدخل في بناء هذه الطبقة المرصوفة .
- c - طبقة مرصوفة بكثافة ١٥ - ٢٠ سم مكونة من أحجار مختلفة القياسات مجموعة بكتلة متراسة .

d - طبقة كساء سطحية ، التي ولو كانت مشابهة للطبقات التي ترصف بها شوارع القرى حالياً ، فهي مؤلفة من التراب الرمل ومن الحصى الصغير الحجم بكثافة ١٥ سم تقريباً . جميع هذه الطبقات كانت مقسمة الى ثلاثة صفوف من الحجارة . تضمن تلاحم المجموع (اللوحة ١a) ان مثل هذا التركيب ، يمكن مقارنته بالمقاطع الأخرى لطرق رومانية وخاصة الطرقات المشابهة في افريقيا الشمالية^(٢٥) .

٢ - ٧ الطرق غير المعبدة بالحجارة «الدروب» :

من الواضح، ان الطرق غير المعبدة، ودروب القوافل التي كانت سالكة بصورة أكيدة في حوران خلال العصر الروماني، يصعب تحديدها فعلاً، ومع ذلك يمكن الإشارة الى نموذج من الطرق لوحظ في «الحرّة». لقد أبعد البحص الذي يغطي الأرض المحيطة من على مسار تلك الطريق، ثم جمع في صفين متوازيين، مما كان يتيح لجمال القوافل أن تمر دون جرح أرجلها^(٢٦). وبالوقت نفسه فإن طرق المواصلات القروية، لا تحمل تقريباً أي أثر مادي مؤرخ. ويعتقد أنها كانت تشبه كثيراً الطرق الحالية المنشأة ضمن جدارين متوازيين ومتعرجين تحددان طريقاً تريباً خالياً من الأحجار. وهناك جدران صغيرة من الأحجار التي تفصل الحقول^(٢٧)، وهي متوفرة وأثارها مكتشفة.

ان طرق المنافذ في قرى اللجا القديمة، والتي لا تزال مستخدمة اليوم بكاملها تقريباً كثيرة الانعطاف. لأنها تدور حول المنخفضات والمحدبات في الأرض الصخرية والسديمية، نميز فيها بعض التنظيمات، منها ما يشبه الجدران الصغيرة التي تحد الطريق، حينما تنعدم الرؤيا في أسفل المنخفض ويصعب التوجه، وأيضاً حين املاء الغدران أو الشقوق البازلتية بأحجار من جميع القياسات. تبدو مثل هذه الطرق بأنها، بوجه الاجمال، غير صالحة لسيير وسائل النقل ذات الدواليب. أما المنحدرات، فهي وعرة أحياناً.

٣ - تسلسل التاريخ

٣ - ١ عصر ما قبل الرومان :

تؤكد النصوص والوثائق القديمة. والاكتشافات الاثرية المتتالية على وجود محورين رئيسيين للمواصلات المخترقان حوران من الشمال الى الجنوب وبالعكس، ويصلان دمشق بشرقى الاردن وفلسطين باتجاه الجزيرة العربية ومصر وهما :

المحور الأول: يعود الى الطريق الدولي الذي يربط الاردن بدمشق عن طريق درعا - نوى - الكسوة الخ. . فهو الطريق الطويل الذي يجتاز هضبة حوران من الشمال الى الجنوب، والعديد من المواقع في هذه المنطقة، وقد ورد ذكرها في نصوص مصرية تعود الى عهد ملوك الفراعنة (تحوتمس الثالث thoutmés III) (اخناتون Akhnaton) و(رمسيس الثاني Rumses II)^(٢٨) وقد عثر على نصب مصري باسم (Sethi I or) ستهي الأول في تل شهاب، ويحتمل أن المصريين كانوا قد اختطوا طريقاً طويلاً للمواصلات، للدخول مع هذه المواقع، بعلاقات، خلال القرنين من الخامس عشر الى الثالث عشر قبل الميلاد. ويمكن اخذ فكرة واضحة أكثر عن شبكة طرق حوران في ذلك العصر، اذا أخذ برأي (D. Redford)^(٢٩) الذي اعتبر بأن جميع المدن التي اعتبرت مدمرة حسب لوائح تحوتمس الثالث (القرن ١٥ ق. م)

استخرجت من النسخ الأصلية المكتوبة عن آسية الغربية والتي عرفت واستخدمت من قبل (المراسلين) المصريين.

المحور الثاني: وهو يتعلق بالطريق الذي يربط، مباشرة دمشق - بجبل العرب محاذياً مجرى وادي اللواء، ومن خلال تتبع مجرى الوادي، كشف في «المتونة» موقع من العصر البرونزي (أبحاث في طور الانجاز يجريها السيد مقدسي). كما كشف أيضاً في «تل الدبة» عن «قلعة» يعود تاريخها الى عصر الحديد (أبحاث في طور الانجاز يجريها (ف. برومير) (F)، (Braamner) وان وضع هذا الموقع الأخير كان يتيح تفتيش نقطة المرور الوحيدة الممكنة بين منطقة ساسية - Sacée وهضبة حوران.

أما بالنسبة للعصر الهيليني، فقد بقيت المعلومات عن طرق المواصلات التي تمر بحوران، غير مباشرة، توضح المراسلة التي قام بها «زينون» بأنه كان يعالج بعض الأمور في منطقة الهيت (Elita) ونوى (Noé) والكسوة (la dosa)، وحتى دمشق^(٣١).

قبيل بدء التاريخ الميلادي، انشئت المستعمرة العسكرية الرومانية في (بصير شرق الصنمين - Bathyra) في trachonetids (اسم اللجا قديماً). والتي انشئت لحماية الجنود القادمين من بابل الى اورشليم^(٣٢). وكان أولئك المسافرين يسلكون، بصورة أكيدة، طريق دمشق - الكسوة - نوى. وقد أخذت تظهر في الوثائق المصرية التي تعود الى الألف الثاني ق.م.

وقد توخى في توسع المملكة النبطية نحو الشمال، والتي امتدت يوماً، الى فترة وجيزة حتى دمشق، ربط الطرق الرئيسية التجارية ببعضها لزيادة الثروة، فكانت بصرى في القرن الأول الميلادي عاصمة لهذه المملكة^(٣٣). فقد أورد القديس بولس ذكر الوالي النبطي بدمشق^(٣٤) وفي أقصى الجنوب. كشف G. Bowersack عن تمرکز خفر نبطي متقدم في الأزرق^(٣٥) لذا فإن النبطيين نظموا واستثمروا جيداً طرق المواصلات^(٣٦) مرسخين العلاقة بين دمشق - والبلاد العربية الوسطى - وأيضاً باتباع طريق تريايبوس الجديدة (Traina-vanova)^(٣٧) بشكل واسع للتلاقي مع طريق مدينة بتر - بصرى، حيث عثر في مساره على اثار ضيئلة tenues لتواجد المملكة النبطية، وأجزاء خزفية وعملات نقدية في «خربة السمرة» (لا تزال غير منشورة) وفي ثغرات الجب^(٣٨) كانت بصرى التي هي منفذاً للطرق، تمثل مركز الامبراطورية النبطية حيث كانت البضائع تنقل نحو الغرب الى درعا^(٣٩)، ونحو الشمال، عن طريق وادي اللواء حتى دمشق.

ويعتقد أنه خلال الألف الثاني والأول قبل الميلاد، كانت هناك شبكة مواصلات دولية تجتاز حوران من الجنوب الى الشمال، لتصل الى دمشق مارة من طرفي اللجا التي كان يصعب دخولها آنذاك. كان تمرکز النبطيين في القرن الأول قبل الميلاد وبغد الميلاد، في

بصرى، يشير الى حركة تجارية وصلت الى ازدهار لم يسبق له مثيل على هذه الطريق . ونجم عن ذلك توطن قطاع الطرق في المناطق ذات المسالك الصعبة . والتي تحيط بالمحاور الكبرى، وقد تطرق الى ذلك كل من^(٨٩) Josépe, Strabon^(٩٠) . لذلك توجب تأمين سلامة الطريق بصورة مستديمة . ولهذا استوجب تمركز المستعمرة العسكرية في (بصير Bathyra). وقد أشار (Strabon) (loc-eit) الى تمركز الحاميات الرومانية (وكان يعني بذلك «شقا» - والمسمية)، قاعدتين راسختين في المؤخرة . لمراقبة اللجاء والجبل مع البقاء على أقرب مسافة ممكنة من دمشق).

ان الطريق الحقيقية التي تؤدي الى داخل أعشاش قطاع الطرق يعود الى زمن هيرودوس وأغريبا، وقد عثر على نقوش تحمل اسميهما في «قنوات»^(٩١) وسيع والمشف^(٩٢) . بمحاذاة الطريق الأثري القديم الذي يجتاز من الغرب الى الشرق، قسم الجبل الصعب البلوغ، والذي كان يوفر الشروط اللازمة لمراقبة تنقلات (الصفويين؛ الذين كانوا، بصورة خاصة، يذهبون الى منطقة «سيع» للهج^(٩٣) . ان النقش المكتشف في قنوات (IGR III 121) يشرح بحد ذاته عن اخلاق سكان هذه المنطقة المتوحشين . ويبدو أن الأمراء الموالين للامبراطورية تبنا في بصير وفي الجبل سياسة محددة أصبحت فيما بعد منهجية عند الرومان اعتباراً من القرن الثاني للميلاد، ألا وهي تنظيم وصيانة طرق المعابر، التي فيما بعد وطدت أمن المواصلات في المنطقة.

٣ - ٢ القرن الثاني للميلاد:

ليس لدينا أي أثر لطريق روماني، انشيء في جنوب ولاية سورية، خلال القرن الأول الميلادي . لم يتبدى انشاء الطرق الرومانية الوارد ذكرها في حوران، اذا ما اعتمدنا على الوثائق المتوفرة حالياً، إلا بعد الحاق البلاد العربية بالحكم الروماني أي حوالي عام ١٠٦ م. وقد كانت طرق المواصلات الأولى تدور حول بصرى^(٩٤).

ان الترقيم الألفي الذاهب من «بصرى» إلى «عمان» يشير الى ان هذه الطريق قد انشيء عام ١١٤ وقد أحدثت بالكلية بعد شقه ورصفه من جديد^(٩٥).

هذه الطريق التي كانت تحاذي الطريق القديم للقوافل النبطية دون أن تندمج بها، تحيد عن المحطات الرئيسية (مثل أم الجبال) وهذا ما كان يميزه بطريق السير السريع، لكونه يتيح لقوات بصرى الانتقال نحو الجنوب للتدخل السريع^(٩٦) . واستمر العمل في صيانة هذه الطريق حتى حكم ديوكلسيان^(٩٧).

إن طريق اللجاء (اللوحة Ib- IIIa) الذي بدا واضحاً بأنه من صنع روماني كامل، كان قد انشيء واستخدم في الحقبة الواقعة بين ضم الولاية العربية للحكم الروماني، وبين حكم

مارك اوريل لقد أجريت تصليحات على الترقيمات الألفية الاكثر قدماً في ذلك الطريق ، وذلك أبان ولاية «كومود» عام ١٨٦ / ١٨٧^(٣١) ، وهو الأمر الذي يؤكد وجوده قبل ذلك بعدة سنوات . ويثبت هذه النظرية النقش في المسمية (CIG ٤٥٥١) الذي بموجبه Julius sturninus ساترنينوس) يعالج تحت حكم «كومود» المسائل التي كانت تعترض المسافرين في هذه المدينة ، ان أقدم تلك النقوش المؤرخة ، التي عثر عليها مع طول هذا الطريق في كامل القسم الصخري في اللجا ، تعود الى زمن حكم مارك اوريل^(٣٢) . وهذا ما يحمل على الاعتقاد بأن هذه الترقيمات متزامنة مع زمن دخول هذه المنطقة بالطريق الروماني .

أما الطريق الذي كان يصل بصرى بدرعا ، لم يترك أية ترقيمات ألفية ، بل ترك نقشاً يحدد زمن انشاء جسر «الطيبة» في زمن حكم «مارك اوريل» عام ١٦٣ - ١٦٤^(٣٣) . وهذا النقش لم يحدد بالضبط تاريخ انشاء الطريق ، ولكنه يحدد قيام تنظيم هام لخط السير . وبالسوقت نفسه ، اذا اتبع أثر رحلة antonin انطونين الذي تم أول اصدار لها خلال حكم كراكلا Caracalla^(٣٤) . فهي تشير الى طريق ينطلق من دمشق الى «نوى» مارا «بالصنمين» ، ليصل الى طريق درعا عند بحيرة طبريا^(٣٥) ، وهذا ، بحد ذاته ، يشكل دلالة قاطعة اضافية ، بأنه قد تم انشاء مجموعة هذه الطرق ، في القرن الثاني الميلادي .

وهناك أخيراً ، طريق أخرى ، يمكن ارجاع زمن انشائها الى ما قبل القرن الثالث الميلادي خلال الحكم المتأخر لأسرة ساويروس ، وهو الطريق الذي يربط «بصرى - بدمشق» ماراً بالقسم الشرقي من اللجا . أي من شمال «مردك» عبر الزاوية الجنوبية الشرقية للحمام البازلتية دون المرور بمدينة شهباء ، موطن الامبراطور فيليب العربي الذي حكم من عام ٢٢٤ إلى عام ٢٤٩ ، والذي أنشأها على مستوى مستوطنة كبيرة ، وزودها فيما بعد بأهم المظاهر العمرانية وبالسوار^(٣٦) ، واعاد ربطها بالطرق الرئيسية الرومانية في المنطقة - كما ذكر اعلاه . تبين الخريطة الحالية لطرق هذا القطاع ، بأن خط السير قد انحرف يوماً ما . اذ أن الطريق الروماني تحدد بالطريق الحديث القادم من دمشق إلى أم الزيتون ومنها انحرف نحو شهباء كونها المدينة المهمة منذ القرن الثالث الميلادي ومن ثم انضم الى الطريق الروماني الذاهب الى السويداء بالجنوب ضمن مسار محاذ للطريق الأثري القديم . ولكن يمكن لهذا الزعم ان يطرح جانباً ، لان مسار الطريق الحالي قد تبدل فعلاً حينها أصبحت فيليوبوليس (شهباء) مدينة مهمة ، ولكون طريق - «براق» - السويداء ، الذي ترك شهباء جانباً قد تم تخطيطه في زمن كانت شهباء خلاله لاتمثل أية أهمية . من جهة أخرى بما أن المنظر الجيولوجي الطبيعي للمنطقة ، يجعل من وادي اللواء مسلكاً اجبارياً للراغبين بالسفر من الجبل الى دمشق ، حينذاك ، دون المرور في قلب «اللجا» فمن المؤكد على ما يبدو ، أن

هذا الطريق تجدد في أهم أجزائه على الطريق القديم السالك قبل العصر الروماني . غير أن صيانه وإعادة استخدامه من قبل الرومان كانت خلال القرن الثاني الميلادي .
والى جانب تلك الطرق التي تربط فيما بينها المراكز، هناك في حوران، مجموعة ثانية من الطرق تخترق جبل العرب ضمن كثافة مقبولة، والأدلة الأثرية التي يمكن جمعها اليوم، ليست كافية لتدوين تأريخ واضح حول زمن انشائها . فالبعض منها مسالك كانت موجودة قبل دخول الرومان، والبعض الآخر اكتسب فعاليته في زمن متأخر . لم ترتبط مدينة «قنوات» مباشرة الى الحاضرات الأخرى بواسطة طرق رومانية مثل شهباء . ولكن هناك طرقاً ثانوية قادمة من قنوات والسويداء والمشنف، كانت تشكل عقدة في أسفل «معبد» «سبع» الذي كان مزدهراً قبل مجيء الرومان، مما يدل على أهمية هذا المعبد كعقدة مواصلات في المنطقة .
وهذه الطرق التي تعتبر تقنية انشائها مماثلة لتقنية الطرق الرومانية^(١٠) هل كانت هي أيضاً بدورها انتظاماً لطرق أقدم منها وأفضل وضعاً؟ أشار جانتيل مع ذلك إلى أن رسم هذه الطرق مخططات تقسيم الأرض واشادة المدافن الواقعة في أسفل تل سبع^(١١) .

٣ - ٣ الطرق غير المؤرخة - والامبراطورية البيزنطية :

يصعب جداً الحديث عن أية فرضية حول الطرق الأخرى للجبل . ان وجود ترقيم ألفي متأخر، مع تفسير لقراءة غير مؤكدة، في الشبيكي شمال «السعنة» لا يأتي بتوضيحات بينة^(١٢) . كما أنه لا يمكن من حل مسائل الوقائع التاريخية في هذا القطاع . غير أن المهم في الأمر، هو في وجود مجموعة من الطرق تسهل الدخول الى الكتلة الجبلية، وتؤمن المواصلات السريعة التي كانت توصل الى مدينة بصرى .

ان الطريق التي تربط المشنف، مباشرة، «ببصرى» ماراً بأسفل «تل غينة» ثم الكفر، هي وليدة هندسة رومانية، نظراً لاستقامتها ضمن أراضي وعرة، وحسب الظاهر، أبتدأت اعتباراً من مدينة بصرى^(١٣) . وقد اكتسب مخططها الدرجة القطعية بواسطة التصويب المتتابع «كتل قليب» ثم «تل غينة» وان غياب الترقيم الألفي مع طول المسار، ليس له أي مدلول حالياً، لأن الترقيبات الألفية في حوران تظهر في المناطق الأهلة قليلاً بالسكان، ولأن هذه الترقيبات نقلت من قبل الأهالي لصنع «مداحل» لسطوح المنازل، وحتى الزمن الحالي، لم يكن يعرف من هذا الطريق سوى بعض الاجزاء التي كانت تحتل مناطق أهلة بالسكان^(١٤) . وقد تمت معرفة قسمه الذي كان يجتاز المنطقة الجبلية غير المأهولة، مؤخراً وهذه الملاحظة تنطبق على جميع الطرق التي تحتل أعلى قسم من الجبل .

لابد من تقريب هذا الطريق الهام من الطريق الذهاب من السويداء الى «صالح» . والذي أصبح مساره ضمن طريق حديث^(١٥) . يتقاطع الطريقان في أسفل «تل غينة» . وبهذه

الطريقة، كانا يربطان كامل السفح الغربي للجبل، مع الطريق العرضاني الذي يجاذي الخاصرة الشرقية للمرتفعات، والذي لا يزال مساره الحقيقي حتى الآن غير محدد تماماً. من خلال مجموعة هذه الطرق، التي لا تتوافق مع خطوط السير التجارية المعروفة سابقاً، تشاهد شبكة مواصلات سريعة، كانت تسهل المراقبة الدقيقة للجبل من قبل الرومان، حيث كانت تنطلق بدءاً من «الرشيدة» أو «شقا» طرق أخرى نحو البادية باتجاه تدمر. وكانت ترتبط بهذه الشبكة، أبراج حجرية في المنطقة تسمح بمراقبة المرتفعات الجبلية من مسافات بعيدة، وقد عثر على بقايا أبنية أثرية قديمة من الحجر البازلتي المقصوب في قمة «تل قليب» التي هي القمة الثانية للمرتفعات التي من خلالها تتسع الرؤيا على منطقة «تل غينة» وعلى الطريق المتجه نحو بصرى - وعلى مقربة من تلك الركائز، حفرت ثلاثة خزانات مياه مهمة، لا تزال سليمة ولكنها مطمورة حتى منتصفها. ومن خلال تلك الاطلال يمكن أن نرى خرائب حصن للمراقبة، ومنتصرو وجود حصن آخر على قمة «تل غينة»، يصعب، مع الأسف التنقيب عنه فتلك الأبراج وهذه الحصون المتوضعة بجوار الطرق الرومانية الرئيسية، سهلت مراقبة كامل المنطقة الممتدة من «بصرى» الى البادية الشرقية، وبالوقت نفسه مراقبة الطرق ونقل الاشارات الضوئية للاستعلام السريع باتجاه بصرى. هذه الفرضية التي ذكرها M. dunand. لدى تحدّثه عن طريق اللجا. تبدو أكثر واقعية بالنسبة للمنطقة الجبلية^(٢٢).

وعلى كل حال إذا بقي نظام الاشارات التي أوحى به الطبوغرافيا المحلية، وشروط الرؤية الممتازة، والتقنيات العسكرية الرومانية، والأثار المراقبة، فرضية، فإن طرق المرتفعات الرومانية تنم عن رغبة جامحة لتسهيل خطوط سيرها حتى أقصى درجة، ولربطها ما أمكن في مدينة بصرى.

ان طرق الصفا وطرق منطقة «امتان» هي الأخرى طرقاً للتفتيش وللدخول. فالصفا بادية كانت في القديم مأهولة بالبدو الرحل (الصفويين)^(٢٣)، والتغلغل الوحيد للرومان فيها كان يتمثل بوجود القلاع التي كشفها P. Poidebard وكان هدفها مراقبة منابع المياه، ومن وراء ذلك، وضع الرّحل الذين كانوا يرتادونها. والأمر ذاته مطبق في خربة الأومباشي، حيث كان ينطلق منها ثلاث طرق رومانية الى «بركسب» وإلى «نسارا» مع طول طريق وادي الشام الذي ينطلق من الجبل الى الرشيدة. وكذلك تعززت في منطقة «امتان»، حيث تكثرت القلاع الرومانية التي تحولت الى أديرة في زمن الامبراطورية البيزنطية، تعززت مراقبة البادية ونقطة نهاية طريق القوافل المارة في «وادي سرحان» بانشاء قلاع مثل الأزرق أودير الكهف. وطرق أخرى رومانية كانت قد خصصت لتخديمها. ان النقوش والرسوم الموجودة في هذه المخافر العسكرية مع بعض الترسيمات الألفية، تعود الى الولاية الريفية أو الى السلالة الحاكمة (كونستنتينو - فالانتينو constantino - valentinienne) هذه حالة الترقيم الألفي في

الشبيكي المارذكروه. وخاصة الترقيم الذي عثر عليه على بعد ٨ كم شمال شرق «السعنة» والذي يدل بوضوح على تاريخ بناء الطريق الذي عُثِرَ بمحاذاته على الكتابات التالية: طرق ديوكليسيانوس وقسطنطين العظيم.

CTPATA- DLOCLETIANI MAXIMIANT ATT CONSTANTINNI

هذه الترقيمات الألفية في «أم القطين» التي تحمل تاريخ نفس العصر تقريباً^(٧٧) وكذلك حالة النقوش^(٧٨) المتعلقة بترقيم القلاع كما في الأزرق. Constantino Haximo/ PIO, Victoire. Ac trivmfatore Semper/ Avgvsto Et Constantino Et/ Constantio, N(o) B C. illissimis) CAES (aribus) AEDEM (?) inevria Vetvstate/ Parietvm, Rvina Conlapsam/ Refiei (?) IVSSET^(٧٩). هذه الأدلة الواردة في النقوش، تتيح لنا أن نعرف بأنه لولا إنشاء شبكة الطرق، وإقامة المنشآت العسكرية، في تلك المنطقة المنتشرة على المحيط، وفي ذلك العصر، لأحدثت أعمالاً كبيرة بقصد تأمين تلك المنشآت.

٣ - ٤ الخلاصة :

تتيح البيانات الواردة في النقوش، والبحث الأثري التاريخي، استخلاص تسلسل الأحداث التاريخية المترابطة جداً، المتعلقة بإنشاء الطرق الرومانية في حوران. وكانت الإدارة الحسنة للامبراطورية تستدعي بالدرجة الأولى، حسن الصلات بين «بصري» والمراكز الرئيسية في الشرق الأدنى كما أن الطرق الرومانية الوحيدة التي ثبت وجودها في القرن الثاني الميلادي هي التي كانت تربط بصري بدمشق وبطبريا - بواسطة درعا وبفيلادلفيا (عمان) وهذه الاتصالات الثلاث وهي الوحيدة التي وردت في لوحة Peutenger. الأمر الذي ينزع إلى اظهار البيان بأن مصادر هذه الوثيقة المتعلقة بالمنطقة التي تخصنا، تعود بتاريخها الدقيقة نوعاً ما، إلى القرن الثاني الميلادي.

أما الترقيمات الألفية المكتشفة شرق خط (عمان - بصري - أم الزيتون - دمشق) فهي جميعها لاحقة لهذا التاريخ. غير أنه يمكن اعتبار القرن الثالث الميلادي تاريخاً واضحاً لإنشاء الطرق التي تنطلق من شهباء، والتي تربط «الأزرق بصلخد وبصري»، وقد عثر DI. Kennedy في الأزرق، على عدة ترقيمات ألفية من ٢٠٩ إلى ٢١٠.

(Arhaeological explorations in north- Eastern Jordan 1982 P.P.170-175) وأخيراً لا يوجد أي من الترقيمات الألفية الاخرى المعروفة في شرق وجنوب الجبل، التي تسبق تاريخ (Jetrarchie) حكم الولاية الريفية وهو عهد اعادة تنظيم عمران الـ Strata Dioclitiana واعتباراً من أوائل القرن الثاني الميلادي إلى أوائل القرن الرابع، كشف عن تطور متمم للطرق الرومانية من الغرب إلى الشرق بالاعتماد على المسالك والطرق الرئيسية ذات اتجاه شمال - جنوب.

٤ - مهيات الطرق

٤ - ١ التحرك العسكري:

تبدو شبكة الطرق الرومانية في حوران، وكأنها تنظيم ذو طابع عسكري بصورة رئيسية، وهي ليست مهيئة تماماً لتسهيل الدفاع عن المنطقة ضد هجمات القوات الأجنبية (كما هو الحال في الشمال على أطراف نهر الفرات)، بمقدار ما يقصد منها تأمين تنقلات الجيش السريعة في منطقة تتميز بأرض وعرة (جبال وحمام بازلتية) عند التماس مع البدو الرحل الذين كان يصعب إخضاعهم كلياً، والسكان غير المنضبطين، مثل في منطقة الـ *trachontide* (منطقة صخرية تمتد من شرقي الأردن وحتى جبل العرب) الذين كانوا يستطيعون تهديد المبادلات التجارية بين دمشق وبصرى. هذه الشبكة التي وضعت كامل طرقها الرئيسية تحت سيطرة الانطونيين، والتي دامت حتى تحت حكم عائلة ساويروس *Séveres* بقيت مستخدمة دون إصلاحات تذكر خلال القرن الثالث الميلادي (باستثناء زمن حكم فيليب العربي الذي زاد من تنمية طرق منطقة «شهباء» بشكل خاص) قبل ترميمها وتوسيعها في عهدي ديوكليسيان وقسطنطين. وقد طبقت المراقبة العسكرية على المنطقة جيداً، تحت حكم تيودور الثاني بتمركز قطعات متعددة في حوران كلها. كما يشهد بذلك سجل النبلاء *Notitia Dignitatum* المنشور في عام ٤٢٥ ميلادي. ومن بين الثكنات المعروفة باسماء موقعها المشهور، نذكر وجود خيالة الاليريكليون وهم الخيالة الرماة المحليون في *Motha* «إمتان» *scutarè illyuèami z (Molha) (Imtan) des équites promoti illysicami á (salkhad) des quites sagittarù indigenae á Diafenes (Mismlyeh)* ومن الفرقة الثالثة الليرينانيكية *III-e legion eyrenaique* في بصرى وغيرها.

equites Promoti Illysicami á trieamia (salkhad) des quitts sagittarù indigenae

ومن الفرقة الثالثة السيرناتكية في بصرى وغيرها.

ويمكن الوقوف على الطبيعة العسكرية، لشبكة الطرق هذه اذا امعنا النظر في مركز بصرى، عاصمة الولاية العربية الرومانية. فقد تمركز الفيلق الثالث الليريناليكي فيها بعد الاستيلاء على الولاية الجديدة بزمان قليل، وتواجد دوماً في بصرى تحت حكم تيودور الثاني، وكان تعسكره الدائم في الجزء الجنوبي منها، وأفادت النقوش المتوفرة بأن مهمته لا تنحصر في القتال ضمن مواقعه فقط بل بالانطلاق من قاعدته للتدخل في كل مكان من الشرق تقريباً والقيام بحملات كبيرة وتدخلات قد تصل الى مواقع في أقصى الجنوب العربي. وقبل تمركزه في بصرى كان قد دعي للتدخل اثناء الحرب اليهودية الأولى. وفيما بعد اشترك في حرب الامبراطور تراجان، والحرب اليهودية الثانية، اشترك في حرب كراكلا ضد الفرس^(١١)، ويمكن لمس اثار تمركز بعض الوحدات من هذا الفيلق في مواقع مختلفة من الولاية العربية،

وجتبي البعيدة منها مثل (مدن صالح) شمال الحجاز الواردة في النقوش التالية^(١١٠) (مترجمة حرفياً، غير أنها ناقصة - خط - اوريابوس - الرسام).

وفي الأزرق، كما أشار Astein إلى نقش على حجر يذكر أن خمس وحدات من الفيالق كانت «حسب الظاهرة» ملتزمة في انشاء طريق، وقد وجد الحجر مفقوداً. غير أن M. Bowersoek أكد بأن Stein قد صوّر حجراً يمكن قراءة مادون عليه^(١١١) Div- Rian vexili- III cyr ويوجد الكثير من الأدلة التي تتيح استشفاف دور الفيالق العسكرية في انشاء الطرق الرومانية في حوران. فهناك مخطوطة (Papyrees) لكرانيس (karanis) محررة في «بترا» عام ١٠٧ - من قبل جندي يعود لأحد الفيالق، تفيد بأنه كان يوكل إلى عساكر الرومان، تقصيب الاحجار خلال النهار بكامله^(١١٢) والسيد M. Sarter ضمن مؤلفه: «ثلاث دراسات حول السيادة العربية والرومانية والبيزنطية - بروكسيل ١٩٨٢ - ص ٨٠) يرى في هذه الطرفة، شهادة على انشاء طريق via nova الذي أنشأه الامبراطور تراجان في حوران بواسطة الفيالق الثالث الذي مر ذكره (والذي كان سريع الحركة) ليتاح له التدخل في أي مكان أو موقع عبر هذه الشبكة.

٤ - ٢ التنقل التجاري:

يصعب ذكر تفاصيل جميع الشروط المادية، التي كان التنقل سائداً بموجبها في المنطقة، خاصة عند غياب المصادر التاريخية الواضحة. وفي الشرق الأدنى أمكن استخلاص تطور عام، كان يميل، خلال الألف الأول قبل الميلاد، الى الغاء العربات ذات العجلات التي كان يحل محلها حيوانات الجر^(١١٣). وبينما أظهرت النقوش البارزة الآشورية، في القرن السابع قبل الميلاد، أن سكان فلسطين المبعدين، كانوا يشكلون قوافل محمولة على عربات ذات عجلتين وعلى حيوانات الجر^(١١٤)، تؤكد، في زمن سادت فيه المنافسة بين هاتين الطريقتين من التنقل، ان الافضلية كانت لصالح التنقل على ظهور الحيوانات بحجة أن هذه الطريقة هي الاكثر اقتصاداً^(١١٥)، وقد لاحظ ذلك زائر غربي للاماكن المقدسة في القرن السابع الميلادي أنه في اليهودية كلها يندر ان يصادف المرء حتى عربات الخيل^(١١٦).

لا يشمل هذا التطور سوى المناطق المأهولة بالسكان. أما في المناطق الصحراوية التي يقطنها الرحل الذين يقتنون الجبال فكان لابد من الانتظار حتى بدء القرن الثاني عشر الميلادي ليتم التدجين الكامل لهذا الحيوان (الجمل) وحتى يمكن القيام بالهجرات الى مسافات طويلة^(١١٧). علماً بأن ظهور السرج العربي (نموذج الشداد) خلال الألف الأولى الميلادي، جعل من الممكن. نقل الاحمال الثقيلة وتمنطق المحاربين الراكبين بالرمح والسيف متمتعين بإمكانية احتمال قوة الضدمة^(١١٨). وفي هذه الحالة اجتمع في العربي شروط القدرة

الاقتصادية والسياسية . الأمر الذي دعا الى توقع ظهور السير والتنقل بقوافل الجمال التي لعبت دوراً كبيراً في حوران القديمة .

وقد ثبتت هذه السيات العامة ، آثار وصروح المنطقة ، ويبدو أن السير بالعربات ذات العجلات ، لم يكن مؤكداً التأكيد الوافي^(١١٢) ، بل يعتقد أنه كان محصوراً في الداخل وفي حواضر المدن فقط . ولم يلاحظ على أرضية طرق المدن ، مثل بصرى أو شهباء ، أية آثار لعجلات العربات ، كما لوحظت مثل تلك الآثار في الغرب ، وفي جرش ، أيضاً . وتجدر الإشارة هنا الى جزء من نقش بارز كاد يندثر ، شوهد في موقعه في (منارة هانو manara Hanu) على جانب طريق اللجا ، تمثل آثار عجلة من العربات اللوحة (IIIbo) ^(١١٣) . وقد يتعلق الرسم بتمثيل طابعه ديني ، كعربة المواكب المنقوشة على العملة الفيلا دلفية^(١١٤) ، ويموضوع مرتبط بالطريق الروماني المجاور ، وعلى كل حال ، فإن الطرق التي تقود الى القرى الأثرية القديمة المبعثرة في اللجا ، لم تكن قابلة لسير المركبات ذات العجلات ، ومع ذلك ، فإن مجموع الطرق الرومانية المعبدة بالحجارة كانت عمومًا متوافقة مع هذا النموذج من السير فيما اذا تمت صيانتها بشكل مناسب^(١١٥) .

ان الادلة حول التنقل بواسطة الحيوانات كثيرة جداً . وهناك نقش بارز في متحف السويداء اللوحة (III d) يمثل حماراً يحمل حملاً يقوده صاحبه^(١١٦) . وهناك أيضاً نقش من الموزاييك في دير العدس اللوحة (IVb) محفوظة في مجموعة المنحوتات في بصرى ، ويمثل قافلة صغيرة من الجمال المحملة يقودها رجل خفيف التجهيز^(١١٧) ، فالجمال ليست كثيرة ، ولا يوجد معها مرافقة كبيرة ، ولا شيء يشير الى العدد أو القوة التي كانت تزود بها القوافل الكبيرة التي تجتاز الصحراء (أو الجيوش أثناء المسير) المستدعاة من قبل Strabon ^(١١٨) . ربما كان ذلك الرجل فلاحاً يتجه الى السوق عبر البرية ، وهو مشهد الحياة اليومية السائد في العصر المتأخر في حوران القديمة .

نجد صدياً لوصف سير قوافل الجمال في سك العملة في بصرى ، التي كانت تمثل مع دمشق ، محطة الوصول للقوافل القادمة من الجنوب^(١١٩) . وعملات بصرى تتخذ صورة الجمل كشعار لها^(١٢٠) وكان الجمل يتمثل لديها طليقاً ، متجهاً الى اليمين ، يمتطيه أحياناً رجل رافعاً يديه (إليه دون شك) . ولكن لا يمتطيه أبداً محارب ، وهو لا يحمل البضائع - هذه النقوش قد يكون لها طابع ديني يشبه صوراً (للآلهة الجمالة) المنقوشة على قسائم تذاكر دخول مسارح تدمر^(١٢١) . لنلاحظ ان هذا النوع من النقش على خلف العملة غير مطبوع على عملات المدن العشر أو عملات الولاية العربية ، بل فقط على عملات بصرى . والجمل لم ينقش على عملات الامبراطورية الرومانية ، الا كرمز للولاية العربية التي كانت بصرى عاصمة لها^(١٢٢) .

تظهر بعض هذه الآثار الدور البارز لمسيرة قوافل الجمال في الحياة الاقتصادية لحوران القديمة، غير أنه حتى الآن، تنقص الوثائق والمستندات، لمعرفة فيما اذا استخدم هذا الحيوان في التجارة خلال العصر الروماني كما هو اليوم^(١٣٥). يقول السيد بليان ان التي تقطعها قوافل الابل في العصور القديمة يومياً فقدتها: بموجب الأرقام المعطاة من قبله، ٧, ٢٤ ميلاً وهي تساوي ٣٧ كم^(١٣٦). وهذه هي النسبة الوسطية للمسافة التي يقطعها في نهار واحد جيش حسن التدريب^(١٣٧). وعلى سبيل المقارنة، هناك معطيات بأرقام تتعلق بسير الحيوان (الجمال) في المنطقة التي نحن بصدها تعود الى عام ١٩٣٠. فكانت الجمال تحمل ٢٠٠ الى ٣٠٠ كغ من البضائع. والبغال ٨٠ كغ، والحميز ٥٠ كغ، وهكذا كان حمل القوافل التي كان يشترك فيها الحيوانات الثلاث عام ١٩٣٠) ولكن من غير المؤكد، أن هذه الأحمال كانت تطبق بنفسها في العهد الروماني). كانت القافلة تحط في نهاية اليوم بعد اجتياز مسافة ٢٥, ٣٠ كم. وكان يمكنها بدون حمل، اجتياز مسافة ٤٠ كم^(١٣٨). ولكن (les mensons comelorum) مانوه به بليان لربما كان يقصد محطات وحدات المهجنة وليس القافلة المثقلة بالأحمال.

واذا عدنا الى الميدان الاقتصادي نجد ان النقل بواسطة الجمل الذي كان يناسب المناطق الجافة وشبه الجافة في الشرق الأدنى، كان بالوقت نفسه، مريحاً، بالنسبة لتلك البلاد المحرومة من المواصلات البحرية. ان مرسوم «ديوكليسيان» حول الأسعار المؤرخ عام ٣٠١م، حددت تعريفات النقل المتنوعة، حسب الوسيلة المستخدم: فإن أجرة نقل الليرة الواحدة من أصل ألف بواسطة (الجمال) هو أقل بـ ٢٠٪ تقريباً من أجرة نقلها بواسطة عربة جر أبقار^(١٣٩). والضريبة المفروضة على «الجمال» هي أقل بكثير من الضريبة المفروضة على وسائل النقل الأخرى حسب القانون الضريبي التدمري لعام ١٣٧م. ولكن بموجب الحالة الأخيرة، يكون الموضوع متعلقاً بأجراء هدفه حماية الفعالية التجارية الوطنية ذات الدخل المربح^(١٤٠). وعلى كل حال، فإن مثل هذا الاجراء المتخذ في البلاد التي كانت تسمح طرقها الرومانية بسير عربات الجر، يحمل على الاعتقاد بأن الجمال الذين كانوا يحتلون مكاناً متفوقاً، لم يحتفظوا في سورية، خلال القرن الثاني الميلادي، بالامتياز التجاري للنقل. وهي ظاهرة حصلت في بدء العصور الوسطى^(١٤١).

مع أن حوران القديمة لم تكن تدرك الحاضرات الكبرى للقوافل، كما هو الحال في «تدمر» و«بترا»، فقد حبّذ بعض كبارها العمل في تجارة القوافل. وتضاريس جبل حوران مع قممه المخروطية البركانية، قدمت للجمالة نقاط علام منظورة من بعيد جداً، اذ بفضلها كانوا يتمكنون من التوجه الصحيح^(١٤٢). وعلينا أن نتذكر أنه في حال عدم توفر الطرق المعبدة بالحجارة، كان المسافر يتوجه بواسطة النجوم أثناء الليل، أما في النهار فكان يتم التوجه

بواسطة نقاط العلام المميزة^(٨١). وليس على سبيل الصدفة، ان الطرق الرومانية والدروب القديمة تنصب جميعها باتجاه التل البركاني لصلخد المنظوردائرياً على بعد عدة كيلومترات. وبقيت بعض المناطق صعبة السلوك للقوافل، مثل اللجا والجبل والحرّة (Harra) المغطاة بالحصى الصغير الحاد والقاطع الذي يجرح أرجل الجمال^(٨٢). ولتسهيل الوصول الى مركز القوافل في بصرى، فقد تم، في العصر الروماني انشاء طرق معبد محمية بالأبراج في اللجا والجبل، كما تم تبليط الطرقات بالحجارة في «الحرّة»^(٨٣).

بالاضافة الى هذه الخصائص الطبيعية، وهذه التحضيرات الأساسية، كانت القوافل في حوران تلقى الكثير من التسهيلات في مجالات شتى، بالقرب من مواقع «الصفويين» الذين كانوا يحتلون المناطق الشرقية والجنوبية من الجبل جاوا (Jawa) نهارا (namara) وعدة مواقع أخرى شرق اللجا. وبالقرب من مربي الخيول والجمال والحمير^(٨٤)، كان يتيح لتلك القوافل اقتناء الحيوانات بسهولة، كما أن سلسلة المخافر الرومانية المحصنة والمتمركزة بصورة مفضلة على نقاط المياه، كانت توفر الحماية النسبية ضد البدو الرحل وقاطعي الطرق، كما أن (Phrauria) الفروريا المشهورين، كانوا يقومون بمهمة الضابطة الجمركية في العصر البيزنطي^(٨٥). وكانت البركة تؤمن الشرب للحيوانات والتزويد بالمياه من جديد للمسافرين. واسم «بركة الحج» في بصرى يفيد بأنها كانت مخصصة للمسافرين بصورة أساسية. وكان في بصرى في العصر الروماني جماعة من صانعي القرب لهم أمكنة مخصصة على المسرح^(٨٦) وكانت نشاطاتهم مرتبطة بالقوافل التي كانت ترتاد المدينة.

ومع انحطاط حاضرات القوافل في «بترا» ثم في «تدمر»، فقد ازدادت نسبياً أهمية المراكز الأخرى لهذه القوافل مثل دمشق، وبصرى في نهاية العهد القديم. وتفيد المراجع الأدبية العربية التي درسها P.Lammens^(٨٧)، بوضوح، عن أهمية تجارة القوافل المتجهة نحو «حوران» في القرن السادس والسابع للميلاد. وقوافل الحجاز التي كانت تراقبها، لدى دخولها الى الامبراطورية الرومانية، حيث كانت اللجان التجارية تصل الى مدن غزة وبصرى^(٨٨). يبدو أنه لم يكن يسمح للبدو بالذهاب بعيداً نحو الشمال. وبدت بصرى وكأنها مكان لفك الترحال^(٨٩)، حيث منها يعاد نقل العطور العربية الجيدة وزبيب الطائف والجلود والمنتجات الأخرى الحجازية^(٩٠) الى دمشق والى فلسطين أو لبنان، بينما العرب كانوا يتزودون بالمنتجات السورية. وكانت هذه التجارة مراقبة بدقة متناهية، حتى أن البيزنطيين كانوا يمنعون تصدير بعض المنتجات المطلوبة بكثرة، مثل الذهب والسلاح والزيت، والنبذ^(٩١)، ومع الحبوب المسموح بتصديرها، تكون جميعها من عداد منتجات حوران الرئيسية. وكان يوجد طائفة من صانعي المجوهرات في بصرى، على الأقل خلال العصر الروماني^(٩٢). وأيضاً من صانعي الأسلحة^(٩٣). ولا بد من الإشارة أيضاً الى

صناعة الأسلحة الشهيرة بدمشق، وقد أكدها سجل النبلاء Motitia Dignitatum الصادر في القرن الخامس الميلادي^(٩٧)، واستمرت شهرتها حتى القرن ١٩، وأخيراً كانت زراعة الكرم والزيتون هامة جداً في الجبل، وكانت تصل هذه المنتجات الى الحجاز بفضل الاتفاقات التجارية التي كانت تجري مع رؤساء القبائل الغسانيين، الذين كانوا، في ذلك الزمن، يقومون بتفتيش ومراقبة طرق «حوران» التي تبعد عن مراكز المدن.

أصبحت بصرى إبان العصر البيزنطي، وكأنها مركزاً لسوق واسع جداً، استناداً للمصادر العربية، وكانت المدينة مُسورة، وكان ترحال القوافل يحط عند أسفل الأسوار والتجارة التي مارسها النبي «محمد» في طفولته، والتي كانت تجري حسب الاعتقاد في الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، وفي حدود المكان الذي كان يعتقد أنه معسكراً للفيلق، وحسب الحديث والرواية، كانت تنوخ ناقة النبي في هذا المكان، أثناء السفر، وقد شيد على أرضه مسجد في مطلع الاسلام دعي (مسجد مبرك الناقة) أي المكان الذي كانت الناقة تترك فيه^(٩٨). وقد يكون لهذه التسمية، التي لا تأتي بصراحة على ذكر النبي، مصدر قبل الاسلام يشير الى ذكرى المحطة الأخيرة للقوافل.

٤ - ٣ المواصلات بين القرى : والمواصلات بين المدن :

ان آثار تقسيمات الأرض القديمة، من حيث وفرة ونوعية ضرائب العصر الروماني، وبعض ينابيع المياه التي بقيت حتى وقت متأخر^(٩٩)، تثبت بأن حوران كانت في القديم منطقة زراعية وغنية جداً في انتاج الحبوب في «النقرة» - والاشجار بالجبل، ونتيجة لهذه الفعالية، يفترض وجود شبكة ريفية كثيفة، كانت تستخدم لنقل مختلف المنتجات نحو الأسواق، مثل بصرى - دمشق أو نحو مدن فلسطين. ان غياب آثار الطرق المعبدة بالحجارة في «النقرة» تدعو الى الاعتقاد، بأن مجموعات السكنية كانت ترتبط فيما بينها، بواسطة الطرق الترابية. وقبل الحرب العالمية الأخيرة. كان هناك مثل هذه الطرق في هذه المنطقة، مشكلة حول كل قرية بما يشبه نجمة (عقدة اتصال). وهذا ما كان يتفق مع انظمة الصيانة القديمة المتبعة في الأراضي، وبما لاشك فيه فقد حافظت الطرق المعبدة على طرق هذا الموضوع أكثر من ذلك.

ان حركة المرور المدنية التي كانت تختلط مع حركة المرور العسكرية على الطرق الرومانية جعلت حياة سكان المدن الرئيسية صعبة، وقد انشئت خانات سميت باليونانية «Eenwnes» وفق النقوش المكتشفة - لحل مسائل الإقامة. عرف منها اثنان في حوران على طريق دمشق - بصرى، في مدن المسمية والسويداء^(١٠٠).

الخلاصة

إن أهم ما قدمه هذا البحث، كان وضع طبوغرافية واضحة للطرق الرومانية في جبل حوران وجواره. ومع ذلك لم تتناول الطرق الرومانية فقط. ووسائل البحث التي أجريت هنا (من معاينة الصور الفوتوغرافية الجوية، والتحقق على أرض الواقع خلال عام ١٩٨٨ / ١٩٧٨)، لم تطبق بصورة منتظمة في البحث حول طرق المواصلات الثانوية التي كان يسيطر عليها الأهالي والتي كان يرتبط بها العديد من قرى حوران.

وموضوع آخر لبرنامج الأبحاث هذا يمكن أن يدرس دراسة دقيقة، العلاقات القائمة للطرق بين الطرق الريفية في منطقة الجبل، حيث الكثافة لآثار الطرق الرومانية فيها، مهمة جداً^(١٦٥).

من جهة أخرى، فإن الوضوح الطبوغرافي الذي أمكن الحصول عليه هنا في الجبل غير متوفر في النقرة، وفي أطراف الجولان، نظراً لنقص الصور الفوتوغرافية الجوية التي تكشف عن هذه المناطق. وهذا الشك يترك موضوع الطريق المستقيم الذاهب من دمشق الى درعا معلقاً^(١٦٥)، وهو اليوم على غاية من الأهمية، ولو كنا غير متأكدين بأنه ينطبق على طريق روماني قديم سبق انشاؤه.

إن امتداد البحث نحو فلسطين - تدمر - والأردن، يسمح بتحديد مدخل خطوط السير الكبرى الاستراتيجية والتجارية بدقة أكبر، دراستها الحالية ابانت الالتقاء مع «بصرى» وهذا أيضاً يتطلب الأمر، بصورة خاصة، الاهتمام بالدراسة حول المعسكرات العسكرية الرومانية في الشرق من الجبل وزيادة الدقة بتحديد الطرق الاستراتيجية غير المعروفة تماماً حتى الآن في هذا القطاع. على سبيل المثال: خط السير المستقيم Strata Diocletiana، الذي لا يزال موضوع مناقشة وخلاف Controvers.

وأخيراً، ستجري دراسة عميقة حول الشروط التجارية التي كانت سائدة في المنطقة في العصر الروماني حيث لا تزال معلوماتنا نادرة جداً. وحتى بالنسبة للعصر البيزنطي^(١٦٦) وأيضاً ستجري دراسة منتظمة حول تجمع النقوش الأثرية الصفوية التي قد تساعد على المعرفة الحقيقية لمدى فائدة استخدام الطرق الرومانية أو بالعكس، مدى مضاعفة فاعلية الطرق التجارية الكبرى. حول خطوط سير القوافل التي كانت ترتاد مدينة بصرى في القرن الأول وحتى القرن الخامس الميلادي.

th- Bauzou

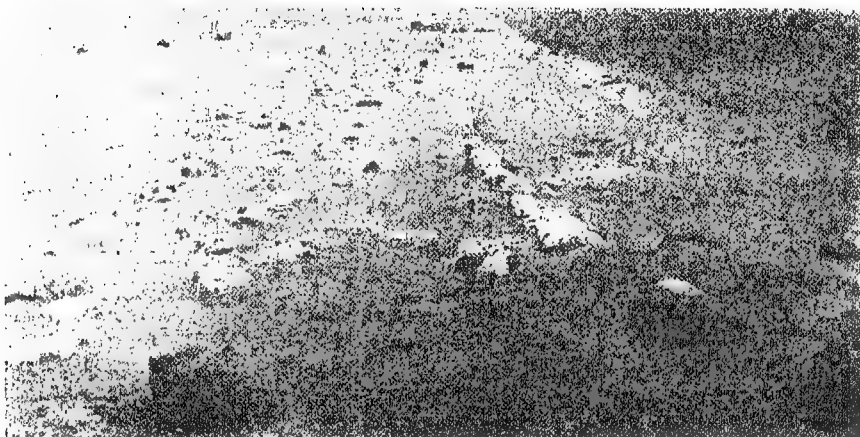
ان هذه المقالة التي كتبت خلال عام ١٩٨٠، وتم تنقيحها عام ١٩٨٢، تشرح بطريقة تركيبية وضع المسألة الراهن في هذا التاريخ وعام ١٩٨٥ جرى تحديث فهرسة بعض

المراجع والنقاط . ولا تزال معلوماتنا حول طرق المواصلات في حوران تتطور وتعمق ، على سبيل المثال : العثور على نقوش ، من قبل منقيين انكليزي في منطقة الأزرق أوضحت مدى فعالية الطرق الرومانية في هذا القطاع تحت حكم سبتيم سيفر . وبدون العودة الى تكرار المناقشة حول النتائج الرئيسية لهذا البحث ، نذكر بأن التنقيبات الأثرية هي حالياً نشطة جداً في سورية الجنوبية وفي شمال الأردن ، حيث تظهر في كل عام المكتشفات الجديدة .

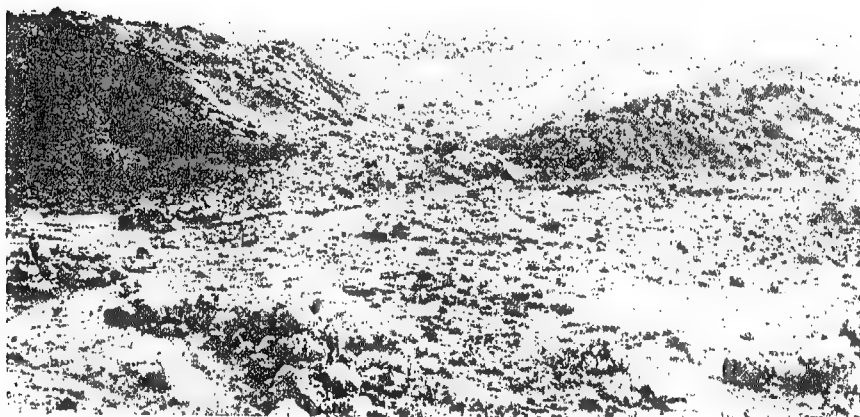
مراجع البحث

- المراجع المذكورة ادناه تتناول الترقيمات التي عثر عليها على طول الطرق الرومانية التي تمت دراستها هنا. البعض من هذه الصّواة (احجار تنصب كل ألف خطوة على الطرق الرومانية) خرب خلال العصر الذي وضع فيه، والبعض الآخر اختفى.
- أ - ترقيمات ميلية على طريق اللجا من المسمية الى عريقة.
- السيد دونالد - الطريق الروماني لللجا. Mem اكلسو ١٣، ١٩٣٠ - ١ - ٢ ص ٥٢١ - ٥٥٧.
- ب - الترقيمات ميلية de la via nova traiana (من بصرى الى عمان)
- ١ - «جرمر دوران» عرض حول الاستكشافات الأثري، خلال عام ١٩٠٣، للطريق الروماني بين «عمان وبصرى» المجلة الهندسية JHS ١٩٠١ - ص ٣ - ١١.
- ٢ - ورونوود ومازوينكي، الولاية العربية، ستراسبورغ. ١ - ٤٤ - ١٩٠٥ ص ٢٢١ sq
- ٣ - د. ماجي PPUAES - ٣ - A - ٢ ملحق ١٧ - ٢٨.
- ٤ - ب كومسون oie ronischen Meiliusteine للولاية السورية (العربية وفلسطين) 20 ١١ - ١٩١٧ - ٣٤ - ٤٧.
- CH - ٣ - ١٤٥٠ - ٥، ٦، ٧.
- ٥ - م. سارتر ١. ١. الى - ٢٢ - ١٩٧٢ ص ١٧١ (بالنسبة للميل رقم ٤ بدء من بصرى).
- IGLS - ٨ - رقم ٩١٠٠ و ٩١٠٢.
- ج - ترقيمات ميلية عثر عليها في قلعة (فدين)
- ١ - ر. ديسورحلة رقم ١١٥ - ١٥٠.
- ٢ - ج. جرمر دوران - art - cit ص ١٢٤٤.

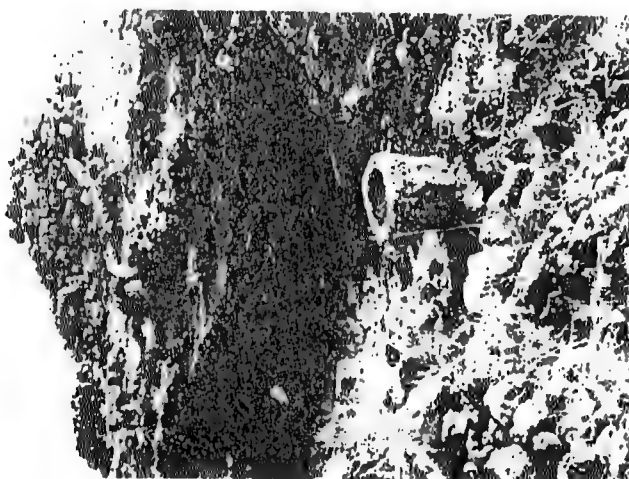
- ٣ - برونو ودومازويسكي op- cit- ص ٣١٤ - ٣١٥ .
- ٤ - ب - تومسون art - cit ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- د - نقوش تتعلق بطريق «بصرى - طبريا» .
١ - جسر الطيبة
ر . ديسو الرحلة رقم «١٥٤»
- ج - جرمر دوران art - cit ص رقم ٥٤ .
- ترقيمات ميلية لعدد ٩٣ ألفاً اعتباراً من Hamathra
ج . ب ده كوكبيس - AAS - ١٩٦٥ . ١ - ص ٧١ رقم ٧
م - سارتر IGLS - ١٣ رقم ٩١٠١ .
- هـ - ترقيمات ميلية بصري لمسافة ٩٣ ميل اعتباراً من «حماتا» Hamatah .
- ١ - ج . ب دو كوكبيسو AAS ١٩٦٥ - ١ - ص ٧١ رقم ٧ .
- ٢ - م سارتر ، IGLS ، ١٣ رق ١٩٠١ .
- و - ترقيمات ميلية «صيححا» .
- ٤ - ليتان ، PPUAES ، ٣ - A - ٢ - رقم ٤٤٤ .
- ز - ترقيمات ميلية «ام القطين»
١ - ر . ديسو رحلة رقم ٨٧ .
- ٢ - E ليتان ، PPUAES - ٣ - A - ٢ - رقم ٢٠٨ - ٢٠٥ .
- ح - ترقيمات ميلية «تل الغربية» بين صلخد وأم الفطين
ر . ديسو - رحلة رقم ٤٠٢ .
- ترقيمات ميلية في الشبيكي : R. Dussaud رحلة رقم ٧٣
P. Thomsen art, cite) صفحة ٣٠ .
- ترقيمات ميلية Strater Diocletiana على بعد ٨ كم في شمال شرق السعفة
السيد دوناند NL II RB strater Diocletiana عام ١٩٣١ ص ٢٢٨ .
- ترقيمات ميلية في منطقة الأزرق .
D. L. Kennedy : التنقيبات الأثرية على التخوم الرومانية وشمال شرق الاردن
BAR, I net, S عام ١٩٨٢ ص ١٦٢ - ١٨٣ الأرقام ٢٨ - ٣٦ .
- ان مجموعة الترقيمات الميلية لطريق Via nova trouana بين بصرى وفيلادلفية ستجمع
في مدونة Corpus osc hanstif شاملة ، تحتوي على العديد من الوثائق غير المطبوعة (t.)
Bauzou ان طريق تراجان الروماني بين بصرى وفيلادلفية ، في خربة السمرة ، (D.A.)
Desreumaux et J. B Hambert (قيد التحضير) .



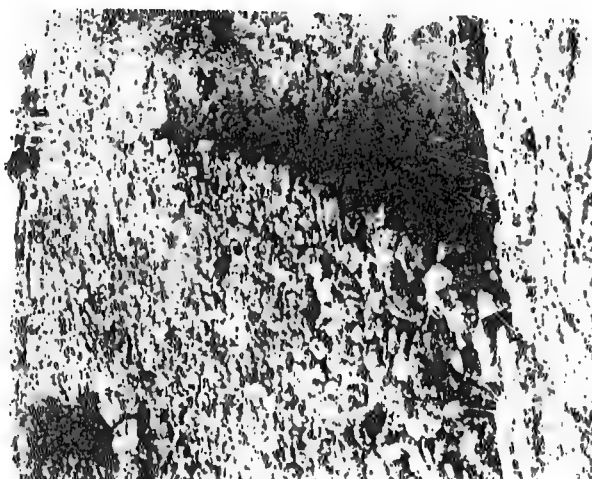
أ - الطريق الروماني - من بصرى الى جبرازا (Gérasa) قرب أم السراب



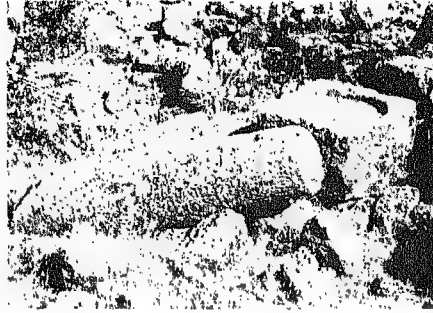
ب - الطريق الروماني في «اللجاء» بين التدفقات (الحمم) البازلتية



ب - نفس الطريق - مع ردم منخفض



أ - طريق روماني في واللحاء - قرب منارة الحور - قاعدة الترميم المائي مع البرج



أ - طريق روماني في اللجا
قرب منارة الخنو ترقيم
ميلي مع قاعدة



ج - تضريريس ، عليه دولاب في منارة الخنو

ب - تضريريس عليه دولاب من حجر في سحر saher



د - تضريريس مع نفوش (قافلة من حمير) في عين الرمان - متحف السويدياء رقم ٢٣١ .



أ - جسر روماني في جريز - قرب بصرى -



ب - موزاييك في دير العذس، في متحف مجموعة المتحونات في (قلعة بصرى).

هوامش

- ١ - فيما عدا الخريطة العامة التي هي ملحقة بهذا المؤلف التي هي بمقياس صغير، يمكن عند طلب الاستدلال على توضيح المسائل الطبوغرافية للرجوع الى خرائط ذات مقياس ١/٥٠٠٠٠ التي هي اكثر تفصيلاً بالنسبة لخوران.
- ٢ - C. F. خريطة مقياس ١/٥٠٠٠٠ الصنمين.
- ٣ - الطرق البرية والبحرية في عصر انطونيوس واغسطس Gunz-ed o الطرق الرومانية لبيزيغ ١٩٢٩
- ٤ - D. Sourdal الموسوعة الاسلامية S.V. بصرى.
- ٥ - M. Dunanad طريق اللجا الروماني mém Ac, Inscr XIII - ١١ - ١٩٣٠ - ص ٥٢١ - ٥٥٧.
- ٦ - PPUAES - ٣ - A - ٥ ص ٣٠٣.
- ٧ - seg - ٩ Dunand ef المرجع نفسه.
- ٨ - D. H. Kennedy التنقيب عن الآثار (. . .) في الشمال الشرقي للاردن - BAR Serie international ١٣٤
- ١٩٨٢ ص ١٥٧.
- ٩ - Ibid المرجع نفسه.
- ١٠ - A. Poldebard آثار روما في صحرا (بادية) سورية BAH XVIII ١٩٣٤ الخريطة.
- ١١ - Appendix - PPUAES, III A2 ص ١٤.
- ١٢ - Kennedy A. cit- op- D. ١٥٢ . A. Desereumaux et J. b, x Humbert خربة السمراء (قيد الانجاز).
- ١٣ - ر. دوسو-و- ف . ماكلر، رحلة ص ٤٣٣.
- ١٤ - PPUAES, III, A, 2 من رقم ٢٠٥ الى رقم ٢٠٨.
- ١٥ - Supra- CR. رقم ١٣.
- ١٦ - R. DSussaud et F. Macler, Mision. P. 290 No 154; J. Germer- Durand, Bull, Arch, CTHS, 1904. p. - 32. No 51
- ١٧ - Die Ramisch Strasse von Gerasa nach Adraa- S. Mitmann 2 DPV - ٨٠ - ١٩٦٤ ص ١٤٣، ADAJ - ١١ - ١٩٦٦.
- ١٨ - A.A.S. - ١٩٦٥، ص ٧١، رقم ٧.
- ١٩ - RB- 1931- m. Dunand, La Strats Diocletiana ٤٢ نيسان ص ٢٢٧ - ٢٤٨ (تموز صفححة ٤١٦ - ٤٣٤) تشرين أول ص ٥٧٩ - ٥٨٤.
- ٢٠ - c.f خريطة مقياس ١/٥٠٠٠٠ خربة الاومياشي.
- ٢١ - من المفيد الاستعلام عن تاريخها دون التعمق في الدراسة. ولكنها ترجع الى ركائز بعض الابراج الرومانية التي امكن مشاهدتها قرب قنوات.
- ٢٢ - Cf- Suppra- P. Geutelle.

- ٢٣ - Cf. Supra رقم ٦ ورقم ١٦ .
- ٢٤ - يمكن مقارنة هذه البنية مع بنية الطريق الروماني بين انطاكية وشالسي الذي درس من قبل السيد يونديار وموتارد في مؤلف سورية ١٠ - ١٩٢٩ ، ص ٢٢ .
- ٢٥ - F. Salame . الطرق الرومانية في افريقيا الشمالية . الجزائر ١٩٥١ ، بالنسبة للعربية cf مثلاً : برمو ودومازويسكي - الولاية العربية ١١ - ص ٢٤ .
- ٢٦ - Cf Waddington رقم الحاشية ٢٢٦٤ .
- ٢٧ - F. M. A. bel . جغرافية فلسطين ١١ - صفحة ٨ - ٩ .
- ٢٨ - D. Bedford . دراسة في تاريخ الآثار في الاردن (يجب ان لا يختلط مع الندوة الحديثة التي نشرت من قبل (آ - حديدي) وقد ذكر ذلك F. H. Abel - cit-op- ص ١٠
- ٢٩ - المرجع نفسه - ص ١٢٩ .
- ٣٠ - Jos .- ٢٨٥ A) - ١٦ -
- ٣١ - Cf سلسلة امتان ، كليرمون ، جانو ، RAO . ٤ - ص ٧٠ كتابة الديوان ٢١٨ Cis II - دوسو ، ماككر الرسالة ص ٤٧٤ C. V. Bowersoke رومان / ارايبا ص ٧٣ .
- ٣٢ - ١١ cor . II ، ٣٢ - ٣٣ .
- ٣٣ - C.W. Bowersok تقرير حول الولاية العربية JRS - ٦١ - ١٩٧١ ص ١٩ - رومان آرابيا - ١٩٨٣ ص ١٥٥ .
- ٣٤ - النشر قيد الانجاز وسيشترك فيه A. Desreumaux ، J. b. Humbert ، بحرية السمرة .
- ٣٥ - نشرت في الحاشية رقم ٣٠
- ٣٦ - Strab ١٦ - ٢ - ٢٠ .
- ٣٧ - القنوات ، وارينفتون . ٢٣٢٩ ، سيع آي ، ليتان PAES ١١١ - ٨ رقم ٧٦٦
- ٣٨ - المشف . ك - برانتيس . AAES - ٣٨٠ .
- ٣٩ - يلاحظ مع ذلك بان الطرق الرومانية في الولاية العربية قد بدى بإنشائها في جنوب الولاية . أما الطرق المنشأة في منطقة البترا انشئت عام ١١١ م وبصرى لم ترتبط بفيلا دلفيا الا عام ١١٤ م .
- ٤٠ - مستخرج من أعمدة (مقاييس الأميال) من ١١١ - ١١٤ التي أمكن العثور على البعض منها مع طول هذا الطريق .
- ٤١ - Cf - infra ص ١٥٤ .
- ٤٢ - Cf رقم ١١ .
- ٤٣ - م ، دونان (حاشية رقم ٥) ص ٥٤٣ في الميل ١٤ .
- ٤٤ - وادينفتون (رقم ٢٤٣٨ (العريقة) ورقم ٢٥٢٥ المسمية) .
- ٤٥ - ر . دويسو - و . ف . ماككر ، الرسالة رقم ١٥٤ .
- ٤٦ - cf - مثال : A و Levi M Hinerarum picta روما ١٩٦٧ ص ٢٨ رقم ٣٠
- ٤٧ - Hinerarium أنتونيني - ١٩٦ - ١٩٧ .
- ٤٨ - وادينتون رقم ٢٠٧١ .
- ٤٩ - آثار الطريق مرورادي مائل لما يشاهد جنوب جمرين . قد عثر عليه بين قنوات وسيع .

- ٥٠ - Supra - P. Gentelle . et
- ٥١ - R. Dussoud الرحلة رقم ٧٣ .
- ٥٢ - ان الصور الجوية لم تكشف أي آثار للمحيط المباشر لبصرى .
- ٥٣ - تنقيب عام ١٩٧٨ - خريطة السويداء مقياس ١/٥٠٠٠٠ لم تشر إليه إلا كطريق ريفي (درب) مماثل للطرق الأخرى (وهذا كان خطأ)
- ٥٤ - تختلف الآثار بكل وضوح بعد كيلومتر واحد من جنوب شرق «تل غينة» وهذا ما يتيح مشاهدة الطريق الرومانية
- ٥٥ - م . دوناند - (حاشية رقم ٥) . MAIBL - ١٣ - ١ - ٢ - ص ٥٣٢ - ٥٣٦ Cf حول مبادئ الاشارات الضوئية في الجيوش الرومانية . R. Rebuffat - MEFRA - végèce et la Télégraphe chappe- ٩٠ - ١٩٧٨ ص ٨٢٩ .
- ٥٦ - م . دوناند R B - La Strata Diocletiana - ١٩٣١ - ص ٢٢٨ .
- ٥٧ - PPUAES ١١١ - A - ٢ رقم ٢٠٥ الى ٢٠٨ .
- ٥٨ - G. W. Bowersock (رقم ٣٣) ص ٢٣٠ .
- ٥٩ - اعيد نشر تاريخ الفرقة (الجنفل) السيرانيكى من قبل ف . شايوفى مؤلف حدود الفرات باريز ١٩٠٧ . والوثائق التي اعتمدت عليها هي التالية : يحتمل تاريخ - ٥ - ١ جوزيف B. - ٥ - ١٤ حرب اليهودية الأولى - ١٠ cil - ٣٧٣٣ حرب البارث تراجان cil - ١٤ - ٢٦٤٠ و Ep Ann - ١٨٩٥ رقم ٧٠ حرب اليهودية الثانية - ١٦١٠ cil أو يمكن ١٦٥١ - ووادينفتون ١٩٢٨ - الحرب البارتية لكراكلا - السيد سبيدل ANRW - ١١ - ٨ ص ٦٩١ - ٦٩٧ .
- ٦٠ - G. W. Bowersock (حاشية رقم ٣٣) ص ٢٣٠ .
- ٦١ - آ - ستين - مشاهدة الطريق الروماني على الحدود في العراق وشرق الاردن . الجريدة الجغرافية ٩٥ - ١٩٤٠ .
- ٦٢ - ميشيفان بابيري ٨ - آن - أربور ١٩٥١ - رقم ١٦٦ - المرجع ، السيد سارتر - cil op ص ٧٨
- ٦٣ - R. Bullett «الجمال والدولاب» كمبريدج (ماس) ١٩٦٥ .
- ٦٤ - صور فوتوغرافية معادة في آ - بارو - اشور - coll - دنيا الاشكال ص ٤٤ - رقم ٥٣ - ص ٤٦ - رقم ٥٥ .
- ٦٥ - مؤلف «ديوكليسيان» ، حول الاسعار . تعرفه تدمر . Infrs ص ١٥٧ ورقم ٨١
- ٦٦ - آدمناي . ده . لوسيس سانكتيس ١١ - ١٢ - كوربيس - كريستيا نوريوم - سيري لاتينا CLXXV ص ٢١٤ .
- ٦٧ - Albright- W. F - الآثار في ديانة اسرائيل ص ٩٦ - ١٠٠ .
- ٦٨ - R. Bullett ورد في الحاشية ٦٣ .
- ٦٩ - CI . الصورة URA رقم ٢٠ in Situ
- ٧٠ - Spijkerman - A - زوايا ديكابوليس ، في الولاية العربية - القدس ١٩٧٨ - ص ٢٥٠ رقم ٢١ - ٥٩ .
- ٧١ - cf. supror فيما يخص انشاء الطرق اوترقيهما ، من جهة اخرى يوجد آثار لترميم طريق اللجاشمال خربة الرصيف .
- ٧٢ - U. R. A. cf photo رقم ٢٠ - متحف السويداء رقم ٢٣١ . منقولة من عين الرمان .

- ٧٣ - cf. fig. URA رقم ٢٠ متحف بصرى .
- ٧٤ - سترابون ١٦ - ١ - ٢٣ .
- ٧٥ - آ - سبيجكرمان cit-op ص ٦٨ - و sq رقم ٣ - ٤ - ٩ - ٣٠ - ٣١ الخ .
- ٧٦ - R. du mesnil du Buisson أقسام تذاكر المسرح وعمليات تدمير باريز ١٩٦٢ - ص ٤٣٥ .
- ٧٧ - دينيه . م يميلويس سكورس (سيدنيهام رقم ٩١٣) رسالة تراجان ARABIA ADQVISITA Blc رقم ١٤٢ .
- ٧٨ - ١٢ phne - ١٤ - ٣٢ - ٦٤ .
- ٧٩ - vegece : يدل في هذا الموضوع على ٢٤ ميل (Epilom 1-9)
- ٨٠ - R. thoumin الجغرافية البشرية لسورية الوسطى باريز ١٩٣١ ص ١٨٩ .
- ٨١ - R. Bouillet cit رقم ٦٣ صفحة ٢٠ .
- ٨٢ - J. G. Fevrier بحث حول التاريخ السياسي والاقتصادي لتدمير باريز ١٩٣١ ص ١٨٩ - ١٩١ .
- ٨٣ - cf رقم ٦٦
- ٨٤ - Strabon ١٧ 1.45 - ١ - ٤٥ .
- ٨٥ - R. Duosoud مدخل ص ١٣٥ كانوا مضطرين الى لف أسفل أرجل الركائب بأشياء واقية من الحصى الحاد ليتمكنوا من متابعة المسير . هذا الموضوع كان سائداً في العصر المتوسط . انظر معلقة لبيد ص ٢٣ وقد رواها P. lam mens في مكة في مستهل الهجرة .
- ٨٦ - Cf. Supra
- ٨٧ - F. Dussoud المدخل صفحة ١٣١ .
- ٨٨ - ب . لا مانس (حاشية رقم ٨٥) ص ١٤٣ .
- ٨٩ - م . سارتر IGLS - ٨ رقم ٩١٥٨ - ٩١٦٠ .
- ٩٠ - ب . لامانس (حاشية رقم ٨٥) Passim
- ٩١ - المرجع نفسه ص ١٢٩ .
- ٩٢ - عطور العربية السعيدة - زيب الطائف جلود الحجاز (ب . لامانس ١٢٠ s . ٨ - ص ١٢٠ - ١٧٨ - ص ١٨٨ .
- ٩٣ - ب . لامانس (حاشية رقم ٨٥) . ص ١٣٨ .
- ٩٤ - م . سارتر IGLS - ١٣ رقم ٩١٦١ - ٩١٦٣ .
- ٩٥ - ب . لامانس - art (حاشية رقم ٨٥) ص ١٤٢ .
- ٩٦ - الصناعات الشرقية (. . .) (Scrutaria et armorum Damasci) .
- ٩٧ - سليمان مقداد - بصرى حاضرة اسلامية (الآثار) ١٤٨ - ١٩٨٠ - ص ٢٦ .
- ٩٨ - ر . دوسو . طبوغرافيا - والرسالة - Passim
- ٩٩ - المسمية GIG ١٥٥١ - السويداء - وادينتون رقم ٢٣٠٩ .
- ١٠٠ - D. van Berchem جيش ديوكليسيان والاصلاح القسطنطيني . باريز ١٩٥٢ ص ١٠ - ١٣ . M.
- Sarter ثلاث دروس حول العربية الرومانية والبيزنطية بروكسيل ١٩٨٢ ص ١٣٣ .

هوامش المترجم

- ١* - النقرة هي الجزء الواقع غربي طريق دمشق دحرا شرقاً والطريق الواصل بين دمشق - القنيطرة - الحمة - غرياء وبين نهر الأعوج شمالاً ووادي اليرموك جنوباً.
- ٢* - ان افتراض وجود هذا الطريق أمر منطقي لأنه يربط بين عاصمتين هامتين هما: دمشق والبتراء، لاسباب استراتيجية وتجارية وادارية، خاصة إذا علمنا أن هذا الطريق كان معروفاً منذ العصر الهليني وطوال العصر النبطي.
- ٣* - تجدر الإشارة هنا أن المسافة المذكورة عن لوحة بونتجر تنطبق تقريباً على إحدى القرى القديمة الواقعة شمالي «المسمية» وتسمى «أم القصور» ويبدو من بقايا آثارها أنها كانت قرية هامة، وغنية بالأبنية الجميلة وتستحق الدراسة.
- ٤* - يطلق السكان على هذه المعابر البدائية اسم «مخاضة» عندما لا تكون مبنية بشكل في يتخللها فتحات مسقوفة وتعد استمراراً للطريق. وهذا النوع من المخاضات موجودة بكثرة في محافظتي درعا والسويداء هدفها سهولة تجاوز الوديان في فصل الشتاء.
- ٥* - يطلق السكان في محافظتي درعا والسويداء على هذه الجدران اسم «خبكة» وأحياناً اسم «سنسال» أو «حبل» إذا كانت أكثر ارتفاعاً، وتستخدم في بناء الأحجار والحصى الذي يتجمع من الأراضي والحقول المجاورة وغالباً ما تكون بعرض يتراوح بين (٥٠ الى ١٠٠) سم ولا يزيد ارتفاعها عن نصف متر إذا كانت من النوع الموجود حول المسالك، أو من الحقول الزراعية.
- ٦* - يتضح من هذا النص أن الطرق الرئيسية الاستراتيجية الواصلة بين دمشق والجزيرة العربية ومصر عن طريق فلسطين كانت مخططة ومعروفة منذ العصر النبطي، وقد تم تحسينها ومضاعفتها بطرق أخرى مثل الطريق العسكري السويدياء - المسمية - دمشق.
- ٧* - ويتابع هذه الطريق أيضاً إلى نوى والكسوة فدمشق.
- ٨* - جوزيف: كاتب ومؤرخ يهودي يسمى فلافيوس جوزيف وقد خدم عسكرياً في الجيش الروماني، ويقال أنه ألف كتاباً باسم «حرب اليهود ضد الرومان» صور فيه الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية في عصر السيد المسيح، وهو في رأيي كتاب وضع في وقت لاحق.
- ٩* - نسبة إلى منطقة الصفا الواقعة في البادية شرقي جبل العرب.
- ١٠* - إن هذه الحججة لا تكفي للتأكيد على عدم وجود العربات التي كانت تجرها الخيول والابقار في القرون السابقة للميلاد والقرون الأولى التالية، ذلك أن الطرق الرئيسية كانت صالحة فعلاً لسير العجلات بالإضافة لقوافل الإبل.
- ١١* - إن نظرة عاجلة على الطريق المرصوفة بالحجارة تؤكد أن استخدامها لم يكن لسير قوافل الإبل، فهذه تفصل السير على الطرق الترابية التي لا تؤذي أقدام الإبل.

* ١٢ - وطبيعي جداً أن تكون قوافل مخصصة لنقل البضائع من الجزيرة الى الشام وبالعكس وهذه الحركة التجارية الواسعة التي تؤمن التبادل بين الخليج والجزيرة ومصر، لا بد وأن يكون بواسطة الأبل، ولا غرابة في أن تفتخر بها بصرى عاصمة الانباط الثانية، فتسك نقدها بصورة قوافل الأبل. أما النقل داخل المنطقة الحضرية الممتدة بين بصرى ومدن الشام في الشام في الشمال فكانت تحتاج الى عربات الجر أحياناً وكذلك التنقل الى مدن فلسطين.

* ١٣ - لا أظن بأن خفي عن نظير وملاحظات الكاتب ندرة استخدام الأبل في النقل حالياً داخل محافظتي السويداء وحوران. بعد انجاز شبكة الطرق الواسعة الحالية وتوفر وسائل النقل الحديثة التي أصبحت الوسيلة الأساسية للنقل في هاتين المحافظتين خلال العقود الأخيرة من هذا القرن.

* ١٤ - يؤكد هذا الرأي ما جاء في أشعار امرؤ القيس قبل الاسلام، وشعر الشريف الرضي بعد الاسلام، ولما يدت حوران والال دونه. . . الخ.

* ١٥ - كانت بصرى في القرنين الأول والثاني ق. م وحتى القرن الثامن الميلادي مركزاً تجارياً هاماً تؤمه القوافل القادمة والآتية من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام.

* ١٦ - المقصود هنا هو الطريق الحاسي الواصل بين دمشق ودرعا مروراً بالكسوة وغبغب، والصمنين، وشيخ مسكين واطع وداعل. . .

الكتابات والنقوش النبطية وتاريخ سورية الجنوبية وشمال الأردن

تحمل هذه الكتابات والنقوش تاريخ العصر الهليني والعصر الروماني الأكثر أهمية .
غير أن معظم هذه النقوش يعود إلى العصر الأول الميلادي ، ويمكن أن يذكر منها ٢٥٠
نقشاً ، أغلبها من منطقة بصرى وجبل حوران (حالياً جبل العرب) " وبعض المعطيات
التاريخية تشرح تلك التقسيمات .

١ - التاريخ

١ - ١ الأنباط في العصر الهليني (الأغريقي) :

ورد أول ذكر للأنباط في المكتبة التاريخية العائدة (لِدِيُودُور دوسييل) الذي أورد
الحملات غير المثمرة لـ (Antigone) خلال عام ٣١٢ ، ضد مدينة بترّا التي كانت ملجأ لهم .

وقد قدمهم لنا كرامة وقادة قوافل وكذوي فعاليات في مؤخرة بلادهم الصحراوية بين سورية ومصر. وصفوا بأنهم عرب (ولكنهم أرسلوا كتاباً إلى Antigone بحروف سورية)، وهذا يعني بأن لغتهم الرسمية كانت الآرامية، حتى لو كانت أسباؤهم تكشف بأن لغتهم الأصلية هي العربية، لهذا يعتقد بأنهم قوم لا يتجاوز عددهم العشرة آلاف. (11-48et IX 94-1003) (١٠).

وهناك دلالة واضحة على بدء وجود النبطيين في المنطقة (وهو الشيء المهم هنا) كشفتها مخططة من محفوظات Zénon الذي كان وكيلاً لوزير المالية لـ Ptolomée phladelphie الذي قام بمهمة تفتيش للولاية المصرية (Coelesyrie - سورية الوسطى) وفينيقية في عام ٢٥٩ وقد ورد في هذه المخطوطة الاتجار بالعبيد، وكان يقوم بها شخصان اتجه الأول منها إلى منطقة حوران «Eis Aupava» وفيها قام بالاتجار مع النبطيين. غير أنه فيما بعد، دخل بشجار معهم انتهى بسجنه لمدة سبعة أيام (١١).

هناك مخطوطة أخرى من نفس المحفوظات، تشير إلى تسليكات حنطة إلى جماعة Rabbelos (١٢). وربابيل اسم اسرة مالكة، ويمكن بالتالي أن يدل على اسم ملك نبطي. وجد J. T Millk في محفوظات متحف دمشق - نصباً نبطياً غير معروف يشير إلى ملك نبطي، وقد وقد عزى تاريخ الكتابة المنقوشة على النصب إلى القرن الثالث، اذن إلى عصر زينون على الأقل، ولم يعرف أصل أو مصدر هذا النصب، ولكنه يعود إلى أمثاله الواجب البحث عنها.

وصف لنا Diodore النبطيين، بأنهم كانوا مستقلين عملياً في عصر Diadoque ويبدو أنهم استمروا على هذه الحال، خلال كامل القرن الثالث الميلادي وحتى الزمن الذي كان فيه البطالمة يقومون بتفتيش ومراقبة المنطقة حتى طرابلس ودمشق، ومن ثم خلال سيطرة السلوقيين أيضاً. وفي عام ١٦٣ ميلادي التقى بهم يهوذا المكابي (١٣) Judas Maccabée في جوار بصرى بعد ثلاثة أيام من اجتيازه نهر الأردن وسيره في الصحراء أي في المنطقة الواقعة شرق اربد. (I. Maccabées, 5,24. 28 et 28 of 2 Maccabées 12, 10, 12) حيث يتواجد هؤلاء النبطيون الذين كانوا يدعون عرباً وهم جماعة رحل ورامة، ولديهم ٤٥٠٠ فارس. ان الحدود التي كانت تفصل المملكة النبطية عن الامارة أو الولاية السلوقية في (بلاد جلعاد) كانت مهزوزة وقابلة للاختراق. وبلاد جلعاد كانت تمتد من بلاد موآب حتى بلاد الشام (باستثناء دمشق) وتشمل في شمال اليرموك، مقاطعات الجولان (gaulanitide و Batanéة شمال جلعاد و trachonitide اسم اللجا قديماً و auranitide حوران) وأراضي هيبوس hippos و (ديون Dions) تل الأشعري. أما في الجنوب أراضي (gadara أم قيس و Abila تل القويلبة) (على بعد ٢٠ كم شرق gadara أم قيس) (١٤).

وحوالي عام ٩٣ ميلادية، اصطدم الملك اليهودي الكسندر جانيه (Jannée Alexandar) (١٥)

مع قوات العرب الموابيين وسكان جلعاد (هنا المعنى مُقيّد) ثم دخل الجولان وفيها بوغت وهزم من قبل هجانة عبد اس أول ملك للعرب (A. J. + 111-37) s-q.B.j 1-89-sq وقد خلفه فيما بعد اريتاس الثالث الفيلهليني (philhellin) (حول أعوام ٨٥ - ٦٠) الذي أصبح سيد دمشق، وسورية الوسطى (Coélé- Syrie) فيما بين عام ٨٤ - ٧٢). ونحو عام ٨٠ جدد الكسندر حملاته إلى ما وراء الأردن، فاستولى على (Pella) وعلى (de Dion) تل الأشعري (gadara) أم قيس. ثم فيما بعد على الجولان الواقعة في (Batanée) وذلك في زمن أوشبب الذي أفاد بأنها عمت أسمها على المنطقة وعلى سلوقية على بعد ٢٨ كم إلى الشمال والغرب من سلوقية، وأخيراً على (gamala جملة) التي هي موقع محصن على بعد ١٨ كم شرق بحيرة طبرية، قرب قرية جملة الحالية، وهذا يعني على كامل الجولان (A. J. + III- 392-399. R. J-1-103-106).

١ - ٢ - المملكة النبطية على هامش الامبراطورية الرومانية :

بدأ احتلال تيفران لسورية منذ عام ٨٣ ق. م ولكن النبطيين لم يغادروا دمشق الا عام ٧٢. كما أن دخول الرومان وتحويل سورية الى ولاية رومانية من قبل (Pompée) بومباي عام (٦٤ - ٦٣) أرجع الأمراء المحليين الى حدودهم التقليدية، وبسط نفوذهم على الحاضرات اليونانية، التي اعترفت بالحكم البومبياني في شمال وجنوب اليرموك، وشكلت اتحاداً هساً فيما بينهما دعى (اتحاد المدن العشرة) Décapole، ولم تعد المملكة النبطية تشمل على حوران (aurantide) حينذاك، ولكن كان من ضمنها مقاطعتا درعا وبصرى، سيما وقد أقيم في هذه المدينة الأخيرة، هيكلاً منذ السنة الثانية لحكم الملك مالبخوس الأول (الماليكي) (نحو عام ٦٠ - ٣٠ ق. م). إذا أخذنا بعين الاعتبار نموذج الكتابة النبطية (cus 11, 174). وحتى نهاية حكمه تقريباً (عام ٣٠ ق. م) كان للماليكي علاقات جيدة مع السلطات التي كانت تحكم اليهودية مثل الحاخام هيركان الثاني (Hyrcan) (٦٣ - ٤٠) ووزيره الايدومي Antpiater الذي قُتل مسموماً عام ٤٣ ق. م. وابن انتيبار والأميرة النبطية سيبريس، وهيرودس، الذي أوكل اليه حكام سورية قبل تسلمه الحكم (٤٠ - ٤) مهمات جعلته على علاقة مع النبطيين وقد عينه Sextus Julius Ceasar (٤٧ - ٤٦) القاضي الأول على (سورية الوسطى Coélé- Syrée). (C. Cassius longinus, (A. J. XIV 180, B.j. 1. 213) (٤٤ - ٤٢) أثبت له لقب Epimélete المسؤول عن سورية كلها (A. J. XIV, 280, B. J. 1. 225).^(٧)

ومن عام ٤١ الى عام ٣٠ ق. م. كان انطوان (أحد الحكام الثلاثة) سيد الشرق. ولكن تحت تأثير كليوباترا Cléopatre التي عادت الى المطالبة بعودة الـ Lagide البطلمة الى البلاد جنوب (الوادي الكبير Eleuthere) الذي قام بتعديل خريطة الولاية العربية، ومنحها لها

ضمن بعض الأراضي ، عام ٣٦ ، مملكة كالسيس Chalcis (لبنان الشرقي) و (Coelé-Syrie سورية الوسطى) وفي عام ٣٤ : منطقة أريحا وقسماً من مملكة المالكيكي (المفتوحة على بحر خارجي (البحر الأحمر) (المؤرخ Antoine plutarque - ٣٦ - ٢) ^(٨) . ولكن هيرودس وماليكو تمسكا بعناد بالأراضي المفصولة ، فقد أقام هيرودس نفسه ضامناً للماليكولدى كليوباترا ، ولكن ماليكو تخاذل وظهر عاجزاً ، وعندئذٍ أمر أنطونيوس هيرودس بمهاجمته .

تغلب هيرودس ^(٩) في بادئ الأمر على النبطيين في (Dion) Diospolis تل الأشعري غير أنه فيما بعد ، هزم في قنوات (وهو موقع في سورية الوسطى A.J.XV, 112, B.J. 1, Coele-Syrie 366 . فالنبطيون الذين غلبوا ، في بادئ الأمر ، حصلوا فيما بعد على مساعدة (أهالي منطقة قنوات) بدافع من اثنيون Athénion الذي كان مخططاً حربياً لكليوباترا ، ويحمل دوماً العداء لهيرودس B.J. 1.367 : فهو القاضي المحلي 116 A.J.XV , أي حاكم مدينة قنوات التي كانت مركز (ائتلاف المدن العشرة) ومركز ال aurantide حوران القديمة ^(١٠) . حدثت هاتان المعركتان خارج مملكة المالكيكو maleku . وإلى تلك الأعمال التي قام بها سكان منطقة قنوات يعيد J. t milek . تدوين النقوش النبطية التي عثر عليها ، في البرج الجنائزي الكائن في المقبرة الواقعة على سفح تلة «سيع» ، على بعد ٢ كم شرق قنوات Res-2033 ^(١١) .

في الربيع الذي تلا عام معركة «أكتيوم» Actium (٢ أيلول عام ٣١) . اجتاز هيرودس من جديد الأردن وهزم النبطيين قرب عمان ، رغم كونها مدينة من أصل (ائتلاف المدن العشر) . ويبدو ، حسب رواية يوسيفوس ، بأنها كانت تشكل جزءاً من المملكة النبطية A.J. 129 et 130, B.J. 1, 380, 386 et 129 XV 147. وفي الاسكندرية بعد انتحار انطونيوس وكليوباترا ، وسع أوكتاف دويلات هيرودس . فقد أعطاه أراضي Hippos (Susiyeh) وفي الجنوب ، أراضي gadara أم القيس 1.396-397 B.J. 1, 217 A.J. XV, وهما حاضرتان (مكدونيستان) من أصل (ائتلاف المدن العشر) Le Syncelle 1, edit Dindorf p.5581 لا تنتمي للمملكة النبطية رغم أنه وجد في gadara أم القيس شاهدة قبر جنائزية ، لم تنشر بعد ، دونت بلغتين «النبطية واليونانية» . خلف عبداس الثاني (٣٠ - ٨/٩) ماليكو الأول وقد كان ضعيف الشخصية بحيث سيطر عليه وزيره syllaios ، الذي قاد خلال أعوام ٢٦ / ٢٥ ، الحملة التي أرسلها أوغسطس إلى العربية السعيدة . وقد قدم هيرودس خلالها ٥٠٠ رجل (A.J. XV. 317) . ولكن فيما بعد تسمت العلاقات بين هيرودس وعبداس . وبعد ألعاب الاكتيات الأولى actiaque (٢٤ ق.م) أوكل أوغسطس إلى هيرودس حكم اللجسا التي كانت جزءاً من Batamée شمال جلعاد . ومن حوران . (راجع يوسيفوس 1-398-399 B.J. 1, 342-364 A.J. XV, وكان يسود الاعتقاد بأن تلك المقاطعات تعود إلى مملكة كالسي Chaleis المهداة من قبل انطون إلى كليوباترا التي بدورها أجرتها إلى رجل اسمه زينودور . وعلى كل الأحوال ، لا بد أن نذكر بأن

زينودور باع (auranitid حوران) الى العرب (أي الى عبداس ٣٥٢ XV) لقاء خمسين وزنة . وقد تم هذا البيع بعد موت كليوباترا (في آب عام ٣٠ ق. م) غير أن حوران هذه لم تدم في وقتها نبطية إلا بضع السنين فقط . وهذا بحد ذاته يعتبر ، مدة قليلة لوصف الكتابة الأرامية المستخدمة في السويداء و«سيع» ، في نهاية القرن ، بأنها نبطية ، Cis, 11, 162, Res 805 of 2023 سيما وأن شكل حروف تلك الكتابات لا ينصح جيداً في تطور الأبجدية ، كما هو ثابت في بتر^(١١) ، إذن موضوع الحديث هنا يدور حول نوعية محلية من الكتابات الأرامية ، مشتقة من نموذجها الأصلي^(١٢) . ويمكن عزو ديمومة استعمال الأرامية في النقوش ، في المقاطعات الحدودية للمملكة النبطية ، الى نفوذ وسيطرة هذه المملكة ، والى التماثل النسبي للمكان . ولكن كلما ذهبنا بعيداً نحو الغرب ، كلما كان استعمال الكتابة اليونانية في النقوش متفوقاً (كما هو وارد في الخريطة) .

وبعد وفاة Zénodore عام ٢٠ ق. م أعطى أوغسطس الى هيرودس^(١٣) ماتبقى من دويلاته وهي القسم الواقع بين Trochonitide اللجا ، والجليل ، وهي poneas وoulatha بانياس والمنطقة التي تحيط بهما (A.j. XV. 360) وهذا يضم طبعاً (الجولان gaulantide) وكان من الواجب على هيرودس أن يتدخل في اللجا لضبط قطاع الطرق واللصوص فيها ، سيما وهي المنطقة التي كانت توفر لهم الملجأ الأمين ضمن متاهاتها البركانية (A.j. XV. 344, 348) . وقبل السنة التاسعة لما قبل الميلاد ، تغلغل هيرودس في المنطقة النبطية واستولى على جماعة من هؤلاء قطاع الطرق ، كما انتصر على جماعة من النبطيين كان قد أرسلهم (سيلايوس Syllaïos) لمساعدتهم وقد أعز أوغسطس الى هيرودس بإقامة ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف أدومي idumeus في منطقة شرقي الأردن ، وحوران Trachonitide كما أفرز حوالي ٥٠٠ خيلاً في بصير Bathyra الواقعة على طريق اللجا (A.j. XV. 1273, 292. XVII. 23, 31) وسيكون من المفيد التحقق من أن هؤلاء المستوطنين تركوا آثاراً في التسميات القديمة في هذه المنطقة .

بعد موت هيرودس الذي وقع في (ربيع السنة الأولى قبل الميلاد) نفذ أوغسطس وصيته وعين فيليب ، أحد أولاد هيرودس المتوفي رئيساً للربع على حوران والسويداء Bataué ، شمال شرق الأردن وبصرى Trachonitide وحوران auranitide . وعلى بعض أجزاء من البيت الزينودوري Zenodore (A.j. XVIII, 319. B.j. II. 94. 95) بالإضافة الى كامل الجولان gaulantide (A.j. XVIII 28 ef. B.j. 11. 168. A.j. XVIII 28) . (Hippus, gadara أم قيس) .

الحقت بسورية (A.j. XVII, 320, B.j. 11, 97) وأعيدت البيرة والجليل الى واحد من أولاد هيرودس ، وهو (هيرودس انتيباس (A. j. XVII, 318. B.j. 11, 97 (4- 39)^(١٤) .

وخلف اريتاس الرابع الملك عبداس الثاني على المملكة النبطية في شتاء عام ٨/٩ وكانت إحدى بنات اريتاس قد تزوجت هيرودس أنتيباس ، لذا كانا يعيشان سوية ، منذ زمن طويل

ثم فيما بعد طردها ليتزوج من امرأة أخيه هير ودياد، والدة سالومة^(١٠) التي ستتزوج فيليب رئيس الربع فيما بعد. أما اريتاس الذي كان يمتلىء حقداً وضمينة، فقد تذرع بالنزاع حول الحدود في أراضي (gamala) «جملة» ولجأ إلى القتال، وبسبب الخيانة وفرار الرجال الذين كانوا تابعين لرئيس الربع، فيليب، ويحاربون مع هير ودس، فقد سببوا الهزيمة الكاملة لهير ود، الذي شكى الأمر إلى (طيطاريوس tibère) الذي انضم مع قاضي سورية Vitellus (٣٥ - ٣٩ ب.م) لمحاربة اريتاس، ولكن موت الامبراطور في آذار عام (٣٧ ب.م) ألغى هذه الحملة.

وقد أورد يوسفوس أن بعض اليهود كانوا يرون في هزيمة هير ودس انتقاماً ربانياً فخافوا ثورة الجمهور الذي كان يصغي إلى نبؤات يوحنا الملقب بالمعمداني، فقام هير ودس بسجن هذا الأخير في «ماشير رنت (Machérounte) وأمر بقتله (A. J. XVIII. 109. 125).

حسب الأناجيل، كان التائب والتبكيين اللذين وجههما يوحنا المعمدان إلى هير ودس بشأن زواجه من امرأة أخيه، السبب في مقتله (مرفس ٦ : ١٤ - ٢٩). وقد وقع هذا الزواج عام ٢٨ ب.م على أبعد تقدير، وقد انتظر اريتاس حتى عام ٣٥ ب.م ليبلغ ثأره. وصعوبة أخرى كانت تكمن في رواية يوسفوس التي يمكن استيعابها أكثر، فيما لو كان رئيس الربع فيليب على قيد الحياة في الزمن الذي كان اتباعه يشكلون جزءاً من القوات التي جندها أخوه هير ودس. غير أن فيليب المذكور توفي عام ٣٣/٣٤ ب.م (وطيطاريوس tibère) الحق مقاطعاته بولاية سورية (A. J. XVIII. 108)، وقد تكون المعركة وقعت خلال عام ٣٤، أي قبل وصول القاضي Vitellus بقليل، لذلك فإن شكوى هير ودس إلى طيطاريوس (tibère) لم تصل إلا بعد سنتين، وأخيراً هناك مسألة جغرافية، تهمننا هنا، وموضوعها أن قرية جملة (gamala) ليست بوضع يستدعي النزاع الحدودي، بين المملكة النبطية وبين المملكة الميرودية. لذا تم تصحيح للكلمة اليونانية gamalitude. الواردة في قسم من المخططات في galaadit أو gabalitidi (الواقعة جنوب البيرة pérée) ^(١١). ويوجد كلمة أخرى مختلفة gamalitique التي عثر عليها في (B. J. III, 56)، التي تُحصى وتُعد أقاليم مملكة (اغريب الثاني) (انظر أدناه). حيث كان اليهود مختلطين مع السوريين. وكلمة gamalitique كانت تطلق على الأراضي التي هي بجانب (الجولان gaulanitude) بينما وردت في مكان آخر كجزء منه.

(والأب ابل Abel) يرفض تصحيح النص، فهو يفترض بأن هير ودس كان مكلفاً بحماية البلاد التي كانت عائدة لأخيه، وبأن اريتاس كان يهتم بالمصالح التي لم تستطع التقسيمات السياسية الوصول إليها^(١٢). فمن السهل جداً أن يستمر النزاع حتى نهاية حكم فيليب، والذي كان يتناول أراضي «جملة» gamala الملاصقة لجنوب النبطية (خاصة وأن Abila) Capitolas كانتا تنتميان إلى اريتاس في ذلك الحين. وبعد مهاجمة فيليب، أصبح اريتاس

بتماس ومواجهة هيرودس المرتبط بأخيه، بموجب اتفاق سري عسكري. وإلى ذلك يضاف زواج فيليب بابنة هيروديا التي جلبت التعاسة لابنه اريتاس.

ان أراضي ولاية الربع لفيليب، لم تبقى طويلاً تحت السيطرة المباشرة للقاضي الشرقي لسورية بل أعطاها Caligula عند تسلمه الحكم الى أحد احفاد هيرودس الكبير المدعو اغريبا الأول مع لقب ملك (في آذار ٣٧ ب. م) وضم إليها أيضاً ولاية الربع التي كانت خاضعة لـ Lysanias (A.J. XVIII, 237 sbjll- 181) والذي كان رئيس ربع Abilene (في عام ١٥ لعهد طيباريوس (Luc. 3١). وهي امانة ايظورية شرق دمشق^(١١). وفي عام ٣٩ نفى كاليكالا هيرودس انتيباس وضم الجليل والبيرة إلى ملك اغريبا (A.J. XVIII 352, B.J. II-183). في بداية عام ٤١ خلف كلود كاليكالا، وقد اكمل المملكة اليهودية بضم Octroi ضرائب ومكوس اليهودية والسامرة. وربما بالتوسع في الأراضي السورية. قام أحد أخوة اغريبا باسم هيرودس باستلام مملكة (شالسي chalcis) التي هي جزء من المملكة الايطورية القديمة التي تحمل نفس الاسم (A.J. XIX, 274, 277 351. B.J. II, 215P. 217). توفي اغريبا الأول في ربيع عام ٤٤ ب. م. ووضعت مملكته مؤقتاً تحت الادارة الرومانية^(١٢). وفي عام ٤٨ ب. م، مات هيرودس ملك Chalcie وقام كلود باعطاء هذه المملكة الصغيرة Chalcie الى ابن اغريبا الأول الصغير الذي دعي اغريبا الثاني (A.J. XX. 104, B.J. 11. 223). وفي عام ٥٣ ب. م بادل الامبراطور كلود لاغريبا الثاني، بمملكة شالسي الصغير وبولاية الربع القديمة التي كانت لفيليب، وأيضاً بـ (فاروس Varus) ولاية ربع قديمة في شمال لبنان (A.J. XX. 138, B.J. 11. 247. VII. 97 Arca). وفي تشرين أول عام ٥٤ خلف نيرون، كلود. وفي عام ٥٦ ضم الى مملكة اغريبا الثاني أراضي طبريا، وطريشه Taruche وجزء من البيرة (A.J. XX 159-B.h. III. 565). وفي عام ٦٦ انفجرت الثورة اليهودية الأولى وكان اغريبا الثاني بجانب الرومان وكذلك ماليكوس الثاني (٤٠ / ٤١ الى ٧١ / ٧٠) الذي خلف اريتاس الرابع (B.J. 111, 78, ef, 11, 500). لقد فقد اغريبا الى حين السيطرة على الجليل والجولان الثاثرين بزعامة (جوزيف Joseph) الذي حصّن سلوق Seleucie وسوغانة اليهودية (بين سلوق وبحيرة طبريا) وجمالة gamala التي سقطت بعد حصار ملحمي شديد جداً، في تشرين أول عام ٦٧ (B.J. 11, 568, 574, ٦٧). (4-1. 83, Vita 114. 177. 187. 398)

وفي العام التالي، وبعد الهدوء الذي ساد البيرة pérée (B.J. IV, 413, 439) أصبح اغريبا من جديد سيد مملكته التي وسعها أيضاً الامبراطور (Vecpasien وسباسيان) اعتباراً من تموز عام ٦٩ (ولكن بدون ايضاح Photius Biblioth, 33). مات اغريبا الثاني عام ٩٣، والحق دوميسيان املاكه في البيرة والجليل و (gaulamitide) بالولاية اليهودية التي اوجدها

Vespasien كما الحق ولاية الربع القديمة لفيليب الى الولاية السورية^(١٠٠). في ذلك التاريخ كان دابيل الثاني قد خلف والده مالبخوس الثاني منذ ٢٣ سنة وطيلة مدة حكمه لم يطرأ أي تغيير على حدود المملكة النبطية. وفي ضمير على بعد ٤٠ كم شمال شرق دمشق، قُدِّم هيكل، يعود تاريخه الى عام ٥٩٤ ق.م، بمناسبة اعتاق عائلة من حكم القضاة الأنباط الأوائل (Cis 11, 161) وكان نص الكتابة: «في شهر أيار (نيسان أو أيار) من عام ٤٠٥ من الحكم الروماني (والتاريخ السلوقي Seleucide هو شهر تشرين أول من عام ١١٢ قبل الميلاد). الذي يصادف السنة ٢٤ لحكم الملك (Rabbel). وهذا بدوره لا يعني «ضمير» فقط الواقعة في البادية جنوب البلاد التدمرية التي كانت جزءاً من مملكته، ولا يشمل حساب الأعياد السلوقية Seleucid المعمولة به في سورية الجنوبية الذي دَوَّن في أمكنة سابقة. غير أنه عرف أيضاً العديد من النقوش النبطية في حوض بحر المتوسط، مؤرخة حسب سني حكم ملوك بتر^(١٠١) وخلافاً لذلك حينما تحمل كتابة أو نقش نبطي تاريخاً مغايراً لهذا الأسلوب، فيتحتم أن يكون موضعه خارج المملكة النبطية. وهناك أيضاً مقدمة من «حبران» مؤرخة بشهر تشرين (أيلول أو تشرين الأول) من عام ٧ بحكم كلود سيزار (عام ٤٧ ق.م) تدلنا بأنه رغم كون تلك المدينة مأهولة بسكان نبطيين، فقد كانت عائدة للولاية السورية (Cis, 11, 170).

١ - ٣ الولاية العربية :

انتظر تراجان بلاشك موت رابيل الثاني ليجعل من المملكة النبطية ولاية رومانية أي المنطقة العربية المتضمنة المملكة القديمة، وجميع حاضرات ائتلاف المدن العشر (Dion، تل الأشعري، Philadliphia. Gerasa عمان) المرتبطة قديماً بولاية سورية. ان جميع النقوش منذ ذلك الحين كانت تحمل تاريخ عصر المنطقة (٢٢ آذار ١٠٦) كما أن آثار ترسيمات الحدود الشمالية للولاية العربية لم تكن معروفة بكل تفاصيلها^(١٠٢)، بينما اختلطت في قائمة واحدة مدن هاتين الولايتين ومدن سورية، أما فلسطين التي وحدها كلود تيوليمه البطلمي (الدليل الجغرافي ٧ - ١٤، ١٧) في منتصف القرن الثاني ب.م. بمعطيات من عصور مختلفة^(١٠٣)

في عام ١٩٥ حينما قسم Septime sérère ولاية سورية الى اثنتين Coélé Syrie (سورية الوسطى) في الشمال و(سورية^(١٠٤) فينيقية) في الجنوب، واقتطع من هذه الأخيرة L'auranitide و Batanée (شمال جلعاد - السويداء وجبل حوران) الجنوبية لصالح الولاية العربية. وفي عام ٢٩٥ اضاف ديوكلسيان الى هذا الاقطاع (شمال الأردن trachonitide) وشمال (Batanée) وبقي الحد العربي نهر العُلاَن الذي كان يفصلها عن الجولان الذي هو من عداد سورية ،

في الجنوب ، كانت الولاية العربية مقطعة من منطقة «بتر» العاصمة القديمة للنبطيين ، ومن المرفأ الواقع في خليج العقبة ، عائلة أيله ومن شبه برزخ سيناء . ولكن هذه المرة لصالح ولاية فلسطين . ورغم التقلص التدريجي للكيان النبطي ، فإن اللغة النبطية استمرت نسبياً حتى منتصف القرن الرابع في (Hegra هجرة) وحتى زمن أقل من ذلك في بصرى وأم الجمال التي عثر فيها على شاهدة قبر لجابي الملك قادمات Chadimat حول عام ٢٧٠ ب.م . اما شاهدة قبر الملك امرؤ القيس فقد عثر عليها R. Dussoud في قرية Nomara (Res483) وترجع الى عام ٣٢٨م ، واللغة العربية هي التي كانت سائدة بينها الكتابة كانت بالنبطية^(٢١) .

٢ - أعمال النقش

للوصول الى نظرة شاملة والى المراجع حتى عام ١٩٣٠ نستند الى المؤلف J. Contineau النبطي « ١ . ص (١٣٠ - ٢٥ - ١١) - ص (١٨ - ٢٠٢) » لابد من الاشارة هنا الى حملات التنقيب الاكثر نجاحاً ، والى أهم المؤلفات المتعلقة بسورية الجنوبية ، والاردن الشمالية فقد قام المستشرق J. g. Wetezstein الذي كان قنصلاً لبروسيا في دمشق منذ عام ١٨٤٨ بثلاث رحلات استكشاف ، ونشر عام ١٨٦٠ في برلين مؤلفه *Reisebericht über Hauran und die trachonen* وفي عام ١٨٦١ - ١٨٦٢ ، طاف في نفس المناطق السيدان M. de vogüe و Waddington ، فكانت الكتابات والنقوش النبطية كثيرة ، وعلى غاية الأهمية ، وقد نشرها vogüe في مؤلفه (سورية الوسطى والنقوش السامية) في باريس عام ١٨٦٨ - ١٨٧٧ صفحة ١٠٠ sq . واعيد طبعها في المؤلف *Corpus inscription Sémitique* الجزء الثاني - صفحة ١٦١ - ١٩٤ (وفي المجلد الأول - الفصل الثاني ١٨٩٣) . وفي غضون ذلك . قام ch. Clermont ganneau بتوضيح أكثر من نص وخاصة في كتابة مجموعة الآثار الشرقية الجزء الأول من عام ١٨٨٥ . وقد استفاد من المؤلف *Corpus* وقد اكمل هذه المجموعة حتى عام ١٩٢٤ (RAD- VIII).

بينما نشرت اكااديمية النقوش والآداب كراستين عن (Corpus) المجموعة النبطية (11 Tome, 1, fasc, 3en 1902, 11, tome, 11, fase, 1en 1907) ولكنها لم تتناول منطقتنا وفي مجلد (فهرس النقوش السامية) AIBL (Repertoire d'épigraphie sémitique) كليرمون غانوج . ب . شابو Clermant Ganneau, et. j. b. chabot تبين أنه أعاد بشكل منظم ، نشر جميع النقوش النبطية المكتشفة ، والمنشورة في أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ الميلادي ، ومنها عشرات من قبل (F. Macler, R. Dussowd) . وفي رحلاتها من عام ١٨٩٩ الى عام ١٩٠١

(رحلة أثرية الى الصفا وجبل الدروز) باريس ١٩٠١ Res ٨٢ - ٩١ (ورحلات الى سورية الوسطى) باريس ١٩٠٣ - Res ٤٦٢ - ٤٨٣ وأكثر من مئة رسالة، ومنها ٨٤ رسالة غير منشورة دونها E. Littmann (في منشورات جامعة برنستون للبعثات الأثرية الى سورية من عام ١٩٠٤ الى عام ١٩٠٥ وعام ١٩٠٩ - القسم الرابع، الفرع (١) نقوش نبطية) وكان السيد E. Lettmann قد شارك بأعمال البعثة الأميركية الداخلية ولكن ما يخص النبطية كانت قليلة الأهمية من حيث الكمية (منشورات البعثة الأثرية الى سورية عام ١٨٩٩ - ١٩٠٠) (٤) نيويورك عام ١٩٠٤ (Res 803-808). ولا بد من الإشارة الى النصوص المكتشفة من قبل الأب R. Savignae عام ١٩٠٤ (R.B. ١، ١٩٠٤ صفحة ٥٥٧، ٥٨٤. Res ٨٣٣ - ٨٣٤) قبل الأب R. Savignae عام ١٩٠٤ (R.B. ١، ١٩٠٤ صفحة ٥٥٧، ٥٨٤. Res ٨٣٣ - ٨٣٤) وفي عام ١٩٠٥ (R.B. ٢ - ١٩٠٥ صفحة ٥٩٢، ٥٩٦ : Res ٦٧٦ - ٨٣٦).

ان المؤلف J. Contineau يضع النقاط على الحروف، من حيث العمل الكتابي والنقشي المكمل حتى الانسلاخ عن الامبراطورية التركية. غير أنه لم يستطع اغتنام الفرصة في أوائل الانتداب الفرنسي على سورية، لاعادة النظر بالنصوص التي عثر عليها. ومع ذلك فالمختصرات التي احتفظ بها تبقى ثمينة جداً (النبطيون الجزء الثاني، باريس ١٩٣٢ - المنصوصة عن حوران صفحة ١١ - ٢٥ of صفحة ٤٩ شاهدة قبر في (نهاره Nemara) انها (Res ٢٠٢٣ - Cis ١٦٤، ١٠٩٢ Res، ٢١١٧ - Cis ١٨٢، ٢٠٥٢ Res، ٢٠٥١، Cis ١٦١، ٤٧١ Res - ٨٣، ١٠٩٦، ٦٧٦، ١٠٩٧، ٤٨٣) وبالمقابل طاف Maurice Dunaus المنطقة عدة مرات اعتباراً من عام ١٩٢٥ ومع ان النقوش التي عثر عليها، تعد بالئات، فهو لم يصادف الا القليل من النصوص النبطية، (متحف السويداء باريس ١٩٣٤ - رقم ١٥٧ (Res ٢١١٨ - ١٥٨) (Res ٢١١٧ - ١٩٦) «الحبران» وحالياً في متحف السويداء ٢٠٣ (مسلة جنازية Stèle) في جنيرة (شيرة Jénireh) والفضل بذلك الى المساعدة المالية لـ AIBL - فقد جُبتُ ومعى J. t. Milik أشهر المواقع النبطية الأثرية في الأردن خلال آذار ونيسان ١٩٥٥، وفي سورية خلال تموز من نفس العام، على أمل المعلومات عن (Corpus inscriptionuus seniticarum)، cis ويمكن الاطلاع على خلاصة من معلوماتنا التي صدرت في مجلة الآثار (R.B. 64- 1957 p. 223, sq) ففي جبل الدروز وخاصة في «سيع» تبين أن ابحاثنا حول تدقيق النصوص قد خيبت الأمل، لأن الهدم واعادة البناء قد طمسها. كل ما هنالك، هو وجود عدة نصوص مهمة، منها نقش مسجد (نصب - هيكل) غير معروف، وكانت قد جمعت في متحف السويداء. ان كثرة المواقع الأثرية في السهل الحوراني، اضطررتنا للسير وراء أكثر من عشرين منها، سواء في سورية أو في الأردن، وكانت ثمرة جداً واعطتنا ما يعادل ٥٠ نقشاً نبطياً غير منشور، نصفها كان في بصرى، نظراً لجهود

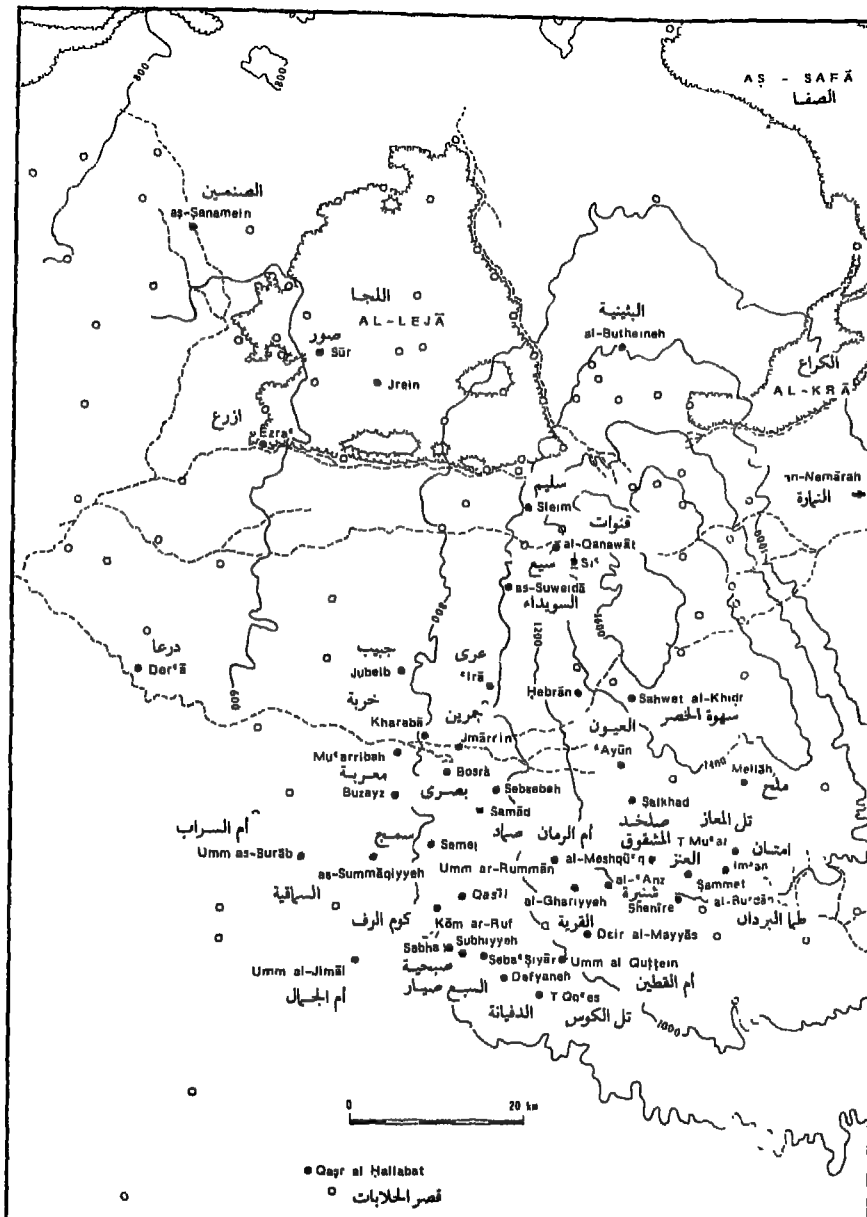
مدير آثار هذه المنطقة السيد سليمان مقداد، الذي استطاع ان ينظم مستودعاً ثميناً مليئاً بالاحجار المكتوبة، ولا بد من ذكر «معربة» حيث اطلعنا بواسطة الفلاحين على نص كتاب مؤرخ في السنة الثانية لحكم ماليكو (٤٧ بعد الميلاد)، وذكر «جرين» حيث ظهرت شاهدة قبر تحمل لغتين، ونذكر بصورة خاصة «أم الجبال» التي عثر فيها على ثمانية نقوش كتابية نبطية غير منشورة. وفي مجلة سورية ٢٥، ١٩٥٨ ص ٢٢٧ (sq)، نشر السيد J. L. Millik صورة المسجد في العدد ٢ ص ٢٣١، ونقش «معربة» (العدد ٥ ص ٢٤٢) وشاهدة قبر جريرين (العدد ٤ ص ٢٤١) - وكلمة اهداء الى الاله الأدومي (كوس Qos) الذي وجد في بصرى (العدد رقم ٣ ص ٢٣٥)، أما النقوش الأخرى غير المنشورة من هذا النوع كانت موجودة في أقصى الجنوب. ان العدد رقم ١ صفحة ٢٢٧ أظهر أن ١ clis - ١٨٣ ليس سوى تنمة لـ (11 184 clis)، وهذا النص المكتشف يبين كيفية تكريس «معبد اللآت في صلخد» (clis ١١ - ١٨٢) وقد أصلح (J. L. Millik) أيضاً القراءة المدونة في RES ٢٠٥٢ - صفحة ٢٢٩، وحول مسجد صلخد هذا (انظر تفسير الحالي الوارد في المؤلف الميتولوجي اليونانية الرومانية، منشورات المركز الوطني للأبحاث العلمية. باريس ١٩٨١ [ed CNRS] صفحة ١٢٣).

ومنذ صدور نشراتنا في عام ١٩٥٥، تم اكتشاف عشرات من النصوص الجديدة، وقد عرفنا على تلك النصوص السيد سليمان مقداد، وأيضاً السيد موريس سارتر الذي نشر خلال عام ١٩٨٢ النقوش اليونانية واللاتينية في بصرى (IGLS VIII. 1) وتمكننا من تدقيق قسم منها في مكانه خلال تنقلاتنا. وسوف توضح هذه النصوص النبطية ضمن الجزء المتعلق ببصرى الذي يعده السيد ل. ت. ميليك بمساعدتي في المستقبل، ولا بد من الاضافة بأن قراءة مجمل النصوص النبطية المنشورة ستجري عليها تعديلات مهمة.

٣ - الكتابات النبطية - مواقعها وطبيعتها -

تبين الخريطة (رقم ١) الأمكنة والمحلات التي قدمت الكتابات النبطية. وجميعها تقريباً واقعة في جنوب خط «حبران - الكرك»، أي في الجزء الشمالي من المملكة النبطية القديمة. والاستثناءات قليلة العدد، فيما اذا وضعنا جانباً، الكتابات الموجودة في مقبرة «قنوات» والموقع المرتفع «لسيع» في قلب حوران، التي تطرح مع شاهدة قبر «حمرات» Hamrat. في السويداء مسألة خاصة. وقد تبين لنا بأن كتاباتها يجب أن تُعزى الى الأرامية قبل النبطية، ولكن لأسباب عملية يستحسن عدم الغائها من الكتابات النبطية.

كانت شاهدة القبر التي تحمل لغتين في «حمرات» تعود الى ضريح هرمي الشكل، ليس له وجود الآن، وتعني Stèle باليوناني nofshah بالأرامي، والتعبير الآخر، الذي يعني



«النفس أو الشخص»، بقسمه الأول. يحدد بكل وضوح المسلة الصغيرة الجنائزية. أو بالتعميم، الضريح نفسه. وتشير وثائق كوربوس مجموعة (11-162) الى التقليد القديم للخط الذي يمكن أن ينسب الى القرن الأول قبل الميلاد، دون تقديم المزيد من أي إيضاح.

ان قنوات هي مصدر «الهيكول» المهدى الى (Gud) «الاله الحامي» الذي يعود تاريخه الى القرن الأول بعد الميلاد (RES, 53. 806, 1474) وشاهدة القبر (Cis 11, 169) وفي المقبرة الواقعة شرق المدينة، فقد سجلنا شهادات القبور (Res, 2033 et 805) التي ترجع لعام ٣٠٨ من عصر السلوقيين حتى ٤/٥ / قبل الميلاد. ويجب أن يضاف الى ذلك، شاهدة القبر التي تحمل لغتين (RES, 1093 et 2022) وأيضاً نقش غير منشور اكتشف مؤخراً من قبل البعثة الأثرية الفرنسية في سورية الجنوبية (URA No20).

لقد زدونا معبد «سيع» الذي يشرف على المقبرة باثني عشر نقشاً، أو بالأحرى بقايا نقوش آرامية، وكان المهم فيها كلمة الاهداء لمعبد «بعل شامون» وهي تتعلق بسبعة أجزاء من نقوش لعوارض أعمدة واجهة الملعب الواقع أمام المقصورة «Cella» الرئيسية (H.C. Butler, PPUAES, 11.A. 1939 P. 380) التي عثرت عليها M. de Vogüe (Cis. 11- 163) راجع البعثة الاميركية للأثار (E. Littmann, PAES, IV, P 84, No1, Res 803) (والأب سافينياك (P. Seignae RB, 1, 1904, p. 581 Res 804) والنص الكامل تقريباً أعاد النظر فيه (PPUAES, E. Littmann (IV, A, No 100, Res 2033) و J. Contineau النبطي ١١ - صفحة ١١ - عدد ١) ونورد فيما يلي النص والترجمة:

Dkwn i6 imlykt. br' wsw br m' yrw dy hvv bnh 'l bs myn byrt' gwy't wbyrt' bryt' d'winlt
(it'.....) Snt 280 d' Snt 311 wd hyyn b' SIm.

وترجمتها: الذكرى العاطرة لمالك بن (أوشي Aushu) (بن مييري Mu'alru) الذي أشاد له «بعل شامين» الـ Birla (المقصورة العليا الداخلية) والـ Birla (والمقصورة الخارجية)، والمسرح والرواق من عام ٢٨٠ الى عام ٣١١ وحتى نهاية الحياة بسلام. وقد شوهد الختم، والتاريخ ثابت (٣٣) (٣٢) الى ٢/ (١)، أما المسرح فليس سوى ملعب، بدرجات عثر ضمنه على عوارض. ويُشير J.Contineau الى أن birla التي معناها العادي (قلعة) تعني في المجموعة (١ - ٢٩) و (١ - ١٩) (berah العبري) أي معبد. أما Butler (في الصفحة ٣٧٨ من مؤلفه) فيعتقد بأن Cella لم تكن تعني في بادئ الأمر سوى الغرفة الداخلية التي أحاطها «ملكات» فيها بعد بحائط آخر ودعيت المقصورة Birla الخارجية. ولكن بالنسبة لهذه الأخيرة، قد يمكن أن تأخذ معنى (حائط السور المنيع) والمقصورة الداخلية Birla هي كناية عن مجموعة الـ Cella (أي تمثال الإله في عبادة الرومان والاغريق) وتحت الدهليز الذي يحوي

عامودين ، كانت تنتصب أربعة تماثيل : تمثال ملكات يحمل كلمة اهداء يونانية (٢٣٦٧ waddington) ويبدو أنه أوكل اليه بناء المقدس (hieron) وبعض الأبنية التي تحيط به . أما التمثال المجاور وكلمة الاهداء المكتوبة باللغتين (Cis, 11, 164, et waddington 2366) فيعود الى ملكاف بن Mūairu بن ملكات ، الذي أشاد المقصورة العليا (birla) وأعاد رفع المديح Hieron وهوبلاشك حفيد المؤسس (biron) . كان الخط مطابقاً للنموذج النبطي الكلاسيكي وهويثبت المدة الزمنية لجيلين . أما الاهداء اليوناني للتمثال الثالث ، فكان موجهاً الى أسرة هيرودس (Waddington ٢٣٦٤) ، أي الى هيرودس الكبير في نهاية حياته (مات في السنة الرابعة قبل الميلاد) . أما مقصورة المعبد (Cella) فقد أكملت قبل الملعب ذي الأعمدة في الواجهة ، وهذا أمر طبيعي . وكلمة اهداء التمثال الرابع مفقودة .

أما المعبد المجاور الذي يقال أنه لدبشاره Dushara قدم لنا RES ١٠٩٢ بلغتين (راجع صفحة ٢٣٢ - ٢٣٥ J. K. Milik سوربة ٣٥ ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤٨ وجاكلين دانتزر سوربة ٥٦ - ١٩٧٩) وكتاب اهداء في السنة ٣٣ ، للسيد فيليب (Res ٢١١٧) اذ يعود التاريخ الى عام ٢٩ / ٣٠ وهوتااريخ ثابت . وقد حفر النص على قاعدة التمثال التي تشبه قاعدة المعبد ، ومنها اشتقت كلمة (bivnis) المنسوخة عن اليونانية (Bōmos) للتعبير عنها . والمحفوظة في متحف السويداء هو فقد اعلى البناء (المدماك) ١ - ٣ (المتحف رقم ١٥٨) . أما اسفل البناء فقد طمست معالمه . ان الأجزاء (Res, 1091 PPUAES, IV, A) رقم ١٢ ، وتحمل كلمة hgrp'mlim وليس (hgrps'-milk) أي الملك اغريبا^(١٠) (الأول من عام ٣٧ - ٤٤ أو الثاني ٥٣ - ٩٣) وقد دونت الأجزاء (Cis - ١١ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧) المحفوظة في متحف اللوفر (Cat) متحف ليون رقم ٦١ - ٦٠ - ٥٩) والتي يجب أن يضاف إليها (Cis - ١١ - ١٦٨ و Res - ٨٣٥ - ٢١١٨) أما الجزء B فقد أخذ من قبل Dunand (المتحف رقم ١٥٧) ولكن قراءته لا تطبق مع الصور (PPUAES, IV, A, no 107 Pl, XXXIV) الاسم الحرفي على التمثال (خيال) . ويجب أن تأخذ ترجمة هذه النصوص الأرامية بعين الاعتبار النقوش اليونانية s.q. رقم Waddington ٣٢٦٤ رقم ٧٨١ - ٧٦٦ - P.PUAES, III, A.

تبعد «حبران» مسافة ١٢ كم جنوب شرق السويداء وهي في حوران (Huranitude) لأن (Cis - ١١ - ١٧٠) مؤرخ في السنة ٧ لحكم كلود^(١١) . وكلمة الاهداء (أو التكريس) هذه التي نقشها على أحد الأبواب كاهن (اللات) (Kmr «cl») المحفوظة في اللوفر ، تمثل خطأ من النموذج النبطي ، والأمر نفسه بالنسبة لـ (Cis - ١٧١ - ١٧٢ و RES ٢١١٤ والمتحف ١٩٦) . وهي كناية عن نصب «نسر» في متحف السويداء . والمكان قريب جداً من المملكة النبطية . وأن «سهوة الخضر» التي تبعد ٦ كم شرقاً ، هي جزء منها (راجع ٢٠٢٤ ، ، Aviyonah- Res - cit-op- صفحة ١٧٢ - ١ -) مؤرخة فعلاً عام ١٥ من حكم

ملك نبطي . فهذا الاهداء من قبل رئيس كهنة eparque أي قائد جناح الفرسان للمسجدا (masgida) وهو بمعنى صومعة أو معبد، وقد تمكن J. I. Milik من اكمال قراءة الخط (راجع المجموعة اللاحقة) . أما المجموعة (RES ٢١١١٥) فلا تزال غامضة .

في شمال حوران Huranitude ، داخل اللجا Erachonitude ، نسخ ر. ديسوبعض الأحرف النبطية واقعة على جائز يعلوباً في قرية «جرين» (٤٦٤ ، RES) كما نسخ بعضها M-Dumand من على «معبد» في قرية «البينة» (RB-٤١ ، ١٩٣٢ ، ص ٤١٠ - حاشية ٤١) . وفي تلك المحلة التي يُذكر اسمها، باسم Batané (راجع R Dussaud) الطبوغرافيا التاريخية لسورية القديمة وسورية الوسطى ١٩٢٧ ص ٣٥٠ - (راجع ٣٢٦ و ٣٢٧) على حدود «تراخونيتيد» و«باتانة» يوجد «ازرع» (Zorava) حيث قام وادينغتون Waddington ، بنسخ نقش من خمسة أسطر ولم تتوضح قراءتها (Cis - ١١ - ١٨٦) . وفي Batané نفسها نقل W. Ewing في عام ١٨٩٢ سطرين باللغة النبطية (أو الآرامية) من الصنمين (Aere) (RES-١٩٢١) ولكن لا يمكن استخلاص أي شيء من صورتها (PEFQS ، ١٨٩٥ ، ص ٥٧ ، رقم ٤٣) علماً أن جميع تلك المقاطعات، وأيضاً أراضي ديوم انتهى بها الأمر الى الحاقها «بالولاية العربية» . ولكن الكتابات النبطية النادرة كانت تُعرف بواسطة الآثار القليلة التي احتفظت بها مدينة «بترا» بعد انضمام عام ١٠٦٠ ب. م .

وعلى عكس ما تم في المملكة النبطية على جانبي الحدود السورية - الاردنية الحالية ، وعلى امتداد ٥٠ كم من الغرب الى الشرق ، فقد أعطت ثلاثون «محلة ونيف» مذكورة في خريطتنا ، نصوصاً نبطية تلت جزئياً عام ١٠٦ مائة منها أتت من «بصري» ، وأغلبها يعود الى مابعد ملك «اريتاس الرابع» (ولكن المؤرخ منها قليل ، وإذا استثنينا (١٥) نقشا، نرى بأن موضوعاتها تدور حول كتابات جنازية ، وجميعها تقريباً من المسلات المستعملة للمرة الثانية ، في المقابر التي تحيط بالمدينة ، وقد نُشر من هذه المسلات عشرون (EIS ١٧٥ - و RES ٨٣٤ و ٢٠٩٥ - ٢١١٢) . وكانت المسلة الأخيرة قد نشرت من قبل «ليتمان» PPUAES, IV, A رقم ٧٤ - ٩١ . أما المسلات الأخرى فقد كشفت من قبل J. L. Hillik و J. Starky ، خاصة خلال عام ١٩٥٥ ، حيث اشترك معهم السادة . سليمان مقداد وم . سارتر ، على أمل ادخالها في مجموعة الوثائق (Corpus) في المستقبل . أما الكتابات غير الجنازية ، فلم يعثر عليها ، على ما يبدو ، في الموقع . وبذلك لا يمكن أن تساعد على تحديد مواقع المعابد التي كانت تُكرّم فيها الآلهة المذكورة مثل : إله كازيو (dieu de Qasiu) (CIS - ١١ - ١٧٤) «وبعل شامين» (١٧٦) (و A'ra - ١٧٧) راجع (A'ra ٨٠٨) (RES Dushara ٦٧٦ - RES) من عام ٤٢ من عصر الابرشية (Eparchie) أي ١٤٨ بعد الميلاد . و (Dushara ٢٠٢٥) و (Al-ozza ٢٠٩١) Qos سورية - ٣٥ ، ١٩٥٨ ، ص ٢٣٥ رقم ٣ .

بعد «بصري» كان المركز النبطي الأكثر أهمية هو «صلخد» حيث (Cis ، ١٨٢ و RES ٢٠٥٢) ثَبَّت وجود معبد «اللات» و RES ، ٢٠٥١ ، كما تؤكد عبادة «بعل شامين» و (RES ٢٠٢٦ - ٢٠٢٧) وكلاهما مسلات جنائزية . أما التواريخ فالمجموعة (Cis ١١ - ١٨٢) تقابل عام ٥٦ - ٥٧ و (Cis ١١ - ١٨٤ - ١٨٣ ، تقابل عام ٩٤ - ٩٥) و (RES ، ٢٠٥١ تقابل عام ٦٤ - ٦٥) راجع (المجلة - Nam - ١٩٥٨ ص ١٧ - آخر مجموعة: الرقم ٢٣ (ليتيمان) الذي قرأ (عام ٣٣) من حكم (ماليكو maliku) الذي لم يحكم سوى ثلاثين عاماً . فالصورة تتيح قراءة ٢٥ - أو ٢٦ أو حتى ٢٧ - ٢٨ (راجع ص ١٩ (cit-op-J.. continueaux - ١١) . ويعود تاريخ الهيكل (Cis ، ١٨٥ - RES ٢١٢٠) الى حكم «رايبل الثاني» : وفيما يخص الوثيقة (Cis, tnc) اقترح قراءة اسم مدينة (Slhdw) صلخدو كما هو الحال في النقش الأثري رقم ٢٢٦ الذي أظهره R. Savgnae ، قرب الهجرة (البعثة الأثرية في «العربية» ٢ - ١٩١٤ ص ١٩٣) . فهو المعبد الذي شيده (Rawalu) الى (اللات allath) الههم الموجود في صلخد والذي انشأه Rawahu والد جد Rawahu المذكور اعلاه (l'it, thhm, dy, bslhdud) nsb rwhu وهذا يتعلق بصنم الأجداد المنصوب في نهاية القرن السابق في أول «معبد» من الطراز العربي (راجع أدناه) وعلينا أن نذكر أيضاً، نصاً مشابهاً، مأخوذاً من جوار صومعة «اللات» في تدمر . وهذه التقدمة أو الهدية pyrée كانت مهداة من قبل «Caddarsu» . . . الى سيدة المعبد وهي «صنم» أشاده Mattanai الذي هو أصغر جد لـ qadarsu (السيد H) Gawlikowsk مجموعة نقوش تدمرية جاءت من التنقيبات السورية - والبولونية الحديثة في تدمر لعام ١٩٧٤ ص ٧٢ رقم ١٤٣) تعرف J. t. Milik ، على (صنم) صلخد في (Cis ١١ - ١٨٤ - ١٨٣) حينها قال (هذا هو المعبد الذي أعاد بناءه Ghautallah الى «اللات» والى سيدته (L'it wivgrh سورية ، ٣٥ - ١٩٥٨ - ص ٢٢٨ - ٢٣١) .

هناك موقع آخر يمتاز بكثرة نقوشه وكتابات النبطية وهو «أم الجمل»^(١١) في الاردن ، ولكن من بين (٤٠) نقشاً (٢٨) منها نشرت من قبل «ليتيمان» (RES ، ٢٠٦٣ - ٢٠٩٠ و ٨ بقيت غير معروفة) ، جميعها تقريباً جنائزية : ثلاثون من المسلات و (٦) أو (٧) من النصوص التأسيسية ، لنذكر شاهدة القبر المزدوجة اللغة لجابي المال (تروفيس Trophus) لدى Ghadmatls ملك التنوخيين ، الذي كان معاصراً «لزنوبيا» (٢٦٧ - ٢٧١) (RES ١٠٩٧) والذي يثبت استعمال اللغة النبطية التي كان يغلب عليها الصفة العربية ، حتى مطلع العصر البيزنطي ، حيث ستزدهر المدينة (أي «أم الجمل») وستستخدم المواد النبطية لتستر بين كنائسها وبيوتها الفسيحة . ومع ذلك يجب أن يشار الى مدفن نبطي ، لا يزال بحالة جيدة تقريباً في الجنوب الشرقي للمدينة (RES ٢٠٨٢ - ٢٠٨٩ - AES, 11, A - PPUA ص ٢٠٦) حيث تنتصب ثمان مسلات مصطفة أمام المدخل ، وهذا يذكر بتلول الصفائين . ان عبادة

Qushara A'ra ثابتة بالاهداء المكتوب باللغتين الموجود في Pyrée «البيرة» (RES ١٠٩٦). وقد أُلْقِطَ في (٣٠) محلّة أخرى من المنطقة، أكثر من (٧٠) نصّاً نبطياً. كانت درعا الواقعة في الغرب، جزءاً من المملكة النبطية، ولكن لم يعثر فيها إلا على (٢) و(٣) مسلات جنائزية مذكورة في (RES - ٨٣٣). وكانت النقوش والكتابات النبطية قد بدأت في المنطقة المجاورة «لبصرى» منتشرة بدون كثافة، نحو الشمال، (في «عري» ١٨٩ - ١١ Cis مسلة جنائزية) وفي «جيب» RES ٨٣٦، وتكررت مشاهدتها عام ١٩٥٥ في «خربة» حيث يوجد نصان جنائزيان RES ٨٧ و٤٨١ مع كلمة اهداء دينية (RES ٤٨٢) والنقش البارز المهدي للوفور ٨٥ - ١١٢١٥، وهو نموذج من الفن النبطي في متحف ليون ١٩٧٨ - ١٨٧٩ ص ٤٣ - (رقم ٤١) وهوبلا شك من «خربة» مؤلف من مسلتين حجريتين (RES ٢١١٣)، واحدة بدون كتابة، والنقش المزدوج اللغة (سورية - ٣٥ - ١٩٥٨ - ص ٢٤١ رقم ٤) وفي «معربة» النقش المؤرخ عام ٩ من حكم الملك «ماليكي» (٤٩ - ٥٠ ب. م. - loc- cit ص ٢٤٢ رقم ٥).

هذا وقد تركزت كتابة النقوش النبطية في جنوب وشرق «بصرى» وأغلب المواقع لم تُخلف سوى مسلات جنائزية، أو جوائز حجرية منقوشة أو مكتوبة على المدافن، مثلاً: من الغرب الى الشرق في «خربة الروم» مسلة لم تنشر بعد - في الساقيات جائز لم تنشر كتابته مع تسعة مسلات (RES - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤) مزدوجة اللغة. و(٢) لم تنشر نصوصهما (Bezayiz البيزاييتو RES، ٢٠٣٨ - سيسي ٢٠٣٩. في صماد قام M. Sarte بالكشف عن نقشين مشوهين أحدهما قرب ضريح فخم في «كوم الرف» (RES ٢٠٤٣ - ٥) أحجار كبيرة أعيد استخدامها حيث تبدي شاهدة القبر بكلمة g br (قبر) في الصبحية RES ٢٠٤٧ - في «السبع صيار» مسلة غير منشورة في «تل قويس» RES ٢٠٦٢ - في دير الياس RES ٢٠٤٧ (في شمال صلخد يوجد uyūm أو Ayūn - ١١ Cis - ١٨٧) في شرق ملح الصرار RES ٤٦٧ = ٢٠٢٨ هناك جائز جنائزي ٢١١٦ مسلة) في جنوب «أم الرمان» (٥) مسلات RES ٢٠٥٦ وأربعة غير منشورة في «شنيرة» أو جنيرة يوجد مسلة في المتحف رقم ٢٠٣.

أما موقع «امتان» فهو أكثر أهمية، بالإضافة الى مسلتين جنائزيتين RES ٨٤ والأخرى غير منشورة. ويجدر الإشارة الى جائز منقوش ومشوه ولكنه جنائزي بالتأكيد. والى معبد يحمل إهداء تالف أيضاً، كلاهما غير منشورين. وكان «دوسو» قد استخرج من ذلك الجائز اهداء محفوظاً لمعبد ربما أحضر من موقع مجاور (تل معاز)، وهو مهدي إلى Dushara A'ra إله سيدنا الموجود في بصرى في عام ٢٣ لحكم الملك «رابيل» Rabbel ملك النبطية الذي يُجيب ويخلص شعبه (RES - ٨٣) J. Contineau. النبطي، ١١، صفحة ٢١، A'ra، إذاً، هو إله بصرى المتمثل في Dushara إله النبطيين. في «صمّا البردان» قامت حملة Princeton



الشكل رقم ٢ - شاهدة قبر نبطية منقوشة ضمن بيت حديث في صور (اللجاء)



الشكل رقم ٣ - نقوش في «الخرائب» (قرب قرية ام الرمان) كليشة F. Bremer

بنسخ مسلة جنازية (RES ٢٠٥٥) وأيضاً النص حول تأسيس بناء (bnyn) من قبل سيدنا Maliku ، ملك النبطيين (RES ٢٠٥٤) وتحت حكم هذا الملك الأخير (٤١/٤٠ - ٧١/٧٠) وحكم «راييل الثاني (٧١/٧٠)، ١٠٦ أصبحت «بصري» العاصمة الثانية للمملكة النبطية قبل أن تصبح عاصمة للولاية العربية، وفي السنة السابعة لحكم «القيصر أدريان» (١٢٤) تم وضع تاريخ بناء حمانا hammana في معبد الإله Asheru أو (Asadu) RES ٢٠٥٣) في دير المشقوق، حيث وجدت مسلة جنازية غير منشورة، وأيضاً في قرية «عنز» الذائعة الصيت، كشف R. Dassaud نصاً من بناء مشوه (RES ٤٧٢) وفي «تل القرية» أو (غربة الشيخ) هناك ثلاثة نصوص: مسلة بلغة مزدوجة (RES ٨٥ = ٤٧٠ = ١٠٩٥) ونقش على جائر (RES ٤٦٩) - واهداء (arkata rkt) (للإله sha'aal - qaum) شائع القوم» في عام ٢٦ لحكم الملك رايبيل الثاني، ملك النبطيين الذي يحكي ويخلص شعبه (RES ٨٦ - ٤٧١) والنبطي ١١ - ص ٢٠) فهل يعود ذلك لبناء يشكل قوس (arcus) أو شكل صندوق (Area) أوروإق (وهو معنى مفترض من العبارة المائلة لصوت «rkt» من (١١ - cis ٣٥٠) ومن نفس المحلة أُلْقِطَ أجزاء صغيرة من (باحة cratère) بازلتية (أناء حجري ذو عروتين كان يستعمله الرومان) سجل عليها «رايبيل الثاني» وهي موجودة الآن في متحف السويداء تحت رقم (٢٢٠ متاحف).

في قرية «ام القطين» جنوب الأردن، عثر على جزء من جائز يُثبت نفس الملك (RES ٢٠٥٨) ونص لتأسيس بناء جنازي من خمسة أسطر لعام ٢٣ لحكم «راييل الثاني» ٩٣/٩٢ (RES ٤٦٨) = ٢١٢٦، وجائر آخر مشوه (RES ٢٠٥٩) - مع ثلاث مسلات جنازية (RES ٢٠٦٠ - ٢٠٦١) واحدة غير منشورة. وفي الغرب في («صبحة» Sabha) وُجد خمس مسلات (Res ٤٧٣ - ٢٠٢٩ - ٢٠٤٨ - ٢٠٤٩ - ٢٠٥٠) - واحدة منها لم تنشر بعد. وجائزات عليها كتابة (Res ٤٧٤ - ٢٠٣٠ مشوه، والثاني مشوه أيضاً ولكنه جنازي وغير منشور. ثم نص غير جنازي (N. Glueck تنقيبات شرق فلسطين ٤٠ - ١٩٥١ - ١ - ص ٢٢ رسالة R. Sovignae نفحها J. t. Milik).

والجدير بالذكر أنه عثر في قرية (كاسل) أو (تسيل) في الشمال على صخرة كتب عليها رسالتين أعيد استعمالها (RES ٢٠٤٦) وفي قرية سمح هناك جائز حجري يحمل عبارة اهداء قرأها Littman هكذا: (هذا صنع قبيلة «Qasiu» لإلهمم «بعل شامين» (Res ٢٠٤٢) إذاً، هو نفسه الذي أشير إليه في بصري (cis ١٧٤) بالعبارة الوحيدة المجهولة (إله كاسيو) (1h) qsyw راجع Cis - ١٦٥ «السيح»، lqsyw، إلا إذا al' ليس بمعنى القبيلة. و Qasiu هو جد العائلة التي نقلت عبارة اللات الى «صلخد» وهي بلاشك كانت آلهة مائلة «لبعل شامون» (Res ٢٠٥١) بالنسبة لقبيلة Qasiu، والقبيلة المقربة من (Ravvahu Res, Jrw hw).

٢٠٦٥ - أم الجبال) و قبيلة السلامين (L. Slimi) ٢٠٦٦ من نفس الموقع (انظر مؤلف J. l. Milik سورية ٣٥ - ١٩٥٨ - ص ٢٢٨، S، و ٢٣١ رقم ٢ معبد Dushara في متحف السويداء من مصدر غير معروف، وفي «دير سمج» على بعد خمس دقائق شمال شرق سمج يوجد نقش في tabula ansala غير كامل (RES - ٢٠٣١).

حافظت «أم السراب» في أقصى الغرب (وفي الأردن) على مسألة جنائزية (Res ٢٠٣٧) وعلى جائز يشير الى بناء (اربعة) (arba'ana) (rb'n') أربعين، تحت حكم الملك «راييل الثاني» (Res ٢٠٣٦). هذه العبارة المشتقة من 'rba' (أربعة) تذكر بكلمة (Rbt') Rab'ata التي أثبتت، بالنسبة للمنطقة التي تهمنا في «بصري» (Res ٢٠٩٢ - في سبيل الاله .) وفي «خربة» (Res ٨٨ - ٤٨٢) يقترح Rittman - بأنها مقصورة من الطراز الإيراني (Pyrethée) (Pyrethée - IV ٨ - صفحة ٤ - S) ويمكن أن تعني بناء صغيراً عربياً من النموذج المكعب على طراز الكعبة وكلمة «حمانا» تعني pyrée أو pyréthée أما المعنى الثاني فإنه يتوافق مع (Res ٢٠٥٣) المكتوب على جائز (وفي ٢١١٥) على طبلية مرفوعة على تاج عمود في «سهوة الخضر sivera lectea، ثمة كلمة أخرى تحمل معنى أصلياً، ومعنى مشتقاً يميزاً للمنطقة وهي (masgeda) (masgd) من أصل sgd أي سَجَدَ. وأحياناً هو الهيكل الذي هو Pyrée من النوع المتطاوّل (Cis ١١ - ١٦٢ - ١٨٥ - Res ٨٣ - ١٠٩٦ -) (masgd) وأحياناً هو الحرم الذي يحويه (Res ٢٠٢٤) وهو على طبلية موضوعة على تاج العمود في «سهوة الخضر» (هذا المسجد masgida) الذي صنعه وبناءه .) وهذا المعنى

أستخدم في العربية، مسجد masgid. أما العبارة محرمتا (Mahramta) (Mhrmt') فإن كان لها معنى الصومعة (راجع بالعربي خَرْم) في كلمة اهداء سيدون (sidon) - (Cis ١٥٨)، يقترح «ليشان» تسميتها مكاناً معداً لـ (Res ٢٠٩٣ - ٢٠٩٤) والثاني بارز على مخروط جاء من مسرح «بصري».

أما كلمة naphsha (np's') المألوفة في المعنى الجنائزي التذكاري، باللغتين النبطية والتدمرية، فإنها تشير أحياناً، الى المسألة البسيطة المثلة للشخص نفسه naphsha المرحوم وأحياناً تعني القبر وبالنسبة للمنطقة التي تهمنا، فالمعنى الأول هو الأدنى تأكيداً، ولا يمكن أن يذكر إلا المسلات التي كانت درعا مصدراً لها (Res ٨٣٣). وإذا كانت Res ٢٠٨٢. (npw Zbwd, br, smtnr) «نفسه زابودي ابن شاميتو» «nephesh de zabudu fils de shamitu» كناية عن مسألة صغيرة بشكل عادي، فهي منتصبة تماماً على يسار مدخل (القبر النبطي) في «أم الجبال»، بينما السبعة الأخر من (٢٠٨٣ - ٢٠٨٩)، حيث اسم المرحوم غير مسبق ب (nps') فهي في حالة مبنية من (np's') فإنها تصطف عمودياً الى ٢٠٨٢. ولا بد من ترجمة النص هكذا: (قبر «زابودي») مع أن هذا الأخير يبدو وكأنه أصل بقية المرحومين. ويترك

البراهين الأخرى لـ nps وكأنها مرتبطة بالقبور، وذلك بناء على إسنادها. (Cis ١١ - ١٩١ Res - ١٠٩٧ - ٢٠٥٣) أما المسلات الثلاثة الموجودة في «أم الجمال» (Cis ١١ - ١٦٢) والضريح الضخم في السويداء، وفيه تمثل nps'h الأثنى بصورة تامة. الموضوع هنا يدور حول متوفاة أو رجل ينتهي أسمه بلاصقة مؤنثة مثل مدفنها في حمرات Hamrat وهذا اسلوب مألوف في قاعدة الصرف والنحو السريانية (Cis ١١ - ١٦٩ - في قنوات - المقبرة الكائنة في أسفل «سيع» Res - ١٠٩٣ - ٢٠٥٩ - ٢١٢٦ - (ام القطين) .

ومن المفيد دراسة المصطلحات الادارية (قليلة العدد)، وخاصة منها الاعلامية، لتحديد سكان المنطقة، يعتبر هذا العمل مشترك مع علم النقوش اليونانية - اللاتينية - الصفائية والنبطية، ويكتمل بفضل الدراسات التي قام بها J. t. Milik و/م. سارتر/ .

وأخيراً يجب أن نؤكد بأن النقوش النبطية في جنوب المنطقة الحدودية، (السورية الاردنية) تصبح نادرة، ولا شيء يذكر سوى: مسلة جنائزية منقولة من Gadara «غادارة» - غير منشورة - ومدفن np's' في «بيت راس» (Caputolias) الواقعة شمال «اربذ» (Cis ١١ - ١٩٤)، وحاضرتين لم تكونا من عداد المملكة النبطية (M. Avi-Yonah, op, cit , صفحة ١٧٤ - s) .

وحتى في الشرق، في البادية، لا يمكن ذكر سوى «قصر الحلابات» (على بعد ٢٠ كم شرق الزرقاء) الذي اعطى بعض بقايا النقوش. غير أنه في جنوب «عَمَّان» تزداد، تدريجياً النصوص النبطية، وتصبح كثيرة على جدار مدينة «بتر» .

ملحق Appendice

في عام ١٩٨٢، اكتشف موريس ساتر على جائز^(١٣٥) يحمل نص Nephesh (الصورة رقم ٢٠) في قرية «صور» في اللجا، من أعمال «Trachonitide» منطقة اللجا القديمة، ان النقوش النبطية فيها نادرة. وقد أعيد استعمال هذا الجائز بحيث إنجه النقش الى الخلف، وهو الآن جائز لشباك يحتوي على احجار أخرى، اعيد استعمالها، وذلك في بيت واقع شرق القرية، على بعد ١٠٠م خلف مخفر الشرطة. وأنا - ج. ستاركي - اشكر السيد سارتر بحرارة، لأنه وافق على تفويضي بنشره في هذا الكتاب.

إنه حجر بازليتي بقياس (١٠١ × ٣٠، ٣٠م) والكتابة فيه نبطية على ثلاثة اسطر (٦٦، ١٩ × ٠، ٣٠م) وهو موضوع في Ta bula ansola بقياس (٨٦، ٠ × ٥٢٣٥)

- bx'nt is «igldys qysr np's »

-lrw brt mlykt rb'wsw br mly

- kt win'l bnyh 'b dw mn b'trh

وترجمتها الحرفية: في عام ٩ من حكم كلود سيزار، مدفن Ateru، ابنة مالكات القديم: Ausu ابن مالكات وتانيل (tanel) ولديها (à ellel') وقد شيد ذلك بعدها. أي بعد الموت. هذه الكتابة تشبه كتابة حوران في منتصف القرن الأول، والذي يشابه النموذج الرسمي لخط «بتر»، ولكنه يحتفظ ببعض الخصائص للخط الآرامي الذي ساد في سورية الجنوبية، والذي اعتقدنا أننا تعرفنا عليه في النقوش القديمة «لسيع»، وشبه (Cis - ١٦٤) اهداء على شرف (مالكات) الذي سبق أن أشاد معبد «سيع»، الذي بناه واحد من أسرة (المالكات) الذي قد يكون جدّه، ولا يستبعد أن يكون هذا الأخير هو مالكات القديم المقصود وإن اسم Ausu موجود أيضاً في هذه النقوش. هناك في «صور اللجا» معبد مهم جداً. وإن tan'él صفائي Safaltique، ويقرأ كثيراً تحت الأشكال، Zoun-Zonun- (Zan'ael, el-Zan (E. a Suspecte) اشتبه به (فهرس وتوافق الاسماء والنقوش العربية قبل الاسلام). و Tanel «تانيل» هو النقش الآرامي (راجع iglo XIII p 395 et RES 1093) شهادة قبر في سيع، مزدوجة اللغة لقبر Tanemos Tanenoul.

- ارتبطت Trachonitide مع ما تبقى من الولاية العربية القديمة «لفيليب بن هير ودوس»، مع الولاية السورية من عام ٤٤ الى عام ٥٣، وشاهدة القبر كانت تحمل التاريخ ٤٩، وفي حبران، جنوب الولاية الربعية القديمة، كان قد اكتُشِفَ نقش مكتوب ومؤرخ في شهر (تشرين Tichri) من العام ٧ لحكم الامبراطور «كلود سيزار» وهو محفوظ في متحف اللوفر (Cis - ١١ - ١٧٠) ^(١٣٦) - تشرين ٤٧، qgsr, qldys، وقد ثبت ما عرف عن «جوزيف»

وخاصة عن الفتوحات المتعاقبة لهذه الأراضي التي وُجدت انها لم تقع قط خارج السيطرة النبطية .

ومن خلال بعثة تنقيب في جبل العرب وحوران في خريف عام ١٩٨١ ، اكتشف (Frank, Breamer فرانسك بريمر) عدة نقوش من بينها ، اهداء باللغة النبطية (غير منشور) حيث أرسلت لي (أي للمؤلف) صور عنها (الصورة رقم ٣) وهي معادة الاستعمال وموضوعة بالعكس على حائط الخزان الكبير ، شمال «الخرائب» ، الواقعة جنوب «أم الرمان» على الهضبة التي تمتد على الجنوب الشرقي من «بصرى» ، والتي عثر فيها على العديد من النقوش النبطية .

- DNH, MHRMT, DY, BD, YLMW, BR, MRW

- BR' MRW, LOWSR, LH, MRN, RBI, MLK'

- BSNT, 31, LRB'L, MLK' MLK, NBTW,

وترجمتها الحرفية : هذه هي الصومعة (للمعبد) التي بناها «عيلمي بن عمرو بن عمري الى Dushara إله سيدنا الملك «رايبل» في عام ٣١ لحكم «رايبل» ملك النبطية .

ان عام ٣١ لحكم الملك «رايبل الثاني» (٧٠ - ٧١ الى ١٠٦) تعادل ١٠٠ - ١٠١ م . ويُعتبر هذا أحدث النقوش والكتابات المؤرخة عن حكمه التي وُجدت في هذه المنطقة ، في «تل الشريعة» tellcharych على بعد ٤ كم جنوب شرق «أم الرمان» . وكان ر . دوسوقد اكتشف لوحة اهداء تحمل تاريخ عام ٢٦ لحكم الملك «رايبل» ، ملك النبطية الذي آمن الحياة والسلام لشعبه (Res - ٤٧١) ويجب أن نشير الى غياب تدويننا لهذه العبارة ذات الخصائص عن تثبيت «رايبل الثاني» في الحكم . ولنذكر ان السنة الأخيرة لحكم «رايبل الثاني» مدونة في نقش في منطقة (Hegra هجرة) كما يلي : السلام . بقرات Bagrat بن نادرو Nadru عام ٣٦ من حكم «رايبل» (Jaussen et Savignae) (البعثة الأثرية الهندسية في العربية ص ٢١٧ رقم ٣٢١) .

أما بالنسبة للكلمة (Mahrametá) محرماتا التي ترجمناها بمعنى (الصومعة) راجع مجلة الكتاب المقدس - ٦٤ - ١٩٥٧ - ص ١٩٩ - S - نجهل لأي نموذج بناء ديني تعود . واسم Ailomu هو جديد ، ولكن من دراسة الأعلام لنفس الأصل ، ثبت أنها «تدمرية» هكذا ylmry وخاصة في الصفائية (فهرس وتوافق الأسماء والنقوش العربية قبل الاسلام) أما Amru فهو اسم دارج أي متداول في النبطية والعربية Sur Dusehara ، أي دوساريس Dousares (في الكتابة اليونانية) هو الإله الرئيسي للأنباط وإله «رايبل» (راجع J. T. Milik سوروية ٣٥ - ١٩٥٨ - ص ٢٣١ - ٢٣٥) .

J. Starky

هوامش

- ١ - محافظة جبل العرب مركزها السويداء بصرى ، تتبع محافظة حوران التي مركزها درعا والتي تمتد من الشمال الى سهل نوى وسهول الصنمين أي Batanée القديمة ، غير أن بعض العلماء يدمجون المحافظتين تحت اسم حوران .
- ٢ - C Vitelli et atti pubbl cazioni della Socileta per la Riverca dei Paperi greei e latini in Egitto IV - Florence 1917 No 106 cof1. 1. 1724.
- ٣ - C.C. Edgar - (Zenon Papyri) نموذج عام (كاتالوج) للآثار المصرية في متحف القاهرة - ١ - ١٩٢٥ رقم ٥٩٠٤ .
- ٤ - CF. M. Avi- yonoh the Holy land from the Arab conquest 536 BC to A. S. 640 Grands Ropids - Michigan, Baker Book House Company, 1966, P 49 - 51 et carte 3, et les carte 18- 21 P. 165, sp
- ٥ - E. T. Newel Pate Seleucid Mints in Hke ptolemais and Damascus new York 1939 P. 02- 94.
- ٦ - ed klosteran- onomastikon صفحة ٦٤ تدعى اليوم سحح الجولان .
- ٧ - بالواقع يعني سورية الجنوبية Coelé- Syrie هذا الاصطلاح الجغرافي اخذ رويداً رويداً معنى ضيقاً .
- ٨ - بالنسبة لتاريخ تلك المعطيات والمصادر الأدبية . E schürer- of E schürer- of الصفحة ٤ - ٢٨٧ - ٢٨٩ - ٥٦٥ .
- ٩ - H. Aot- Yonoh الأرض المقدسة ص ١٧١ - ١٧٣ والصورة ٢١ .
- ١٠ - بحث J. T. Millk في ١٣ / ١ / ١٩٨١ في URA رقم ٢٠ .
- ١١ - Cf. SDB VII C. ٩٣٠ .
- ١٢ - اكتشفت البعثة الأثرية الفرنسية في سورية الجنوبية عام ١٩٨٠ (رقم U.R.A ٢٠) في أسفل تل سيع خطأ مزدوج اللغة يذكر من خلال رسوماته الخط الموجود في تدمر والذي يعود الى القرن الأول ق. م. الأمر الذي يشي هذه الخاصة . وقد تميز فيه فن المنطقة الحورانية وخاصة سيع (٩٤١ SDB VIIe of) .
- ١٣ - على حدود المقاطعات ، وفيها عدا AVIyonch (الحاشية رقم ٤) يشار الى E. Schürer- of الصفحة رقم ٤ (١٩٧٣) ص ٣٣٦ حاشية رقم ١ - و F. M. Abel جغرافية فلسطين ١١ - ١٩٣٨ - ص ١٥١ - ١٦٠ .
- ١٤ - E. Schürer- C. T. الصفحة رقم ١ (١٩٧٣) ص ٣٥ والحاشية رقم ٣٣ .
- ١٥ - تاريخ فلسطين ١ - ١٩٥٢ ص ٤٤٢ .
- ١٦ - E. Schüeer- of الصفحة رقم ١ (١٩٧٣) ص ٥٦٧ - ٥٦٩ - ٤٧٦ of .
- ١٧ - شرحه ص ٤٤٥ و ٣٦٧ S.q.
- ١٨ - شرحه ص ٤٧٢ و ٥٦٩ S. q.
- ١٩ - شرحه ص ١٧٢ sq
- ٢٠ - شرحه ص ٤٨٠ - ٤٨٣ M. Avi Yonah الأرض المقدسة ص ٤٤٠
- ٢١ - ٩١٩ ، ٩١٦ ، ٩١٣ C-V-SDB - ٩١٩ .

- ٢٢ - F. M. Abel الفرافيا ١١ - صفحة ١٦٦ sq-ef أيضاً ادناه .
- ٢٣ - Domas zercs'ki C. F. Brünnow الأقاليم ١١١ ص ٢٥٠ .
- ٢٤ - ٩٣٢ C - VII Cl. SDB للهجرة (F. Altheim) و Dir Arabes in der allen vell, R stichl ٥ - ١ - ١٩٦٨ - ص
- ٣٠٥ sq شاهدة قبر معاوية (sic) ٣٥٦ بعد الميلاد .
- ٢٥ - في هذه الدروس الثلاث - السيد سارتر عرض أهمية عبارة الاهداء (Cis ١١ - ١٧٠) حول عائلية هذه المنطقة الى ولاية سورية ، حينما انشأت هذه الصفحات ، لم أكن اهتم لهذه الدراسة الرائعة ، التي جعلت من هذه الصفحات جزءا لمهمة مزدوجة فقد وجدنا فيها ، ان أغلب المعطيات تتيح رسم الحدود المتابعة للدويلات النبطية ، الميرودية ، والولايات الرومانية في سورية وفي العربية ، اليهودية ، والفلسطينية ، (راجع بصورة خاصة الايضاحات حول مدن الائتلاف العشر) . والمؤلف يتساءل في الصفحة ٤٧ ، اذا كانت «مأدبة» لم ترجع نبطية إلا بعد موت هيرودس الكبير . فإن الكتابة (Cis ١١ - ١٩٨) لعام ٤٦ لحكم «ارتباس الرابع» (٣٧ بعد الميلاد) يضع على كل الاحوال تاريخاً قبل عام ١٠٦ .

هوامش المترجم،

١* - تؤكد المصادر العربية والأوروبية وغيرها أن الأنباط هم أحد فروع العرب الذين استوطنوا بلاد الشام بين سهول دمشق وخليج العقبة وصحراء النقب وبادية الأردن، وقد انشأوا مملكة واسعة خلال الفترة الواقعة بين القرن الثاني قبل الميلاد ونهاية القرن الأول الميلادي، أو بالأحرى بعد ضم جنوب سورية للإمبراطورية الرومانية حوالي عام ٩٣م. وكانت عاصمتهم الرئيسية «البراء» وجعلوا من مدينة «بصري» عاصمة ثانية لهم وكما حكم أحد ملوكهم مدينة دمشق خلال القرن الأول الميلادي، ويؤكد هذا الكتاب الذي نحن بصدد نقله للعربية، هذه الوقائع التاريخية وفي أكثر من مناسبة، ولهذا لا يُعقل أن يكون عدد الأنباط عشرة آلاف نسمة، وقد وصل تعداد جيوشهم في بعض حروبهم إلى أضعاف هذا الرقم . .

٢* - قتل يهوذا المكابي من قبل الجنرال السوري باخشيديس (المصدر كتاب Je monde juif nesses tempole Jesus psuch. guigne bert. p. 45 ورد في كتاب (Le monde Just)

٣* - أما يدعى بالملك اليهودي الكسندر جانيه، تأليف السيد غنيويرت، الأستاذ في جامعة الصوريون، ما يلي حرفياً من الصفحة (٤٥) من الفصل «النظام السياسي» :

«حتى ذلك الوقت، بقيت سلطات المكابيين عابرة، وكانوا يشبهون رؤساء العصابات أكثر مما يشبهون حكاماً مستقرين. وحتى خلفائهم، هركان الثاني، وارنستوبول الثاني، والكسندر جانيه، لم يصمدوا الا بفضل الفوضى التي عمت جيرائهم آنذاك، ومع ذلك حاولوا تدريجياً أن يأخذوا صفات الملوك الصغار (Polittets) . . . وفي الصفحة (٨٧) من نفس المصدر يصف المؤرخ، الكسندر جانيه، بالملك المتججج، ويروي قصة رمية بالخضار المعفنة من قبل أتباعه اليهود في عيد المظلة اليهودي. وأخيراً هزم على يد ملك الأنباط .

٤* - ورد في كتاب «Le Monde juif» تأليف الاستاذ «Guignebert» في جامعة الصوريون الصادر عن دار نشر «Allin Mechel» ١٩ تشرين الأول ١٩٥٠ مايلي من الصفحة (٤٦) : «وبإرادة رومانية سُمي العربي «هيرودس ابن المدعو» أنتيياتر»؛ وقد اختاره القيصر لحكم يهوذا في عام (٤٧ ق. م) وكان قوياً ومهماً. وأصبح فيما بعد ملكاً لليهود. . وصديق وحليف للشعب الروماني وكان صهراً لملك الأنباط «أريتاس». . وقد توفي عام (٤ ميلادية).

٥* - هيرودس الملك العربي الذي عينه الامبراطور الروماني ملكاً على اليهود. (المصدر كتاب العالم اليهودي).

٦* - يقول المؤرخ «غنيويرت» أن زواج هيرود بزوجة أخيه «كان بمثابة فضيحة، وانتج الراقصة «سالومة» التي كانت سبباً في قتل القديس يوحنا المعمدان، وهذه القصة معروفة ومذكورة في الأدب المسيحية .

٧* - يلاحظ من تكرار عملية فصل أو ضم بعض المدن أو المناطق للملوك في حالة الرضا عنهم أو الغضب عليهم، أو في حالة التعين أو الوفاة، الأمر الذي يدل على أن هؤلاء كانوا ولاية تابعين لروما ولا يمكن تسمية مملكتهم باليهودية، كما يحاول الكاتب اطلاق هذا الاسم على مملكة اغريبا احد احفاد هيرود المار الذكر في الحواشي السابقة والغاية من هذا التحريض هي الالتحاح على أنه كانت هناك ممالك يهودية، بينها

- نجد أن تاريخ اليهود يسخر من هؤلاء الملوك، بل لقد حدث أن طلب اليهود أن يتضموا تحت لواء حاكم سورية في عهد الملك «ارشيلاوس» ابن هيرود، بسبب طغيانه (المصدر: العالم اليهودي - ص ٤٧٠).
- * ٨ - ليس من الحكمة الجزم بهذا الأمر، لأن حشر اغريبا الأول والثاني أمر يثير التساؤل
- * ٩ - هو القيصر كلود الأول ولد عام (١٠ ق.م) وأصبح امبراطوراً لروما في الفترة بين (٤١ - ٥٤) ميلادية.
- * ١٠ - موقع «أم الجبال» يقع على الحدود السورية الاردنية، الحالية، ومقابل قرية «طيسية» السورية، مباشرة.
- * ١١ - المقصود هو القيصر هادريان أو أدريان (٧٦ - ١٣٨ م) وأصبح امبراطور روما خلال الفترة الواقعة بين (١١٧ - ١٣٨ م). وقد اشتهر ببناء التحصينات الدفاعية على حدود الامبراطورية واتخاذها للتمرد اليهودي في القدس عام ١٣٥ م.
- * ١٢ - الجائز ايتنا ورد في هذا البحث المقصود منه، العتبة العلوية، أو «الحنت» والقطعة الحجرية المستطيلة المستخدمة في الأبواب والنوافذ والسقوف الحجرية.

النقوش والكتابات الصفائية

١ - المكتشفون والناسخون

منذ قرن وربع تقريباً جازف الرحالة الانكليزي «غراهام» بالتوغل في القعر البازلتي السوري «الحرة» وهي المنطقة الواقعة شمال - شرق جبل العرب (جبل حوران قديماً) والتي تدعى الصففا، ونسخ بصورة مستعجلة ثلاثين نقشاً مكتوباً، وبعض الصور المنحوتة على الصخر. وفي عام ١٨٥٨، أي بعد سنة من تلك الرحلة، اكتشفها الجمهور الأوربي، الواسع الإطلاع، في المجلد ١٢ من ZONG وفي نفس العام، جلب الروسي J. g. Wetzsten في نهاية رحلة ممتعة، قام بها في نفس المواقع أكثر من ثلاثمائة نقش، كما التقطت البعثة الفرنسية لـ W. H Waddington, m, d. vogue عام ١٨٨١ خمسمائة نسخة. والنسخ التي أعدها وادينغتون هي موضوع ثقة، كما كانت تسجيلاته اليونانية التي وضعها عن منطقة حوران موثوقة أيضاً.

عند منعطف هذا القرن، ظهرت عودة نشيطة للاهتمام بالاستشراق المتعلق بهذا الفرع الجديد للنصوص السامية القديمة، لدى القيام بمشروعات مستقلة: الرحلات

الأثرية لـ «رز دوسو» ولـ «ف. ماكلر» خلال اعوام ١٨٩٩ - ١٩٠١، التي قدمت ١٣٠٠ نقش صفائي. والحملة التي لاثيل لها الجامعة برنستون التي جاءت على ثلاث مراحل وخلال أعوام ١٨٩٩ - ١٩٠٤، ١٩٠٥ - ١٩٠٩ استكشفت بدقة الاراضي القديمة القابلة للزراعة والبادية في جنوب سورية وكان على «أ. ليتمان» الذي أوكل إليه نشر وطباعة النقوش السامية، أن يعالج ١٥٠٠ نصّ صفائي تقريباً، دُوّن منها باعثناء، وقطعة - قطعة، عددٌ غير يسير، ومنذ عام ١٩٠٩ وفي مؤلفه Zur Entzifferung der safa inschriften ضبط هذا العالم بصورة نهائية، القيم والمعايير الصوتية، للابجدية الصفائية القرية الصلة بالخط الجنوبي العربي. وقد أجمل المهم من القواعد، وضبط الخط، وتركيب الجمل، لهذه اللغة، ونشر في عام ١٩٠٥ ١٥٠ نموذجاً وبرهن على صحة قراءاته لتلك النصوص.

لم يظهر القسم الأكبر من مؤلفات «ليتمان»، مع ذلك، إلا خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣، وفي نفس الوقت، كرّس الراهب البلجيكي Reykmans عشر سنين من حياته، في جهد مضن لتجميع مجموعة الوثائق عن النقوش (Sara cenique Cis) - ٥ - ١ - ١٩٥٠ ومن المفارقة، أن حرية التنقل التي كان يضمها الانتداب الفرنسي والانكليزي في الشرق الأدنى خلال فترة ما، بين الحربين، لم تستثمر إلا قليلاً في اغناء المادة النقوشية والكتابية موضوع بحثنا. إن الجزء الأكبر قيمة «في مجموعة رينمان» والتي بلغت ٥٣٨٠ وحدة، هي بلا جدال، محتويات دفاتر الأثري، «م. دوناند»، الذي قدّم حوالي ٢٦٠٠ نقش بيد مرفوعة، ولكن بخط ثابت ودقيق لمصور في. وقد احتلت هذه النقوش ٤٥ لوحة من أصل ١٠٢ في المجموعة LV à XC VIII, IIs

بعد الحرب، سيتم التخلي عن الكشف النقوشي في الأراضي التقليدية، الكائنة في الصفا وفي جوارها، لصالح الحدود الجنوبية لمنطقة «الحرّة» الجيولوجية نفسها والمدرجة ضمن المملكة الأردنية الهاشمية، ومن المهم التمسك بإسمين: في بادئ الأمر، عالم النقوش الكندي، السيد F. V. Winnet الذي قسّم وقت عمله بين ممتلكات السمودية والصفائية، وبالنسبة للآخيرة، كان اهتمامه الرئيسي منصباً على النقوش الصفائية في الأردن (تورنتو ١٩٥٧). وإن الـ ١٠٠٩ رقماً، المكتشفة بقسمها الأكبر حول التلال الغربية من H5 - هي عمل مستعجل ومُهْمَل، ولكن القراءة كانت صحيحة بأغلبية وقائعها بالنسبة للمصور المودوعة في متحف «عثمان» والتي ظهر فيها فهرس قيم وثمين.

ثم، في نفس المنطقة، استكشف المرحوم «هاردينغ» في عام ١٩٥٠ - ١٩٥١، ونقّب عام ١٩٥١ في «تلة هاني» التي اشتهرت فيما بعد عن قديس صفائي من العصر الامبراطوري الروماني قُتل بسهم من قطاع الطرق (ADAJ - ١١ - ١٩٥٣ ص ٨-٥٦) وعن مائتين من النقوش تقريباً، في التلّول الضريحية وما هو حولها، حيث تتمثل فيها الشهادات الغالية (لمدرسة الفنون والنقوش) التي يديرها الاستاذ (أكربان Aqraban).

يدل هذا التاريخ، بالتأكيد، على بدء عهد علم النقوش والكتابات الأثرية في هذه المنطقة، وقد أدخل في المجلد الفخم الذي نشره هذان العالمان بعنوان: النقوش المستخلصة من (٥٠ - تلاً صفائياً) جامعة «تورنتو» ١٩٧٨ - سلسلة جديدة من ٣٩٣٦ رقماً. بأنها مجموعة ذات قيمة عالية، رغم يُقع الطباعة والاختفاء الطرائقية - وقد نُشر أحد المشتركين في البعثة W. g. Oxtaby خلال عام ١٩٦٨، قسماً من ٤٨٠ نقشاً منها بعض النقوش للبدو الصفائيين، في كتابة خمسين تلة، وفي كتاب «هاردينغ». (فهرس وتوافق الأسماء والنقوش العربية قبل الاسلام). في «تورنتو» عام ١٩٧١، نجد مراجع البحث الكاملة لهذا الموضوع. ومن جهة أخرى نجد في المؤلفين المذكورين نظاماً مناسباً لصياغة حروف اوائل الكلمات يصلح أن تتبناه.

وهكذا نجد، في وقتنا الحاضر، ان مضمار النقوش الصفائية، المتميزة في مجملها، يتضمن عدداً كبيراً من الوحدات النقشية وعدداً مرتفعاً أيضاً من الوحدات النقشية المصورة التي يتجاوز مجموعها (١٣) ألفاً. والقسم الأكبر من هذه النسخ يمكن الأخذ بها، وخاصة، ما يعود الى «ليتمان» - ود. دوناند - واوكستوبي - وهاردينغ. وهكذا يفتح لبحث مستقبل بعيد المدى أفق واسع من المعلومات ووضّح نزراً منها كل من - ليتمان - دوسو - قريم - دايكاس - واوكستوبي ونييت - هاردينغ.

٢ - مجالات التوسع في النقوش الصفائية

ان مجال انتشار الخطوط الصفائية كبير. في الشمال تصطدم بالفرات، حيث تظهر نقوش مثبتة في نقاط معينة مثل Dura Europos، وفي مناطق أخرى مثل تدمرات الشمال الغربي - وادي حوران - الرطبة - وقد ازدهرت النقوش الصفائية على عشرات الركامات Tumili الضريحية والتذكارية، وعلى مئات من أراضي الحصى المبعثرة أو المترصة أو المكسدة بشكل تلال في المساحات الواسعة (للحرة) جنوب سورية، وشمال الأردن، مع رأس نحو الغرب، الممثل في سلسلة جبال لبنان الشرقية من الشمال، وعبر مضيق شرقي الأردن الحضري. وتمتد مساحة النقوش الصفائية حتى العربية السعودية، محاذية خط التابلاين، وبالأخص على مجموعة من التلال بجوار «بدانا Badana» الموجودة في مكان معين من بادية الجوف التي كانت تدعى (هاد. دومات had-Dumat) وهذه المجموعة التي تعطي معلومات ثمينة، عن السياسة العرقية - الاجتماعية للملوك النبطيين، قد فقدت مع الاشعار ولا يمكن التعرف عليها إلا من خلال بعض المئات من النقوش المنشورة بصورة غير كافية من قبل A. Jamme. ومن قبل «هاردينغ» بالنسبة لبعض العشرات منها - غير أن نقوشاً صفائية منفردة، كشفت أيضاً ضمن لوحات ثمينة جداً للأب «سافينياك» (البعثة الأثرية في العربية ١٩٠٩ -

١٩١٤) وقد التقطت هذه النقوش على طول الطريق ، التي كانت تربط المراكز التجارية المدنية ، للعربية الشمالية ، مع مراكزهم . ويمكن أيضاً إضافة حفنة من النقوش المستحضرة من العراق - سورية - الأردن - العربية السعودية - فلسطين - التي نشرت من قبل «وينيت» - هاردينغ - وعلماء آخرين غربيين وعرب .

والواقع سواء من وجهة النظر الجغرافية - الجيولوجية أو من وجهة نظر علم الدلالة . فإن النقوش الصفائية السورية ، أو نقوش أولاد عمها في الأردن الوسطى ، والجنوبية تغوص ، دون احساس ، في بحر من الرمال المتحركة مع الأسف ، فيما يخص هذه الممتلكات النقشية والكتابية التي يقال عنها (تاموديون) ، حيث يعرف عنها حتى الآن ، حوالي أربعة آلاف نقش مكتوب قصير ، أغلبها منسوخة بشكل غير كامل أوسى . (وعدم وجود أية نسخة أفضل من نسخة عاطلة) . قال ذلك هاردينغ استاذ هذه المادة . يجب أن يضم إليها الآن حوالي تسعة آلاف نقش مخطوط ، التقطت أثناء حملة «فيلبي - رايمانس - ليبنس - عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ في وسط وجنوب العربية السعودية ، وهي لا تزال غير منشورة فيما عدا ، عدد قليل من النقوش الأثرية التي يمكن قراءتها بواسطة الصور ضمن مؤلف (الفن الصخري في قلب العربية Louvan - ١٩٧٢) . أما في نطاق العلم الجغرافي وعلم الصخور الصفائية - الثمودية - فقد دقت مجموعة من الأقطار المترابطة مثل (الليهيانت Lihyante) في الوكالة التجارية ، لدادان el-'ula' للتيمين taimanite والحسيين Haséen وبالاحرى للـ Hagaretes المهاجرين من الخليج الفارسي) ويتوافق مع هذه الوحدة في المجال الجغرافي ، الوحدة في المجال الباليوغرافي (علم قراءة النصوص) بشكل دقيق ، وبالموقت نفسه ، يوجد بينها قرابة لغوية متوسطة الدقة .

٣ - الخصائص اللغوية

كان يجب في هذا الصدد ، تجنب التسميات العامة ، مثل شمال العربية القديم Early North Arabi. Fruhnordarabiach أو بالأحرى ، عرب العربية قبل الاسلام ، حتى في اللغة الفرنسية ، كانت العبارة «العربية» تؤخذ بالمعنى الجغرافي أكثر منه بالمعنى اللغوي . وبرأيي (أي رأي المؤلف) ان تلك السمات مضللة . وخلال العصر الحديدي الثاني ، وخلال العصر الفارسي ، واليوناني ، والروماني ، تمت تقسيمات مرضية كانت تستند الى معايير حرفية أولية قوامها أداة التعريف . وقد أمكن التوصل الى تخطيط منطقتين محيطيتين ، وفي مجال شمال بلاد ما بين النهرين : جماعة اللهجات الآرامية (حيث كان الواحد منها يعرف باستعمالها العالمي) وهي الاداة - المضاف إليها حرف - â - وفي اليمن : الجماعة مزدوجة اللغة من السابخاديك Saekhadeque تفسر Beeston الذين يختصون بالاداة المضاف إليها حرف an

وهناك منطقة مركزية واسعة لها لهجات محلية متعددة، ولكنها موحدة بواسطة الاداة المسبقة han، ينجم عن ذلك، ان اللغات والكتابات النقشية، الصفائية، النمورية، اللهيانية، التيمية الخ... تقارب اللغات النقشية للشمال - الغربي السامي (نسبة الى السامية) المتوسط، كاللغة الفينيقية والعمانية والموابية، وان اللغة الكتابية لهذه المجموعة المشتقة من نفس موجة الهجرة اللغوية السامية، التي هي لغة الكتابات القديمة لليهود السامريين، وسكان اليهودية، والطوبين Tobeades وإليك على سبيل المثال تفصيلاً صوتياً موثقاً. في العبري التوراتي وفي اللغة الفينيقية، وفي تدوينات دول أخرى في المنطقة، تبين التحول العام لحرف n في الاداة الى الحرف الساكن الأولى للاسم. هذا الواقع الصوتي، يغطي غياب نفس النغم الصوتي الساكن لأداة التعريف في النصوص الصفائية، فيما عدا بعض الاستثناءات، غير أن العكس الصريح، هو أن لدى الثموديين والحسنين، والكيداريين يكون الشكل الأولى لـ hn مكرراً وخاصة فيما يتعلق بالحرف الخارجة من الحنجرة.

وفي الواقع، لا يمنع ذلك، من أن بعض انواع اللسانيات الاساسية، تقرب اللغات الشمالية العربية والسيخادية من العربية الكلاسيكية الغنية: فالنظام الصوتي غني (٢٨ أو ٢٩ حرفاً ساكناً) وصرف الاسماء غني (مثلاً جمع التكسير) وكذلك صرف الأفعال (سلم تصاريف متطور). رغم كل ذلك يجب أن يستيقظ ضمير تعاقب المصوتين التاريخي، لدى فكر عالم الكتابة النحوي. ان لغة la الواردة في الأدب الإسلامية والمسيحية في القرون الوسطى الأولى، لها سلف قديم ومشهور، ألا وهي لهجة la النبطية العربية. ولكن هذه اللفظة الأخيرة لم تظهر تقريباً، خارج دراسة اسماء العلم théonymie وخارج علم اشتقاق الاسماء من الالهة. فمن النبطية العربية، ومن لغات la الأخرى الوسيطة (الوثنية). لا يعرف إلا بعض النقوش والكتابات. وتجنباً للوقوع في شرك نظرية شمول اللغة العربية وكذلك شمول اللغة التوراتية. غير السويين منهجياً، يليق بنا، في بادئ الأمر، ان ندرس النقوش الكتابية التي تهمنا هنا، وضمن المفهوم التاريخي اللغوي للشرق الأدنى خلال الألف الأولى قبل الميلاد. وهكذا يُستبعد الشعور بأي مفاجئة، لدى مصادفة الفعل اللازم الأصلي natan بمعنى اعطى donner، بجانب الفعل العربي «وَهَبَ» التي هي بالآرامي yahab، في شمال العربية، وحتى العصر الآشوري. ولهذا يجب العمل في ادخال فكرة الجماعات المهاجرة بالتتابع، وكذلك اللهجات المختلفة، حسب الطبقات الاجتماعية لنفس السكان، لتتابع البحث بنفس الاتجاه. لقد كانت محفوظات المفردات التي لاتنضب في القواميس العربية الكلاسيكية، لاتزال تقدم خطأ أو صواباً، الايضاحات عن علم الدلالة، وبشكل كامل للصيغة الصفائية والثمودية. ومع ذلك، يتم تدريجياً استخلاص مصدر

مفردات تلك اللغات المغرقة في القدم، التي تبتّر (أي تعزل) مفردات لغات ha و ã كالالفاظ السامية الأكثر قدماً: كالأكادية والمينية والكتابانية. نذكر منها التسميات المنادية من نوع mdber الصحراء القفر RKB الجمل - وهذا اللفظان ذُكرا في القصص الاشورية تحت شكل كتابي (madbaru Rukubbu) nhb - داري - وهي شجرة النخيل في العربي الكلاسيكي msrt معسكر oryx-dsy. وبما لاشك فيه أنه يجب بالرجوع الى لفظة ab,ovo فحص مفردات العربية hon لتحديد وتبيان الفروق، في النطاق الدال على النصوص، على ألا تستند بالأساس، إلا على المعيار الوحيد المعروف بأهميته لعلم تأليف القوانين ولمعرفة القرائن: القرنية اللغوية للحملة نفسها - القرائن غير المباشرة لمجموعات النقوش المتواجدة في المركز والمتسعة رويداً، رويداً، حيث تتدخل غالباً، وبقوة صور وتماثيل.

فإذا سهلنا الطريق خطوة، خطوة، لهذا العمل الاستكشافي بالنسبة للقواعد والمفردات وتركيب الجمل، يمكن احترام القاعدة المطلقة للاملاء في اللغة العربية الشمالية كما في الفينيقية، وفي الشكل الخطي الصفائي الخ. . . ويُعتبر ايضاً، وبكل عصر، ناقص، ولا يمثل الأحرف الصوتية الداخلية، ولا نهاية الأحرف الصوتية الطويلة والقصيرة ولا مزدوجة الصوت. هذا التوافق الاملائي الذي لاحظته «ليتمان» كان منبؤاً من الاختصائين (المعتادين على العبرية التوراتية) الذين لم يسمحوا لأنفسهم بالتمشي مع نشاط المكابرة المهمة في صيدا Scriptiones Plenae وبذلك يمكن العثور على قائمة ضئيلة من التعابير الخطية عند الدخول الى (الخمس من التلال Cairn هذا النص في الاسلوب، لم ينطلي على كل من «م. س. آ. مالدونالد. و. د. د. مولى اللذان دققا الكتاب. ولكن هل كانت ملاحظاتهم. كافية لاعادة التوازن فيما يتعلق بهذا التفصيل الذي هوليس بثانوي ولا يقابل امهال؟

٤ - الاطار التاريخي للاحداث وسلسلة الانساب

ان البحث الأكثر عمقا الدائر حول النقوش والكتابات لا يمكن فصله عن إطار الترتيب الزمني، سواء كان نسبياً أم مطلقاً، واضحاً أم تقريبياً، وفيما يخص العالم القديم، بقي الرعاية الصفائين (حسب اعتقادي) الوحيدين الذين كانوا يعرفون مبدأ كيفية احصاء تعاقب بعض طبقات اجدادهم. بشكل يصل أحياناً، الى أكثر من عشرة أجيال، لننظر ثلاثة نماذج منها: اثنتان غير سويتين، وهذا يجب أن لا يخذعنا إذ أن الاخطاء في تعداد الاجداد لديهم نادرة جداً. وإذا اسقطنا كلمة br التي تعني بن في الكتابة رقم ٢٦٤٦ - C - لدينا.

('bd omes hngš sry qšm sby mgny kmd znn Ns2)

مثال : 'bd hnn s'd في ٢٩٨ sij - ٣٠٠ Whben' dy qmr'd C- 4629.

فالإسمان الاخيران تغيراً من قبل الناسخ باليد hnn'l/ms'l «mr» nzm'l-

والترتيب الصحيح مثلاً راجع ٦٨١ ty' sti'q bdn znn hrm 'wd wbel

وأخيراً في ١١ W ٣٩٩ ndt wsytdf Znil rgl grm'l qh's hdg swr, hmyn' gddl'

لا شيء يثير الدهشة . لأنه منذ ثلاثة أرباع القرن كانت مجموعات النقوش الصفائية تُزَيَّن بأشجار صغيرة من سلالات الأنساب . ولكن هناك واقع آخر يتمثل في محاولة حصرها في التشعبات الصاعدة نحو الأجداد الأول لهذه الجماعة العرقية . وبعض التجارب الداعية الى الانطلاق من الأساليب الاعلامية . لا تبدو بأنها اعطت حتى الآن ، نتائج ملموسة . وقد علمت بواسطة «د . م . مالدونالد» أن الدكتور peter قام بعمل غير مفيد (تحليل شامل للسلالات الصفائية) ، لأن معطياته التحليلية أخذت من «وينيت Winnet غير أنني بوسائل بسيطة جداً قمت منذ عشر سنوات ، بوضع مخططات ولوحات انساب اكثر فهماً .

وقد سبق لي أن قدمت في جميع كلمات الاهداء ١٩٧٢ - صفحة ٩٩ - ١٠١ بشرح مختصر عن الاجداد الثلاثة الأول لذلك الشعب المتحضر والنصف حضري . لقد كان من السهل التعرف على هؤلاء الثلاثة فقط ، واعني بهم الأب واحد وأولاده وابن أخ لهذا الأخير . الذين وصلوا الى مراتب الآلهة حسب الترتيب الوطني ، باسماء إلهية «الثروة» أو «الحظ» وهكذا قام «عاد . وهبيل» بتوجيه مصير الأمة الوهبلية ، سبع مرات في القرن وتلخص احدى العبادات الأولية لأحد الأصول الحورانية الزراعية ، وبالتجديد المتواتر «للفقاد عويد» . وذكرت احدى الكتابات اليونانية في قرية «رامه» في محلة أحد مخططي المعارك المنتمي الى العويديين Wadd ٢٢٣٦ . أما الأصل أو العرق الآخر الذي تتألف غالبيتهم من مربي الخراف ، والماعز ، والجمال والحياد ، فاني اقترح رفض التسمية التقليدية التي اطلقت على اسم الجد الثالث «ديف» .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار البراهين التي ستورد فيما بعد يجب علينا من الآن فصاعداً ان نقرأ «داف» ، وفق طريقة صرفية عرفت في مكان آخر ، فإن المنطقة (أرضى بالمؤنث) التي كانت خاصة أحفاد «داف» هي أراضى رعيهم التي أقيمت فيها بعض الأبنية الحجرية الدائمة ، وكانت تسمى «هاد - دافت» Had-dafat ، اكتسبت اسماً مؤنثاً للمنافسة ، وعلى ذلك النهج جاء اسم موقع (الص) صفا - as/ Safa - الذي لا يزال العرب المعاصرون يُحافظون عليه بكل أمانة ، وهكذا سمي إله الحماية المحلي لتلك المنطقة بـ (إله هاد - دافت) . وقد ترجمت هذه العبارة الى لغة بصرى اليونانية PPUAES, III, A (558) Züs Saphathénos فإسم السلالة «دفائي» . تأكد مرتين : في المرة الأولى أساء فهمها «دوسو» والثانية لم تلاحظ حتى الآن ، في اسم احدى قرى اللجا ، على بعد ٤٠ كم شمال بصرى ،

المنسوخ باليونانية في «وادي نغتون» ٢٣٩٦ من قبل «بوريشات ساباؤون» Barechath Sabaôn لا يظهر بأن «ساباؤون» Saba (i) oi هم أنفسهم الـ Sabaéens بل الـ Sapaioi ، أو Safaioi أي الصافيون أو الصاييون والـ Dafay (hdpy) (١٣٤٤ - ١٠٦٠ WII) وفي المجموعة WII ، نذكر هذه القرية «بريكة» حالياً ، عدة مرات ، باعتبارها مصيفاً للرعاة الصفائيين (٢٨٩ Brkf- Wqyz - ٢٩٨ - ٤٢٣) . (ثم التعرف عليها بالمنشورات ص ٩١) ويبدو أن هذه السلالة مع مجموعتين أخريين ، كانت الحارة المباشرة للنبطيين ، حسب L'Acien Pline - ٧١ - ٣٢ - ١٥٧ وبالتعبير الخطي Taueni المتعاقبة عن اليونانية تابنوا Dapéens, tabenoi الصفائيين .

هناك أيضاً نقش من (خمسین بروزاً) الرقم ١٤٤٧ ، يجب اضافته الى الرقم السابق ، واجراء تفسير مغاير له ، يسمح بتحديد أصول بشرية (أعراق) جديدة في سورية الجنوبية ، حيث كان افرادها ينتجعون في (الحرّة) وكان أهل سلفها يحمل اسم (الجد زمهر) gadd zamhar تنغيم متفق عليه لاسم العلم) . وهناك عدد محدّد من النقوش الصفائية التي تنحدر من هذه الفئة الخاصة ، وتبين بأن «زمهر» كان أحد أولاد yzr أو ysr الذي لا يُمثل سوى yatur ياطور ، الكلمة المنحدرة من اللفظة الآرامية رمز الايطوريين المشاغبين والمتقدمين في التمدن .

وعندما نستخدم للسهولة بعض العبارات ، مثل (أمة - شعب - عرق - فرع - قبيلة - فخذ - أسرة - عائلة) ، تتبع بذلك مصطلحات مستوحاة من النموذج الاسلامي والاسكتلندي ومن الشعوب القديمة . وندخل بعض المميزات التي قد تضلل كثيراً أوائل المهتمين في بحثنا بالواقع ، فإن الواهبليين Wahbelits ، والصفائيين والعويديين وايضاً الثموديين (الهاغاريت hagurits) أو النبطيين ، لم يكونوا يعرفون سوى تسميتين عريقتين 'hi و'ah - كانت ahi (العائلة) تمتد حتى الدرجة السابقة من القرابة التي تمثل المفهوم الاجتماعي القضائي الذي يصادف في زوايا أخرى من العالم ، لدى ولادة (ثامن - ٨) خُلِفَ ذكر ، أو عند فرض اسمه ، كان ينظم احتفال هام دلالة على ولادة قبيلة جديدة ، al أو aha بجانباً للجد السابع ، وفي نفس الوقت دلالة على إعلان المعلم الإلهي الخاص ، الجد أو الإله أو بصورة استثنائية الإلهة Elahat ، ومن تلك المناسبات كان يتجدد خلال الثمانية أجيال ، تاريخ الصفائيين . وعدد المائة والخمسين الـ 'من نقوشهم هو أقل من الرقم المنتظر . وإذا كان سحاء الآلهة a (d) الصفائيين ، لا يزال دائماً يُبهر «هاردينغ» ، ذلك أنه كان يتخذ اللفظة بمعنى قبيلة بدوية حديثة ، يصل تعدادها الى عشرات بل مئات من الأشخاص . وبالوقت نفسه فإن عدد theoi تيووا حسبها دونتها النقوش اليونانية في «حوران» وما حولها وهي أقل مما كان يفكر به . إذاً لابد من أن الحديث كان يوحد تجمعات هامة بالفعل . ومن جهة أخرى ، فإن الإله العرقي بهذا الإتساع سيتطابق بسهولة مع إله كبير أو إلهة سماوية وكونية .

وحتى تاريخ حديث، لم أكن أتوصل إلى تحديد مثل تلك الفئة، أو حادثة من التاريخ الوهبيلى (سنة كذا لشخص أو لحادثة) ضمن بنية زمنية نسبية، إلا مع ارجاع احدى الكتابات «مثلاً، الى جيل Wahbel» السابع عشر، الذي هو «العويدي السادس عشر» والصفائي الخامس عشر. لقد ظهر ذلك في العديد من الاحداث المتزامنة التي لاغنى عنها وفي نطاق التاريخ النبطي. وهذا البحث الذي هو قيد الانجاز يشهد لي أكثر فأكثر، وبعمق وسعة الاشتراك الدقيق والمخلص لجميع أسر (العويدي owidth وداقي - وعمرات الخ. . . .)، خلال ازدهار مملكتي «بترا - وبصري»، وفي الواقع، وإذا لم أخدع، فإن النقوش الصفائية المسنودة نسبياً الى «المجموعات الجنوبية والشرقية المشابهة لها، هي في وضع يجعلها واحدة من أشهر المصادر المكتوبة في ايضاح الحركات والحياة اليومية للنبطيين واتاعهم - حلفائهم والمتآلفين معهم، وأقل ما يقال عنها، فإنها ترقى الى مصاف المسكوكات الملكية، والى النقوش والكتابات النبطية الآرامية، والى الملخصات الأدبية القديمة، منذ الآشوريين وحتى الرومان، وهي بالفعل تسمو بغنى ثروتها التي لا تنضب.

إن لفظة (Rois) hmik - هملك في «السيرة النبطية»، تعود، بدون استثناء، للملوك نبطيين، وقد نوه بذلك السادة «فينيت وهاردينغ». وثلاثة ملوك سموا بوضوح هم: (Bdt) عبوداس (Arétas- hrrt) (Rabbel- rbl)، كما أتى التاريخ الدولي الكبير على ذكر الصفائيين. ففيه نجد اسم (pompée بومباي) وعدد مراجع للغزو الفارسي خلال أعوام ٣٨ - ٤٠ قبل الميلاد، بما فيها اسم بوكوروس Pochorus، وتحقيقات أحداث مع تاريخ يوسفوس. ويبدو هكذا ان تاريخ أنساب الصفائيين، قابل مبدئياً للصياغة حتى القرن الأول من تاريخنا. والسنة الصفراء أو الأدنى في حساب أعياد الوهبيلى Wahbelito أو بالاحرى لزمن وصولهم الى القطاع الهامشي السوري للواكوميين Oikoumiene، تقع في قلب العصر الفارسي القديم أي نحو عام ٥٠٠.

تلك الفئة من المهاجرين العرب، ان لم نقل الآراميين أو الكلدانين، كانوا يعرفون الكتابة من لحظة عبورهم الصحراء الكبرى الممتدة من الخليج العربي الفارسي الى سورية، واعتقد أنه يمكنني معرفة وتحديد تواريخ المربين الزراعيين الصفائيين وآخرين منهم من الجيل الثاني والثالث المنحدر، اعتباراً من «وهيل» ومعاصريه. ويندرج في الجيل الثالث، تاريخ الحجر (٢٠٠٤ WII) الذي قراءته وترجمته كما يلي: ebnyt bn ghm bn bdn bl 'rg,sn وقع من قبل B ابن G ابن B (Odieu) Bel (دعني أتعثر إذا كان الأمر يتعلق بعدم احترام ميثاقنا) وقد قيل في ترجمة اخرى، اذا كنت انا وجميع ذريتي لن نحافظ عليه: تواريخ كل من. . . ابن H ابن bn Awidl (bn 'wdbnn gm'slnntst) (ان جمعية الشهود السماويين - الطبيعيين - البشرين) تكرر صلاتنا في سبيل ان يصبح هذا السلام (العقد السلمي) واقعاً - Izid الموقع بحرف Z.

نجد أنفسنا الآن أمام تحالف عربي ، جرى باحتفال قام بوصفه هير ودوت الثالث -
 ٨ - (قد يكون حلفاً أو معاهدة «بَقَسَم» وفيها تضرع الى Alilat واورتال (اقرأ ho rattai)
 إن Roday و Allat اللتان هما اهم المدن لمراكز النقش الكتابي الصفائي ، يتعلق الأمر هنا
 بالتزام عائلة من البدو الرحل ، بحراسة قطيع لعائلة حضرية على العموم ، أما الموقع الثالث
 فهو واسطة ، وأنا اعرف العديد من الأعمال الأخرى ، من هذا النوع صِيغَتْ بعبارة مماثلة ،
 ومسجلة على الحصى البركانية على مدى أول اثني عشر جيلاً من الذرية الصفائية . وفي
 الجيل الخامس الذي يمتد بين عام ٣٨٠ - ٣٥٠ ، وقع واحد اسمه ndh bn W'syt ، في W II
 عام ١٩١٨ ، وتوقيع والده وُجِدَ في W II ٨٨٤ . أما في الجيل السادس ، فقد وقع شخص آخر
 'mdt gddt ben ٣٩٥ ، a . وابن عمه Zkr, bn, W'sgt يعود في ١٥٨٣ C الخ . . .
 من القرن الثالث الى القرن الأول ق. م . غصّت بادية الشام بهذه المصنفات الوطنية sub
 divo على المستوى الشعبي مثل هذا التوسع في الخط ليبقى دون موازٍ في عالم البحر المتوسط .
 وغيرهم .

ج . ت . ميليك

باريس تشرين الثاني ١٩٨٠

السكان والتطور في «حوران» القديمة على ضوء النقوش والكتابات اليونانية واللاتينية^(١)

إن العدد الكبير من الكتابات والنقوش اليونانية واللاتينية التي عثر عليها في حوران^(٢) تدعو المؤرخين للتساؤل عن الفائدة المكتسبة من هذه النصوص بالنسبة لتاريخ التطور والتوطن في تلك المنطقة. في القديم، وبصورة أوضح خلال الخمسة قرون الواقعة بين الفتح الروماني وظهور الجيوش الإسلامية، ان الأهمية، من حيث الكم لهذه اللقى تتيح القيام بعدة أساليب من البحوث حول هذه المواضيع. ولهذا، في بادئ الأمر، من المناسب تنظيم سلسلة من النصوص المتعلقة بمختلف المعايير التي تسهل العثور على ضوء أساسي ومفيد، حول السؤال المطروح مثل: مكان المكتشفات، التاريخ، المضمون، اللغة، الخ... وحسب المادة المراد العمل بها، يستخدم واحد أو العديد من هذه المعايير. ان مختصر البعض من النقوش، وعدم وضوح التواريخ ووفرة شواهد القبور التي تحمل عبارات مختصرة، توجب تنظيم تلك المسلات من النصوص التي رغم عزلها، تظهر لنا وكأنها صعبة التفسير، وهي تأخذ بروزاً خاصاً وتساهم بدقة في أن تجعلنا نقدر ونحترم تاريخ «حوران» القديم.

ان التجربة التي اقدمها هنا، ليست درساً نظامياً لما تعلمه النقوش والكتابات الحورانية ولكن اهدف منها هو تخلص بعض خطوط البحث التي تبدو غزيرة، عن طريق الامثلة الصريحة. ويسبب كثرة المخالطة في حوران، تبين بأنه لا يزال الكثير مما يجب كشفه. فقد برهنت «بصرى» بأن استثمار علم النقوش الذي هو، مع ذلك، متقدم على البحوث الأثرية، لم يصل الى نهاية المطاف^(٣) ان جميع المواقع لم تعطِ نقوشاً جيدة بمقدار ما أعطته «بصرى» سواء ما أعطى منها الكثير مثل: «أم الجبال» أو ما أعطي منها القليل. ولكن علينا أن لا نفقد الرؤية، لأن العديد من النصوص الجديدة، ستظهر في السنين القادمة مع اعادة العمل بالنتائج النقشي الكتابي في المنطقة. وقد يؤدي ذلك في بعض النقاط الى تعديل النتائج التي كنا قد توصلنا اليها، بالوثائق التي بحوزتنا الآن. لذا، لأبد من ربط النتائج التي تقدمها هنا باشارة الشكل كما يجدر بنا ان نعتبرها بمثابة استعراض مؤقت قد يمكن للمستقبل ان يبدل فيها.

ماذا علمتنا النقوش اليونانية واللاتينية عن سكان حوران القديمة؟ وهل بفضلها يمكن تنظيم خريطة للمواقع المأهولة بالسكان وتصنيفها حسب التاريخ، وكشف تنقلات السكان وتحديد أهمية السكان في مختلف القطاعات التي تشكل حوران؟ بالحقيقة، يمكن أن تقسم المنطقة الى ثلاث قطاعات جغرافية من حيث، التضاريس - توضع المياه - والمناخ - وبالنتيجة فالامكانات الزراعية تبدو مختلفة: فهناك سهول «النقرة» - وجبل العرب - وهضبة اللجا البازلتية، وعلاوة على ذلك، كان من الممكن، ايضا، المخطط التنظيمي هنا، والتميز بين السهل الجاف والسهل الرطب، والسفح الشرقي، والسفح الغربي للجبل. الخ. ولكن هذه الفاتحة البسيطة تبدو كافية في مجال حديثنا بالوقت الحاضر. اذا، يمكن التساؤل عن عصر تطور تلك القطاعات المختلفة، هل تسمح النقوش بالبت حول التطور المبكر لهذه المدينة أو تلك المجموعة من القرى؟ وهل يمكن أن تشهد زوال مدن أخرى؟ وهل يمكن استخلاص أهمية التوطن في مختلف المراحل بين القرن الثاني والسابع الميلادي. فجميعها اسئلة مغرية ولكنها بدون شك، عمومية. وفي حال عدم امكان الإجابة المباشرة، يمكن وضع بعض الفرضيات التي تحمل عناصر الأجوبة والتي تطرح بدورها أسئلة جديدة.

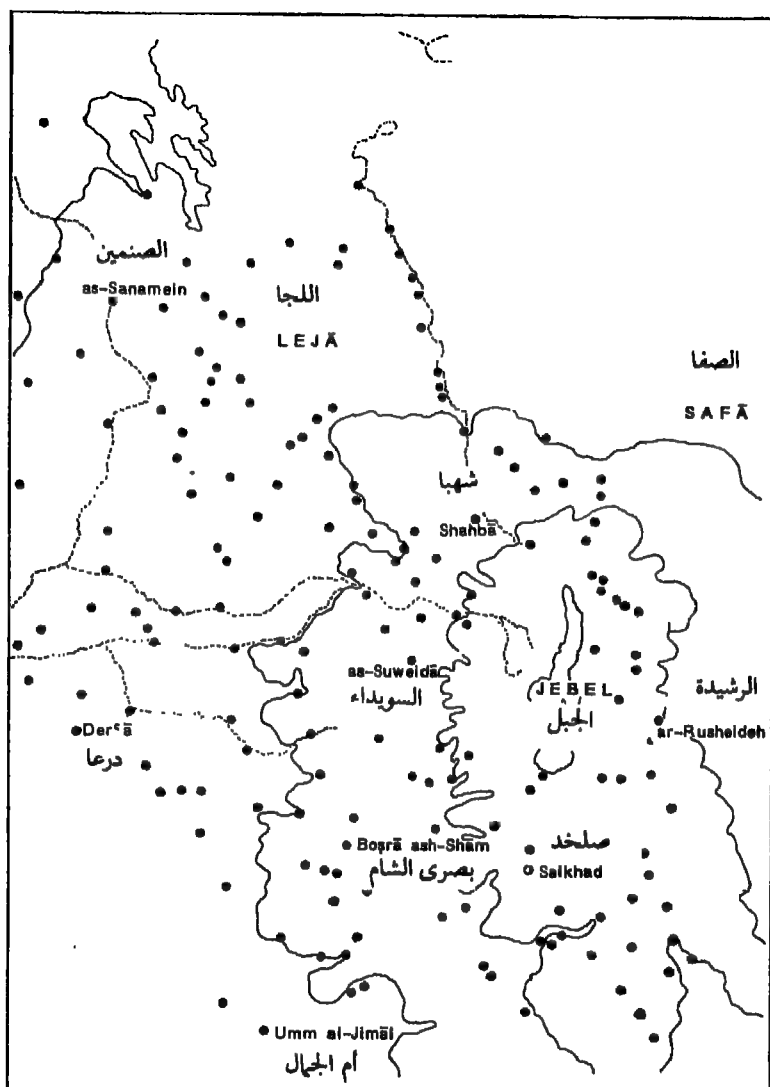
١ - خريطة المواقع الأهلة بالسكان

إذا كانت هناك أمور كثيرة يجب الكشف عنها، فلا بد، مع ذلك، من التأكيد بأن قلّة من المواقع القديمة أو الحديثة أفلتت، حتى الآن، من فضولية الرحالة العلماء، إن بعض القرى المتساعة التي كانت تحوي الخرائب المذهلة مثل «بصرى - قنوات - شهباء - أو شقا»

استقبلت جميع الباحثين في المنطقة تقريباً. ولكن البعثات العلمية التي سبقت حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ - مثل بعثات (واتر تاين - وادينغتون - برومو - دومازيولسكي - دوسو - وماكلر من جامعة برانستون الخ . . .)

ومن ثم البحث الدقيق «لموريس دونان» خلال الأعوام ١٩٢٥ - ١٩٣٠، انتهت الى عدم ترك أي موقع، تقريباً، خارج البحث، وبالعكس، فإن القليل من المواقع المقفرة حالياً، قدمت مثل هذه النقوش. ان زوار القرن الماضي سبق أن اشاروا الى وجود العديد من القرى الأثرية خاصة في سهل «حوران». وفي جنوب جبل العرب التي كانت تتعرض الى غارات من البدو الرحل وقطاع الطرق، ولم يتردد هؤلاء الزوار بعرض وفرة وغنى تلك المستندات التاريخية الأثرية، التي كانت هي مجمل البرهان الثابت عن الآثار القديمة، رغم الكآبة التي كانت بادية على وجوههم. ولكن منذ خمسين عاماً (أي نصف قرن) تبدلت الحالة جذرياً. لأن عودة الاستقرار والأمن أدى الى عودة النشاط، ومع ذلك يلاحظ حالياً التطابق الكامل بين توضع القرى القديمة الأثرية، وبين القرى الحديثة. فالخريطة رقم (١) المبينة لكافة مواقع اكتشاف النقوش تثبت ذلك. ويلاحظ ان هذا التطابق واضح في اللجا، بصورة عامة، وفي جبل العرب، وفي الجنوب والجنوب الشرقي لحوران، وبالحقيقة يبقى العديد من القرى دون نقوش وكتابة في «النقرة» ويعود ذلك، الى استكشاف للنقوش الأقل انتظاماً. ولكن الفراغ الذي يشاهد في هذه المنطقة، يمكن اعتباره حافلاً اذا ادخلنا ضمنه الملف الأثري للعديد من القرى التي، حتى الآن، لم يعثر فيها على أي نقوش كتابية ولكنها تحتوي على بقايا نقوش أثرية، خاصة في «النقرة» الجنوبية (مثل: سعادة - سكار - بكا - صُهب - حُماس - غسان - هزهز - أم المياذن - أم المزابيل - كحيل - قرطة أو قيراطة - كريس - تل عبد معار - أم القصور - خازمة - غير أنه يمكن أن يكتشف فيها، يوماً ما، النقوش، بكل فطنة^(١).

هكذا يبقى تحت تأثير الشعور السائد بأن الاستيطان القديم كان مُقسماً بشكل يُماثل تقريباً السكن الحالي^(٢). وهذا يعود لعدة عوامل يمكن تعدادها باختصار. إن القرويين اليوم يستفيدون من وجود العديد من الحجارة المقصوبة، ولذا، يكفي التجوال في أي قرية حورانية لمقياس مدى أهمية إعادة استعمال القديم في الابنية الحديثة. من جهة أخرى. فإن وجود البنابيع في الجبال، والخزانات المنحوتة في الصخر (وفي السهل) تبين، وضمن معيار كبير، أهمية استمرار الاماكن المأهولة. وأخيراً، فإن العديد من قرى النقرة، تمثل روابي أساسها ظهر الحمم البركانية العشوائية، فبالأمس كما هو اليوم، يعتبر الأمر مغلقاً، بسبب ترك الاراضي الجيدة الصالحة للزراعة وتمركز السكان على الصخور حيث يتعذر النماء. وطبقاً للشكل الذي تُشاهد فيه حوران أمام أعيننا اليوم، فهي تشبه حوران القديمة



الشكل رقم ١ - مواقع القرى والمدن التي عثر فيها على نقوش كتابية يونانية ولاتينية

بغناها وتوزع سكانها. هذه الخلاصة للمظاهر المعتادة، مثيرة للدهشة في سورية الجنوبية، لأنها ليست كسورية الشامية ذات المدن الميئة، بالإضافة الى ذلك، يلاحظ في حوران أن الترتيب المدني أعاد نفسه نسبياً. فالمدن القديمة تُعد اليوم من بين القرى الكبيرة الحالية مثل (بصرى - شهباء - قنوت). أما المدينتان الوحيدتان الحقيقيتان اليوم، فهما مدينتان قديمتان: درعا - والسويداء. والحالة الوحيدة، التي تبدو مخالفة تماماً، هي قصبة «أم الجبال» التي لا تشكل ابداً مدينة رغم تجمعها الكبير، بينما كانت فيها مضي، إحدى

المدن الأكثر استيطاناً في المنطقة. غير أن الموقع بالذات، أصبح مقفراً والقرية الحالية، ليست سوى ضيعة متوسطة جداً^(١٦).

هذا التوافق بين السكن القديم، وبين السكن الحديث، الذي تجلى بنفس الوقت بالنقوش والآثار. يمكن أن يعتبر، من الآن فصاعداً، بمثابة مكتسب ثابت نهائي. وستسمح الاكتشافات اللاحقة، بدون شك، بتنويع هذه الخلاصات، ولا اعتقد انها ستطرح للبحث مجدداً.

٢ - تأريخ المواقع

مع علمنا بإمكانة المواقع القديمة الأثرية، فهل تسمح لنا كتابات النقوش، الذهب بعيداً في بحوثنا؟ مثال على ذلك. هل تقود تقسيمات النقوش الكتابية المؤرخة الى نتائج واضحة سواء في تاريخ تطور هذه القرية، أو تلك، أو مجموعة قرى هذه المنطقة في «حوران» أو غيرها.

ان التحقيق الذي أجرته بصورة منتظمة للنقوش الكتابية الحورانية، لا يتيح اعطاء الايضاحات اللازمة حول التطور الخاص لهذا القطاع دون الآخر. ظهرت نقوش كتابية يونانية منذ القرن الثاني للميلاد، في النقرة، جبل العرب، واللجا في آن واحد، وبطبيعة الحال، لم تقدم كافة القرى، حتى الآن، نقوشاً، عن هذا العصر. ومع علمنا بهذا العدد القليل النسبي من النصوص، فلا نجد ذلك مستغرباً. وإذا جاءت بعض القرى بعد القرن الثاني، فإن علم النقوش والكتابة لم يقدر على معرفتها. غير أنه حسب المعطيات الحالية، يبدو أن تطور القطاعات الثلاثة الكبرى المحددة اعلاه. يوازي تقريباً أول القرن الثاني الميلادي وهو الوقت الذي ابتدأت خلاله دراستنا. وهذه النتيجة مفيدة بحد ذاتها. ولم يستخدم «الجلبل» ولا «اللجا» القاحلة كصورة مميزة.

جَهِدْتُ أن أتوغل في البحث بعيداً فيما يخص اللجا، فرأيت أنه يمكن تقسيم قراها جغرافياً الى مجموعتين: مجموعة القرى الموجودة على أطراف الهضبة بتماس مع القشرة البازلتية والأراضي السهلية المجاورة والغنية بتربتها المنحلة مثل (المسمية - براق - ذكير - خلخلة - شهبا - نجران - ازرع - خبيب) ثم المجموعة الأخرى، بالمقابل، الواقعة على الهضبة بالذات، قرب منخفضات صغيرة، حيث جُمع الطمي البازلتي ببعض الأتربة القابلة للزراعة على حساب امتداد الحمم البازلتية (مثل: داما العليا - عريقة - جرين - سحر - لبين - صور اللجا . . الخ .). المعروف ان «اللجا» التي كانت تدعى بالقديم «تراخونيتيد». كان لها في الماضي السحيق أهمية كبرى كونها كانت ملجأ الثوار والمتمردين

والخارجين على القانون^(٣) وكانت أيضاً غنياً للدروز الذين ثاروا عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ على الاتراك وفي عام ١٩٢٥ على الفرنسيين. لذلك فإن مظهرها الخارجي مع دورها التاريخي يساعدان على صياغة ثلاث افكار دون اختيار بالنسبة للسكن في اللجا:

- ١ - اما أن تكون قرى الهضبة - القرى الملاحي - سابقة لقرى الاطراف، وهذه الأخيرة لم تنشأ إلا عندما استتب الأمن وتخلصت الهضبة من قطاع الطرق.
- ٢ - أو بالعكس - لم تتطور قرى الهضبة وتنمو إلا في زمن متأخر. وبعد أن استصلحت جميع أراضي السهل المجاور. وتوطن السكان فيها، سيما وانها كانت في منأى عن طرق المرور. وأن مواردها الطبيعية كانت قليلة.
- ٣ - أما أن تكون هاتان المجموعتان المذكورتان أعلاه متزامتين من حيث الظهور أو أنها تتطورتا بشكل متوازٍ. وعلى كل حال، كانت تعتبران قديمتين في بداية الاحتلال الروماني، بحيث كان من المستحيل التمييز بين القرى القديمة والقرى الحديثة.

ولكن هل تتيح المكتشفات الكتابية باختيار إحدى تلك الفرضيات الثلاث؟ من الجرد المنظم للنصوص المعروفة حتى الآن، يستنتج مايلي:

أنه وُجد في القرى المحيطة باللجا، نقوش كتابية تحمل تواريخ متدرجة من القرن الثاني الى السادس الميلادي، وكانت الوثائق فيها متقطعة، في بعض المواقع، ولكن بوجه الاجمال كانت هذه القرى موجودة بأغليبيتها، منذ القرن الثاني الميلادي، الأمر الذي يعنى احتمال وجودها منذ زمن بعيد.

إن قرى الهضبة هي أيضاً غنية بالنقوش الكتابية، كقرى محيطها، وفيها أقدم النقوش الكتابية المؤرخة مثل «صور» في عام ٧٥ - ٨٠ (و«جدل» عام ١٠٦) (و«مسيكة» عام ١٣٣ - ١٣٦) (و«جرين» عام ١٤٠ الخ. . .). وفي القسم الثاني من هذا العصر المذكور. عثر على الكثير من النقوش والكتابات المسيحية في جميع القرى، من هذا تُستخرج صورة القرى القديمة التي كانت مزدهرة منذ القرن الأول أو الثاني الميلادي، والتي استمر ازدهارها حتى الفتح الاسلامي (وقد يمكن الى ما بعد هذا الفتح، ولكن ليس هذا من اختصاصي). وفي جميع الاحوال، كانت هذه القرى تقدم الفوائد لسكانها بصورة كافية حتى أن انتشار الحكم الروماني في جميع حوران، لم يحملها على ترك هذه الهضبة القائمة للتوطن بالسهول الضاحكة.

ويبدو ميزان البحث، لأول وهلة، سليماً كونه يثبت بأن الفرضية الأخيرة من الثلاث فرضيات المصاغة اعلاه هي الأكثر غموضاً فجميع القرى (أو على وجه التقريب) كانت أهلة بالسكان قبل الفتح الروماني^(٤)، وبقيت كذلك حتى العصر البيزنطي دون الفصل بين قرى داخل الهضبة وقرى محيطها. من جهة أخرى، كانت جميع القرى متأثرة بالطابع

الآغريقي (الهيليني) وسُيُعرف فيما بعد القصد من ذلك، بما فيها القرى التي كانت تبدو لأول نظرة صعبة الارتياح. وهذا يدحض فكرة (الهضبة المغلقة، أو الهضبة الملجأ كما صورها حتى الآن فلافيوس يوسيفوس في نهاية القرن الأول ق.م). لأن ما كان صحيحاً ومسلماً به في الأزمنة الأولى من الفتح الروماني لسورية. لا يصح بعد القرن الأول الميلادي.

من المحتمل ان الحكام الرومان عملوا في تطوير اللجا وشمال جبل العرب (راجع الخريطة ٢) - بالمقارنة مع جنوب حوران، تطويراً نسبياً. من جهة أخرى، لا يُعتقد أنه بالامكان ايضاح وجود النقوش الكتابية، ذات الطابع الخاص، المدونة باليونانية منذ القرن الأول في هذه المناطق (وهذا ما ثبته وجود الكتابات الرسمية في «الصنمين» وسيع - قنوت - الهييت المشنف - صور اللجا - الهيآت - في السويداء وعقربة^{١١} - وفي شمال جبل العرب المعروف بـ (Elilha) الهييت حالياً انها اعطيت لقب «قيصرية» Caesaria. وليس من انسان كما يبدو، حاول الاهتمام باسباب اعطاء هذا اللقب، وبالعصر الذي منح فيه. ويمكن الملاحظة بأن جميع قيصرات الشرق كانت قد شيدت في زمن أوغسطس، أو زمن خلفائه المباشرين. من جهة أخرى، هناك ثلاثة مدن بهذا الاسم (من اصل الستة مدن التي اسسها الرومان عام ٢٠ قبل الميلاد، على شرف أوغسطس. وقيصرية فيليب paneas التي اعاد بناءها فيليب رئيس الربع في العام ١/٢ قبل الميلاد. وقيصرية في لبنان وهي اسم جديد (Area) شيدت بإرادة ملكية من الحكام الرومان واعتقد أن قيصرية الهييت احتلت مكانها في هذه السلسلة، والتي ارى البرهان بأن الرومان كانوا يفكرون بإنشاء مدينة أو حاضرة، في شمال حوران مثلما هو الحال في فلسطين، وعلى جبل حرمون، أو في لبنان الشمالي، تصلح لتكون منارة، أو بالفضليل - قطباً آغريقياً في المنطقة. وينفس الطريقة. فإن إعادة الأمن في اللجا تلاه القيام بجهد حقيقي وفعال للإستيطان والتنمية وكانت «صور اللجا نقطة الاستناد الرئيسية للهير ودين في هذا القطاع. وكانت هذه السياسة مثمرة جداً لدرجة ان الرومان في القرن الثاني، لم يخشوا فتح المواصلات والمرور في هذه الهضبة عن طريق دمشق - السويداء - بصرى^{١٢}».

بالمثل، المذكور اعلاه، الذي اعطى عن اللجا، نرى كيف أبطلت النقوش الكتابية فرضية، كانت تبدو بالأساس هي المؤكدة. وهناك مثل آخر يرينا أن النقوش الكتابية يمكنها معاصرة علم الآثار.

٣ - النقوش الكتابية الجنازية وتطورها

يركز علماء الآثار شيئاً فشيئاً، طرائق تتيح تأريخ الآثار الحورانية بطريقة دقيقة جداً، نوعاً ما: مثل دراسة تحت الاحجار - ديورها ونقشها الخ. . دون ذكر طرائق التنقيب نفسها

التي تساعد على تحديد عصر تشييد الأبنية، ولكن من المعلوم ان المكسب من التنقيبات المعمقة يبقى لمدة طويلة، امتيازاً لعدد قليل من المواقع والابنية التي لها طابع فريد من نوعه. من جهة أخرى، عُلم منذ زمن طويل، بأن بعض طرائق البناء لاتزال مستعملة في حوران، منذ الأزمنة الغابرة حتى يومنا هذا^(١١). واخيراً ظهرت بقايا الأبنية التي لا تزال مرئية حتى الآن في بعض المواقع، كأنها شُيّدت في زمن متأخر (زمن البيزنطيين مثلاً) وهي تغطي جميع المستويات جزئياً أو كلياً، خلال السيطرة الرومانية والنبطية، وفي هذه الحالة لا يمكن تقدير مدى أهمية وجود مستوطنة من العصر الروماني أو النبطي. . . وبذلك نستنتج بأن النقوش الكتابية تؤدي خدمة ثمينة.

تظهر في «أم الجمل» وفي وسط كومة من الخرائب، يصعب غالباً تحديد هويتها، الخرائب التي تمثل ابنية بيزنطية. وخاصة الخمس عشرة كنيسة التي شيدت بين نهاية القرن الرابع والقرن السادس الميلادي. ولا يمكن معرفة تاريخ أغلب الأبنية الأخرى. وهناك (مدافن وقبور تحت الأرض) (ومدافن على شكل ابراج) تعود بالتأكيد الى زمن قديم سابق، على وجه التقريب الى القرن ١ - ٢ بعد الميلاد. ولكن أهمية المدينة السابقة العصر البيزنطي. لا يمكن ان تكتشف بواسطة الدلائل الأثرية الظاهرة للعيان حالياً.

لحسن الحظ، فإن المكتشفات الكتابية صحّحت الانطباع الأول هنا. فلو أخذنا بعين الاعتبار، النقوش الكتابية الرسمية، وخاصة منها ما يتعلق بأبنية أوبكتابات ورسوم كانت قد انشئت على شرف الأباطرة - الحكام - أو الموظفين الرومان، يُلاحظ غياب شبه كامل للنصوص السابقة للقرن الرابع. وبصعوبة نكاد نظهر بناء فالّوس vallis نحو عام ١٧٧ - ١٨٠^(١٢). وفيه كتابة على شرف الملك غودريان الثالث^(١٣). وبالعكس هناك سلسلة ذات أهمية، من النصوص المتأخرة اعتباراً من عام ٣٧١، تعود على الغالب، لأبنية الكنائس^(١٤) فإذا ما تمسكنا بالنقوش الرسمية، علينا أن نشير الى شدة التوافق بين الفحص الأثري السطحي وبين ما تقدمه النقوش والكتابات. فإذا ما تقيّدنا بذلك، نستنتج بأن التجمع القديم الواقع في «أم الجمل» قد ظهر بلا شك، بين القرن الأول والقرن الثاني بعد الميلاد. ولكنه لم يتطور بالواقع إلا في القرن الرابع.

مع ذلك، اذا أردنا الأخذ بعين الاعتبار، جميع النقوش الموجودة في المدينة، وخاصة منها شواهد القبور، ستصبح النتائج متبدلة عمّا هو بالسابق. ولكن قبل المتابعة، يجب علينا فتح قوسين؟

خلافاً لما يظهر تطبيقه عادة في جميع مناطق سورية، العربية تقريباً (مثل الدمشقية Damascène) - الانطاكية - الأمامية - بلاد موآب - أو الأدمية، فإن النقوش الجناثرية في

حوران لم يُعطَ لها أي تاريخ تقريباً^(١٠)، ثلاثة نقوش من أصل ٢٤٩ نقشاً في «أم الجمال» وثلاثة من أصل ٢٣٠ نقشاً (٣/٢٣٠) في بصرى فقط. ان الغياب الكلي، تقريباً، للديكور، وخشونة عمل قصاب الاحجار والنقاشين، كانت مشبّهة لكل محاولة لوضع التاريخ حسب معايير دراسة الأساليب. وبذلك لم يبق سوى علم دراسة النصوص القديمة، غير أن تلك الدراسة، لا تزال قليلة التطور ومشكوكاً فيها. وقد حاولت من خلال نقوش «بصرى» التي كنت حائزاً على وثائقها مباشرة، أن أظهر أنه بالإمكان اكتشاف بعض التطورات، وتأريخ بعض أشكال الحروف. وما كان بيدولي ذو طابع مميز في حوران هو حرف (M) المسطح مع وسط مدور M، يجعله يبدو نموذجاً لما ورد في القرن الثالث وبدء القرن الرابع الميلادي، ولكن لا بد من التحلي بالفطنة في هذا المجال، لأن هناك قائمة واسعة مستندة الى رسومات «ليثان» تبين ان كانت حروف M ذات المحور المستدير، هي من قواعد القرن الثالث. فقد ظهرت منذ النصف الثاني للقرن الثاني^(١١) وبأن الطريقة كانت تمتد احياناً، الى ما بعد عام ٣٥٠^(١٢) ليست هذه الملاحظة في علم دراسة النصوص القديمة، مهما كانت حشة ودقيقة، على نقيض مع بقية الملاحظات التي يمكن ان تعطى حول شواهد القبور. مثال: ان قائمة أسماء المواقع الجنائزية في حوران لا تحوي إلا القليل جداً من الأسماء المسيحية (وهذا خلافاً لما هو في بلاد مواب مثلاً). كما أن الرموز المسيحية غير موجودة البتة، رغم وفرة المسلات المسيحية، وليست هناك أية عبارة يمكن تفسيرها «كمسيحية» فيها عدا الاسم - الكنية - العمر - والمسلات لا تحمل إلا الكلمات «يوجد هنا» وغالباً وبشكل قليل (يقيناً ما من أحد خالده على الأرض) أي كونه: وثني - يهودي - أو مسيحي - ومن الفرص المواتية جداً، ان الأغلبية الواسعة من المسلات الحورانية كانت تسبق زمن انتصار المسيحية أي كانت تعود الى القرن الثاني والثالث الميلادي، والبراهين تُجمع على أنها سبقت منتصف القرن الرابع. ومن المحتمل وجود مسيحيين بين الموتى مادامت قد انتشرت المسيحية منذ القرن الثالث، ولكن التقدير الذي جاء به هؤلاء يشعر بأن وقوعات هؤلاء الأموات حدثت قبل منتصف القرن الرابع. ويمكن أن نضيف على سبيل المقارنة، أنه قد لوحظ في «آدومي» تطورات متميزة ليس لها أي أثر تقريباً في حوران - لذلك فإن المسلات الوثنية الموجودة في المدن النبطية، في النقب مشابهة تماماً لمسلات حوران، سواء في عرضها أو في مظهرها المادي. وقد ظهر اعتباراً من منتصف القرن الرابع الميلادي عدد كبير من المسلات المسيحية التي تتضمن عبارات وصيغاً مختلفة تماماً، ولها تاريخ وعبارة دفن تنم عن تبديل عميق في التسميات المحلية (أي تبديل شبه كامل من أسماء عربية الى أسماء مسيحية)، الأمر الذي لا يلاحظ مثل هذا الطابع في حوران، لأن السكان هم من نفس الأصل لأهالي النقب، وهذا يحث على الاعتقاد بأن المسلات في حوران تسبق القرن الرابع ب.م. بتاريخ وجودها.

ان الثلاث مسلات المؤرخة في «أم الجهمال» تثبت تلك الفرضية، كونها تحمل التواريخ ١٩٥ - ٢٠٨ - ٢٣٣ - هذا في «أم الجهمال» بصورة خاصة، ولكن في العديد من قرى حوران، أيضاً، يوجد العدد الكافي من المسلات الجنائزية من نفس عينات المسلات التي كانت مجالاً للتساؤل، والمصاغة بلغة نبطية ويخط لا يمكن أن يتخطى تاريخه، القرن الثالث، وبالنسبة، فلنني احدد المسلات الحورانية لكونها من النوع العادي (فهى كبيرة - مستطيلة - أو مستديرة - في القمة، وتحمل بوجه عام، اسم المتوفي - كنيته - غالباً، عمره - وفي بعض الاحيان، عبارة مختصرة عن راحته. وبصورة نادرة تحمل ديكوراً محدوداً على شكل سعف نخل أو تعبير بين الأسطر^(٨) بالنسبة لأبنية القرن الثاني والثالث والنصف الأول من القرن الرابع الميلادي.

إذاً، هذه المسلات كثيرة جداً في «أم الجهمال» وكثيرة أيضاً في المدن الكبرى مثل: «بصرى» والنتيجة الحقيقية التي يصعب تجنبها هي أن «أم الجهمال» منذ القرن ٢ - ٣ كانت مدينة مهمة كثيرة السكان^(٩) ولو ان ابنيتها، في ذلك لعصر، كان يصعب مشاهدتها بسبب اخفائها بأبنية العصر البيزنطي. ونحن هنا أمام واقعة مستثناة تقريباً، حيث يمكن ايضاح مقدمة النقوش، حتى الأكثر اختصاراً منها، في حال تعذر التنقيب الأثري المكثف). من النادر جداً مصادفة مثل تلك الفروقات بين الأدلة الأثرية الظاهرة، وبين المكتشفات النقشية، ولكن في بعض الاحيان يمكن استعمال أدلة متناقضة داخل المسلات النقشية نفسها. ويُعتقد أنه كان من الممكن أن تسند للقرن ٢ - ٣ الميلادي. الكميات الكبيرة لشواهد القبور في حوران^(١٠) ولكن هذا لا يعني انعدام عادة حفرو نقوش الشواهد. بل هناك في المنطقة العدد الكافي من النقوش الجنائزية المؤرخة في القرن ٤ - ٥ الميلادي، ورغم اختلافها عن السابقات، فهي في اغليتها تحمل التاريخ، وتتمتع بطابع عمراني بين مجموعتي وثباتاً. (هذا الأمر يتعلق بجوائز «الأبواب الحجرية»). وإذا ما تمت المقارنة بين مجموعتي الشواهد، يمكن القول بأن المسلات العائدة للقرنين الثاني والثالث هي غزيرة في كل مكان. والشواهد ذات التاريخ المتأخر هي نادرة جداً اينما كان.

عير أن قرية «صلخد» قدمت دلالة معاكسة، فهذا التجمع القديم في حوران، قدّم حسب علمي، القليل من النقوش الكتابية حتى الآن (تقريباً ثلاثون اذا استثنينا من المجموع الاجزاء غير المقيدة والتي ليس لها معنى). ومن بين مجموع نقوش المدينة، لم يكتشف سوى نقشين جنائزيين للقرن ٢ - ٣ الميلادي، حيث وجد فيها على الأقل عشرة جوائز جنائزية جميلة يرجع نحتها لعام ٣٢٢ - ٤١٩ (دون تعداد ثلاث شواهد مشبوهة التاريخ، منها اثنتان يرجع اشادتها الى القرن السابع الميلادي. كيف يمكن تفسير وجود مثل هذه العدد الكبير من الجوائز المتأخرة الصنع، وغياب المسلات المشتركة الكامل التي

هي اكثر قدماً؟ ليس هناك سوى جواين ممكنين: فإما أن المدينة لم تتطور إلا في زمن متأخر، بعد ولاية الربع ظاهرياً، وإما من المفيد اكتشاف مقابر تعود للقرنين ٣ و٢ الميلادي، إن توفر العدد الكبير من النقوش النبطية للقرن الأول الميلادي، يثبت بأنه كان للمدينة أهمية كبرى تحت حكم «رايبل الثاني»، كما يبدو، أنها تهدمت تحت الحكم الروماني لتعود وتعرف إنطلاقة جديدة في القرن الرابع. ان أدلة ووثائق النقوش بقيت نادرة الى حد ما. وان استكشافاً أكثر بروزاً يمكن أن يفصل بين الفرضيتين المذكورتين اعلاه.

٤ - تسلسل أحداث البناء

الملاحظ، بأن قائمة النقوش الأثرية، لا تعطي بشكل قاطع ضوءاً على موضوع التسلسل التاريخ لسكنى حوران القديمة، حتى لو اتاحت، في بعض النقاط تعويض نقص الاستكشاف الأثري الصرف. وبالمقابل فإنه يمكن لهذه النقوش أن تعطي معلومات قليلة الأهمية، عن مظاهر السكن الأخرى، مثل درجة الصبغة الأغريقية وازدهار المسيحية وتطور بناء المدن والقرى حسب العصور. كما نظمت وفي مناسبة أخرى^(٣١) كشفاً لتلقيب قمت به عبر النقوش الكتابية في حوران في (Gerasa) وفي منطقة «مأدبة»، وفيما إذا سمحت الظروف، لفرض تنظيم صورة عن النمو الكمي للأبنية في هذه المناطق، وفيما اذا من الممكن إبراز نواحي الاتفاق والاختلاف حسب الأمكنة والأزمنة، وللوصول الى نتيجة جديدة بالاطمئنان، يجب، بشكل طبيعي، استبعاد جميع النصوص المؤرخة بصورة تقريبية والتي يبدو موضوعها غير مؤكد، ومن جهة أخرى، يجب تجهيز عدد كافٍ من النصوص حتى لا تعزى النتائج المكتسبة الى صدفة الاكتشاف. وهذا يحكم الضرورة، يجعل البحث مقتصرأ على القرون ٤ - ٧، وبشكل خاص على القرن السادس الذي يتلاءم جيداً والمعايير المحددة اعلاه.

وهكذا يمكن تلخيص نتائج البحث بما يلي:

١ - في القرنين ٤ - ٥ كانت المستندات لا تزال قليلة العدد نسبياً، وايضاً كان يجب تفسير عدم وجود البناء كإشارة للانحطاط الاقتصادي أو الديمغرافي للمدن أو القرى. وبالعكس فإن الفعالية المهمة نسبياً، والتي لوحظت خلال بعض الحقبات. مثلاً، في منتصف القرن الرابع والخامس الميلادي ليست سهلة التفسير، مثلاً، حاجة إعادة التعمير أو توسيع الكنائس نظراً لازدهار المسيحية^(٣٢).

٢ - اعتباراً من نهاية القرن الخامس وحتى أول القرن السابع، أصبحت الوثائق والمستندات كافية لأن تسمح بالحصول على نتائج أكثر ثباتاً.

ارتفع العديد من الأبنية في حوران، في بصرى و Gerasa في نهاية حكم زينون وأنستاس .

وخلال الثماني سنين من حكم جوستان (٥١٨ - ٥٢٧) لم يرتفع أي بناء سوى كنيسة «بروكويوس» في Gerasa في نهاية حكمه فهل يعود، هذا الوضع الى الظروف الطارئة للاكتشافات (خالدة قصيرة) ؛ أم يتوافق ذلك مع توقف بناء الكنائس خلال زمن اعادة النظام في ولاية الربع للأسقفية العربية . (نفي أسرة «سيفير لصالح الخلقيدونيين)، بينما كان أغلبية المؤمنين يعتقدون مذهب الطبيعة الواحدة .

٣ - اثناء الحكم الطويل لجوستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥) أظهر العديد من النصوص تقسيمات في الأبنية لا يمكن عزوها للصدفة . ومنذ أول حكم جوستنيان، ارتفع العديد من الأبنية في «جيرازا» وعلى جبل «نبو Nebo» وبعدها بقليل (٥٣٩ - ٥٤١) في «بصرى» ، حيث تم إنشاء أو إصلاح العديد من الكنائس - السدود والواجهات المدنية المختلفة (مثل الجسور ذات القناطر) وفي بصرى - كانت الارادة الامبراطورية هي الرائدة في العمل ، كما هو وارد في كل نص في النقش ، بينما لم يرد ذلك في بقية مدن الولاية . من جهة أخرى، تثبت جميع النصوص الكتابية في الأبنية منذ عام ٥٣٩ - ٥٤١ بأن الدفع في «بصرى» كان ينطلق من الأعلى . وهذا الاخراج الفريد من نوعه، الذي كان مقتصرأ على عاصمة الولاية «بصرى» وعلى معبد ذائع الصيت في جبل نبو Nebo ، وعلى مدينة Gerasa الكبيرة، لم يتناول المدن والقرى الأخرى الا بعد خمسة عشر عاماً (أي نحو عام ٥٥٠ م) ومن ثم تتابع حتى نهاية الحكم . وبذلك تضاعفت الكنائس، بفضل كرم المؤمنين من فلاحين وحرفيين وتجار . . وحياناً بمساعدة رئيس قبيلة عربي «أزرائيل» في حران (٥٦٧ - ٥٦٨) أما التأخير الذي نلاحظه في ما تبقى من حوران بالنسبة لـ Gerasa جيرازا، وبصرى لا يمكن اسناده الى صدف الاكتشافات النقشية لأنها كثيرة جداً، ولا بد من قيام تطابق غير عادي حتى يمكن الحصول على مثل هذا التقسيم في النصوص . في بادئ الأمر، يمكن تفسير هذا التأخير بالهجمة القاسية لمرض الطاعون الذي اجتاح السكان نحو ٥٤٣ - ٥٤٤ م . فإذا كانت الارياف مستعدة للسير على منوال المدن . لمنعت من ذلك خلال عدة سنين، وازدهار الكنائس الملاحظ والذي عاد خلال العشر سنوات بعد الطاعون، يثبت بأن هذا الازدهار قد عاد ايضاً، وإن وفرة السكان لم تتناقص . بالاضافة الى كل ذلك، يجب الحذر من هذه النقطة ، من جهة، نحن نجهل، ما هو حجم الكنائس المشادة في هذا العصر، بالمقارنة مع الكنائس التي كانت موجودة سابقاً . ومن جهة أخرى، فإن حجمها مرتبط بالتقوى وبكرم الطائفة المسيحية وليس بحجم تلك الطائفة .

٤ - بعد حكم جوستنيان الذي كان يُمثل، بالتأكيد، أحد قمم الازدهار في حوران

فقد تباطأت حركة البناء، دون التمكن من الادعاء بنقص السكان، وضعف النشاط الاقتصادي، بل بالعكس وهو العصر الذي حافظت فيه «بصرى» على علاقات تجارية مثمرة مع الحجاز - مكة وبصورة خاصة. وثمة ما يلاحظ تجدد لهذه الفعالية بحوران حتى عام ٥٨٩ - ٥٩٧ في «مأدبة» وفي جبل Nebo في منتصف القرنين السادي والسابع الميلادي. فهل لانحلال رئاسة القبيلة الغسانية الكبيرة عام ٥٨١، له علاقة وتأثير على هذه الظاهرة؟ وهل كان الأمن غير كافٍ، وخاصة على حدود الأراضي النصف صحراوية للولاية؟ هل شهد سكان القرى، الأكثر تعرضاً للتهديد، تراجعاً بسبب غارات البدو الرحل؟. فإذا كانت جميع الكنائس المبنية فيما بين عام ٥٨١ - ٦٣٥ موجودة غرب «بصرى» هل كان هذا بفعل الصدفة فقط؟. وقد تكون هذه من الأدلة، إلّا أننا سنعمل على تفسيرها بحذر نظراً للعدد القليل المتوفر من الوثائق^(٣٣).

من هذا نجد، كيف يمكن لعالم النقوش مساعدة عالم الآثار علماً بأن هذا الأخير لا يمكنه وضع تاريخاً للأبنية التي تشيدها، رغم حقيقة توفر أدواتها ووضوحها. من جهة أخرى، وعلى ضوء الدراسة الحالية، لا يوجد سوى العدد القليل جداً من واجهات الأبنية التي تم تعيينها. والنقوش الكتابية إذاً هي بمثابة وثيقة مهمة حول الأبنية التي لا تزال محتفية أو الأبنية غير المنقبة. وهي التي يمكن أن تساعد على تأريخ التطور الهندسي. وأبعد من ذلك أيضاً، تأريخ السكان، بعد إيضاح، أزمة الازدهار والانحطاط، وبعد تلخيص التقلبات التي كانت تطرأ على السكان وعلى هجرة القرى. هذه بمجموعها شهادات يجب تفسيرها بكل دقة. وإلّا بقيت غامضة لدينا في كثير من النقاط المهمة، مثل نحت ونقش الواجهات وغناها وما نالها من الترميم لتحديثها، مع أنها لا تزال غير قابلة للإبدال^(٣٤).

٥ - ميزات الهندسة المعمارية الهيلينية أي الصفة الاغريقية

هناك نقطة أخيرة بقيت قيد البحث. وهي موضوع صفة العمران. أنه موضوع واسع ولا مجال للمام بمعاجته في جميع مناحيه، ولكن يمكن أن نسأل الكتابات والنقوش حول مظاهر العمران المتعددة: أولاً حول نشأته - بفضل الرجوع الى الاعلام، مثلاً، ما هي النواحي الخاصة بالأصل الآرامي، وبالعطاءات النبطية والصفائية واليونانية - الرومانية وغيرها؟ بعدئذ يمكن قياس ما هو مدى نفوذ وتأثير الاحتلال الروماني على سكان حوران. هل الهلنينية^(٣٥) أصابت ولا مست المدن والريف على حدٍ سواء؟ فإذا كان الجواب نعم، هل هناك تفاوت في تاريخ الاحداث بين هلينة هذه المناطق أو تلك؟. وماهي حدود التغلغل في الثقافة اليونانية - الرومانية وأحيراً هل كان الازدهار مستمراً بالنمو، أم بالعكس؟ هل من الممكن كشف أوجه رد فعل أهلي؟.

ساترك جانباً أول نقطة من التساؤل، التي من أجلها حاولت إيجاد تحليل أو تفسير مفصل، انطلاقاً من دراسة اعلام «بصرى»^(٣٣)، فيما يتعلق بالازدهار الهلنستي، فالبحث ليس سهلاً لقلة النصوص المؤرخة، ومع ذلك يمكننا العودة الى بعض الاسئلة المطروحة اعلاه. هل هناك تضاد بين المدينة والريف، فإذا تم التمسك بالمعايير المذكورة اعلاه في ما يخص الهلينة، أي استعارة اسم يوناني - روماني، أو استخدام اليونانية في النصوص ذات الاستعمال الخاص. مثل: شواهد القبور أو التكريسات الدينية، نلاحظ للوهلة الأولى فرقاً يسيراً بين المدن (كبصرى وقنوات مثلاً) وبين القرى، وعلى كل حال فالجهد الذي حققته حول «اللجا وبصرى وأم الجبال» يؤدي الى نتيجة تظهر فروقاً دقيقة.

وإذا نظمنا جدولاً بجميع أسماء الاعلام الشائع استعمالها في اللجا يلاحظ بأن: الأسماء الأهلوية المحلية تعود في غالبيتها العظمى الى القرنين الثاني والثالث ب. م. وبالتأكيد أيضاً الى القرن الرابع. وفيما بعد، اختلطت هذه الاسماء بكثرة بأسماء العلم اليونانية - الرومانية أو المسيحية، حسب النصوص العائدة للقرنين الخامس والسادس (منها الاسم الجميل «تيفور شمش» الذي يحتوي الله).

إن الاسماء اليونانية - الرومانية ليست نادرة على كل حال. ولكن يجب ان نميز فيما بينها بعض الفئات التي لها صلة مفيدة بهذا البحث:

أ - الاسماء المسيحية (مثل جان - انستاس الخ. . .) وهي نادرة وليست بذات قيمة في دراستنا هذه.

ب - اسماء أوريليوس وهي متداولة بدرجة كافية ولكنها دون أهمية كبرى، كونها تعود بجمليتها للقرنين الثالث والرابع تقريباً.

ج - إن الجنود والمحاربين القدماء الذين لا يعرف أصلهم، لا يمكن الاستفادة من أسمائهم حتى لو كان أصلهم من اللجا - لأن اسماءهم اليونانية - الرومانية. لا تعطي الدلالة بأنهم مندجبن بثقافة المحتل، بل هي رمز، لصورة مميزة، لا يمكنها ان تظهر الود لقراهم.

د - أما الاهالي الذين يحملون اسماً يونانياً - رومانياً هم عديدون، ومنبتهم المحلي هو الضمان لهم سواء بيوتهم وسواء باحتواء النص ذاته للعديد من الافراد الذين يحملون اسماً سامياً، ويسارسون مثلهم الوظائف والمهام القروية. ومع ذلك، في القليل من النصوص، هناك افراد يحملون أسماء أجنبية، لا يمكن الاعتراف بها بصورة مؤكدة، بكونها أهلية، لأنها متأتية من مصادر أخرى.

فإذا استثنينا أسماء المسيحيين والجنود والمحاربين القدماء وبعض الافراد الغريباء عن المنطقة، يمكن الحصول على ٣٢٪ من الافراد الذين يحملون اسماء يونانية - رومانية مقابل ٦٨٪ يحملون اسماء سامية^(٣٥).

أعطي نفس الكشف المنظم في «بصرى» الذي استبعد بنفس الطريقة، الموظفين والجنود وجميع الأفراد الأجانب بالتأكيد^(٢٧) نتيجة مغايرة نوعاً ما: ٥٥٪ من الاسماء السامية مقابل ٤٥٪ من الاسماء اليونانية - الرومانية. فإذا كانت الأرقام محققة فعلاً. حينئذٍ يجب اتباع الفطنة في إعادة تفسيرها. غير أنه، ولدى النظرة الأولى، تبدو (هليانة) أسماء العلم في «بصرى» أكثر قوة مما هي في اللجا. ولكن الأسباب قد تكون مختلفة:

فإذا قد جرى تبني الأسماء العلمية الأجنبية بسرعة، بين سكان عاصمة الولاية الذين كانوا يتماس يومياً مع المحتل، ومع العديد من الأجانب، ولهذا وجب الاعتراف بأن الهلينية هي بالواقع كانت أكثر عمقاً في «بصرى» وفي المدن. مما هو باللجا والارياض؟. وإما أن احصاءاتنا كانت خاطئة بسبب وجود غير مكتشف لأجانب كانوا ينفذون في «بصرى» حسب التقاليد المحلية (مسلة بسيطة) دون أن يذكر أصلهم الأجنبي، وفي هذه الحالة، إذا توفرت احصائية تشمل فقط السكان المحليين الحقيقيين. فإنها تعطي نتيجة مختلفة ولكنها قريبة من تلك التي استخلصناها في اللجا.

في محاولة لتجاوز تلك الصعوبة، ولاظهار قيمة وأهمية الطريقة، فقد قمت بمجرد ثالث في «أم الجمال» متبعاً دوماً نفس المعايير في انتقاء المستندات، لم أختَر «أم الجمال» عفواً، لأن هذه المدينة أعطت عدداً وافراً من النقوش وخاصة من شواهد القبور في القرنين الثاني والثالث، مما سمح بوضع احصائية ذات قيمة، فجاءت نتيجة الجدول واضحة جداً: ٨٠٪ من الاسماء السامية، مقابل ١٥٪ من الاسماء اليونانية - الرومانية^(٢٨).

إذا كانت هذه النتيجة قريبة من تلك التي حصلنا عليها في «بصرى» لا يمكننا ان نستنتج بأن المدينين (كون أم الجمال، تجمع من نوع تجمعات المدن رغم انعدام استقلاليتها) كانوا يتصرفون في المدينتين التصرف نفسه. علماً بأن «أم الجمال» هي مدينة بدون جنود وبدون موظفين والمقارنة بين «بصرى وأم الجمال» اثبتت بأن النتيجة المستخلصة بالنسبة «لبصرى» كانت جيدة بفضل السكان المحليين ونظراً لعدم وجود أي اسم غريب موه يفسد الاحصائيات. ان فقدان التوافق بين المدينتين وحتى التباين الكبير المفترض لا يصلان الى حد البت ضمن مفهوم معاكس، لكون المدينتين من طبقتين مختلفتين، أمّا النتيجة الحاصلة في «أم الجمال» فيمكن عزوها الى التجمع الكبير المحلي الذي لم يحدث معه أي تماس مع المستعمر الروماني الذي لا يحوي إلا القليل من الأجانب المقيمين (مثل الجنود) (وموظفي الأمبراطورية). لقد اقتصر الأمر بالنسبة «لبصرى» على عدم امكانية الفصل بين المحليين الواردين اعلاه. ومع ذلك اعتقد بأن الحل الأول أكثر واقعية، حيث لا يوجد بالفعل سوى العدد القليل من الجنود والموظفين الذين لم يدخلوا في القائمة، لأن معظمهم سجلوا ألقابهم أو وظيفتهم، أو أنهم كانوا يكتبون اللاتينية، وإذا حدث دون علم منا، ان انزلق بعض أسماء

الأجانب^(٢٠)، بين المتوفين المدفونين على الطريقة المحلية. أويين مؤلفي كلمات الاهداء، منهم فنيون واطباء - وتجار وعددهم لن يكون كبيراً بالنسبة للعدد الاجمالي للسكان، ولا يوجد أي سبب يجعل عدد النصوص التي تذكرهم مرتفعاً بصورة خاصة. واعتقد في نهاية المطاف بأن الارقام التي أمكن الحصول عليها بالنسبة «لبصري» هي جديرة بالثقة - ولو كانت تقريبية، غير أنها تساعد على برهنة ما نبتغيه.

إذا وجدت الهلينية الكبيرة الموجودة في تسميات العلم في «بصري» بكل سهولة تفسيراً للواقع المتعلق بعاصمة الولاية، فكيف يمكن تبرير الاختلاف الكبير الذي كان يظهر بين عدد الاسماء اليونانية - الرومانية المؤكدة في اللجا، وبين ما يشاهد في «أم الجمال»، ولأجل ذلك يجب الرجوع الى الشطر الثاني من السؤال المطروح اعلاه. ماهو الدور الذي لعبه الزمن؟ هل اقتفت الارياض حركة الهلينة في المدن بصورة متأخرة. ان مثال «أم الجمال» يثبت الرأي المعاكس، ولكن لابد هنا من أخذ عامل آخر بعين الاعتبار، ألا وهو استعمال اللغة اليونانية في النقوش الكتابية الخاصة.

بالنسبة «لبصري» أعترف بعدم استطاعتي الجزم فيها اذا استخدمت اللغة اليونانية من قبل الأهالي في القرن الثاني الميلادي، والنصوص الوحيدة السابقة لعصر عائلة «سيفير» جميعها نصوص رسمية باستثناء كلمة اهداء واحدة، حررها مواطن محلي عام ١٤٣ - ١٤٤. (٩٠٥ - ١٣ - ١٩١٥). ومن الممكن أن تظهر شواهد قبور أخرى من نفس العصر، ولكن يستحيل توضيحها لنقص النقوش المؤرخة.

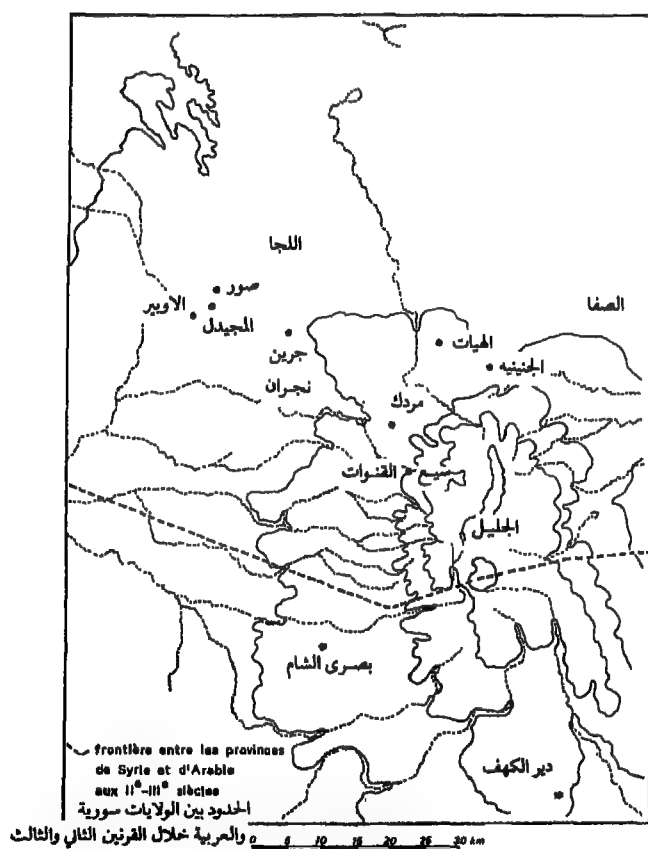
في اللجا، ثبت استعمال اللغة اليونانية بواسطة العديد من النقوش الكتابية منذ القرن الثاني للميلاد (في عام ١٠٦ - ١٣٣ - ١٣٦ - ١٤٠) وحتى في القرن الأول للميلاد (في عام ٧٧ ونحو اعوام ٧٥ - ٨٠).

في «أم الجمال» ان شواهد القبور الوحيدة التي وجدت مؤرخة كانت تعود الى اعوام (١٩٥ - ٢٠٨ - ٢٣٣) ولا يوجد أي نقش خاص كان يمكن ان ينسب للسابق بكل تأكيد. هل يمكن استخلاص نتائج، بالاستناد الى أسس ذات مظهر ضيق؟ إن الاستعمال المبكر للغة اليونانية في اللجا، ليس بالمؤكد، إذا كان غياب المستندات الثابتة، في «بصري» و«أم الجمال»، ليس هو بالدليل المناسب اعتماده في المدينتين. فإن استمرار الصلاة والتقديس باليونانية باللجا لم يكن عرضياً. يمكن الاستنتاج بأن ادخال اللجا (تراخونيتير) ضمن الممتلكات الهيرودية في القرن الأول الميلادي، بشكل متقطع في ولاية سورية قبل ضمها نهائياً الى الامبراطورية. بعد موت «أغريبا الثاني» حول عام ٩٣ - ٩٤ قد أدخل آثار بصيات في النقوش الكتابية (الخريطة رقم ٢)^(٢١).

فعملية التكامل هذه الاكثر قدماً في الامبراطورية، وقرب المناطق التي هي منذ زمن

طويل على احتكاك مع الاغريقية ومع روما (مثل المنطقة الدمشقية) يفسران هذه اهلينة المبكرة، وقد ترجم ذلك باستعمال اللغة اليونانية ويتوغل الاسماء اليونانية - الرومانية السريع في اللجا، وليس في «أم الجبال» البعيدة. وبصرى التي ضُمت الى الامبراطورية بنفس زمن ضم «أم الجبال»، تمكنت من استدراك تأخرها عن اللجا بالسرعة الكافية وللأسباب المذكورة اعلاه: (مثل كثافة السكان الأجانب - دور عاصمة الولاية) ويمكن أن يضاف الى ذلك وجود طبقة حضرية ميسورة أو غنية كانت أسرع من الريفيين في معالجة الخدمات الجديدة التي ادخلها المستعمرون.

السكان والتطور



الشكل رقم ٢ - الحدود بين سورية والعربية في القرنين الثاني والثالث - (تقسيم بمعهد اخرييا وخلفائه).

وعلى كل حال، لابد من تجنب الاعتقاد، بأن سكان «بصرى» «أم الجبال» أو «اللجا». هم من أصول مختلفة أو أنهم خضعوا لهجرة كثيفة، من مصدر يوناني روماني ولكن الأمر، في الواقع، يتعلق بالساميين في كل مكان، فالجذور القديمة الآرامية هي بلا شك قوية جداً في اللجا. بينما تكون الغلبة في حوران الجنوبية، أي في المملكة القديمة للجذور النبطية، ولكن في كل مكان بقيت التسمية العلمية العربية بشكل واسع. ولا بد من ظهور اختلافات كبيرة وعميقة حتى يمكن الكشف عن وجود سكان غرباء أو سكان اصطبغوا بالصبغة الهلنينية.

إذا قورن اسم العلم (لبصرى) مع تسمية Gerasa جيرازا يفهم بسرعة أننا أمام عالمين مختلفين - ففي Gerasa لا يوجد تقريباً أي اسم سامي، إنما هناك القليل من المسلات الكبيرة السائدة في حوران بما فيها بصرى. وما يمكن استخلاصه، هو إما غياب الساميين (وهذا يمكن تفسيره وفق الجذور القديمة في المدينة)، وأما أن الجميع تهلبوا منذ زمن طويل^(٣١). ولتحري الدقة، يمكن قياس المسافة بكاملها الواقعة بين الأساس القديم للهلنينية وبين العاصمة الجديدة للعربية الرومانية، حيث لا تعتبر الهلنينية سوى طلاء متشقق نوعاً ما^(٣٢).

لا اعتقد بإمكانية الذهاب بعيداً في هذه الطريق، مثال: لم استطع كشف تراجع في الهلنينية في القرنين الخامس والسادس. فاستمرار وجود أسماء محلية في حوران (مثل بلاد مواب) يثبت بأن اللغة اليونانية لم تتوصل إلى محو اللهجات أو اللغات المحلية الآرامية، الأمر الذي تمكنت اللغة العربية من تحقيقه فيما بعد. لم تكن اللغة اليونانية سوى لغة المظاهر «العظيمة» فقط، لأنها كانت تستخدم في التظاهرات الخارجية زيادة في الشهرة، (مثل الأهداء والتكريس الديني)، حتى في العصر البيزنطي حينما كانت كتابة النقوش على اهداءات الكنائس، أو على الموزايك، مكتوبة باللغة اليونانية هل كان ذلك لعلاقته باللغة الدارجة أم بلغة الكنيسة؟؟ بكل تأكيد، كان جميع الناس يفهمون اليونانية على درجات متفاوتة ولكن على كل حال، كانت تبدو الهلنينية قليلة العمق.

الخلاصة

في الختام، ارغب اثاره ذكر طبقة من سكان حوران، يصعب على علماء الآثار العثور على بقاياهم أو آثارهم: انها طبقة البدو الرحل، فبعض النصوص تتيح معرفة امكنة وجودهم في المنطقة منذ القرن الأول، اصلهم العرقي، وأماكن اصطيافهم في حوران، ولكي لا أفرط في اطالة الموضوع. اسمع لنفسي بارجاع القارئ، في هذا المجال، الى كشف الكتابات والبحوث عن البدو الرحل، وإلى الخلاصات التي سبق واستخلصتها في

موضع آخر^(٣٣) لنعد الى الأذهان بأننا نعرف، بفضل النقوش والكتابات اليونانية، ان القطاع الشمالي لجبل العرب، الذي كان مركزاً مهماً للاصطياف، وبأن قادة المنطقة الصفائيين كانوا يتواجدون هناك بصورة خاصة. من جهة أخرى، فإن تسمية الاعلام في الكتابات اليونانية تبين بأن قسماً من هؤلاء البدو الرحل تحضروا في الجبل، وان كثرة الاسماء الصفوية (العربية في الواقع، والمؤكدة بشكل أساسي ويكثر لدى الصفائيين) كانت أكثر أهمية في جبل العرب منها في أي مكان آخر في حوران. وقد اكتشفت ظاهرة التحضير هذه عبر الكتابات التي تذكر القبائل، وهي كثيرة في الجبل واللجا، إلا أن المسألة تبقى معقدة وتستحق معالجة خاصة^(٣٣).

لا يشك أبداً بأن مضاعفة المكتشفات، وإنشاء مجموعة مدونة كاملة للكتابات والنقوش الحورانية، تتيح دراسة أكثر منهجية عن سكان المنطقة. وعلماً أن اغناء تلك المجموعات والغناء اللامساواة في استكشاف مختلف المناطق، توصل الى معلومات أوضح حول أصل السكان وحول تقسيماتهم حسب العصور - ودرجة هلمينيتهم الخ. . . . ان ما عرض أعلاه ليس له أي مطمع سوى اظهار ما يمكن معرفته، وخاصة ما يمكن توقعه.

موريس سارتر

«تور» حزيران ١٩٨٠

هوامش

- ١ - مع علمنا بطبيعة هذا البحث، فإنني مغتبط لتقديم تعليقات وحواشي خفيفة مستندة على النقوش الكتابية حتى لا يضحك حجم المادة وبكل سهولة يمكن مراجعة النصوص في مصنفات النقوش الكتابية الحورانية.
- ٢ - يمكن تقديم العدد بأكثر من ٢٠٠٠ الأمر الذي يرى فيه الكثير، بالنسبة لمنطقة قليلة الاتساع، دخلت مؤخراً ضمن العالم اليوناني الروماني.
- ٣ - IGLS - ٥٤ / ٨ ١ باريز ١٩٨٢، تعد ٤٧٢ رقماً منها ٢٤٩ رقماً بدون نقش كتابي.
- ٤ - بالحقيقة عثرت على نقوش كتابية في «أم الميادن» وفي «كحيل» عام ١٩٨٢.
- ٥ - يجب أن يُنظر في الحساب أن العديد من المؤسسات الزراعية المنعزلة قد أعيد ترميمها أو استخدمها بينما حالياً لا يوجد سكان منعزلين.
- ٦ - اترك جانباً، وبطبيعة خاطر، وضع «سيع»، التي كانت في القديم موقعاً مهماً. وأما اليوم، فهي مهملة جداً لأنها بصفة أساسية تتعلق «بمعبد» الأمر الذي لا يمكن مقارنته مع قرية أخرى.
- ٧ - جوزيف Ld (١٦ - ١٣٠) و (٢٧٣ - ٢٨٥) - (١٥ - ٣٤٤) - (١٧ - ٢٣ - ٢٨).
- ٨ - كانت تراخونيتيد (trachonitide) جزءاً من الولاية السورية الرومانية في الحقبة الزمنية التي كانت تفصل الأزمان حيث كانت هذه اللجاء Trachonitide تحت سلطة الأمراء الهيروديين هذه الحالة كانت بين عام ٣٤ - ٤١ ثم بين عام ٤٤ - ٥٤.
- ٩ - وادينغتون - ١ - سورية ٢٤٤٣.
- ١٠ - راجع السيد دوناند والطريق الروماني في اللجاء - باريز ١٩٣٠.
- ١١ - راجع ج لاسوس (J. lassus). الصوامع المسيحية في سورية/ باريز ١٩٤٧.
- ١٢ - PAES ٣ - آ - ٢٣٢.
- ١٣ - PAES ٢ - آ - ٢٧١ - ان فسر «أم الجبال» - في الوثائق الرسمية تتقاطع في هذا المضمار مع غنى «بصرى» سيتوضح ذلك فيما بعد.
- ١٤ - PAES ٣ - آ - ٢٤٥ - ٢٧٠.
- ١٥ - في «طفس» شمال درعا - ان جميع الطقوس الجنائزية مؤرخة، وهي حسب اعتقادي، القرية الوحيدة في «حوران» المؤرخة فيها هذه الطقوس.
- ١٦ - PAES ٣ - آ - ٦٥٩ (في ١٥٥)، ١٥٥ (في ١٦٩ - ١٧٠) ٦٥٢ (في ١٩١) ولكن يشاهد حروف M في ١٥٧ (PAES - A - ٧٠٠) في ١٦٤ (راجع ٧٠٦).
- ١٧ - PAES ٣ - آ - ٧٢٤ - ٧٢٦ (في ٣٥٩) ٦٧٠ (في ٣٩٢) ولكن حروف M مستقيمة منذ المتصف الأول للقرن الرابع. PAES ٣ - آ - ٦٨١ (في ٣٠٥) ٣٩٥ (في ٣٣٣) ٦٩٧ (في ٣٢٣).
- ١٨ - وجد مطرة، أي نموذج منه في IGLS - ١٣ - faso - ١ - بصرى - باريز ١٩٨٢.

١٩ - ليست «أم الجبال» سوى قرية تابعة لأراضي «بصرى» كما يثبت ذلك النقوش الكتابية، أما غياب ذكر الموظفين الرومان فيها (فهذا ما هو مستغرب، نظراً لوضعها المهم جداً في هذه التجمعات السكانية - ندرة كبيرة في الجنود - عدم وجود أي حاكم بلدي في الوقت الذي كان الحكام موجودين في العديد من القرى التي كانت تقل عنها عدداً بالسكان هذا ما يثبت بأن «أم الجبال» لم تكن سوى تجمع أجنبي من السكان غير العسكريين وغير الإداريين. وحتى أنها لم تكن تتمتع بنفس الاستقلالية القروية التي كانت سائدة. تمتد أراضي «بصرى» باتجاه الجنوب حتى الرحاب (Rehab).

٢٠ - لا يخلو ذلك من بعض المسائل - لماذا - هل بدأت العادة أو التقليد بالاضمحلال بصورة خاصة، بالنسبة للمناطق أخرى يقطنها نفس عناصر السكان (مثل الموابيين - والايديوميين). ان المسلات المسيحية هي كثيرة وبوفرة هنا.

٢١ - راجع بصرى باريز ١٩٨٥.

٢٢ - رغم ان المسيحية كانت دخلت مبكراً الى بصرى (منذ أوائل القرن الثاني ب. م. على أبعد تقدير). غير أنه بقي ما يعادها من الاوثان في المدينة في عهد جوليان - (راجع بصرى).

٢٣ - الكنستان الاخريتان المبيتان في المنطقة هما في الكفر عام ٦٥٢ - وفي حرمان عام ٦٨٨ - أي في شرق المنطقة ولكن الأمن لم يستتب الا بعد الفتح الاسلامي.

٢٤ - افضل بحث حول سكان حوران هو بحث «ف فيلينيوف» في مؤلفه «بحوث حول قرى حوران» الأثرية دكتوراه Cycle III باريز - ١ - ١٩٨٣ - ص ٢٣ - ٩٨.

٢٥ - مع التحفظ ونظامه هيلينية بالنسبة لرجل ما - مثلاً - اسمه مشترك بين اليونانية والرومانية، أو استعملت اليونانية في النقوش الكتابية الخاصة (شواهد قبور - ندور) فهذا بكل وضوح يعتبر كمرحلة بدائية جداً من الهيلينية ولكن هي من أول نوع لوحظ في حوران.

٢٦ - راجع «بصرى».

٢٧ - لوحظ بأن جميع الاشخاص الذي يكتبون اللاتينية هم من الأجانب.

٢٨ - يجب أن ننسى، بأن بعض الاسماء اليونانية والرومانية ليست سوى اسماء هيلينية ولاينية اخذت كطابع لفظي للاسماء السامية، وايضاً في حوران مثل اسم (واليس وميلون/ يوناني) وايضاً الكلمتين اليونانيتين (سابيوس وامنوموس) وقد اعتبرتها هنا كاسماء أجنبية مع الاحتمال بدون مسوغ بتضمّن عدد الاشخاص الذين اتخذوا اسماء هيلينية.

٢٩ - بالاضافة الى ممارسة النذور، فإن تواجد الهيروديين في المنطقة ترك آثاراً أخرى، في قنوات والمشف، كانت تجري وفقاً للذوق ورغبة الامراء على سبيل الشهرة والبخذ وليس في سبيل التقدم السياسي الحقيقي للمنطقة. بالحقيقة قد أوردنا فيها سبق التفسير الذي من أجله انشئت قيصرية الهيت وعلى كل حال، فإن دراسة اسماء الاعلام تثبت بأن هذه الحقبة الزمنية لم تدع السكان غير مكترئين. فقد أحصيت جميع البيانات لأسم اغريبيا في سورية واسماء المشتقين عن هذا الاسم مثل اغريبانوس - اغريبينا - اغريباس - الخ... فكانت النتيجة مدهشة (الخريطة رقم ٢) خمسة من حاملي تلك الاسماء وجدوا خارج حوران (واحد في بيروت وادينقتون ١٨٥٣) واحد في انطاكية (EGLS - ٣ - ١٠٥٧) ثلاثة في مدن وقرى سورية الشمالية (EGLS - ٤ - ١٥٠٦ و ١٦٢٧ - ١٩ SEG، ٦٤٨). ولكن وجد ٢٥ من هذا الاسم في حوران ومن أصل هذه الى ٢٥ وجد ٥ خارج الادارة الهيرودية (٢ - في دير الكهف - ٢ في بصرى - ١ في جيرازا (Gerasa)

والأسماء العشرون الأخرى، وجدوا في مدن وقرى اللجا «جرين - نجران - صور - الأوير - الحارصة»، وفي جبل العرب الشمالي (في الجنيقية - سبا - الهيات - قنوات - مجادل مردك) وذلك دون أن تدخل في التعداد لعائلة (بانياس سيزاره فيليب Paneas Césarée de philleppa) واني أشك بأن هناك اكتشافات متأخرة تمكنت من القيام بهذا التوزيع. وقد أجري نفس التفتيش والبحث حول اسم هيرودس، ولكنه أقل وضوحاً. غير أنه مع ذلك مقتنع. فقد عثر على هذا الاسم أربعة عشر مرة في كل سورية منها: ٧ في نفس قطاعات سورية الجنوبية التي تعود إلى الأمراء.

٣٠ - من المفيد إجراء المقارنة بين مدن الائتلاف العشر. يبدو لي بأن جيرازا Gerasa هي منعزلة لأن الأسماء السامية هي ثابتة جداً في درعا - وقنوات، وأيضاً في عمان (راجع الآن ٤ P - (كاتيه Gattier) النقوش الكتابية اليونانية واللاتينية في الأردن ٤ - ٢ - باريز ١٩٨٥.

٣١ - الطريقة التي كان اتحاد المدن العشر يقوم بموجيها نشر عناوينها واسماءها القديمة اعتباراً من منتصف القرن الثاني ب. م. على عملاتها، كانت على مايعتقد التمييز وعدم الاندماج مع المدن الحديثة مثل: بصرى وبترا - وكان هذا منذ منتصف القرن الثاني، على أقرب تقدير. إذ تمكنت (قنوات) من تدوين مؤسسها (غابينيوس وبلا، Gabvinius et pella) وماركيوس فيليب حيث أعلن غادارا Gadara نفسه انه مؤسس بومباي Poupée وأن جيرازا استمد اسم انطيوخس كريس وورداس (Chrysorroas) وهذا يذكر بانثائها من قبل اسكندر الكبير مثل: (كاپيتولياس Caputolias).

٣٢ - راجع بحوثي الثلاثة حول العربية الرومانية - بروكسيل - ١٩٨٢ ص ٤٢٤ - ٤٢٨.

٣٣ - راجع القبائل والانحياز في حوران القديمة (الاثريّة) سورية ٥٩ - ١٩٨٢ ص ٧٧ - ٩١.

هوامش المترجم

١* - ملاحظة ضرورية أن نسبة الأسماء السامية العالية وتعني ذلك النبطية تدل بعدد ذاتها على السكان المحليين أنفسهم، الأمر الذي يحاول الباحثون عدم الإشارة إليه بما يستحقه.

٢* - من الأمانة الإشارة إلى أن وجود الأسماء اليونانية على شواهد القبور في بصرى أو المدن والقرى الأخرى في حوران، لا يمكن الاستناد إليه للحكم على أن هؤلاء من الأجانب، وأن محاولة إعطاء هؤلاء الأجانب صفة الفنين من أطباء أو مهندسين كما ألح بذلك كاتب البحث، يعتبر تسرعاً لا مبرر له ولأن استقرار الامبراطورية الرومانية والبيزنطية وقبلها الاغريقية حوالي تسعة قرون واختلاط المحتلين بالسكان المحليين، وهليئة الكثيرين ممن انتسبوا للجيش أو الادارة، أو لمجرد تبني الثقافة اليونانية لبعض المدن والقرى يكاملها، يحملنا على أن نرجح رأياً مخالفاً لرأي الكاتب، وهو أن نسبة ١٥٪ أو أكثر من الأسماء اليونانية لا يعنى أبداً أن هؤلاء كلهم من الأجانب، وبالتالي لا يمكن اعتبارهم جميعاً من الفنين الأجانب، والأخذ بهذا الرأي معناه الانحياز لنظرية مسبقة الصنع.

العملات نتيجة التنقيب في «سبع» التداول بالعملة القديمة في حوران

أوضاع التنقيب

حتى الآن كانت دراسة العملة القديمة في حوران مهمة تقريباً، وكان يتخلل التنقيب في هذا المضمار، فجوات بالنسبة لكافة هذه المناطق، ولجبل العرب ولما حوله من مقاطعات مجاورة لسورية الجنوبية وللاردن، جاءت المنشورات ضئيلة، بالمقارنة مع بلاد الشرق الأدنى القديمة الأخرى مثل سورية الشمالية، الداخلية والساحلية وفينيقية وفلسطين، التي رفدت علماء المسكوكات، منذ زمن طويل، بوثائق وفيرة أغنيت باستمرار. ان طبيعة العملة المكتشفة في حوران توضح، بدون شك، سبب ندرة النشر عنها: فهذه القطع الصغيرة من البرونز السيئة السك أحياناً، المفروضة، أو المقصودة، البالية والتي يصعب قراءتها، وطابع التكرار في أنواعها لم تثر اهتمام جامعها. من جهة أخرى، يُترجم التكامل السياسي والإداري للبلاد في العصور الهلنستية والرومانية، من خلال المكتشفات النقدية التي يضلّل تنوعها الباحث. كانت عدة طرق تتصالب في تلك المقاطعات المأهولة لتربط الطرق الدمشقية بشرق الأردن وأطراف الصحراء بفلسطين، الأمر الذي يضاعف

التواصل بين السكان الذين كانوا من جذور مختلفة. إن منطقة «سيع» بصورة خاصة، كانت قرية جداً من الحدود غير الثابتة والمتنازع عليها والتي فصلت التقسيمين الكبيرين، في سورية، الجنوبي والمركزي خلال حقبة كبيرة من العصر الهيليني، ثم أبان السيطرة الرومانية. وكذلك جاءت الى جانب بعض العملات المحلية - قليلة هي المدن كان لها ورشة خاصة بالسباكة - مجموعة ضخمة من القطع الصادرة عن ورشات خارجية متعددة، تقع في فلسطين وشرقي الأردن أو في سورية، لتؤكد تعاقب أو تداخل السلطات - الممالك الكبرى، والاسر المحلية الصغيرة، والادارات في الامبراطورية وفي الولاية، وفي البلديات، أبان العصر الروماني، وهذا التنوع في ضرب العملة. جعل دراستها شائكة.

في مجموعات التصنيف العامة القديمة في معظمها والموثقة توثيقاً غير متساو، رأى الباحث نفسه مقتصرأ على جميع معلومات مؤشرات مجزأة، فهو بالمقابل اعزل كما تظهر ذلك المراجع، تجاه الدراسات الاختصاصية ذات الموضوع الموحد، والتي كانت سابقاً تجري بصفة استثنائية، بينما تتضاعف حالياً مقدمة وثائق غنية جداً حول اصدارات الممالك المجاورة (من نبطية وغيرها أيضاً) وحول سك النقود في المدن والحاضرات، من جهة أخرى، كان هناك عدة أعمال تنير السبل في مجال نشر وتاريخ العملات الرومانية والامبراطورية أو في الولايات التي تدخل دائماً في جزء كبير ضمن العناصر المركبة للاكتشافات. ولكن مهما كانت قيمة هذه الدراسات، فإن موضوعها لا يراود منه التبصر في التسلسل التاريخي لسك العملة ولا ليعد علاقاتها.

بالنسبة لمنطقة حوران، فالمسكوكات، بصورة خاصة، هي مجردة، بسبب نقص الأدلة الواضحة عن المكتشفات، ولكن، على ما يبدو، فقد تم وصف كنز واحد فقط. وتشير التقارير القديمة للمهام، أو للرحلات، أحياناً، الى العملات دون ايضاح مسهب. وإذا أدى التوسع الكبير في التنقيبات والحفريات التقليدية منذ سنين، الى تضاعف اكتشاف العملات النقدية التي نادراً ما أشير اليها^(١) فإن النشر عنها بحد ذاته قد بقي معدماً.

ان تنوع النقود المتداولة في هذه المنطقة المتنازع عليها، وطبيعة ثم اختلاف الاشغال التي لا تخلو من ثغرات، تتطلب جهداً ضرورياً لإخراجها الى النور. ومن المفيد عرض الموضوع ضمن نطاق علم المسكوكات، مقتصرين قدر الامكان، على منطقة جبل العرب، وعلى مواجهة جميع المعطيات العمومية، بعد ذكر جميع الأدلة النادرة التي امكن اكتسابها، وخاصة النتائج التي يمكن استخلاصها من العملات المستخرجة من تنقيبات «سيع».

٢ - توزيع العملات التي عثر عليها في «سيع»

هذه العملات تشكل موضوعاً لا سبيل لإهماله، ان البعثات الأربعة لعام ١٩٧٧ -

٧٨ - ٧٩ - ٨٠) سَلَمَت ٢٩٣ قطعة من البرونز حصراً عُثر على جميعها تقريباً في الطبقات الأثرية، وضمن مساحة ضيقة نسبياً. فالبعض من هذه القطع الملتقطة من على وجه الأرض تقريباً. كانت على مقربة من مكان التنقيب مباشرة، ورغم الاهتراء وحالة التآكل لبعض القطع من هذه النقود، فقد امكن تصنيف وتحديد هوية مجموعها تقريباً. بالاختصار يمكن اعتبارها نموذجاً (مسطرة) معبراً لدراسة كيفية تداول العملة المحلية سابقاً. وهي مدعاة للاهتمام رغم الثغرات التي فيها.

ان الجدول التالي رغم كونه مختصراً وموقتاً، فإنه يوجز بخطوطه العريضة والتقسيمات أو التوزعات التاريخية للعملات هذه:

العصر	نوع العملة	العدد	المجموع
العصر الهيليني	اللاجيد Lagide السلوقيون : انتيوخس الرابع انتيوخس الثامن	٢ ٢	٤
الملوك الانباط القرن الأول بعد الميلاد	ارتياس الرابع ماليوخس الثاني رابيل الثاني (غير معروفين) انصاف قطع نقدية اجزاء من عملة نبطية / غير معروفة	٣٥ ١٠ ١١ ٢٨ ٢٦	١١٠
الاسرة اليهودية ^(١٠) القرن الأول ق. م القرن الأول ب. م	هيرودس الأول هيرودس فيلبوس الثاني اغريبا الأول اغريبا الثاني غير معروفين	١ ١ ١ ٣ ١	٧

العصر	نوع العملة	العدد	المجموع
عملات المدن	قنوات تحت حكم كاليكالا دوميسيان كومود Commode بصري تحت حكم مارك اوريل فوستين Faustine صور في وسط القرن الثاني انطاكية تحت حكم فيليب الثاني غير معروف	٢ ٦ ١ ٣ ٢ ١ ١ ٢	٩ ٥ ٤
مجموعة من الصغيرة (سك محلي) نقود رومانية	نقود صغيرة (سك محلي) تراجان من القرن الثالث غالين gallien ماكسيمين الثاني Maxemin II قسطنطين قسطنطين الثاني فالانتينيان Valantinien اباطرة في القرن الرابع / غير معروفين	٢ ١ ٢ ١ ١٤ ٥ ١ ٤	١١٨ ٣٠
عملات اسلامية عملات حديثة عملات غير مقررة		٢ ١ ٣	
	المجموع العام		٢٩٣

٣ - تداول العملة تحت الحكم الفارسي

في بادئ الأمر، يُستتج بأن تلك المستندات هي صامته، أي أنها لا تذكر شيئاً عن العصور الأكثر قدماً، أن أقدم عملات «سيع» تحمل تاريخ العصر اللاجيدي Lagide، وعلى ما يبدو، لا يوجد أي لقية أخرى محلية تحمل تحديداً لتاريخ وشروط استعمال، وتداول لعملة المنتشرة في قطاع جبل العرب. أن هذه المنطقة التي كانت من ضمن حوران تعود إلى التقسيمات السياسية للإقليم الخامس الذي يحكمه «مرزبان» التابع (للقبيلة بازرغاد الفارسية Achéménide) وليس هناك أي مصدر، بالنسبة للعصر القديم. يتضمن دلالة يمكن تطبيقها على هذا القطاع المتأخر اجتماعياً والقريب من الصحراء، ويدل على الطريقة العامة للتطور النقدي في المملكة الفارسية التي وضع عنها (د. شلنبرجر D. Schlumberger) جدولاً متياسكاً: عوضاً عن المقايضة بالمعدن الموزون، ظهر نظام نقدي، مستقى من المملكة الليدية التي كانت منذ عام ٥٦٠ تقريباً، على دراية بإصدار العملة (الذهبية Créséides) والفضية sicles التي خلقت المجموعات الأولى من مزيج الذهب والفضة (Électrum). لقد افتتح الملك الكبير قبيل نهاية القرن السادس أو أول القرن الخامس، مهرجاناً لسك أول عملة من الذهب، أطلق عليها اسم (داريك Darique) الوحيد (اسم الدينار القديم الفارسي)، الذي انتشر في جميع أرجاء المملكة، حتى في الخارج. وبصورة موازية أيضاً، أصدر المثلثال الفضي الذي كان تداوله مقتصر على الأناضول الغربية والجنوبية، ومن هذا الإصدار الملكي المرزباني الذي أمتد باستقرار ملحوظ في جميع هذه الأنواع حتى عهد الاسكندر لم يعثر على أية قطعة لا في موقع «سيع» نفسها ولا في منطقتها.

يجدر بنا أن نشير بالنسبة للفترة الكلاسيكية، وفي منطقة مجاورة، إلى مؤثر هام جداً، سيما وأنه يبدو اليوم، فريداً من نوعه، ألا وهو الكنز المكتشف عام ١٩٦٧ بالقرب من «بصرى»، في المنطقة الحدودية الحالية السورية - الأردنية، الذي حصل متحف أوكسفورد (Ashmolean Museum) على القسم الأكبر منه^(١). وكان حصراً من الفضة من حلى صغيرة الحجم اجزاء من السبائك. و١١٣ قطعة نقدية كاملة أو مجزأة. هذا الكنز كان قد خُبيء (حسب التقسيمات الأثرية التاريخية للنقود الإثنية، نسبة إلى أثينا، نحو عام ٤٤٥ ق.م، وتعود أهمية هذه اللقيا إلى قدم تاريخها وإلى منطقة كشفها. كما تحملنا على الشك في قيام - ضمن سهل بصرى وفي أواسط القرن الخامس - تجارة متطورة نوعاً ما تفسر استعمال القطع النقدية الصغيرة من الفضة التي كانت توازي القطع النقدية اليونانية الصغيرة، وحتى القطع النقدية الكبيرة السليمة المسماة (عشر دراهمات) - (اثنان - ثمان دراهمات) (عشر ترا دراهمات) (خمس ستاتير) Statère (الستاتير يساوي ٢٠ دراخما). ويصح افتراض قيام علاقات مع بعض موانئ الساحل، ومنها صور على وجه الاحتمال. ويزودنا الكنز أيضاً

بنموذج ذي دلالة معبرة عن الأنواع التي كانت متداولة داخل الامبراطورية . وبذلك يوضح النتائج التي توصل اليها شلامبرجر، ولا يختلف، من جهة ثانية، تركيب الكنوز الأخرى المتزامنة معها أو التي بعدها، سواء كانت من فلسطين أو من مصر نفسها، وفي حال غياب الداريك (الدينار) الذهبي، فإن الاصدارات الملكية الفارسية لم تكن ممثلة إلا عن طريق سك مثقال واحد من الفضة، بينما بالمقابل، كانت النقود الفضية اليونانية أكثر من ثمانين نوعاً صادرة عن أربع قطاعات رئيسية، مثل بلاد (تراخوملا سيدونية Trachomcaedoines) : ١٣ قطعة - وأثينا ٣١ قطعة (والجنوب الغربي لآسيا الصغرى ١٥ قطعة) (وقبرص قطعة) مع بعض القطع المنفصلة في غرب المتوسط (ماسانا وكورسير قطعة واحدة) (من اليونان : ايجين ٢) (كورنث ١) (ايليس ١) (ديلوس ١). كذلك من الساحل الشرقي : (صور ١) (ربما من غزة ١ ولكن في ذلك شك) . هناك بعض النقود وخاصة نقود شمال بحر «البحر» وأثينا كانت قديمة التداول منذ ٢٥ - ٣٠ سنة سبقت عهد الطمر.

بالفعل، فمنذ تأسيس رابطة ديلوس Delos وحتى عام ٤٢٥، انتشرت الفضة المسكوكة بواسطة المدن اليونانية، أو بواسطة بعض السلالات الحاكمة المشتركة في نطاق الثقافة اليونانية، بما فيها سلالات «قبرص» بشكل واسع في الامبراطورية الفارسية (وحتى في مناطق هي أبعد حداثاً من الجهة التي فيها حوران) وذلك مقابل انتشار «الداريك» الذهبي الذي لم يكن له أي منافس، والشيء المميز في كنز «بصري» وفي المكتشفات الأخرى، هو وجود مواد أو بقايا فضة من كل نوع : وأفضل مثال على ذلك هو «هكسيلبر Hacksilber»، المنتشر في مكتشفات القرن الخامس في سورية، وفينيقيا وفلسطين، وهذا يبين أن الفضة المسكوكة مقبولة في المبادلات المراقبة عادة بالوزنات، ليس بالنظر لقيمتها العددية، بل لقيمة السبك فيها، وإنه إذا كانت بعض أنواع العملات المعروفة بسبب قدمها، فذلك لأنها كانت متداولة لضمان العيار الجيد (Scklumberger).

وهذه الطريقة في التداول تفسر - بعد أن أدت حرب البيلونيون إلى ندرة في العملة الأتيكية في الشرق - ظهور سك جديد للعملات غير اليونانية في الامبراطورية الفارسية . وهو سك لاقى رواجاً وتطوراً شديداً في القرن الرابع الميلادي ولكنه بقي تقليداً لوجهين . عملات «التترادراخما» أو «الدراخما اليونانية»، والبعض منها، انزل للتداول منذ القرن الخامس مستندة على ضمانات دار المسكوكات في «غزة». وكان التقليد جزئياً أو اشتقاقياً، وهي حال، عملات «فيلستواراب» التي كانت ممثلة في خزائن العملات للقرن الرابع الميلادي في فلسطين - وفينيقية وسورية^(٣).

حتى قبل الاصدارات الكبيرة للعملة التي قام بها الحكام الفارسيون . شوهد ظهور وانتشار العملات التابعة للمدن والسلالات الحاكمة في «فينيقية وفلسطين»، والتي يفكر

الملك حيالها، بمنع أو تحديد سك الفضة^(١). لنأتي على ذكر العملات المسكوكة في دور سك غير معرفة وغير محددة. وفي دور مسكوكات المدن الكبرى الساحلية مثل: صور - صيدا - ارواد - بيبيلوس، ومهما كان حق الاسبقية (التي طال الجدل فيها)، لهذه الدار أو تلك بالنسبة للجوار. فقد بدأ ضرب العملات هذه، بسك عملات صغيرة جزئية، بينما كان التداول أيضاً، قد بدأ (من الستاتير: العشرون درهماً) أو التترادراخا، ومن قطع نقدية من النموذج اليوناني التقليدي^(٢).

مع الأسف، لم تفدنا أية لقيا في حوران، عن كيفية تداول العملة، خلال القرن الأخير من حكم الفرس، والتي كانت مقتصرة، بدون شك، على الذهب الملكي، وعلى الفضة ذات المصادر المختلفة التي كانت من عائدات المعاملات والعقود اليومية، كانت العملات من صنف. (philesto arabe) الفلسطينية - العربية) السائدة فعلاً على الساحل الفلسطيني - الفينيقي، تصل الى هنا، والفضل في ذلك يعود لدور رؤساء القوافل، الذي كان يقوم به العرب الانباط، على طرف الجنوب، بين العربية الوسطى، وبين البحر الأبيض المتوسط^(٣) وهذا يدعو الى الاعتقاد بأن التوسع نحو شمال تلك المناحي (الاتجاهات) كان موفقاً بصورة فردية ومُشتتة ونحو نهاية ذلك القرن، ظهرت، لأسباب مماثلة، السلسلات التي كان يطلق عليها اسم (المصرية العربية)، وكان يُعتقد على الغالب، بأنها قادمة من الشمال الغربي للعربية، وبصورة خاصة من الحجاز^(٤).

٤ - نهاية القرن الرابع

لم تظهر أية دالة، على أن المسكوكات المحلية التي ضاقت شهرتها، بسبب التبدلات التي قام بها الكسندر وخلفاؤه خلال الأعوام بين ٣٢٣ - ٣٠٢ ق.م بالنسبة للنظام النقدي، حسب المعلومات لدينا، فإن التنقيبات التي حدثت في المنطقة لم تعط أي دليل عن الحملات التي قادها الفاتح نفسه، أو قواده، ضد العرب الايطوريين وضد بلاد شرقي الأردن. ولا ضد الفتح (الانتيجونيدي ontigonide): سلالة أسسها أحد خلفاء الاسكندر واسمه (أنتيغونوس) اعتباراً من عام ٣١٨ ب.م. في هذا المضمار، وضمن نطاق المسكوكات كان التباين شديداً بين سورية الجنوبية وشرقي الأردن من جهة، وبين سورية الشمالية وباقي المناطق الساحلية والفينيقية والفلسطينية، من جهة أخرى، حيث تظهر الاكتشافات الكثيرة للكنوز^(٥)، التوسع الوحيد للعملة الفضية، فأصبحت مقبولة كما هي دون تطبيق الوزن عليها في جميع البلاد، أما الدراخما الرباعي والدراخما من عيار أثيني، والتي تحمل اسم وشخصيات الفاتحين، فقد حلت في تركيب تلك الكنوز، محل عملات الحاكم الفارسي، أو العملات المستقلة المسحوبة من التداول.

ان فتح ورشات جديدة للسك، في الشرق (ومنها ورشات مارانوس - وعله - يافا - عسقلان - دمشق) ووصول العملات الكثيرة المسكوكة في أسية الصغرى - قبرص - شرق الامبراطورية، كانت تجلب معها زيادة كبيرة في احجام الذهب، وخاصة الفضة التي كانت قيد التداول. وقد دام تداول دراخما الاسكندر، في كل الشرق وحتى في القرن الثاني قبل الميلاد.

وايضاً، في أواخر سني القرن الرابع، ادخلت وعممت بصورة واسعة في الشرق، العملة البرونزية التي ظهرت من جراء التنقيبات العديدة (باستثناء الذهب) ولكن لم تظهر أبداً آثار هذه التناجج وهذه الفعالية، حسب الموجود الحالي للمستندات، في المكتشفات داخل البلاد.

٥ - العصر الهيليني

مقابل ذلك، تعطي العملات الهيلينية المكتشفة في موقع «سيع»، نموذجاً متواضعاً (٤ قطع) يُثبت تعاقب الاصدارات اللاجيدية والسلوقية، ان القطعتين البرونزيتين اللاجيديتين (Lagides) المنسوبتين الى بطليموس الثاني، أو بطليموس الثالث، رغم تأكلهما الشديد، هما انعكاساً ضعيفاً لمسكوكاتهما الوفيرة المجهولة التفاصيل. اما دور السك الفينيقية والفلسطينية التي كانت نشيطة جداً منذ حكم بطليموس الثاني (بطليموسات عكا - يافا - غزة - بيروت - صيدا - صور - طرابلس - ماراتوس) ومراكز السك الأخرى في الاسكندرية وقبرص كانت تضرب (سك) كميات كبيرة ليس فقط من الفضة (مثل: رباعية الدراخما والدراخما) والذهب أحياناً، بل أيضاً البرونز الجميل لمختلف النماذج. كما ان مكتشفات عديدة في الساحل الشرقي، وفي وسط البلاد، وفي الأردن خاصة تثبت الانتشار الواسع لهذه العملات^(١)، ولكن مع الاسفار لم تتمكن العناصر من إيضاح الوقائع المتنازع عليها، مثل تبعية دمشق للامبراطورية اللاجيدية أو السلوقية خلال الحرب السورية الأولى والثالثة^(٢)، تلك الوقائع لم تكن لها أن تمر بدون نتائج بالنسبة لقطاع حوران، حتى لو لم يتأثر نظامه بها.

إن ضالة العدد، في مكتشفات موقع «سيع». لا يتيح أيضاً الوضع النقدي في حوران، داخل المملكة السلوقية من عام ١٩٨ الى عام ٦٤ ق.م. - والقطعتان البرونزيتان التابعتان لهذا العصر، يعود كل منهما الى اصدارات سك يمكن ان تعتبر هي الأكثر ابتداءً والأكثر في المناطق السورية تحت حكم «انطيوخس الرابع عام (١٧٥ - ١٦٤ ق.م.)، وانطيوخس الثامن الذي اشترك مع والدته (كليوبترا) في الحكم (١٢٣ - ١٢٠ ق.م.) وعلى كل حال، يوضح هذا النموذجان مثل بقية المكتشفات في سورية الجنوبية والاردن، أوسع

تداول نقدي برونزي مرقم ومسكوك في دور السك الشمالية وإذا صح فإن انطاكية كانت مكاناً لاصدار فئات تلك المسكوكات . لقد تطور وتنوع سك واصدار العملة الملكية اثناء حكم السلوقيين مع المحافظة على الطابع الأثيني الاساسي . اما بالنسبة لدور السك في الشمال والتي كانت نشطة منذ نهاية القرن الرابع الميلادي (وخاصة دار السك في انطاكية) . فقد تعززت بعد احراز النصر على «اللاجيديين بدور السك الواقعة في مدن الساحل ، وكذلك بدار السك الملكية في دمشق التي شهدت نجاحاً كبيراً تحت حكم الاسكندر وخلفائه ، رغم تراجعها المتواضع حينما كانت اسرة البطلمة تسيطر على فينيقية ، ثم عادت اعتباراً من حكم انتيوخس السابع (١٣٨ - ١٢٩) واصبحت احدى الدور الاكثر انتاجاً في المملكة^(١١) بفضل عودة التجار بين البادية والساحل اثناء حكم السلوقيين ، كما يبدو ، وبسبب نقص اللقيات في حوران ، فإن بيوت العملة (دور السك) في جنوب سورية - فلسطين - الأردن . أظهرت كيف أن الدراخما الرباعي - والدراخما السلوقية حلت محل الفضة البطلمية^(١٢) التي مع كل هذا استمر تكديسها وخاصة في الأردن .

ولكن تركيب المكتشفات اشادت في النصف الثاني للقرن الثاني ، والعقود الأولى للقرن الأول ق.م ، الى عودة ظهور العديد من الاصدارات المحلية الفينيقية - أو البلدية - أو المستقلة باسم ووفق نماذج اصدارات المدن : مثل (Arados) ارادوس) في القرن السابق . وهكذا جميع المدن الرئيسية ، تقريباً ، اما بدأت أو عادت الى سك النقود البرونزية ، وفي أغلب الاحيان ، الفضية . البعض منها كان يتبع أسلوب العصر السلوقي ، والبعض الآخر كان لها اسلوبها الخاص (مثل : سلوقية - ارواد - طرابلس - صيدا - بيروت) . اما اصدارات الدراخما الرباعي الدراخما من قبل العديد من هذه الدور (سلوقية Ladicee - ارواد - صيدا - طرابلس - صور - عسقلان) ، التي كانت تبدل أو تنافس العملة الملكية . فقد شهدت تطوراً عظيماً في نهاية القرن الثاني ق.م ، وخلال كامل القرن الأول ، وامتدت حتى الحقبة المهمة جداً من العصر الامبراطوري ، ولهذا أصبحت عملة الدراخما الرباعي (اصدار صور) مشهورة وهي العملة الفضية الاكثر رواجاً في القرن الأول . ان الانتشار الواسع لهذه القطع النقدية التي غالباً ما اشير اليها من قبل المؤلفين ، قد اثبتت وجودها بتوفر كمياتها من المكتشفات حتى ضمن سورية الداخلية . وان العديد من درر سك العملة البرونزية المستقلة في ٢٥ مدينة سورية على الأقل ، قد سك من هذه العملة في أوائل القرن الأول ، ورغم كون تداولها ضعيفاً . غير أنها احتفظت بأهمية محلية كبيرة . أما الحالة التي كانت تستحق الذكر في سورية الجنوبية ، فهي عملية سك العملة البرونزية (الديمتر ياسية) ، وهذا اللقب استخدمته دمشق مؤقتاً ، في عهد ديمتريوس الثالث (٩٦ - ٨٧ ق.م) .

اصداراته هذه شبه المستقلة Pseudo autonome كانت معاصرة للعملات الملكية المسكوكة في

نفس المدينة^(٣) في حوران، كان غياب الأدلة قد قاد الى السؤال عن النقود البرونزية الصينية التي كانت متداولة في هذا العصر - هل كانت العملات الملكية أو شبه المستقلة في دمشق تنافس عملات دور السك الأخرى؟ وهل كانت القطع البرونزية الصغيرة والوفيرة في المرافئ الفينيقية، والفلسطينية (عسقلان - صور - صيدا) تصل الى تلك المناطق؟؟

اظهرت بعض المكتشفات العائدة للمناطق المجاورة، في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الأول ق.م، انحلال السلطة السلوقية، وعداوات الممالك المتنازعة، ووجود قطع برونزية مختلطة بالعملات المستقلة الفينيقية، وبالعملات البرونزية الملكية السلوقية، وهناك فئات أخرى سُكَّت من قبل رئيس الربع الإيطوري (لشالسي Chalcis) فقد سك نقود «ببليموس بن منايوس» نحو عام ٨٥ ق.م. ولكن العملات البعيدة والأكثر وفرة، هي عملات ملوك النبطيين والتي على ما يبدو، بدأ سكّها في «بترا» نحو نهاية القرن الثاني ق.م. تحت حكم «اريتاس» وبين عام ٩٣ - ٨٥ وسّع عبوداس الأول، أملاكه على حساب «اسكندر جانيه»، من الجولان الى بلاد موآب وجلعاد وتغلب على الملك السلوقي انتيوخس الثاني عشر فأصبح النبطيين اسيا «بتانا» (Batanée) كانت تحوي السويداء وحوران. . . المترجم (Auranitide) وحوران القديمة، وحتى دمشق فيما بعد، بين عام ٨٤ - ٧٢ ق.م. وقد أوكل على العموم الى دار السك الأخيرة (بدمشق) سك جميع الوحدات والفئات النقدية البرونزية الصغيرة، ذات الطابع اليوناني والعائدة للملك «أرتياس الثالث الـ Philhellène) الذي استدعي للمساعدة من قبل الدمشقيين ضد التهديدات «الايطورية» قبل حكم تيفران (٧٢ - ٦٩ ق.م) والتدخل الروماني. من المؤكد، ولصالح تاريخ حوران الذي لم يكن معروفاً خلال هذه الحقبة الزمنية المضطربة. فإن المكتشفات النقدية، وخاصة البرونزية منها، كانت قد قدمت أثمن الأدلة.

٦ - من الفتح الروماني الى انشاء الولاية العربية

تعطى الملاحظة ذاتها حول الحقبة التي تلت الفتح البومبي Pompeienne وتنظيم الولاية السورية، وفي هذا المضمار. فإن التنقيبات في موقع «سبع» لم تعط، أية دلائل. فقط هناك عملة وحيدة تحمل تاريخ القرن الاول ق.م. لقاء نسبة كبيرة من العملات المعروفة (بمقدار ٩٧ نسخة أي ٣٣٪ من المجموع). تدرجت تواريخها ضمن القرن الأول بعد الميلاد، موضحة جزئياً، التاريخ المضطرب لهذا القرن بسبب مضاعفة وتراكم مختلف العملات المسكوكة والمتداولة في هذه المنطقة.

لم يتم الحصول على أية دلالة حول انتشار العملات الرومانية في نهاية الجمهورية، وخلال القرن الأول للإمبراطورية. غير أن استنتاجاً مائلاً نشأ من جراء فحص بعض الكنوز التي تعود لزمان الحروب الأهلية، وخاصة، في فلسطين^(١٠) حيث تم العثور أثناء المكتشفات المنعزلة، وأثناء التنقيب على اللقى، وخاصة على الساحل الفينيقي السوري، مما أكد بوضوح الدور المتصاعد الذي لعبته العملة الرومانية في الشرق. وكان قد أشير إلى هذا الدور في العديد من النصوص التاريخية والنصوص التوراتية^(١١) وكانت في بادئ الأمر، تتناول، خلال الحروب الأهلية، بعض إصدارات العملة الذهبية (aurei) وبصورة خاصة العملة الفضية المسكوكة في الغرب، ومن ثم في عهد «بروتوس» و«كاسيوس» في اليونان، وفي آسيا الصغرى، انعكس تدخل انطون في الشرق بين عام ٤٢ - ٣١ ق.م. في كثرة تلك النقود التي تعود فيها تعود إلى دار السك (Ephèse) التي سكّت العملة لصالح «أوكتاف» اعتباراً من عام ٢٨. وإلى نفس الزمن، تعود إصدارات العملة، في العديد، من دور السك العائد للساحل السوري الفينيقي (بيروت - طرابلس - أرواد - Balanca) منها قطع من البرونز عليها صورة انطون وكليوباترا VII اجتمعت صورتها على قطع نقدية (الدراخما الرباعي - فضية مشهورة، أسفلها كتابة تفسيرية باليونانية سكتها، على ما يبدو، مع دراكحات مماثلة، دار السك بانطاكية. وفيما بعد، وطيلة حكم «أوغست وأباطرة» القرن الأول، استمر توسع وضرب العملة الرومانية لأسباب عسكرية ومالية، إن العملة الذهبية والدراهم الغربية، وخاصة ما يتعلق بأسية الصغرى (مثل: Perganne- Ephèse - قيصرية كابادوقية) أو القطع البرونزية الاسكندرانية التي ظهرت في الأراضي السورية وفي فلسطين. فقد قامت الإدارة الرومانية، منذ حكم «أوغست وحتى ثورة عام ٦٧ - ب.م. بسكّ قطع نقدية صغيرة من البرونز باسم حكام الولاية اليهودية، دون أي نماذج مصوّرة. ولكن منذ ولاية «اغسطس»، قامت دار السك في انطاكية، بوضع التداول لكميات كبيرة من العملة المسكوكة للولاية السورية^(١٢) (بوعد مستقبل بعيد)، إن هذه الإصدارات الطبيعية التي تحمل رسم صورة الإمبراطور وأحياناً كتابة يونانية أو لاتينية، استمرت حتى القرن الثالث الميلادي، وهي تتضمن الكثير من العملة الفضية (خاصة من الدراخما الرباعي، ومن الدراخما ومختلف الجزئيات). وإيضاً، قطعاً نقدية برونزية، باقطار كبيرة، منذ السك الأول (١٩/٢٠ - ق.م). أصبحت الدراخما الرباعية الانطاكية تنافس الدراخما الرباعية الشهيرة «لصور» ولم تتأخر في الحلول محلها.

خلال هذه الحقبة، وبفضل مبادرة المدن، وصلت دور ضرب العملة المستقلة إلى انحطاط تدريجي، وخاصة بالنسبة للفضة. فقد أنشئت خلال القرن الأول ق.م. العديد من دور سك العملة الكبيرة مثل: «سلوقية - لاو» ديسية Laodicée أرواد - صيدا (صور)

وتخصصت في سك نقود (الدراخما الرباعية). أن كنوز العملة الفضية وأيضاً، النصوص التي تشير الى رواج الدراخما الرباعية المسكوكة في صور تكشف عن ذلك. ولكن دار السك في صورة هي الوحيدة التي تابعت الاصدار بشكل منتظم خلال وبعد حكم أوغست وحتى عام ٥٦ - ٥٧ ب.م. وفي هذا التاريخ ترك، بالنسبة للفضة، المجال حراً للعملات الرومانية - وللدراخما الرباعية الانطاكية. ومقابل ذلك، أن سك نقود البرونز ذات الشروحات المستقلة، لم يتقطع في القرن الأول ق.م. - في أغلب المدن الساحلية (وقد عاد أيضاً في «بيولومية - عكا (piolémais- Ake) عام ٤٤ ق.م. وتعاقب بصورة عامة، حتى عهد أوغسطس، منتشر حتى في المدن الأكثر أهمية في القرن الأول ب.م. (طرابلس ٦٧ يوماً) وحتى في القرن الثاني (أرواد» ١١٦ يوماً) (صيدا ١١٨) (صور ١٩٥). ومن جهة أخرى. فقد ظهرت منذ عصر بومبي Pompe، إصدارات سك عملة من البرونز المستقل بشكل وفير. ولكنها كانت محددة من حيث الزمن المتداولة فيه. وهذه كانت حالة «دارا Dara» في عام ٦٤ - ٦٣، وخاصة عدة مدن داخلية، وبصورة خاصة منها، في سورية الجنوبية (Gadara أم قيس) عاصمة ائتلاف العشر مدن. وقد سكّت في عام ٦٤/٦٣ أيضاً عملات حملت تاريخ السنة الأولى لحكم «روما». وقد أعيد سكّها بصورة افرازية خلال العقود اللاحقة تحت اسم الغاداريين (ملك أم قيس). وهي مؤرخة حسب التقويم البومبي pompeenne^(١٨) وبفس السلسلة والنوع يعود اصدار العملة البرونزية في دمشق قبل حكم أوغست بقليل. ولكن أهمية السك المستقل، تبدو بكل الاحوال محدودة، وهي لا تسري على الفئات المسماة (الامبراطورية اليونانية) التي كانت قد ظهرت، فقد قرر أوغست أن هذه الاصدارات للعملة المحلية ذات الكتابة اليونانية، تجمع، من حيث الحقوق، صورة اسم الامبراطور على الوجه الأول - ورمزاً خاصاً بكل مدينة، والاصل على الوجه الثاني، في عصر أوغست كان عدد المدن المنتشرة، لا يزال متواضعاً في سورية، لا يزيد عن اثنتي عشرة بالمجموع ومنها، في الجنوب، دمشق التي اوقفت سك النقود بعد طبريا Tibère، ثم فيما بين حكمي «نيرون وهادريان» (أم قيس Gadara) حيث الفئات الصغيرة النقدية حلت محل الاصدارات المستقلة، بالوقت الذي كانت مرتبطة بولاية سورية عدة مدن من ائتلاف العشر مدن. وفي فلسطين جرت عدة اصدارات امبراطورية للعملة في غزة وعسقلان، ومع انشاء المستعمرة الرومانية بيروت عام ١٥ ق.م. ظهرت فئة أخرى من العملات البرونزية المحلية ذات كتابة لاتينية، وأيضاً ظهرت اصدارات نقدية في المستعمرات، شبيهة للسابقة في (بتلومية - عكا)، تحت حكم نيرون، وفي القيصرية (تحت حكم دوميسيان).

اعتباراً من حكم «كاليغالا» امتد ضرب العملة «الامبراطورية اليونانية الى عدد كبير من المدن، وهذه الظاهرة، ليست عامة بالكامل، وهي بطيئة في شمال سورية وفي فينيقية،

حيث كانت الاصدارات المستقلة تتابع فيها اكثر من القسم الجنوبي ، الذي تضاعف فيه دور الضرب الجديدة ، وكانت مدن الائتلاف العشر من بين الأوائل التي سكّت هذا النوع من العملة ، وعلى العموم كانت هذه العملة تُورّخ وفقاً للعصر البومبي Pompeenne من ٦٤ - ٦٣ ق. م : مثل قنوت و Nysa-seythopolis منذ حكم «كاليفالا» - heppos- Gerasa - تحت حكم نيرون . وفيلادلفيا تحت حكم تيطس وبللا pella ، تحت حكم دوميسيان - بينما Gadara ، كانت تتابع الاصدارات العديدة . وأيضاً هناك دورسك أخرى في المناطق المجاورة (طبريا - سباستيه - جبا - نيابوليس - سيزارة - سيفوريس) ، افتتحت هي أيضاً دوراً لضرب العملة على طريقة الامبراطورية اليونانية تحت حكم كلود - ودوميسيان - أنفسهم . اما بالنسبة لعملات موقع «سيع» . فليس من المستغرب أن يظهر ، منذ تلك الفترة اعداد تستحق الذكر نسبياً ، من القطع ذات الفئة (ثمانية قطع من المدينة القريبة جداً من «قنوت» اثنتان منها مؤرختان تحت حكم «كاليفالا» - أما الستة الباقية مؤرخة بعهد دوميسيان .

هناك فئة ، ثلاثة كبيرة من اصدارات ذلك العصر ، وهي فئة (دورسك العملات الملكية التي بدأ تسلسلها في نهاية الحقبة السابقة . وهي من بين عملات موقع «سيع» ، خير ما اعطي ملخصاً جليلاً يساير تقلبات النظم السياسية التي اعترت حوران في القرن الأول ق. م . والقرن الأول ب. م . ورغم الدور الذي استطاع ان يلعبه (زينودور دوسالسي) ، فلم تر النور أية عملة تعود للأسرة الايطورية . فقط ظهرت بالمقابل ، مجموعتان غير متساويتين بالاهمية هما العملات الهيرودية والعملات النبطية .

رغم ان منطقة «سيع» مثل باقي «حوران» كانت قد رضخت ، احياناً ، لحكم الأسرة إن المهتم من مجموع المسكوكات المكتشفة في الموقع الأنري ، كانت من صنع المملكة النبطية . هذه الحصّة تحتوي على ما لا يقل عن (١١٠) قطعة نقدية سليمة أو جزئية من العملات المعروفة أي ٣٧٪ من مجموع اللقى التي تمّ العثور عليها حتى هذا اليوم . ان الثلاثة ملوك الذين حكموا اعتباراً من عام ٩ قبل الميلاد ، مُثلون بشكل غير متساو وبصورة خاصة بواسطة مسكوكاتهم البرونزية ، علماً بأنهم جميعاً قاموا بسكّ دراخما من الفضة ، وما يقارب من نصف القطع منسوبة الى «اريتاس الرابع» أي له وحده (٢٠ قطعة) . وهو متضامن مع الملكة شوكيلات - Shuqailat الأولى من (١٥ قطعة نقدية) . أما القطع النقدية الخاصة بالحكام التاليين ، فقد كانت اقل من ذلك : عشر قطع من «مليكوس الثاني» بالإشتراك مع «شوكيلات الثانية» ، من عام ٤٠ الى عام ٧٠ ب. م . ثم (١١) من رابيل الثاني (٧٠ - ١٠٦ ب. م) ومع شوكيلات الثانية (٥ قطع) - ومن جيلات (٦ قطع) هذا التقسيم قد يكون لأول وهلة مفاجئاً . إلا أنه يشير على كل

حال، الى الكثرة النسبية للاصدارات النقدية ولأريتاس الرابع، بالنسبة للملوك النبطيين الآخرين في الوقت الذي به كانت المملكة قد كبرت منذ عصر (عبوداس obodas) الثالث نحو ٣٠ قبل الميلاد. وكانت تتضمن منطقة «بصرى» حيث ان سك النقود العينية البرونزية النبطية، لا يمكن أن يُلاقى في جنوب سورية وكامل قطاعات الأردن، مزاحمة لها بنفس الاهمية. فالحالة، على ما يبدو، تختلف جداً، تحت حكم خلفاء أريتاس الرابع، حيث توطدت المراقبة الرومانية على تلك المناطق بصورة ثابتة، سواء مباشرة أو بواسطة الأسرة المالكة «الهيرودية»، وحتى ولادة الولاية العربية عام ١٠٦ ب.م.

٧ - السيطرة الرومانية: من القرن الثاني الى الرابع الميلادي

يمر عبر حوران، حدّ مجهول، وغير معروف التفاصيل، يفصل بين الولايات السورية الجديدة، التي من ضمنها منطقة «قنوات»، واللقى النقدية لم تعط أية معلومات عن هذا التقسيم الإداري، ولا عن الاصلاحات اللاحقة التي قام بها «ستيموس ساويروس» حينما اتسعت العربية لتشمل حوران والجلبل في عام ١٩٥، و«ديوكليسيان»، حينما توسعت العربية ايضاً نحو الشمال مكملة ضمّ بقية حوران واللجاء، حوالي عام ٢٩٥.

منذ أوائل القرن الثاني، ومع نهاية حكم المملكة النبطية لم تعد في المنطقة أية إصدارات نقدية تعود للسلالة الملكية. بينما كان الازدهار والتطور الزراعي والتجاري في حوران، الذي وصل أوجه في هذا العصر، كان بغرض استعمال النقود العينية الوفيرة numeraire، التي يمكن أن تؤخذ فكرة جزئية عنها من اللقى في «سيع». وبالنسبة لتداول الفضة، والذهب احياناً. لا نملك أي أدلة. ولكن من المحتمل ان العملات، كما هو الحال، في المناطق الأخرى، من الشرق الأدنى، كانت تأتي من

جهة، من دور السك الامبراطورية الغربية أو من الشرق عدا سورية (مثل رومة - وقيصرية كبادوقية بصورة خاصة). ومن جهة أخرى، من معامل انطاكية. وقد حلّت دراخاماتها الربعية للولاية محل دراخامات «صور» منذ القرن الأول. كما ان انطاكية استمرت بسك فئات مهمة من الفضة (دراخات رباعية) و(دراخات عادية) حتى عصر غورديان الثالث، ثم انحصر العمل فيما بعد تحت حكم «فاليريان» في اصدار النقد النحاسي والبرونزي، ومن المناسب أن يشار في هذا الفصل، وفي زمن الولاية العربية الى وفرة سك دراخات الفضة مع رسم «صورة رسم تراجان» مؤرخة عام ١٠٤ - ١١٧ ب.م، فإن العديد من الأدلة، توجب الاعتقاد، بأن هذه العملات الوفيرة في بيوت المال (الربعات) وفي مامبسيس

المنسوبة تقليدياً الى (قيصرية كبادوقية) قد سُكَّت للتداول المحلي في دارسك في العربية^(١١)، من جهة أخرى، وخلال حكم «كركلأ وماكرين»، كان قد أُشير الى حدود سلسلة من الفئات المختصرة، ولكن ضمن اصدارات وفيرة من الدراخات الرباعية على غرار اصدارات انطاكية في ثلاث عشرة داراً للسك مهمة في الشمال وفي الساحل من سلوقية الى «غزة». أما الاصدارات النقدية الامبراطورية الأخرى، من المعدن الثمين كانت على العموم قليلة وناجمة عن ضرورات عسكرية. مثل مركز اصدار الدرهم الفضي الروماني في (Carrhes كارهس) بين عام ١٦٣ - ١٦٦ ب. م، أو الدرهم الذهبي (Ourei) لأورانس انطونين في حصص خلال أعوام ٢٥٣ - ٢٥٤ ب. م).

يمكن تصنيف النقود العينية البرونزية الوفيرة المتنوعة جداً، حسب أهميتها، الى مجموعتين:

- ١ - الاصدارات البلدية المحلية - المستقلة - أو الامبراطورية اليونانية أو الاستعمارية.
- ٢ - النقود الامبراطورية حاملة الكتابات اللاتينية المحلية أو المستوردة. ان اللقيا في موقع «سيع» تشهد جيداً بذلك التقسيم، وبذلك التطور التاريخي لهاتين الفئتين.

حتى منتصف القرن الثالث تقريباً، كانت الأغلبية الساحقة من العملات المتداولة، هي من جميع أنواع البرونز ومن نماذج مختلفة، وكانت تسكها الحواضر أو المدن التي سُميت مستعمرات رومانية، ان المسكوكات الامبراطورية حاملة الكتابات اللاتينية، بقيت نادرة نسبياً (Sesterces, asses et dupondi) غير متوفرة ابداً، على ما يعتقد في العقود الأولى للقرن الثاني الميلادي، كان هناك فقط عملتان من هذا النوع، كلاهما في عهد «تراجان» وقد اكتشفنا في موقع «سيع». كان الحجم الكبير للنقود العينية، في جميع التبديلات الجارية، يقدم من قبل دور السك المحلية، حيث كان باستطاعتها سك عدة أنواع من العملة، مثل الاصدارات الشبه مستقلة، حاملة حسب الكتابات انيونانية، التي كانت تنقد، دون الرجوع، الى السلطة الامبراطورية، وفقاً لما كان سائداً في القرن الثاني، في اثني عشرة داراً لسك العملة، خاصة في المدن الكبرى في الشمال والساحل، مثل «أرواد» حتى عام ١١٦ - أوصور حتى عام ١٩٥ وأيضاً في تدمر. والبعض من تلك الاصدارات ظهر منفرداً تحت حكم «تراجان» أو نحو نهاية القرن الثاني الميلادي، مثل: وضع بصرى في عام ١٨٢ - ١٨٣. ولكن الظاهرة التي تستحق الذكر والتي جرت خلال القرن الثاني هي تكاثر الاصدارات (الامبراطورية اليونانية) ان عدد المدن التي كانت خلال عهد (اسرة ساويروس) تسك العملة، حاملة الكتابات اليونانية مع صور ورسم الامبراطور تجاوز الثمانين. وكان اغلب تلك الاصدارات التي لا تُعتبر امتداداً لاصدارات القرن الأول، قد ابتدأت تحت حكم الانطونيين. ثم

وضعت لها حدود في عصر اسرة ساويروس ، وانتهت تقريباً بالكامل خلال القرن الثالث . فيما بين حكم كراكلا (وغالين *gallien*) وفي مجمل هذا الانتاج الضخم الذي كان يضم ، بصورة خاصة ، نماذجاً من العيار الكبير والمتوسط ، والذي غالباً ما كان من البرونزي الصفات العالية . كان التلاحم والتناسك مقصوداً ، لأن العلاقة بالعملة الرومانية الامبراطورية كانت صعبة التفسير^(١) .

في سورية الوسطى والجنوبية كلها . كانت الاصدارات تتضاعف ، فدمشق التي استأنفتها تحت حكم «هادريان» تابعت السك حتى عصر «غالين *gallien*» غزة (ولو كاد دي كريسوروس *gazaet leucade du Chrysorhoas*) حتى عصر غودريان الثالث وسيزاره *Césaëe* وبانياس ، وتدمر ، حتى عصر «اسرة ساويروس» . ومن بين ائتلاف المدن العشر ، استأنفت «فيلادلفيا» اصداراتاً تحت حكم هادريان ، إن (كابينالياس وأبيلا *Capitalias*) *Abella* افتتحتا تلك الاصدارات تحت حكم «ماركوس أوريلوس» وأم القيس *Dion* تحت حكم كركلا - جميع تلك المدن ، وأيضاً المجاورة لها ، التي استمرت اصداراتها النقدية منذ القرن الأول ، أوقفت تلك الاصدارات تحت حكم *Elagabal* أبلاجبيل ، أو غارديان الأول . وفي العربية اصدرت «درعا - بصرى - وبترا» عملات ضمن نفس هذه الازمنة ، وهناك دور لسك العملة أقل أهمية دامت فترة أقصر مثل *Esbous - Eboda - Charachmoba* مأدبة *Rabbathmoba* . ويمكن تطبيق نفس الاستنتاج على القطاعات المجاورة لها . مثل : الجليل والسامرة واليهودية .

على الغالب ، لا يوجد أي انقطاع ، بين الاصدارات النقدية الامبراطورية اليونانية ، وبين الاصدارات التي تحمل كتابات لاتينية ، التي سكّتها نفس تلك المدن التي اصبحت فيما بعد مستعمرات رومانية ، حكم هادريان وحكم فيليب العربي «عشرون» مدينة . ان اصدارات عملة للمستعمرات في منطقة بصرى ، منذ حكم الكسندر ساويروس ، وفيليب الأول ، وفي دمشق وفيلوبوليس ، كانت تخص حوران ، بشكل خاص . اما لقي موقع «سيع» التي لا تشمل عملة المستعمرات ، فقد اعطت فكرة موجزة عن تنوع البرونز ، في البلديات مُثلّت الاصدارات المحلية بعملة من قنوات يعود تاريخها الى حكم «كومود» *Commode* ، وبأربعة عشر قطعة برونزية من «بصرى» في زمن «ماركوس أوريلوس» ، من جهة أخرى ، عثر على قطعة مستقلة في صور مؤرخة عام ١٤٩ . وعلى قطعة نقدية أخرى (امبراطورية يونانية) في انطاكية من عهد فيليب الثاني .

اعتباراً من منتصف القرن الثاني كان يطرأ تغيير كثير على تقسيم النقود العينية شيئاً فشيئاً . تحول سك النقود الامبراطورية الى اصدارات محلية ، غير أن دور السك البلدية

أوالخاصة بالمستعمرات اختفت أو تقلصت بأغلبتها تحت حكم (Elagabol ايلاجبل) ورحم غارديان الأول، وايضاً في مدن الائتلاف العشر، وخاصة قنوات والعربية وبترا - كما أن البعض من الدور لم يَدُم سوكها سوى مدة قصيرة، مثل دار فيليببولوليس التي لم تستمر الى ما بعد حكم الملكين (فيليب) بينما هناك دور أخرى استمرت في سورية الجنوبية وفي العربية، حتى عهد الملك «اوستيليان» (بصري) وعهدي «فاليران وغاليان Gallien في درعا - بصري».

تميز هذا العصر بندرة البر ونزغم افتتاح دورسك امراطورية جديدة في الشرق، في (سيزيك cyzique) تحت حكم كلود الثاني، وفي طرابس تحت حكم أورليان. ان التنقيبات في موقع «سيع» خلافاً لعدد من «اللقى» المكتشفة في سورية الشمالية والساحلية. لم تعط سوى القليل من المعلومات خلال تداول العملات في المنتصف الثاني من القرن الثالث ب. م. - ولم يتعدى مجموعها اربع نماذج (منها اثنان من عصر غاليلان) غير أنها كانت تبين، بصورة خاصة، خلال القرن الرابع ب. م واثناء حكم قسطنطين وخلفائه المباشرين. كيف كانت العملة الرومانية غير ذات قيمة جوهريه، وكيف اختفت الاصدارات النقدية المحلية بصورة نهائية. أما نسخ القطع المؤرخة في تلك الحقبة الزمنية والتي كانت على الغالب بحالة ممتازة، كانت تُعد ٢٤ قطعة في «سيع» (أي ٩٪ من المجموع) وهي تتضمن احدي المجموعات الأفضل منظراً في الموقع، لأنها أتاحت تدوين أهمية دار السك في انطاكية التي امتدت اصدارتها الى زمن أبعد من اصدارات اسكندرية، واطدادات دور السك الأخرى الشرقية. مثل قسطنطينية - تسالونيكيا - سيزيك - نيكوميدي، ولكن هذا الاستنتاج يبدو مبتدلاً على النطاق السوري^(٣).

الخلاصة

في مثل هذه المقارنة للشروط العامة في تداول العملة في حوران، فإن الـ (٢٩٣) قطعة نقدية التي كان قد عثر عليها في «سيع»، برغم تفاهتها، فإنها تتيح استخلاص بعض النتائج المعجلة. ان غياب قطع الفضة والذهب لا يشكل مفاجئة، في غمرة من عملات التنقيب

حيث يصادف فيها عادة، وفي كل عصر، الأنواع الأكثر رواجاً التي كان يتم تداولها من خلال المعاملات الصغيرة أو المتوسطة في الحياة اليومية. من جهة أخرى، وفيما عدا بعض العملات الرومانية الأحدث، كان تآكل أغلب القطع يُثبت، على ما يبدو، التداول الطويل الأمد.

إن العدد الكبير من العملات المجزأة، والتي كانت تنحصر تقريباً بنصف القطع أو أرباعها من العملات النبطية المسننة عمداً، تستحق أن يشار إليها. وهذه ليست ظاهرة وحيدة في سورية، ولا في العالم القديم أيضاً. وكانت تلك العادة، على ما يبدو، تتجاذب مع سبل التجارة اليومية في زمن ما. وهنا، في النصف الثاني من القرن الأول ب. م. - أو في أوائل القرن الثاني، كانت القطع البرونزية المتداولة مهمة جداً للمشتريات الصغيرة، وحتى في عصر أقدم من ذلك بكثير، قسمت العملات حتى درجة الدراخما الفضية، كما يتبين ذلك في كنز بصرى، وكذلك، بدأ البرونز وكأنه مقبول كما هو، واستمر بالتداول، بالوقت الذي خلاله أصبحت بعض العملات مهترئة أو انقطع تداولها.

إن غياب العملات التي سبقت إصدارات «اللاجيد»، لانتيج استخلاص أي نتائج حول الفتوحات القديمة المتتابعة على الموقع. لذلك لم يُنتظر أي رواج سوى للعملة الفضية، فيما عدا، على ما يبدو، عصر الكسندر. وبالمقابل، فإن العدد الأكبر من القطع، كانت تحمل تاريخ حكم «فالانسيان» و«قسطنطين» الثاني، وكانت بحالة ممتازة من الجودة. أما غياب العملات التي تحمل تواريخ سابقة لتاريخ العملات المذكورة أعلاه مباشرة، فهي تحمل، على ما يعتقد الأدلة على إهمال أو ترك الموقع أو ترك مواقع أخرى، كان قد جرى فيها التنقيب، غير أنه عثر فقط على قطعتين من العملة حديثتان جداً من العهد الأموي، ولكنهما بحالة اهتراء شديدة.

بين هذين الحدين، لا يمكننا إلا أن نبدي دهشتنا من الاستمرارية في التقسيم التاريخي. وقد بدت جميع العصور، فيما عدا، القرن الأول قبل الميلاد، ممثلة هنا كما هي في العهد الهيليني، حتى لو كانت العينة متواضعة. وكان يميزها ثلاث مجموعات مهمة: العملات الرومانية في القرن الرابع الميلادي (٩٪ من المجموع) عملات الملوك الانباط (٣٧٪) - وكميات ضخمة من القطع الصغيرة التي يبدو أسنادها أو تصنيفها صعباً. إن العملات البرونزية النبطية تشكل مجموعة كبيرة - مستمرة - متجانسة، وإن اهترائها وكثرة القطع الصغيرة المسننة (المثرمة) تؤكد النجاح والتداول الطويل الأمد لهذه العملات، في منطقة لعب فيها الدور التجاري والسياسي لهذا الشعب مجاًلاً عظيماً بلا شك. أما بالنسبة للقطع البرونزية الصغيرة جداً، والتي تشكل وحدها ثلث عدد العملات المكتشفة (١٤٤ نسخة)، فإنها تبدو، من وجهة نظر تاريخية، مرتبطة بأواخر العملات النبطية. فجميعها

خالية من أي كتابة أو شرح، وهي مزينة بنهاذج خام، خشنة، غير معروفة على الغالب، وعلى كل حال، فيها بعض الاصلة الى حد ما (رأس مشطوب - عنقود عنب - كبش).
فالكبير منها لايزيد قطره عن (أوبول) (وحدة يونانية قديمة). ويكاد لا يمك بين الأصابع. والمقروء منها يذكر بالعملات الصغيرة البرونزية لمنطقة نفوذ البارث (Parthe) أو منطقة تدمر.

أليس استعملها وايضاً دورها مشابهاً الى دور القطع النقدية الصغيرة النبطية، التي كان من المحتمل ان تحل محلها؟ لو أن لقي أخرى محلية، لم تثبت الفرضية القائلة بأن الموضوع يدور هنا عن عملات اصدرتها بعض دور السك في حوران.

Chr Auge

ك. أوجيه

هوامش

- ١ - وايضاً قطع من البر ونز المنقوب، وهي ادوات للعقود وللأساور، جلبت من حوران (راجع مجلة المسكوكات ١٩٦١ ص ٢٣).
- ٢ - IGCH رقم ١٤٨٢ - نشر من قبل س. م كراي C. M. Kroay وب. ر. س موري P. R. S Moorey.
- ٣ - مثلاً IGCH رقم ١٤٨٥ (سورية نحو ٣٨٠) ١٤٩١ (فينيقية أو فلسطين نحو ٣٥٠) ١٤٩٣ (قصر «نابا» سوريا الوسطى نحو ٣٤٠) ١٥٠٧ (ابوشوشة - اليهودية نحو ٣٣٠).
- ٤ - شلمبرجر (النقود اليونانية ٢٠٠٠) ٥٠٢ صفحة ٢٣ - ٢٤ فقرة ٦.
- ٥ - شلمبرجر ٥٠٢٠٥ ص ٢٢ - ٢٤ ولكن كنز بصرى يعني نسخة من كل من (الرساليات) الأولى لصور (التي ستحمل تاريخ ٤٥٠ للميلاد) وسيكون هذا (مثقال مزدوج Sicles) انظر كراي - موري. حاشية رقم ٢ ص ١٩١ رقم ٨٨.
- ٦ - انظر بالنسبة لهذه الفعالية J. Starkey. بترا والانباط «V-SOB- باريز ١٩٦٦ - Col ٩٠٣.
- ٧ - B. M. C. فلسطين ص ١ - ٣٩.
- ٨ - IGCH رقم ١٥٠٧ - ١٥٢١.
- ٩ - IGCH رقم ١٥٨٤ - ١٥٩٣ و ١٦٠١ (H Seyrig) كنوز الشرق رقم ١٠ - ١٢.
- ١٠ - H. S. M - E. I. Newell ص ٢١٤ - ٢٤٢.
- ١١ - E. I. Newell دور السك الاخيرة في عكا خلال عهد بطليموس وفي دمشق. N. N. M. ٨٤ (نيويورك ١٩٣٩ صفحة ٤٤ - ٩٧).
- ١٢ - IGCH رقم حاشية ١٦٠٠ - ١٦٣٤ - استمرار العملات الفضية البطلموسية في «فلسطين» وخاصة، الاردن، راجع مثلاً «كنز مادية» المدفون منذ حوالي عام ٤٤٦ - IGCH رقم ١٥٩٢.
- ١٣ - BMC غالاتيا صفحة (١ - ٢٥، ١ - ٢٧ LXXV, LXXVII) «نويل» دور السك السلوقية الاخيرة ص ٨٣ - ٨٤.
- ١٤ - IGCH الحواشي ١٦١٣ - ١٦١٥ - ١٦٢٠.
- ١٥ - IGCH حاشية رقم ١٦١٦ - ١٦٣١.
- ١٦ - لأجل هذه الحقبة الزمنية - لوحة المجموع لـ «بابلون» S. W. - J. Babelon - عملات SDB5 باريز ١٩٧٥ - Col ١٣٤٦ - ١٣٧٥.
- ١٧ - راجع المؤلف الاصلي للسيد W. Wruck حول الولاية السورية خلال حكم اوغسطس وتراجان Stuttgart ١٩٣١.
- ١٨ - H. Seyring معابد وعبادات وتذكارات تاريخية لاتتلاف المدن العشر في الآثار السورية السادسة باريز ١٩٦٦ - ص ٤٥ - ٤٩ / و Spjkerman سبيجكرمان ديكابوليس ص ١٢٨ - ١٢٩.
- ١٩ - راجع بحث A. Negen وسبيجكرمان اتتلاف المدن العشر ص ٣٢ - ٣٤ حاشية ٤.

- ٢٠ - كامل هذه الحقبة الزمنية وما يتبعها، انظر Passim مؤلف J. P. Callu - السياسة النقدية للإباطرة الرومان من عام ٢٣٨ الى عام ٣١١ (باريز ١٩٦٩).
- ٢١ - عرض سريع لتلك العملات الصغيرة - C. Auge (بعض العملات الصغيرة جداً التي عثر عليها في «سبيج» في سورية - الجنوبية - مذكرة الشركة الفرنسية حول المسكوكات ٣٧/٧ - تموز ١٩٨١ - ص ٨٢ - ٨٥ (٢ - ٤).

هوامش المترجم

* ١ - غريب هذا اللاحق على وجود ممالك يهودية أو ملوك على الرغم من أن المصادر اليهودية القديمة كانت تؤكد أن هيرود وأسرته من بعده لم يكونوا سوى حكاماً وولاء عينتهم روما لإدارة منطقة ما، معروفة في فلسطين، وكلفوا أحياناً لمهمات خارج منطقتهم إلى الشمال في سورية أو إلى الشرق باتجاه النجف، عندما تلاقي روما بعض الصعوبات في التعامل مع المملكة النبطية التي كانت قائمة من القرن الرابع قبل الميلاد في المنطقة الواقعة من قناة السويس غرباً وبادية الأردن شرقاً ومن سهول دمشق شمالاً وخليج العقبة جنوباً، وإن ندرة وجود النقود الخاصة بأسرة هيرود، تؤكد عدم التواجد الدائم إطلاقاً في سورية الجنوبية.

صدر عن الأهالي

- ١ - النباتات الطبية واستعمالاتها
- ٢ - الممتزلة والفكر الحر
- ٣ - ساعة الشؤم (رواية)
- ٤ - من الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان
- ٥ - والليل الذي يسكنني (شعر)
- ٦ - الفضاء هذا العالم الجديد
- ٧ - السينما والقضية الفلسطينية
- ٨ - أنا باز (قصيدة طويلة)
- ٩ - الفرسان الثلاثة (للأطفال)
- ١٠ - الداء السكري
- ١١ - المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة
- ١٢ - أزهار الكرز (أشعار يابانية)
- ١٣ - وضاح وليلى (للأطفال)
- ١٤ - القيامة والزبال (مسرحيتان)
- ١٥ - الذاكرة والغضب (رواية)
- ١٦ - حكاية الرجل الذي رفسه البغل (قصص)
- ١٧ - حكى لي الأخرس (سخرجات صغيرة)
- ١٨ - قدّاس من أجل فلاح اسباني (رواية)
- ١٩ - البطل الملحومي في روايات عبد الرحمن منيف
- ٢٠ - الذهب (قصة للأطفال)
- ٢١ - التلوث وحماية البيئة
- ٢٢ - مسرح الريادة (دراسة)
- ٢٣ - طبرصف والزينية
- ٢٤ - الكاتبات السوريات ١٨٩٣ - ١٩٨٧
- ٢٥ - حطين
- ٢٦ - الانتفاضة بالكاريكاتور
- ٢٧ - زوبك (رواية)
- ٢٨ - الطفل والأحلام (دراسة)
- ٢٩ - من قاموس التراث
- ٣٠ - الحب والظلال (رواية)
- ٣١ - دراسات في أدب عبد السلام العجيلي
- ٣٢ - قيامة عبد القهار عبد السميع
- ٣٣ - الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر
- ٣٤ - أرق الليلة الفاصلة
- د. محمد العودات ود. جورج لحام
- د. عادل العوا
- غابرييل غارسيا ماركيز، ترجمة صالح علماني
- د. عبد الله حنا
- ممدوح عدوان
- مجموعة من الباحثين، ترجمة عيسى طنوس
- حسين العودات
- سان جون بيرس، ترجمة عبد الكريم كاصد
- سليمان العيسى وصلاح مقداد
- د. ميه الرحبي
- علي القيم
- ترجمة عدنان بفجاتي
- سليمان العيسى
- ممدوح عدوان
- فائز الزبيدي
- وليد معمري
- خطيب بدلة
- رامون خ. سيندر، ترجمة عاصم الباشا
- د. أحمد جاسم الحميدي
- يحيى الشيخ
- د. محمد العودات
- عبد الفتاح قلعه جي
- عدنان عمارة
- مروان المصري
- يوسف سامي اليوسف
- الأهالي
- عزيز نسين، ترجمة: عبد القادر عبد الله
- د. عبد الرزاق جعفر
- هادي العلوي
- ايزابيل الليندي، ترجمة: صالح علماني
- مجموعة من الكتاب، تحرير: ابراهيم الجراي
- حسن. م. يوسف
- فريد جحا
- منيف حوراني

- ٣٥ - النفق (رواية)
 ٣٦ - كيف تُكتب الرواية؟
 ٣٧ - الرؤية المنهجية لدراسة الأخلاق
 ٣٨ - تسعة أشهر حتى الولادة
 ٣٩ - مرايا صغيرة (شعر)
 ٤٠ - السواد (رواية)
 ٤١ - الجغرافية السياسية والجغرافية الاستراتيجية
 ٤٢ - السؤال الآخر
 ٤٣ - بم التعلل (شعر)
 ٤٤ - الشذوذ الجنسي
 ٤٥ - ليلة ناهمة (مجموعة قصصية)
 ٤٦ - بين حدود النفي (شعر)
 ٤٧ - ارتفاع المجتمعات الشرقية
- ارنستو سابانو، ترجمة: عبد السلام عقيل
 غايريل غارسيا ماركيز - ترجمة صالح علماني
 محمد الجبر
 ترجمة غازي أبو عقل
 شيركو بيكه س
 حسن حميد
 أحمد عبد الكريم
 فاضل الربيعي
 حميد العقابي
 د. ناجي الجيوش
 دينو يوزاتي، ترجمة د. منذر عياشي
 كريم ناصر
 مجموعة من الباحثين السوفييت

تحت الطبع

- ٤٨ - نفاح الشيطان (رواية)
 ٤٩ - النقد الأدبي الحديث
 ٥٠ - سوسيولوجيا الرواية
- احمد يوسف داود
 سمر روجي الفيصل
 عبد الرزاق عيد

المعهد الفرنسي لعلم الآثار

في الشرق الأدنى

نشر ج. م. دانتزر

مكتبة الاستشراق لبول غونتر

باريس ١٩٨٥

INSTITUT FRANÇAIS

D'ORCHÉOLOGIE DU PROCHE

ORIENT

d: j. M. DETZER

LIBRAIRIE ORIENTALIST PAUL

GEUTHNER

1985

INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE DU PROCHE ORIENT
BEYROUTH - DAMAS - AMMAN
BIBLIOTHÈQUE ARCHÉOLOGIQUE ET HISTORIQUE — TOME CXXIV

HAURAN I

RECHERCHES ARCHÉOLOGIQUES
SUR LA SYRIE DU SUD
À L'ÉPOQUE HELLÉNISTIQUE
ET ROMAINE

éd. J.-M. DENTZER

PREMIÈRE PARTIE

*Ouvrage publié avec le concours
de la Direction Générale des Relations Culturelles Scientifiques et Techniques
et du Centre National de la Recherche Scientifique*

PARIS
LIBRAIRIE ORIENTALISTE PAUL GEUTHNER
1985

